

# مجلة العلوم العربية

مجلة علمية فصلية محكمة

العدد الثالث والستون

ربيع الأول ١٤٤٣ هـ

الجزء الأول



رقم الإيداع: ١٤٢٩/٣٥٦٣ بتاريخ ١٩/٠٦/١٤٢٩ هـ  
الرقم الدولي المعياري (ردمد) ٤١٩٨ . ١٦٥٨







المشرف العام  
الأستاذ الدكتور/ أحمد بن سالم العامري  
معالي رئيس الجامعة

نائب المشرف العام  
الأستاذ الدكتور/ عبدالله بن عبدالعزيز التميم  
وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

رئيس التحرير  
الأستاذ الدكتور/ سعود بن عبد العزيز الخنين  
الأستاذ في قسم النحو والصرف وفقه اللغة - كلية اللغة العربية

مدير التحرير  
الدكتور/ إبراهيم بن ناصر بن محمد الشقاري  
وكيل عمادة البحث العلمي

## أعضاء هيئة التحرير

أ.د. إبراهيم بن عبد العزيز أبو حيمد  
الأستاذ في قسم علم اللغة التطبيقي - معهد تعليم اللغة العربية

أ.د. إبراهيم بن محمد أبا نعي  
الأستاذ في قسم الأدب - كلية اللغة العربية

أ.د. محمد أحمد الدالي  
الأستاذ في قسم علم اللغة - كلية الآداب - جامعة الكويت

أ.د. محمد محمد أبو موسى  
الأستاذ في قسم البلاغة والنقد - كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

أ.د. نوال بنت إبراهيم الحلوة  
الأستاذ في قسم اللغة العربية - كلية الآداب  
جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

أ.د. يوسف بن عبد الله العليوي  
الأستاذ في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي - كلية اللغة العربية

أ.د. ممدوح إبراهيم محمود  
أمين تحرير مجلة الجامعة - عمادة البحث العلمي

## قواعد النشر

مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (العلوم العربية) دورية علمية محكمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة. وتُعنى بنشر البحوث العلمية وفق الضوابط الآتية :  
أولاً : يشترط في البحث ليقبل للنشر في المجلة :

- ١- أن يتسم بالأصالة والابتكار، والجدة العلمية والمنهجية، وسلامة الاتجاه .
- ٢- أن يلتزم بالمناهج والأدوات والوسائل العلمية المعتمدة في مجاله .
- ٣- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج .
- ٤- أن يتسم بالسلامة اللغوية .
- ٥- ألا يكون قد سبق نشره .
- ٦- ألا يكون مستقلاً من بحث أو رسالة أو كتاب، سواء أكان ذلك للباحث نفسه، أم لغيره .

ثانياً : يشترط عند تقديم البحث :

- ١- أن يقدم الباحث طلباً بنشره، مشفوعاً بسيرته الذاتية (مختصرة) وإقراراً يتضمن امتلاك الباحث لحقوق الملكية الفكرية للبحث كاملاً، والتزاماً بعدم نشر البحث إلا بعد موافقة خطية من هيئة التحرير .
- ٢- أن يكون البحث في حدود (٥٠) صفحة مقاس (٤ A) .
- ٣- أن يكون حجم المتن (١٧) Traditional Arabic، والهوامش حجم (١٤) وأن يكون تباعد المسافات بين الأسطر ( مفرد) .
- ٤- يقدم الباحث نسخة مطبوعة من البحث، ونسخة حاسوبية مع ملخص باللغتين العربية والإنجليزية، لا تزيد كلماته عن مائتي كلمة أو صفحة واحدة .

### ثالثاً: التوثيق :

- ١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة .
  - ٢- تثبت المصادر والمراجع في فهرس يلحق بآخر البحث .
  - ٣- توضع نماذج من صور الكتاب المخطوط المحقق في مكانها المناسب .
  - ٤- ترفق جميع الصور والرسومات المتعلقة بالبحث، على أن تكون واضحة جلية .
- رابعاً: عند ورود أسماء الأعلام في متن البحث أو الدراسة تذكر سنة الوفاة بالتاريخ الهجري إذا كان العَلَم متوفى .
- خامساً: عند ورود الأعلام الأجنبية في متن البحث أو الدراسة فإنها تكتب بحروف عربية وتوضع بين قوسين بحروف لاتينية، مع الاكتفاء بذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة .
- سادساً: تُحْكَم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين من المحكمين على الأقل.
- سابعاً: تُعاد البحوث معدلة، على أسطوانة مدمجة CD أو ترسل على البريد الإلكتروني للمجلة .
- ثامناً: لا تعاد البحوث إلى أصحابها، عند عدم قبولها للنشر .
- تاسعاً: يُعطى الباحث نسختين من المجلة، وعشر مستلآت من بحثه .
- عنوان المجلة:

جميع المراسلات باسم رئيس تحرير مجلة العلوم العربية

الرياض ١١٤٣٢ - ص ب ٥٧٠١

هاتف: ٢٥٨٢٠٥١ - ناسوخ (فاكس) ٢٥٩٠٢٦١

**www. imamu.edu.sa**

**E.mail: Arabicjournal@imamu.edu.sa**

## المحتويات

١٣	المفاضلة بين القراءات القرآنية المتواترة في الفكر النحوي (قراءة في المبدأ والمفاهيم والمواقف) د. زكي بن صالح بن سعد الحريول
١١٣	تحقيق ابن هشام الأنصاري نصّ ألفية ابن مالك "عرض ودراسة" د. جابر بن عبدالله بن سريّ السريّ
١٩٩	صَوْن الياء من القلب (مظاهره، وبواعثه، وطُرُقه) د. عبد العزيز بن علي بن أحمد الغامدي
٢٤٥	جائحة كورونا وأثرها في الشعر السعودي الرؤية والتشكيل شعراء جازان نموذجاً د. سعيد بن عبدالله بن عبدالله آل ناصر القرني
٣٢٣	تجليات التناس في رسائل أبي بكر الخوارزمي "الأشكال والآليات" د. عبد الخالق بن عبد الرحمن بن عبد الخالق القرني
٤٠٩	جماليات التشكل في السيرة الذاتية كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ نموذجاً د. وئام محمد سيد أحمد أنس





**المفاضلة بين القراءات القرآنية المتواترة في الفكر النحوي  
(قراءة في المبدأ والمفاهيم والمواقف)**

**د. زكي بن صالح بن سعد الحريول**

قسم اللغة لعربية – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة الإمام محمد بن سعود، فرع الأحساء





## المفاضلة بين القراءات القرآنية المتواترة في الفكر النحوي (قراءة في المبدأ والمفاهيم والمواقف)

د. زكي بن صالح بن سعد الحريول


قسم اللغة العربية- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية  
جامعة الإمام محمد بن سعود، فرع الأحساء

تاريخ تقديم البحث: ٢٥ / ٦ / ١٤٤٢ هـ تاريخ قبول البحث: ١٥ / ٨ / ١٤٤٢ هـ

### ملخص الدراسة:

يهدف هذا البحث إلى دراسة ظاهرة المفاضلة بين القراءات القرآنية المتواترة عند النحويين، حيث مواقف النحويين من هذه الظاهرة تحتاج إلى مزيد تحقيق وجمع بين المعطى النظري والتطبيقي في المنجزات النحوية، كما أنَّ هذه الظاهرة لم تُدرس-فيما أعلم- دراسة تنطلق من أصول علم النحو العربي والمساحة المشتركة بينها وبين علم القراءات، وتؤوب إليها بنتائج تمس جذور هذه الظاهرة.

الكلمات المفتاحية: المفاضلة، القراءات، النحويين، ثعلب، النحاس، أبو حيان.



## **A comparison between the frequent Qur'anic readings in grammatical thought - a reading in the principle, concepts and positions**

**Dr. Zaki Saleh Saad Al-Hariol**


Department of Arabic Language - Faculty of Sharia and Islamic Studies

Imam Muhammad bin Saud Islamic university, Al Ahssa Branch

### **Abstract:**

This research aims to study the phenomenon of Comparison between the frequent Qur'anic readings of grammarians, as the grammarians' attitudes towards this phenomenon require further investigation and a combination of theoretical and applied given in grammatical achievements, and this phenomenon has not been studied - as far as I know - a study based on the origins of Arabic grammar and the common space between it and the science of readings, and it repels it with results that touch the roots of this phenomenon.

**key words:** Comparison, Qur'anic readings, Grammarians, Tha'lab, Al-Nahhas, Abu Hayyan



## المقدمة:

المفاضلة بين القراءات القرآنية ظاهرة لها حضورها وتأثيرها في الدرس اللغوي، ومرتبطة بجوانب نظرية وتطبيقية في موقف النحاة من القراءات القرآنية، لا تزال بحاجة إلى التداول والبحث، وهذا ما يضطلع به بحثنا هذا الموسوم بـ(المفاضلة بين القراءات القرآنية المتواترة في الفكر النحوي-قراءة في المبدأ والمفاهيم والمواقف).

وتكمن أهمية هذا الموضوع في كونه موضِّحاً مهماً لعلاقة جهد نحاة العربية بأعلى درجات القراءات القرآنية وهي القراءات المتواترة التي تلقتها الأمة بالقبول، وحساسية إنزال المعايير اللغوية على النص القرآني لتفضيل قراءة على أخرى. كما أن هناك خلطاً شديداً عند كثير من الباحثين في قدرة الجمع بين النصوص النظرية الواردة من علماء العربية في منع التفضيل بين القراءات والواقع المليء بالمفاضلة في كتب معاني القرآن وإعرابه وتوجيه قراءاته.

وتبقى علاقة النحاة بالقراءات القرآنية بحاجة إلى دراسات مُعمَّقة، تُحرر المفاهيم وتتفهم المراحل، وذلك من أجل الوصول إلى حقيقة موقف النحويين في الحكم على القراءات القرآنية والمفاضلة بينها -تنظيراً وتطبيقاً.

والمفاضلة: مفاعلة من (فَضْل)، و«الفاء والضاد واللام أصلٌ صحيحٌ يدل على زيادة في شيء»<sup>(١)</sup>، ويمكننا تقريب المراد بالمفاضلة: بأنها تفضيل النحوي لقراءة قرآنية متواترة على قراءة متواترة أخرى أو أكثر.

---

(١) مقاييس اللغة ٥٠٨/٤، (ف ض ل).

والمستقرّ عند علماء القراءات أن القراءة المتواترة هي: «كل قراءة وافقت العربية مطلقاً، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديرًا، وتواتر نقلها، هذه القراءة المتواترة، المقطوع بها»<sup>(١)</sup>، ويلحق بالقراءات المتواترة (القراءات المشهورة) أو (القراءات الصحيحة)<sup>(٢)</sup>، وهي ما صح سندها بنقل العدل الضابط إلى منتهاه، ووافق العربية والرسم.

وبالجملّة فإنه لا يُقرأ إلا بما استفاد نقله وتلقته الأمة بالقبول، كما إنّ جمهور العلماء على أنّ القراءات السبع متفقٌ على تواترها، والثلاث بعدها (قراءة أبي جعفر، ويعقوب، وخلف) مختلفٌ فيها، والصحيح أنّها متواترة برواها المشهورين في جمهور أفرادها، والأربع الباقية (قراءة الحسن البصري، والأعمش، واليزيدي، وابن محيصن) هي قراءات شاذة باتفاق<sup>(٣)</sup>.

ولأجل ذلك فقد جمعت مادة هذا البحث وقسمتها إلى مقدمةٍ تعقبها ثلاثة مباحث، أمّا المبحث الأول: ففيه موقف النحويين من مبدأ (المفاضلة)، والمبحث الثاني: موانع المفاضلة بين القراءات القرآنية المتواترة (قراءة توظيفية)، والمبحث الثالث: مبدأ (المفاضلة) اللغوية في الفكر النحوي، وقد استصفيت من هذه المباحث وعلى ضوءها أهم النتائج الجديدة بالاختتام.

(١) منجد المقرئين، لابن الجزري ١٥.

(٢) المرجع السابق ١٦.

(٣) ينظر: النشر في القراءات العشر ٩/١، لطائف الإشارات، للقسطلاني ١٧٠/١، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ١٤٧/١.

أمّا عن الدراسات السابقة التي قد يظهر من عنوانها أنّها ذات تماسّ مع بحثنا أو تشترك في مسائل (التفضيل) أو (الترجيح) أو (الاختيار)، فلم أقف إلّا على دراستين، هما:

الأولى: بحث بعنوان (المفاضلة والترجيح بين القراءات: نماذج تطبيقية مؤصلة)، للدكتور حسن سالم هبشان، نشره بمجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، العدد الثاني عشر، ٢٠١٦م. والأخرى: بحث بعنوان (أسباب الترجيح بين القراءات المتواترة، دراسة ونقد)، للدكتور عماد أبو مغلي، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد الثلاثون (٢)، حزيران، ٢٠١٣م.

وهاتان الدراستان-وغيرها-تريان منع التفضيل بين القراءات المتواترة، تسليماً لظاهر نصوص بعض العلماء، أما بحثنا فيختلف عنها في طريقة التداول وفي النتيجة والموقف كذلك. فقد عنيت دراستنا بتجلية حقيقة مواقف المانعين من خلال محاولة الجمع بين نصوصهم النظرية وواقع ما كان من توجيه للقراءات في مؤلفاتهم، كما عنيت دراستنا بربط تداول هذه الظاهرة بأصول علم النحو العربي ونظرياته الكبرى وبأصول علم القراءات ومفاهيمه الرئيسة؛ رغبةً في سبر أغوار هذه الظاهرة وتحرير موقف لغوي يستند إلى أصول هذين العلمين من جهة، ويراعي الفروق بين معطياتهما من جهة أخرى.

ونسأل الله الإخلاص والعون والسداد.

## المبحث الأول: موقف النحويين من مبدأ (المفاضلة).

استقراء كتب النحو العربي يُظهر لنا أن المفاضلة بين القراءات المتواترة متجذرة في الفكر النحوي<sup>(١)</sup>، ومن نماذج المفاضلة بين القراءات القرآنية المتواترة عند أئمة النحو الآتي:

- نص سيبويه على جواز الجزم والرفع في الفعل المعطوف بعد تمام جملة الشرط، ثم قال: «وقال، عز وجل: ﴿وَأِنْ تُخَفُّوْهَا وَتُؤْتُوْهَا الْفَقْرَاءَ فَهَؤُا خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾»<sup>(٢)</sup>، والرفع<sup>(٣)</sup> هاهنا وجه الكلام وهو الجيّد؛ لأن الكلام الذي بعد الفاء جرى مجراه في غير الجزاء، فجرى الفعل هنا كما كان يجري في غير الجزاء»<sup>(٤)</sup>.

- وقال الفراء في قول الله، عز وجل: ﴿وَيُلْقَوْنَ فِيْهَا نَجْمًا وَسَلَامًا﴾<sup>(٥)</sup>: «وقوله (وَيُلْقَوْنَ) و(وَيُلْقَوْنَ فيها)، كلٌّ قد قرئ به<sup>(٦)</sup> و(يُلْقَوْنَ) أعجب إليّ؛ لأنّ القراءة لو

---

(١) ينظر: الكتاب ٩٠/٣، معاني القرآن، للفراء ٧٤/١، المقتضب ١٢٤/٤، معاني القرآن وإعرابه ١١٩/١، الأصول، لابن السراج ٤٠١/٢، إعراب ثلاثين سورة، لابن خالويه ٦٢، الحجة، لأبي علي ٣٠٨/١، البحر المحيط ٤٨١/٦.

(٢) البقرة: ٢٧١.

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر (وَيُلْقَوْنَ) برفع الراء، وقرأ نافع وحمة والكسائي (وَيُلْقَوْنَ) بالجزم، وقرأ ابن عامر وحفص (وَيُلْقَوْنَ) بالياء والرفع على الاستثناف، الحجة، لأبي علي ٣٩٩/٢، حجة القراءات، لابن زنجلة ١٤٧.

(٤) ينظر: الكتاب ٩٠/٣.

(٥) الفرقان: ٧٥.

(٦) قرأ أبو بكر وحمة والكسائي (وَيُلْقَوْنَ فيها) بفتح الياء وإسكان اللام مخففاً، والباقيون بضم الياء وفتح اللام مشدداً، ينظر: السبعة، لابن مجاهد ٤٦٨، التيسير، للداني ١٣٣.

كانت على (يُلَقَّون) كانت بالباء في العربية؛ لأنك تقول: فلان يُنَلَّقَى بالسلام والخير. وهو صواب، يُلَقَّونه وَيَلَقَّون به، كما تقول: أخذت بالخطام وأخذته»<sup>(١)</sup>.

- وقال الزجاج في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾<sup>(٢)</sup>: «وقرأ ابن كثير<sup>(٣)</sup>: فتلقى آدم من ربه كلمات، والاختيار ما عليه الإجماع وهو في العربية أقوى، لأنَّ آدمَ تعلَّم هذه الكلمات، والعرب تقول: تلقيت هذا من فلان»<sup>(٤)</sup>.
- وقال النحاس في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ﴾<sup>(٥)</sup>، «قرأ أهل المدينة وأهل البصرة وعاصم (وقد خلقتك من قبل)، وقرأ سائر الكوفيين (وقد خلقناك)<sup>(٦)</sup>، قال أبو جعفر: والقراءة الأولى أشبه بالسواد»<sup>(٧)</sup>.

\*\*\*

---

(١) معاني القرآن ٢/٢٧٥.

(٢) البقرة: ٣٣.

(٣) قرأ ابن كثير بنصب (آدم) ورفع (كلمات)، وقرأ الباقر برفع (آدم) ونصب (كلمات)، ينظر: السبعة، لابن مجاهد ١٥٤، حجة القراءات، لابن زنجلة ٩٤، النشر في القراءات العشر ٢/٢١١.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١/١١٦.

(٥) مريم: ٩.

(٦) ينظر: التيسير، للداني ١٤٨.

(٧) إعراب القرآن ٨/٣.

## المنسوب إليهم المنع وحقيقة الموقف.

إنَّ أشهر من أُسند إليهم، قديماً وحديثاً، منع المفاضلة بين القراءات القرآنية المتواترة هم:

١- أبو العباس ثعلب (٢٩١هـ).

٢- أبو جعفر النحاس (٣٣٨هـ).

٣- أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ).

وهم - كما ترى - يمثلون قلة قليلة من النحويين، ويمكن تجلية ما سهّل نسبة المنع إليهم من جهة، ومناقشة حقيقة هذه النسبة من جهة أخرى في البيان الآتي:

### أولاً: موقف أبي العباس ثعلب.

تناقل المتأخرون حكايةً، نقلها أبو حيان بقوله: «وحكى أبو عمر الزاهد في كتاب (اليواقيت)<sup>(١)</sup> أنَّ أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلباً كان لا يرى الترجيح بين القراءات السبع.

وقال: قال ثعلبٌ من كلام نفسه: إذا اختلف الإعرابُ في القرآن عن السبعة<sup>(٢)</sup> لم أفضِّل إعراباً على إعرابٍ من القرآن، فإذا خرجت إلى الكلام كلام

---

(١) كتاب مفقود لغلام ثعلب وهو غير كتابه (ياقوتة الصراط) كما أوضح ذلك أ.د. محمد بن يعقوب التركستاني، في مقدمة تحقيقه الرصينة. ينظر: ياقوتة الصراط ١٢٩.

(٢) الأظهر أنَّ ورود كلمة (السبعة) كان تحريفاً، لأنَّ "التسبيع" كان على يد ابن مجاهد (٣٢٤هـ) المتوفى بعد ثعلب. يؤيد ذلك الرواية المتقدمة التي خلت من ذكر (السبعة) لأبي الفضل الرازي (٤٥٤هـ) عن ابن مِقْسَم (٣٥٤هـ)، قال: «وقد حدثونا عن أبي بكر بن مقسم عن أحمد بن

الناس فضّلت الأقوى. ونعم السلف لنا أحمد بن يحيى فإنه كان عالماً بالنحو واللغة متديناً ثقةً<sup>(١)</sup>. غير أنّ الذي يعود إلى مجالس هذا العَلم، وقد اشتهر عن هذا العلم الجليل منع المفاضلة<sup>(٢)</sup>، يجد أنه يفاضل بين القراءات القرآنية المتواترة بطريقة صريحة.

وبعد استقراره لمجالسه -رحمه الله- وجدت موضعين صريحين في التفضيل من بين مواضع لا تتجاوز العشرة ذكر فيها قراءات قرآنية:

- قال ثعلب: «في قوله: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾<sup>(٣)</sup>، هي الزيتون. (تنبث بالدهن) قال: الاختيار فتح التاء<sup>(٤)</sup>. و(تُنْبِثُ) لا يحتاج إلى باء، وهي قليلة في اللغة، إنما يُقال خرجتُ به وأخرجته، وذهبتُ به وأذهبتُ»<sup>(٥)</sup>.

---

يحي ثعلب النحوي أنه كان يقول: لا تُفَضِّلُ إعراباً على إعراب القرآن، فإذا جئت إلى كلام الناس ففضّل الأقوال». وقد أورد السيوطي نص ثعلب بتغيير بسيط، لكن بلا لفظ (السبعة). ينظر: معاني الأحرف السبعة، لأبي الفضل الرازي ٣٥٦.

(١) البحر المحيط ٤٧٣/١. وينظر: الدر المصون ٤٨/١، الإتقان، للسيوطي ٢٢٩/١.  
(٢) ينظر: الدر المصون ٤٨/١، البرهان، للزركشي ٣٣٩/١، الإتقان، للسيوطي ٢٩٩/١، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ٣٩٤/١، علم إعراب القرآن (تأصيل وبيان) ٢٥٨، قواعد نقد القراءات القرآنية ٥٦١.

(٣) المؤمنون: ٢٠.

(٤) قرأ بضم التاء ابن كثير وأبو عمرو، والباقون بالفتح. ينظر: التيسير، للداني ١٢٩.

(٥) مجالس ثعلب ١٦٤/١.

• ورأي ثعلب في قاعدة إضافة المئة والألف إلى الجمع هو رأي الجمهور<sup>(١)</sup>:  
 خلافاً للفراء<sup>(٢)</sup>، وهو المنع في سعة الكلام، لذا قال في توجيه قول الله، عز  
 وجل: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>: «من قال: (ولبثوا في كهفهم ثلثمائة  
 سنين)<sup>(٤)</sup>، فهو الاختيار؛ لأنَّ السنين جمعٌ، ولا تُخرج مفسِّرة، كأنَّه قال:  
 ولبثوا في كهفهم سنين ثلثمائة، فالسنون تابعة للثلثمائة، والثلثمائة تابعة  
 للسنون. وإذا قال ثلثمائة سنين فأضاف، فإنَّ السنين فيها لغات، يُقال:  
 هذه سنون فاعلم، ومررتُ بسنين فاعلم. هذا جمعٌ على ما فسرناه. ولغةٌ  
 يقولون: هذه سنيُنك، ومرَّت سنيُنك، فيثبتون النون، فيجعلونها كالواحد،  
 فعلى هذه أضافوا»<sup>(٥)</sup>.

ومما مضى تبين بصريح قول أبي العباس أنه فاضل بين القراءات القرآنية المتواترة.

\*\*\*

(١) ينظر: المقتضب ١٧١/٢، الايضاح في شرح المفصل ٥٨٩/٢، التذيل والتكميل ٢٨١/٩.

(٢) ينظر: معاني القرآن ١٣٨/٢.

(٣) الكهف: ٢٥.

(٤) قرأ حمزة والكسائي بإضافة (مئة)، وقرأ بقية السبعة بتنوين (مئة). ينظر: السبعة، لابن مجاهد

٣٩٠، حجة القراءات، لابن زنجلة ٤١٤.

(٥) مجالس ثعلب ٢٦٥/١.

## ثانيا: موقف أبي جعفر النحاس.

على المستوى التنظيري هناك نصوص قد يُستدل بها على منعه للمفاضلة بين القراءات القرآنية:

● قال أبو جعفر مُنْكَرًا على الفراء تفضيله بين قراءتين مُتواترتين: «وهذا ما ينكر على الفراء أن يُقال للقراءات التي قد روتها الجماعة عن الجماعة: هذه أمور من هذه، لأنّها إذا روتها الجماعة عن الجماعة قيل: هكذا أنزل؛ لأنهم لا يجتمعون على ضلالةٍ، فكيف تكون إحداها أجود من الأخرى؟»<sup>(١)</sup>.

● وقال: «والسلامة من هذا عند أهل الدين إذا صحّت القراءتان عن الجماعة أن لا يُقال إحداها أجود من الأخرى لأنهما جميعًا عن النبي، صلى الله عليه وسلم، فيأثم من قال ذلك»<sup>(٢)</sup>.

● وقال في موضع من مواضع ردّه على مفاضلة الفراء: «وعظيم من القول أن يُقال فيما قرأت به الجماعة، ووقع للسواد المنقول عن الصحابة الذين أخذوه عن النبي، صلى الله عليه وسلم: أجود وأخير والقراءتان جميعًا نقلها الجماعة عن الجماعة»<sup>(٣)</sup>.

● وقال: «وإذا جاء الشيء على هذا الاجتماع حُظِر في الديانة أن يُقال: إحداها أولى من الأخرى»<sup>(٤)</sup>.

(١) إعراب القرآن ٤/١٣٦.

(٢) إعراب القرآن ٥/٦٢.

(٣) إعراب القرآن ٥/٢٤٠.

(٤) إعراب القرآن ٥/٢٩٠.

لكنَّ حقيقة التطبيق في نحو النحّاس، رحمه الله، تدل على غير ما اشتهر عنه<sup>(١)</sup>، فقد فاضل بشكل واضح، وألفاظ صريحة: «القراءة بالرفع وهي أبين وأصح»<sup>(٢)</sup>، «أجود القراءات»<sup>(٣)</sup>، «القراءة بالضم أولى»<sup>(٤)</sup>، «وقراءة حمزة أصوب وأولى»<sup>(٥)</sup>، «والقراءة الأولى أشبه بالسواد»<sup>(٦)</sup>، «والقراءة الأولى حسنة بيّنة»<sup>(٧)</sup>، «وإن كانت القراءة الأولى أبين وأوضح تأويلاً»<sup>(٨)</sup>.

كل ذلك، وغيره<sup>(٩)</sup>، يدل على أن مبدأ المفاضلة بين القراءات المتواترة حاضرٌ بوضوح في النحو القرآني عند أبي جعفر، والغريب أن تنظير منع المفاضلة والمفاضلة نفسها يقعان في كتاب واحد ولذلك تفسير لاحق بإذن الله.

---

(١) ينظر: البرهان، للزركشي ٣٣٩/١، الإتقان، للسيوطي ٢٢٩/١، القراءات وأثرها على التفسير والأحكام ٣٩٣/١، الاختيار في القراءات/٣٦، أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي ١٧٢، قواعد نقد القراءات القرآنية ٥٦١، منهج سيبويه في الاحتجاج بالقراءات ولها ١٤٦، في أدلة النحو ٦٥، التفاوت البلاغي بين أي القرآن ٣٨٨.

(٢) إعراب القرآن ٣٠٥/١.

(٣) إعراب القرآن ٣٣٩/١.

(٤) إعراب القرآن ٤٧٣/٢.

(٥) إعراب القرآن ٤٧٥/٢.

(٦) إعراب القرآن ٨/٣.

(٧) إعراب القرآن ١١٢/٣.

(٨) إعراب القرآن ١٦٦/٣.

(٩) ركز البحث على نقل النصوص والشواهد من كتاب (إعراب القرآن) للنحّاس، وذلك لهدف تجلية موقف أشهر من أسند إليه المنع من أئمة النحو، ولسبب آخر وهو أنني لم أجد كتاباً في توجيه القراءات وإعرابها يمكن أن يلتقط منه الباحثون في علاقة النحاة بالقراءات القرآنية إشارات جوهرية مثل هذا السفر العظيم.

### ثالثاً: موقف أبي حيان الأندلسي.

أبو حيان ممن يُسند إليهم منع المفاضلة بين القراءات المتواترة<sup>(١)</sup>، وقد نقلنا نصّه الذي عدّ فيه أبا العباس ثعلباً سلفاً صالحاً له في ذلك المنع. ومن أقواله في ذلك الآتي:

«وهذا الترجيح الذي يذكره المفسرون والنحويون بين القراءتين لا ينبغي؛ لأنّ هذه القراءات كلها صحيحٌ ومرويٌّ ثابت عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولكلٍّ منها وجهٌ في العربية، فلا يُمكن ترجيح قراءة على قراءة»<sup>(٢)</sup>.  
«وتكلموا في ترجيح إحدى القراءتين على الأخرى، وقد تقدّم أنّي لا أرى شيئاً من هذه التراجيح؛ لأنّها كلها منقولة متواترة قرآنًا، فلا ترجيح في إحدى القراءتين على الأخرى»<sup>(٣)</sup>.

ومع هذا التنظير الصريح من أبي حيان لمنع المفاضلة، فإنّ أبا حيان فاضل تطبيقياً -وبدرجة أقل من غيره- بعضاً من المفاضلة في تفسيره، ومن ذلك ما قاله في قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْثَرُوهَا فَالْفُقَرَاءُ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>: «وقال ابن عطية<sup>(٥)</sup>: الجزم<sup>(٦)</sup> في الرأ أفصح هذه القراءات،

(١) ينظر: أصول النحو العربي ٣٨.

(٢) البحر المحيط ٢٤٧/٦.

(٣) البحر المحيط ٤٧٨/٧.

(٤) البقرة: ٢٧١.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز ٣٧٥/١.

(٦) دُكر ترجيح قراءة (ويكفّر) سابقاً. ينظر: حجة القراءات، لابن زنجلة ١٤٧، التيسير، للداني ٧١١.

لأنها تؤذن بدخول التكفير للجزاء، وكونه مشروطاً إن وقع الخفاء، وأما رفع الراء فليس هذا المعنى. انتهى.

ونقول: إن الرفع أبلغ وأعلم؛ لأنّ الجزم يكون على أنه معطوفٌ على جواب الشرط الثاني، والرفع يدل على أنّ التكفير مترتبٌ من جهة المعنى على بذل الصدقات، أبديت أو أخفيت؛ لأنّا نعلم أنّ هذا التكفير متعلقٌ بما قبله، ولا يختص التكفير بالإخفاء فقط، والجزم يخصه به، ولا يمكن أن يُقال: إنّ الذي يُبدي الصدقات لا يُكفّر من سيئاته، «فقد صار التكفير شاملاً للنوعين من إبداء الصدقات وإخفائها، وإن كان الإخفاء خيراً من الإبداء»<sup>(١)</sup>.

وربما نقل أبو حيّان ترجيحات الأئمة في الموضع الواحد بلا إنكار منه<sup>(٢)</sup>، «وهو، بعامّة، لا يُفاضل بين القراءات المتواترة ولا ينص على الوجه الأفصح إلا نادراً، وإنما كل همّه أن يوجّه الوارد منها، ويدافع عن القراءات المنقودة»<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) البحر المحيط ٦/ ٤٨٩. وينظر: البحر المحيط ٦/ ٤٨١.

(٢) البحر المحيط ٦/ ٥٣٧.

(٣) النحو وكتب التفسير ٢/ ٩٣٢.

وقصارى القول فيما مضى من دراسة وصفية للواقع النحوي للعلماء  
المنسوب إليهم المنع كالتالي:

١- ثبت أنّ ثعلبًا والنحاس وأبا حيان = لم يخلُ نحوهم القرآني من المفاضلة  
بين القراءات القرآنية المتواترة.

٢- أبو حيان، رحمه الله، معروف بموقفه الأثري وبدفاعه عن القراءات  
القرآنية، لكن مبدأ المفاضلة بين القراءات المتواترة لم يكن معدومًا في تفكيره  
النحوي، وإن كانت المفاضلة في (البحر المحيط) قليلة جدا مقارنة بما في (إعراب  
القرآن) للنحاس من تفضيل.

٣- يشترك العلماء الثلاثة في وجود تناقضٍ بين ظاهر نصوصهم النظرية مع  
الواقع الإجرائي في إعرابهم وتوجيهاتهم القرآنية، ولذلك تفسيرًا في مبحثٍ تحليلٍ  
لاحقٍ، بإذن الله.

\*\*\*

## المبحث الثاني: موانع المفاضلة بين القراءات القرآنية المتواترة. (قراءة توظيفية)

التناقض الظاهر بين النصوص النظرية للنحاة المشتهر عنهم المنع والواقع الإجرائي المشتمل على التفضيل = يمكن أن نستخلص منه موازنةً أو موقفًا نظفر منه بمواءمةٍ تخصص العام، أو تقيد المطلق.

- وأما أبو العباس ثعلب، فليس له من نصوص أو مزيد تنظير يمكن أن نلتفت إليه، غير ما نقلناه، سابقًا، عن تلميذه، وتناقله العلماء عنه. لكنه يعبر بالتأكيد عن طبيعة اجتهادات مرحلة من مراحل علاقة النحوي بالقراءات القرآنية، وهي اجتهادات يمكن التأريخ لها من بداية القرن الرابع الهجري.

- وأما أبو جعفر النحاس، فأعتقد أن المنع المنسوب إليه، اكتسب تجذره في أذهان الكثيرين من موانع التفضيل التي ظهرت بوضوح في إعرابه للقرآن الكريم وتوجيه قراءاته، فهو - في أئمة النحو - أكثر من قدم تنظيرًا مقبولًا ومهمًا لظاهرة المفاضلة - يمكن للباحث أن يلتقط منه إشارات، يسوغ توظيفها في استكناه هذه الظاهرة، أو في الكشف عن طبيعة مرحلة من مراحل العلاقة بين النحاة والقراءات القرآنية.

وقد رأيتُ أنَّ موقفه هو إلى الاعتقاد بوجود موانع للتفضيل أقرب منه إلى المنع المطلق.

- وأما أبو حيان، رحمه الله، فإنَّ قلة المفاضلة بين القراءات المتواترة في تفسيره مؤذنةٌ بطبيعة تطور الفكر النحوي، فهو من نحاة القرن الثامن والباحثون يسجلون للمتأخرين من النحاة علاقةً أكثر مواءمة مع القراءات القرآنية، ولا ريب أنَّ العامل المؤثر الأكبر في هذه العلاقة هي انكشاف الضبابية عن تحقق

مفهوم (التواتر)، واستقرار شأن (القراءات المتواترة) بالتدوين والتسبيح وتلقي الأمة لها بالقبول، وليس في هذا الكلام إشارة من قريب أو بعيد إلى نفي وقوع تضعيف القراءات أو المفاضلة بينها عند المتأخرين، ولذلك تحليل لاحق، بإذن الله.

### موانع المفاضلة بين القراءات القرآنية المتواترة:

هناك موانع للمفاضلة نص عليها بعض النحويين -وفي مقدمتهم النحاس- وصادق عليها علماء علوم القرآن وقراءاته، وهي كالتالي:

#### ١- أن تكون القراءتان بمعنى واحد.

قال أبو جعفر في قول الحق، تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كُتِبَ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُخَرِّجَ لِلْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>: «والمعنى في القراءتين<sup>(٢)</sup> واحد، ولا اختيار فيهما، من قرأ "لِيُنذِرَ" جعله للقرآن أو لله، جل وعز، إذا كان للقرآن فالنبي، صلى الله عليه وسلم، هو المنذر به، وكذا إذا كان لله، جل وعز، فإذا عرف المعنى لم يقع في ذلك اختيار»<sup>(٣)</sup>.

- وكان النحاس كثيرًا ما يرفض التفريق بين القراءات بلا دليل، ويرفض تكلف الفروق اللفظية في القراءات، ومن ذلك: «وأحسن من هذا أن يكون (وصَّى) و(أوصى) بمعنى واحد، مثل (كَرَّمْنَا وَأَكْرَمْنَا)»<sup>(٤)</sup>، «والمعنى واحد

(١) الأحقاف: ١٢.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمة والكسائي (لِيُنذِرَ) بالياء، وقرأ نافع وابن عامر (لِيُنذِرَ) بالتاء، ينظر السبعة، لابن مجاهد ٥٩٦.

(٣) إعراب القرآن ٤/١٦٢.

(٤) إعراب القرآن ١/٢٦٤.

...وليس يقع في هذا اختيار»<sup>(١)</sup>، وكثيراً ما يقول: «وهما لغتان بمعنى واحد»<sup>(٢)</sup>، «وهذه التفريقات لا تُقبل إلا بحجة ودليل»<sup>(٣)</sup>.

- وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾<sup>(٤)</sup>، نجد النحاس يوافق الكسائي<sup>(٥)</sup> في أنّ (السِّلْم) و(السَّلْم) واحد<sup>(٦)</sup>، ويخالف أبا عمرو في أن الأولى بمعنى المسالمة والثانية بمعنى الإسلام، ويقول أبو جعفر: «ومحمد بن يزيد ينكر هذه التفريقات وهي تكثر عند أبي عمرو، واللغة لا تؤخذ هكذا وإنما تؤخذ بالسمع لا بالقياس، ويحتاج من فرق إلى دليل وقد حكى البصريون: بنو فلان سِلْمٌ وسَلْمٌ وسَلَمٌ، بمعنى واحد، ولو صح التفريق لكان المعنى واحداً؛ لأنه إذا دخل في الإسلام فقد دخل في المسالمة»<sup>(٧)</sup>.

- والذي يظهر لي أنّ محاولة التأسيس التي قام بها النحاس لمنع المفاضلة بين القراءتين إذا كانت القراءتان بمعنى واحد هي مفردة من مفردات محاولة الترشيد المبكرة للمفاضلة بين القراءات. وذلك بتقديم حمل القراءتين على الاتفاق ما أمكن، لأن ذلك أقرب لصون القراءات المتواترة من التضعيف. ولم يخل التفكير النحوي من

(١) وينظر: إعراب القرآن ٢٨٩/١، ٣١٥/٤، ٣٦٠/٤، ١١٧/٥.

(٢) إعراب القرآن ٢٨٨/١.

(٣) إعراب القرآن ٤٧٢/٢.

(٤) البقرة: ٢٠٨.

(٥) ينظر: معاني القرآن، للكسائي ٨٧.

(٦) قرأ الحرميان والكسائي في (السِّلْم) بفتح السين، والباقون بكسرها. ينظر: الحجة، لأبي علي

٢٩٢/٢، التيسير، للداني ٦٨.

(٧) إعراب القرآن ٣٠٠/١.

التأصيل لذلك بعد النحاس وقد تأثر بما أصّله مبكراً كثيرٌ من المفسرين وعلماء الأمة عامة، إذ «الأصل توافق القراءات»<sup>(١)</sup>، وأنَّ «حمل القراءتين على معنى واحد أحسن»<sup>(٢)</sup>، وقد قال ابن الحاجب: «وإذا اجتمع قراءتان لإحدهما تأويلان، أحدهما موافق للقراءة الأخرى كان حمله على القراءة الموافقة للأخرى أولى، لئلا يؤدي إلى اختلاف المعاني، والأصل اتفاههما»<sup>(٣)</sup>.

- وقد أصبح هذا الأصل قاعدة من قواعد الترجيح عند المفسرين<sup>(٤)</sup>.

## ٢- أن تكون القراءتان كآيتين، كلُّ واحدة تؤدي معنى.

من موانع المفاضلة بين القراءات أن يكون لكل قراءة معنى مراد تدل عليه القراءة، وقد ذكر النحاس هذا الضابط غير مرة في مواضع مختلفة، ومنها:

- «وهذه القراءات إذا اختلف معانيها لم يجوز أن يقال إحدهما أجود من الأخرى، لا يقال ذلك في الأخبار إذا اختلفت معانيها»<sup>(٥)</sup>.

- «ولا ينبغي أن يقال في هذا أحدُ القراءتين أصحُّ من الأخرى؛ لأنهما يدلّان على معنيين»<sup>(٦)</sup>.

(١) الدر المصون ٥٥٥/٣.

(٢) الكشف، لمكي ٢٢٧/١.

(٣) الإيضاح في شرح المفصل ٢٨٩/١.

(٤) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين ١٠٠/١.

(٥) إعراب القرآن ٣/٣٤٣.

(٦) إعراب القرآن ٣/١٤٣.

- «أهل النظر يقولون: إذا قُرئ الحرف على وجوه فهو بمنزلة آيات كل واحدة تفيد معنى، وقد قال النبي، صلى الله عليه وسلم: «أوتيت جوامع الكلم»<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

- وجاء في إعراب قوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>: «فمن قرأ بالنصب<sup>(٤)</sup> جعله عطفاً على الأول أي واغسلوا أرجلكم، وقد ذكرنا الخفض إلا أنَّ الأَخْفَشَ<sup>(٥)</sup> وأبا عبيدة<sup>(٦)</sup> يذهبان إلى أنَّ الخفض على الجوار والمعنى للغسل، قال الأَخْفَشُ: ومثله: (هذا جُحْرٌ ضِبٌّ خَرِبٌ)، وهذا القول غلط عظيم، لأن الجوار لا يجوز في الكلام أن يقاس عليه إنما هو غلط ونظيره الإقواء ومن أحسن ما قيل أنَّ المسح والغسل واجبان جميعاً والمسح واجبٌ على قراءة من قرأ بالخفض، والغسل واجبٌ على قراءة من قرأ بالنصب، والقراءتان بمنزلة آيتين»<sup>(٧)</sup>.

وهذا المانع الذي أسس له النحاس لترشيد المفاضلة بين القراءات = نَضَج عند المفسرين وعلماء الأمة بعد ذلك على هيئة قاعدة كلية في فهم النص

(١) صحيح مسلم ٣٧٢/١ (حديث: ٥٢٣)، مسند أحمد ٣٦٦/١٢، (حديث: ٧٤٠٣).

(٢) إعراب القرآن ١٨٠/٤.

(٣) المائة: ٦.

(٤) قرأ (وأرجلكم) بالنصب: نافع وابن عامر والكسائي وحفص، وبقية السبعة بالجذر، ينظر: السبعة،

لابن مجاهد ٢٤٢، حجة القراءات، لابن زنجلة ٢٢١.

(٥) معاني القرآن ٢٧٧/١.

(٦) مجاز القرآن ١٥٥/١.

(٧) إعراب القرآن ٩/٢.

القرآني، إذ «القراءتان إذا ظهر تعارضهما في آية واحدة لهما حكم الآيتين»<sup>(١)</sup>، وصار ذلك بمثابة اختلاف تنوع، لا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى<sup>(٢)</sup>، وهذا من تفسير القرآن بالقرآن، إما بإضافة معنى أو توسيعه، وإما بتأكيده أو توضيحه، وإما بدفع توهم، وإما بثمرة من ثمار تعدد القراءات القرآنية. وقد امتدّ نظير العلماء لهذا الضابط المنبثق من التفكير النحوي إلى الجانب البلاغي الممتد من بلاغة الإيجاز الذي تؤدبه تعدد القراءات وتكاملها من طرفٍ خفي إلى إعجاز كثرة القراءات مع انتفاء التناقض والتهافت والتخاذل، يقول الزرقاني: «إن تنوع القراءات يقوم مقام تعدد الآيات وذلك ضرب من ضروب البلاغة، يبتدأ من جمال هذا الإيجاز، وينتهي إلى كمال الإعجاز»<sup>(٣)</sup>.

### ٣- أن تتكافأ القراءتان في قوة الشهرة والتواتر.

من أدقّ الأوصاف التي توصف بها القراءات المستعملة قبل تسبيع ابن مجاهد في نحو سنة (٣٠٠هـ)<sup>(٤)</sup> هو وصفها بالقراءات (المشهورة) أو (المستفيضة)، إذ الشهرة أمرٌ نسبي، تختلف نسبتها عند إنسان وآخر، وترتبط بموقع جغرافي دون آخر-وبقائنيه من الخواص والعوام، بخلاف مصطلح

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٩١/١٣، وينظر: النشر في القراءات العشر ٥١/١.

(٢) أضواء البيان ٨/٢.

(٣) مناهل العرفان ١٤٩/١.

(٤) قال مكّي (٤٣٧هـ): «وأول من اقتصر على هؤلاء: أبو بكر بن مجاهد قبل سنة ثلاثمائة أو في نحوها، وتابعه بذلك من أتى بعده إلى الآن». الإبانة عن معاني القراءات ٩٩.

(التواتر) الذي يُجَمِّع من هذه النسبيّة، ويرتفع إلى درجات القطع، على أنّ القراءات السبع المتواترة -لاحقاً- قد أطلق عليها مصلح (المشهورة). ولم يكن لابن مجاهد، رحمه الله، إلا أن يستمد قوة ما يدونه من هذه الشهرة، ليزداد اجتماع الناس عليها ويتلقون تدوينه بالقبول، قال، رحمه الله، في الأئمة السبعة: «فهؤلاء سبعة نفر من أهل الحجاز والعراق والشام، خلفوا في القراء التابعين، وأجمعت على قراءتهم العوام من أهل كل مصرٍ من هذه الأمصار التي سميت وغيرها من البلدان التي تقترب من هذه الأمصار، إلا أن يستحسن رجلٌ لنفسه حرفاً شاذّاً، فيقرأ به، من الحروف التي رويت عن بعض الأوائل منفردة، فذلك غير داخلٍ في قراءة العوام»<sup>(١)</sup>.

وكل ذلك مرتعناً، أولاً وآخرًا، بما عُرف عن هؤلاء الأئمة، فكلُّهم «ممن اشتهرت إمامته، وطال عمره في الإقراء، وارتحال الناس إليه من البلدان»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) السبعة، لابن مجاهد ٨٧.

(٢) الإبانة عن معاني القراءات ٩٨.

## النحاس وموقفه المؤثر في تاريخ نحو القراءات.

عودًا إلى موقف النحاس وموانعه، فقد وردت منه نصوص تدل على منعه

للمفاضلة بين القراءات التي نقلها الجماعة عن الجماعة، ومن ذلك:

- «وهذا ما يُنكر على الفراء أن يُقال للقراءات التي قد روتها الجماعة عن الجماعة: هذا أجود من هذه لأنها إذا روتها الجماعة عن الجماعة قيل هكذا أنزل؛ لأنهم لا يجتمعون على ضلالة»<sup>(١)</sup>.

- وقال منكرا على اختيار أبي عبيد: «والسلامة من هذا عند أهل الدين إذا صحّت القراءتان عن الجماعة أن لا يقال إحداها أجود من الأخرى لأنهما جميعًا عن النبي، صلى الله عليه وسلم، فيأثم من قال ذلك»<sup>(٢)</sup>.

- وفي موضعٍ قال: «والقراءتان حسنتان؛ لأن الجماعة نقلتها»<sup>(٣)</sup>.  
والمسألة التي تشغل بال كثير من الباحثين وتطرح نفسها بالحاح: كيف نوفّق بين نصوص المنع من النحاس ومواضع الترجيح في كتابه؟

\*\*\*

(١) إعراب القرآن ١٣٦/٤، وينظر: ٢٤٠/٥.

(٢) إعراب القرآن ٦٢/٥.

(٣) إعراب القرآن ١٤٢/٥.

بعد إحصاء لمواطن الترجيح في كتابه (إعراب القرآن)، وكذلك المواطن التي صرّح بإنكار المفاضلة فيها، يتبيّن الآتي:

١- أن قراءة «الجماعة»<sup>(١)</sup>، أو «الحجة من أهل الأمصار»<sup>(٢)</sup>، أو «العامة»<sup>(٣)</sup>، أو «أكثر الناس»<sup>(٤)</sup> = هي المقدّمة عند النحاس، ولا يجيد في اختياره عن قراءة الأكثرين إلى قراءة الجماعة الأقل في السبعة إلّا إذا خالفت قراءة الأكثرين الرسم العثماني، وقد نصّ على أنّ القراءتين «إذا كانتا فصيحتين فالأولى اتباع السواد»<sup>(٥)</sup>، وجاء في قراءتي قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾<sup>(٦)</sup>: «ولا اختلاف بين أهل التفسير واللغة أن معنى (بظنين) بمُتَّهَم، و(بضنين) ببخيل، فالقراءتان<sup>(٧)</sup> صحيحتان قد رواهما الجماعة إلّا أنه في السواد بالضاد»<sup>(٨)</sup>، وإذا خلت المفاضلة من تدخل السواد أو الرسم، فالقاعدة أن قراءة الجماعة هي الأولى»<sup>(٩)</sup>.

(١) إعراب القرآن ٣٥٠/١، ٨/٣، ٦٥/٤.

(٢) إعراب القرآن ١٣٤/٤.

(٣) إعراب القرآن ١٩/٢.

(٤) إعراب القرآن ٩٢/٤.

(٥) إعراب القرآن ١١٥/٥.

(٦) التكويز: ٢٤.

(٧) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي (بظنين) بالظاء، والباقون بالضاد. ينظر: السبعة، لابن مجاهد

٦٧٣، التيسير، للداني ١٧٩.

(٨) إعراب القرآن ١٦٣/٥.

(٩) إعراب القرآن ٣١٠/٥. وينظر: ٢١٦/٤، ٣٧٥/٤.

٢- ومن معطيات القرن الذي عاش فيه النحاس، رحمه الله، فإنه، وإن كان لم يعيش مرحلة استقرار الأمة التام لما دَوَّنه ابن مجاهد، إلا أن هناك مرتكزات مقررّة في علم القراءات إلى يومنا هذا لم يخلُ منها نحو النحاس في توجيهاته، ومنها الضوابط والمركزات الآتية:

- كان يربط تعدد القراءات وتنوعها بمبدأ (الأحرف السبعة)، وأنّ أجود ما يتخذ النحوي هو أن يكفَّ عن التفضيل على ما اشتهر الاجتماع عليه، قال: «وأجود ما قيل: هكذا أنزل، كما قال النبي، صلى الله عليه وسلم: «أنزل القرآن على سبعة أحرفٍ كلها شافٍ كافٍ»<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.
- أصل المنهج عنده أنه: «لا يجوز الابتداع في القراءات»<sup>(٣)</sup>، وقال في أحد ردوده على أبي عبيد: «وهذا الاحتجاج مردود من العلماء وأهل النظر، لأن كتاب الله - عز وجل - لا يُحمل على المقاييس، وإنما يُحمل بما تؤديه الجماعة»<sup>(٤)</sup>.

- القراءة المعتمدة عنده ما توفرت فيها الآتي:
- ١- أن يكون لها وجه قوي في العربية.

---

(١) مجمع الزوائد، للهيتمي ١٥٢/٧ (حديث: ١١٥٧٨)، وينظر: النشر في القراءات العشر ٢١/١، الإتيقان، للسيوطي ٤٥/١، وأشار صاحب (المدخل إلى علم القراءات) إلى أنّ: هذه الرواية بالتحديد عن عثمان بن عفان، رضي الله عنه، كل من ذكرها عزّاه إلى المسند الكبير لأبي يعلى الموصلي، ولا يوجد في المطبوع مسند عثمان، ولعله سقط.

(٢) إعراب القرآن ٢٩٠/٥.

(٣) إعراب القرآن ٢٣٨/٤.

(٤) إعراب القرآن ٣٦٥/٤.

٢- أن توافق الرسم العثماني.

٣- أن يقرأ بها العامة أو الجماعة المعتد بها.

ويربط الاكتفاء بقراءة الجماعة بغاية حفظ القراءات من الاضطراب ودخول فيها ما ليس منها، قال في أحد المواضع: «هذه القراءة التي عليها جماعة الحجة وما يُروى من غيرها يقع فيها الاضطراب، وكذا أكثر القراءات الخارجة عن الجماعة، وإن وقعت في الأسانيد الصحاح إلا أنها من جهة الآحاد»<sup>(١)</sup>. ويظهر في هذا النص مصطلح (الآحاد) الذي يدل على أن نقل القراءة لم يبلغ مستوى يُفيد القطع باتصالها بالنبي، صلى الله عليه وسلم، كما ظهر مصطلح (الشاذة) وربط الصحيحة بالشيوع في رده على تأويل علي بن سليمان الأخفش الأصغر لمعنى قراءة متواترة وحملها على قراءة شاذة، فقال: «فكيف تُردُّ القراءة الصحيحة الشائعة إلى الشاذة؟»<sup>(٢)</sup>.

٣- النحو القرآني عند النحاس خير نحوٍ يمكن أن يمثل مرحلة بداية وتطور الموقف مع القراءات في بداية القرن الرابع، لكنها تظل مرحلة ما قبل التسبيع وما قبل الاطمئنان التام للأسانيد، لذا ف(الإسناد) وملايساته كان جزءاً من أسس التحليل النحوي للقراءات عند النحاس، ولك أن نستعرض هذه النصوص، لنعيش المرحلة:

- «لا يترك السواد الميَّتم عليه لهذا الإسناد المنقطع»<sup>(٣)</sup>.

(١) إعراب القرآن ١٤/٥.

(٢) إعراب القرآن ٣٥/٣.

(٣) إعراب القرآن ٣٣٤/٢.

- «وهي الصحيحة عند نافع بن أبي نعيم. حكى ذلك أبو عبيد وإسماعيل بن إسحاق وغيرهما من أهل الضبط إلا ورشًا»<sup>(١)</sup>.

- وقال في قراءة شاذة ذكرها أبو حاتم ووردت في معاني الفراء: «لم أسمع لها إسنادًا»<sup>(٢)</sup>.

- وفي موضع قال: «وأجود من هذا الإسناد ما رواه يحيى القطان عن الثوري عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير»<sup>(٣)</sup>.

- «وليس لهذه الرواية طريق غير هذا»<sup>(٤)</sup>.

- «على أن الإسناد فيه شهرة وذلك أن عمرو بن دينار لم يقل: سمعت ابن عباس، فيخاف أن يكون مرسلًا»<sup>(٥)</sup>.

٤- من أكثر النصوص التي تعبر عن مرحلة ما قبل التسليم المطلق للتواتر المدون - وقد وجدت كتب الأعراب والتوجيهات النحوية تُصادق على ما فيه بحق - هو معيار المفاضلة الدقيق الذي نص عليه مكّي بن أبي طالب (٤٣٧هـ)، رحمه الله، إذ يقول: «وأكثر اختياراتهم إنما هو في الحرف إذا اجتمع فيها ثلاثة أشياء:

---

(١) إعراب القرآن ١٠/٣.

(٢) إعراب القرآن ٣٤١/٢.

(٣) إعراب القرآن ٣٥/٣.

(٤) إعراب القرآن ٣٥/٣.

(٥) إعراب القرآن ٦٥/٤.

● قوة وجهه في العربية.

● وموافقته للمصحف.

● واجتماع العامة عليه.

والعامة عندهم ما اتفق عليه أهل المدينة وأهل الكوفة. فذلك عندهم حجة قوية يوجب الاختيار وربما جعلوا العامة ما اجتمع عليه أحد الحرمين. وربما جعلوا الاختيار ما اتفق عليه نافع وعاصم، فقراءة هذين الإمامين أوثق القراءات، وأصحها سنداً، وأفصحها في العربية، ويتلوها في الفصاحة قراءة أبي عمرو، والكسائي، رحمه الله»<sup>(١)</sup>.

إن محاولة مكّي لتفسير مفهوم (الاختيار) للقراءة عند العلماء تقوم على أساسين أو فرضيتين<sup>(٢)</sup>:

١- المفاضلة بين القراءات.

٢- المفاضلة بين القراء.

**والذي يظهر لي أنّ هذا المعيار كان منتشرًا ومؤثرًا في اختيارات النحويين ويمتد هذا التأثير إلى ما بعد القرن الرابع الهجري.**

إنّ تفهم هذا المعيار أمرٌ ضروري لمعرفة حقيقة موقف النحّاس من المفاضلة بين القراءات فهو لا يمانع من المفاضلة وفق ذلك المعيار الذي يعبر عن مراتب القوة والشهرة الذي اطمئن له أهل تلك العصور، وقد حلّت نوعًا ما محل مطلق

(١) الإبانة عن معاني القراءات ١٠٠.

(٢) إعجاز القراءات القرآنية ١٣.

(التواتر) الذي استقر لنا لاحقًا، لكنّه يمانع حين يختل هذا المعيار النافذ، وإليك تبيان ذلك:

١- بالرغم من منزلة عاصم ونافع عند العلماء مطلقًا، وعند النحاس خاصة<sup>(١)</sup>، فقد أثنى عليهما بما هما أهله، لكنه كان يقدّم قراءة عامة القراء عليها<sup>(٢)</sup>، أمّا تقديمه لقراءة الجماعة على ما سواها فهو أبين<sup>(٣)</sup>، إذ «الجماعة لا تجتمع على ما لا يجوز»<sup>(٤)</sup>.

٢- قراءة الحرمين مقدّمة في اختيارات النحاس على قراءة الكوفة<sup>(٥)</sup>، لكنه يقدم قراءة العامة في مقابل قراءة قراء الحرمين أو قراء الكوفة<sup>(٦)</sup>.

٣- لا يكاد يُقدّم على قراءة عاصم ونافع مجتمعين إلا قراءة عامة القراء.

٤- إذا استوت الجماعتان في القوة، وانقسم القراء انقسامًا متساويًا في المعيار، فيفترق قراء الحرمين وقراء الكوفة والبصرة، أو يفترق في القراءتين عاصم ونافع، فعادة النحاس أن يختار توجيه القراءتين بلا مفاضلة<sup>(٧)</sup>. وربما اكتفى

---

(١) إعراب القرآن ٣/٣٨٤، ٤/٣٨٤، ٤/٩٢، ٤/١٥٥، ٥/١٥٩.

(٢) إعراب القرآن ١/٤١٩، ٢/١٢٣، ٤/٥٥.

(٣) إعراب القرآن ٢/١٢٣، ٤/٦٥، ٤/١٠٥، ٤/١٣٤، ٤/١٧٤، ٤/٣٢٢.

(٤) إعراب القرآن ٤/١٧٤.

(٥) إعراب القرآن ٢/٤٢٠، ٣/٨، ٤/٢٩.

(٦) إعراب القرآن ٣/٨، ٣/١٦٧، ٥/٧٤.

(٧) إعراب القرآن ٢/١٣٣، ٢/١٨٢، ٢/٢١٠.

بترجيح خفي وذلك بنقل رأي أئمة النحو في المسألة أو رأي سيبويه<sup>(١)</sup> على وجه خاص<sup>(٢)</sup>.

### • مواضع إنكار المفاضلة وعلاقتها بالمعيار.

بعد إحصاء دقيق للمواضع التي صرح فيها النحاس بمنع المفاضلة ومنها النصوص التي اشتهرت عنه عند المتقدمين والمتأخرين، فقد تبين أن كل إنكار صريح للمفاضلة بين القراءات على الفراء أو أبي عبيد = كان في طيات ذلك ممانعة من النحاس على تقديم قراءة غير موافقة لمراتب القوة والشهرة التي شاعت في تلك القرون.

وقد أحصيت مواضع إنكار النحاس وأوضحت علاقتها بمعيار المفاضلة الذي ارتضاه في البيان الآتي:

- ١- قال أبو جعفر في إعراب، قراءات قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ﴾<sup>(٣)</sup>:  
«أبو عبيد القاسم بن سلام يختار قراءة أبي عمرو والكسائي في هذا<sup>(٤)</sup>، وزعم أنها أصح في العربية، وردّ قراءة أهل الحرمين وعاصم وحمزة»<sup>(٥)</sup>. يتضح

---

(١) ظاهرة الاعتداد برأي سيبويه حاضرة بقوة في كتب معاني وإعراب القرآن، وتستحق دراسة متفردة في طبيعتها وتوظيفها.

(٢) ينظر: إعراب القرآن ٣٢/٢.

(٣) الحجر: ٥٦.

(٤) قرأ أبو عمرو والكسائي (يقنط) وفي الروم: ٣٦ (يقنطون) وفي الزمر: ٥٣ (لا تقنطوا)، بكسر النون في الثلاثة، والباقون بفتحها، ينظر: حجة القراءات، لابن زنجلة ٣٨٣، التيسير، للداني ١١١.

(٥) إعراب القرآن ٣٨٤/٢.

هنا أنّ إنكار النحاس للمفاضلة يُدخله إنكار أن تُقدم قراءة على إجماع قراءة الحرمين، «ولا سيما ومعهم عاصمًا مع جلالته ومحله وعلمه وموضعه من اللغة»<sup>(١)</sup>.

٢- جاء في قوله تعالى: ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾<sup>(٢)</sup>: «قراءة أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة، وقراءة ابن كثير (كالمهل يغلي)<sup>(٣)</sup>، وهو اختيار أبي عبيدة. وهو مخالف لحجة الجماعة من أهل الأمصار»<sup>(٤)</sup>. فالمفاضلة بين قراءة العامة وقراءة فرد من الأئمة لا يرتضيها أبو إسحاق.

٣- جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾<sup>(٥)</sup>: «قراءة الكوفيين وأبي عمرو، وقرأ المدنيون (في مُقام) بضم الميم<sup>(٦)</sup>، قال: الفراء: مَقَامٌ أجود في العربية؛ لأنه للمكان. قال أبو جعفر: وهذا ما يُنكر على الفراء أن يقال للقراءات التي قد روتها الجماعة عن الجماعة: هذه أجود من هذه»<sup>(٧)</sup>، يظهر هنا أن الإنكار على الفراء وراءه إنكار تقديم قراءة نافع وابن عامر من السبعة على قراءة العامة المكونة من أهل المدينة وبقية السبعة، فالقراءة المفضول عليها في معيارهم أقوى وأشهر.

(١) المرجع السابق.

(٢) الدخان: ٤٥.

(٣) ينظر: السبعة، لابن مجاهد ٥٩٢، حجة القراءات، لابن زنجلة ٦٥٧.

(٤) إعراب القرآن ١٣٤/٤.

(٥) الدخان: ٥١.

(٦) قرأ نافع وابن عامر (في مُقام) بضم الميم، والباقون بفتحها، ينظر: السبعة، لابن مجاهد ٥٩٣، التيسير، للداني ١٦٠.

(٧) إعراب القرآن ١٣٦/٤.

٤- قال النحاس: «وقرأ أبو عمرو<sup>(١)</sup> ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وهو اختيار أبي عبيد، واحتج أنه لو "آتاكم" لكان الأول "أفاتكم". قال أبو جعفر: وهذا الاحتجاج مردود عليه من العلماء وأهل النظر؛ لأن كتاب الله عز وجل لا يُحمل بما تؤديه الجماعة، فإذا جاء الرجل فقاس، بُعد أن يكون مُتَّبَعًا<sup>(٣)</sup>. هنا قدم أبو عبيد قراءة أبي عمرو على جماعة القراء الأئمة، والمفاضلة التي تجعل من قراءة العامة المعتد بها هي المفضولة-مفاضلة لا يقبلها النحاس.

٥- قال النحاس في قراءات قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلُثُهُ﴾<sup>(٤)</sup>: «وقد عكس الفراء<sup>(٥)</sup> قوله فاخترار النصب<sup>(٦)</sup>... والسلامة من هذا عند أهل الدين إذا صحّت القراءتان عن الجماعة أن لا يُقال: إحداها أجود من الأخرى؛ لأنهما جميعًا عن النبي، صلى الله عليه وسلم، فيأثم من قال ذلك<sup>(٧)</sup>. في هذا التفضيل قدم الفراء قراءة النصب وهي قراءة الكوفيين وابن كثير، على قراءة الخفض وهي قراءة أهل المدينة والباقيين،

(١) قرأ أبو عمرو (أتاكم) بالقصر، والباقون بالمد. ينظر: السبعة، لابن مجاهد ٦٢٦، التيسير، للداني ٢٦٩.

(٢) الحديد: ٢٣.

(٣) إعراب القرآن ٤/٣٦٥.

(٤) المزمل: ٢٠.

(٥) معاني القرآن ٣/١٩٩.

(٦) قرأ الكوفيون وابن كثير (ونصفه وثلثه) بنصب الفاء والتاء، والباقون بخفضها. ينظر: السبعة، لابن

مجاهد ٦٥٨، حجة القراءات، لابن زنجلة ٧٣١.

(٧) إعراب القرآن ٥/٦٢.

وفيهـم: عاصـم ونافع، وهـذا مـخالفٌ لمعيار القوة، وتـقدِيمٌ للمفضـول علـى الفاضـل.

٦- جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾<sup>(١)</sup>: «هكذا قرأ أهل البصرة والكوفة وقرأ أهل الحجاز (فلا يخاف عقباها)، وزعم الفراء<sup>(٢)</sup> أن الواو أجود. وهذا عظيم من القول أن يُقال فيما قرأت به الجماعة ووقع للسواد المنقول عن الصحابة الذين أخذوه عن النبي، صلى الله عليه وسلم: أجود أو أخير. والقراءتان جميعاً نقلها الجماعة عن الجماعة، فهما بمنزلة آيتين؛ لأن معناها مختلف»<sup>(٣)</sup>. قدّم هنا الفراء قراءة أهل البصرة وأهل الكوفة على قراءة أهل الحجاز، فأنكر النحاس أن يُفاضل بين قراءتين بهذه الدرجة من القوة والشهرة، لا سيما أن قراءة عامة قراء الحجاز مقدمة على غيرها عندهم.

٧- وفي توجيهه قراءتي: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾<sup>(٤)</sup>، حيث نسب قراءة (عُمَد) بضمـتين إلى عاصـم وحمزة والكسائي وغيرهم، ونسب (عَمَد) بفتحـتين والميم إلى المـدنيين وأبي عمرو<sup>(٥)</sup>، وقال: «إذا جاء الشيء على هذا الاجتماع حُظر في الديانة أن يُقال: إحداهما أولى من الأخرى»<sup>(٦)</sup>.

(١) الشمس: ١٥.

(٢) معاني القرآن ٢٣٩/٥.

(٣) إعراب القرآن ٢٣٩/٥.

(٤) الهمزة: ٩.

(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢٩٠/٣، التيسير، للداني ١٨٢.

(٦) إعراب القرآن ٢٩٠/٥.

هنا يُنكر النحاس المفاضلة في (مثل هذا الاجتماع) والقوة، فالكفتان متساويتان: عاصم والكوفيون في كفة، ونافع وبقية المدنيين وأبو عمرو في الكفة الأخرى.

**خلاصة موقف النحاس:** ليس من الإنصاف في حقّ هذا النحوي الإمام - رحمه الله- أن نزن بأنه في سفر واحدٍ ينص في مواضع على منع المفاضلة بين القراءات المتواترة ثم يناقض نفسه في مواضع عدة في السفر نفسه. كما أنه ليس من الصحيح ما اشتهر عنه -قديماً وحديثاً- أنه يمنع المفاضلة وفي كتابه مفاضلات وفيرة.

إنما موقفه الذي أستخلصه بالإحصاء وتحليل مواضع الإنكار أنه -رحمه الله- لا يمنع المفاضلة مطلقاً، إنّما يمنعها فيما قوي واشتهر عند الخاصة والعامة مما اجتمعت عليه الجماعة حتى كان عندهم بمثابة (المتواتر) الذي اطمأنت له الأمة بعد مرحلة التدوين وتسبيع ابن مجاهد.

أمّا المفاضلة بين بعض قراءات أفراد السبعة أو بين قراءة العامة ومن خالفهم، فشأن النحاس شأن سائر النحويين يفاضلون ويرجحون بظاهر القول وباطنه<sup>(١)</sup>. وذلك يعني أن قراءات الأئمة المستفيضة- في القرن الرابع وما قبله- مع استفاضتها إلا أن بعضها أوثق من بعض والمعول عليه في ذلك هو: اجتماع الأئمة على القراءة، ويمكن أن نلمح ذلك في قول النحاس: «وإذا جاء الشيء (على هذا الاجتماع) حُظر في الديانة، أن يقال: إحداها أولى من

(١) للبحث موقفٌ وتفسيرٌ لمبدأ "المفاضلة" في الفكر النحوي في المبحث الثالث، بإذن الله.

الأخرى»<sup>(١)</sup>، وفي قوله منكرًا تفضيل أبي عبيد قراءة ابن كثير -وهي متواترة- على قراءة الجماعة: «وهو مخالفٌ لحجة الجماعة من أهل الأمصار»<sup>(٢)</sup> وهذا التفسير الذي ارتضيناه للنحاس يمكن أن يُراعى في الحكم على موقف كثير من العلماء الذين يُفهم من ظاهر كلامهم مطلق المنع، وعند التحقيق، نجد أنَّ الممنوع هو التقديم على ما اجتمعت عليه الجماعة دون غيره، ولعلَّ منهم الإمام الطبري -رحمه الله- الذي نص على ضوابط لمبدأ المفاضلة، ومنها: «أولى القراءتين القراءة المستفيضة، وقراءة الأمصار التي لا تتناكر صحتها الأمة»<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

---

(١) إعراب القرآن ٢٩٠/٥.

(٢) إعراب القرآن ١٣٤/٤.

(٣) جامع البيان، للطبري ١٧٨/١١، (تح. شاكر)

### المبحث الثالث: مبدأ (المفاضلة) اللغوية في الفكر النحوي

ينقسم العلماء في مسألة القول بتفاوت بلاغة القرآن الكريم إلى فريقين<sup>(١)</sup>:  
**الفريق الأول:** يذهب إلى عدم التفاوت في بلاغة القرآن الكريم، فكلُّه بليغ ومُعجز، و«لا يجوز أن يكون بعض القرآن أفصح من بعض؛ لأنَّه كله كلامُ الله»، وقد أنكر القول بالتمييز القاصي الباقلاني<sup>(٢)</sup>، وابن عبد البر<sup>(٣)</sup>، وابن حبان<sup>(٤)</sup>، ونُسب هذا القول لأبي الحسن الأشعري<sup>(٥)</sup>.

**الفريق الثاني:** يذهب إلى جواز القول بتفاوت القرآن، وأن بعضه أبلغ من بعض، صرح بذلك ابن سنان الخفاجي<sup>(٦)</sup>، وابن عقيل الحنبلي<sup>(٧)</sup>، والعزّ بن عبد السلام<sup>(٨)</sup>، فالقرآن يتفاضل باعتبار مدلولاته وموضوعاته كما يتفاضل باعتبار أجر التلاوة فلا مانع من أن يتفاضل من جهة البلاغة والإعجاز، وهذا التفاضل قال فيه شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهو القول المأثور عن السلف، وهو الذي عليه أئمة السلف الفقهاء من الطوائف الأربعة وغيرهم»<sup>(٩)</sup>، ودعوى

(١) ينظر: البرهان، للزركشي ٤٣٨/١، التفاوت البلاغي بين آي القرآن ٣٨٧، وما بعدها.

(٢) إعجاز القرآن ٢٠٦.

(٣) الاستذكار ١١٦/٨.

(٤) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٥٧/٣.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٦٩/١٧.

(٦) سر الفصاحة ٢١٢.

(٧) الواضح في أصول الفقه ٢٦٣/٤.

(٨) الإشارة إلى الإعجاز ٢٠٤.

(٩) مجموع الفتاوى ١٣/١٧.

أن التفضيل يوهم نقص المفضل، يُردُّ عليها بأنه إن أريد بالنقص العيب فهو ممنوع، ففضل غيره عليه لا يوجب عيباً فيه أي: في المفضل، وإن أريد بالنقص أنه دونه في الفضل، فهي قضية النزاع، والتعليل بها مغالطة، أو مصادرة على المطلوب؛ لأنه استدلال على محل النزاع بمحل النزاع»<sup>(١)</sup>. والقرآن هو المعجز، وأفصح من التوراة والإنجيل، مع أنه كله كلام الله - جل وعز.

هذا عرض أردت به أن أبين طريقة تداول العلماء عامةً لمسألة المفاضلة وأنها ظاهرة لها امتداداتها خارج نطاق التداول النحوي واللغوي<sup>(٢)</sup>.

### مبدأ (المفاضلة) والفكر النحوي.

مع قلة ما كُتب في هذه الظاهرة من إشاراتٍ في القديم والحديث، فإنّ هذا الطرح دائماً ما يتوجه إلى الوجه الظاهر لهذه الظاهرة وهو التداول المقتصر على تسجيل الموقف منها: المنع أو الرفض.

ونفترض أنّ علاقة اللغوي مع القراءات وتوجيهها هي علاقة تفاضلية بامتياز، ولذلك حاول بحثنا دفع التداول إلى المنطقة العميقة، إلى أسس تعامل النحويين مع القراءات، ليكون السؤال: هل يمكن أن يتحقق للنحوي، في إعرابه وتوجيهاته، الحياد المطلق من القراءات المتواترة المتعددة للآية الواحدة؟ هذا ما سنحاول سبر أغواره من خلال مناقشة الاعتبارات الأساسية المتמاسة بين علم القراءات وعلم النحو العربي.

(١) التفاوت البلاغي بين آي القرآن ٣٩٤.

(٢) استفدتُ كثيراً في هذا الموضوع من بحث (التفاوت البلاغي بين آي القرآن)، ويندر أن تجد من يخص هذه المسألة ببحث مختص.

## الاعتبار الأول: العلاقة المنطقية بين المفاضلة ومبدأ تعدد القراءات.

الأصل الذي يُبنى عليه اختلاف القراءات وتعددتها هو حديث النبي - صلى الله عليه وسلم-: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه»<sup>(١)</sup>، ويمكننا القول بأن هذا النص الشريف قطعي الثبوت ظني الدلالة، فقد اختلف العلماء اختلافاً كبيراً ومشهوراً في تفسير (الأحرف السبعة) ولا ضرورة لبسطه في هذا المقام<sup>(٢)</sup>، لكن يمكننا الخروج بتفسير يجمع بين أكثر الأقوال وهو أنها «وجوه قرائية متعددة متغايرة في الكلمة الواحدة ضمن نوع واحد من أنواع التغاير»<sup>(٣)</sup>.

وقد جُمعت مظاهر الاختلاف بين القراءات في الآتي<sup>(٤)</sup>:

- ١- الإظهار والإدغام (قد سمع، قَسَمَ).
- ٢- الإمالة والفتح (والضحى).
- ٣- القصر والمد (أأندرتهم، آندرتهم).
- ٤- التسهيل والتحقيق (أعجمي، أعجمي).
- ٥- التحقيق والإبدال (يؤمنون، يومنون).
- ٦- الإبدال بين الحروف (كالسين والصاد)، والمعنى واحد، (وهذه الأنواع ترجع إلى الأداء فهي من علم الصوتيات المرتبط باختلاف لهجات العرب).

(١) صحيح البخاري ١/١٢٢، (حديث: ٢٤١٩)، صحيح مسلم ١/٥٦٠، (حديث: ٨١٨).

(٢) ينظر: الإتيان، للسيوطي ١/١٣١.

(٣) حديث الأحرف السبعة ٩٥.

(٤) ينظر: تأويل مشكل القرآن ٣٦، المحرر في علوم القرآن ٨٩.

٧- الزيادة والنقصان (أوصى، وصّى).

٨- اختلاف الإعراب.

٩- الخطاب والغيبة (يعلمون، تعلمون).

١٠- التذكير والتأنيث (كان سيئاً، كان سيئةً).

١١- تغيير الكلمة ومعناها (بظنين، بضنين).

وهذه المظاهر تؤكد لنا أن القراءة هي العلم بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم<sup>(١)</sup>، وأن ما ذهب إليه الزركشي من أن «القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان»<sup>(٢)</sup>، فيه نظر، لأن ظاهر النقل لا يسنده، فعن عبد الله بن عباس، رضي الله عنه، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: «أقرأني جبريل عليه السلام على حرفٍ واحدٍ فراجعته، فلم أزل أستزيده، ويزيدني، حتى انتهى إلى سبعة أحرف»<sup>(٣)</sup>.

إن مبدأ التيسير، المنصوص عليه وحياً، هو في حد ذاته نواة المفاضلة، فهي التي تجعل الترجيح بين القراءات أمراً محتتماً، فلذلك أصبحت القراءات المتواترة عند الجميع (القراء<sup>(٤)</sup> والنحويين) خياراً من خيار، ومفاضلةً من مفاضلة<sup>(٥)</sup>. بل

(١) منجد المقرئين، لابن الجزري ٣.

(٢) البرهان، للزركشي ٣١٨/١.

(٣) صحيح البخاري ١١٣/٤، (حديث: ٣٢١٩)، صحيح مسلم ٥٦١/١، (حديث: ٨١٩).

(٤) النشر في القراءات العشر ٥٢/١.

(٥) ومن صور ذلك ما جاء في كتب القراءات عن رجوع بعض الأئمة من القراء عن قراءة اشتبهوا بها، إذ الرجوع في معناه هو تركُّ للمفضول، وأخذ بالفاضل، وهذا هو الاختيار لتفضيل إحدى القراءتين على الأخرى، ينظر: الاختيار في القراءات منشؤه ومشروعيته ٦١.

هي استلزام منطقي في النفس الإنسانية عامة، فإنها إذا تعددت أمامها الخيارات، انبثقت المقارنة، ومع كل مقارنة يبرز حسنٌ ما أو تفضيلٌ ما. وقد روي عن الأئمة ما يدل على الميل الذاتي وتفضيل قراءة صحيحة على أخرى، ولا غضاضة ما دام الاختيار وفق النقل لا الابتداع، ويأتي التفضيل بلفظي (أحب) و (أكره) في الآثار الآتية:

● روي أن مالكا سئل عن النبر في القرآن، فقال: «إني أكرهه وما يعجبني ذلك وأستحب فيه التسهيل كما جاء أن النبي، صلى الله عليه وسلم، لم تكن لغته الهمز. وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي أي القراءة أحب إليك؟ قال: قراءة أهل المدينة، قلت: فإن لم يكن؟ قال: قراءة عاصم. وروي عنه كراهة قراءة حمزة لما فيها من الكسر والإدغام وزيادة المد»<sup>(١)</sup>، وبالطبع لم يبعد تفضيل كل قوم عما جرت به عادتهم في الكلام، «فتفصّح كل قوم، وقرأوا على طبيعتهم ولغتهم، ولغة من قرّب منهم، وكان في ذلك رفق عظيم بهم، وتيسير كثير لهم»<sup>(٢)</sup>.

● ولنا أن نلمح مما مضى رافداً من روافد حتمية التفضيل بين القراءات وهو جانب الأداء وروايته (المد، الإدغام، الترقيق، الاختلاس، الإمالة، ونحو ذلك)، وقد قيل إنّ: «القراءات السبع متواترة فيما ليس من قبيل الأداء»<sup>(٣)</sup>، لدقة أمر الأداء وصعوبة ضبطه، والصحيح أن أصول الوجوه

(١) معرفة القراء ١١٦/١، ينظر: المغني لابن قدامة ١٦٥/٢ (تح. التركي).

(٢) الإبانة عن معاني القراءات ٩٢.

(٣) بيان مختصر الأصول ٤٦٩/١، منجد المقرئين، لابن الجزري ١٨٦ وما بعدها.

القراءة الثابتة عن الأئمة في القراءات العشر متواترة، لا يجوز الزيادة فيها ولا النقص، إنما الاختلاف والاجتهاد في بعض المقادير، فلمد-مثلا- ثابت متواتر، أمّا ضبط مقدارها، فيصعب حصول التواتر فيه، فذلك فوق طاقة البشر<sup>(١)</sup>.

● ومن النصوص التي تظهر أثر تعدد الوجوه القرائية في إدكاء المفاضلة والاختلاف ما نص عليه ابن جني بقوله: «ألا ترى إلى قراءة أبي عمرو ﴿مَا لَكَ لَا تُؤْمِنُ عَلَى يُوسُفَ﴾<sup>(٢)</sup> مُخْتَلَسًا لَا مُحَقَّقًا، وكذلك قوله عز وجل: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقُدْرِ عَلَىٰ آيَاتِي الْمَوْتَىٰ﴾<sup>(٣)</sup> مخفياً لا مستوفى، وكذلك قوله عز وجل: ﴿فَتَوَبُّوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>، مختلسا غير ممكن كسر الهمزة، حتى دعا ذلك من لطف عليه تحصيل اللفظ، إلى أن ادعى أن أبا عمرو كان يُسَكِّن الهمزة والذي رواه صاحب الكتاب<sup>(٥)</sup> اختلاس هذه الحركة لا حذفها البتة، وهو أضبط لهذا الأمر من غيره من القراء الذين رووه ساكناً. ولم يؤت القوم في ذلك من ضعف أمانة، لكن أتوا من ضعف دراية»<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: شرح الكوكب المنير ١٢٨/٢-١٣١ حديث الأحرف السبعة ١٠٩.

(٢) يوسف: ١١.

(٣) القيامة: ٤٠.

(٤) البقرة: ٥٤.

(٥) الكتاب ٢٠٢/٤.

(٦) الخصائص ٧٢/١.

وبعيداً عن خطأ طعن ابن جني، فتاريخ القراءات القرآنية يُثبت تفرداً عن الشعر وغيره من مصادر اللغة في طريقة النقل بالتلقي والعرض، وقد علمنا ما كان من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من تلقيه الوحي ثم عرضه على جبريل، ثم إقرائه الصحابة وقراءتهم عليه، وعلى ذلك سار أصحاب القراءات، إذ لا يكتفي في النقل بالسماع بل لا بد من شرطَي: التلقي والعرض<sup>(١)</sup>، هنا يتبين لنا أن المفاضلة بين وجوه القراءات صادرٌ لا محالة عن اختلاف الزاوية التي ينظر منها أهل القراءات عما ينظر منها النحويون، «فالنحاة أصحاب تقعيد وتنظيم ... والقراء أصحاب أداء، وهم أهل تلقٍ وعرض، وهم من هذه الناحية أدقُّ من النحاة في نقلهم للغة»<sup>(٢)</sup>.

ومن دلالات الملازمة «بين القراءات ومبدأ تعدد القراءات هو ما يمكن استنتاجه من حديث آخر من أحاديث (الأحرف السبعة)، فعن أبي بن كعب قال: (لقي رسول الله، صلى الله عليه وسلم، جبريل عند أحجار المراء، فقال: إني بعثتُ إلى أمة أميين منهم الغلام والخادم والشيخ العاسي والعجوز، فقال جبريل: «فليقرأوا القرآن على سبعة أحرف»<sup>(٣)</sup>. فقد حمل العلماء هذا التيسير من جهة النطق واللسان، فابن قتيبة يقول: «ولو أنَّ كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً لاشتد عليه ذلك

(١) اتحاف فضلاء البشر ٦٨/١.

(٢) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ٨٦.

(٣) مسند أحمد ١٣٢/٢٥ (حديث: ٢١٢٠٤)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١٤/٣

(حديث: ٧٣٩)

وعظمت عليه المحنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة وتذليل اللسان وقطع العادة»<sup>(١)</sup>: ولا أرى، والله أعلم، أنَّ في الأحاديث ما يقصر مغزى التيسير على جهة القراءة واللسان دون جهة الفهم والتدبر للمعاني الذي هو طريق العمل بمقتضاه، لذا جاء في حديث أبي هريرة: «أنزل القرآن على سبعة أحرف ... ما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم فردُّوه إلى عالمه»<sup>(٢)</sup>، ويؤيِّد ذلك ما ينص عليه العلماء أنفسهم في تناولهم الإجمالي للتفسير والإعراب والتوجيه من أن تعدد القراءات يفيد تخصيص العام وتقييد المجمل، والإحاطة بالمعنى، ودفع التوهم-وفي كل ذلك تيسير على المتلقِّي وبالأخص، الصغير والخادم والرجل العاسي. ومن نماذج ذلك:

- قال الله، عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾<sup>(٣)</sup>، وقد قرأها حمزة والكسائي وخلف (فتثبتوا)<sup>(٤)</sup>:

١- (فتبينوا) أي: افضحوا واكشفوا حتى تتبين لكم الحقيقة.

٢- (فتثبتوا) أي: تأنوا ولا تقدموا.

(١) تأويل مشكل القرآن ٣٩.

(٢) مسند أحمد ٣٦٩/١٣ (حديث: ٧٩٨٩)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٢٧٥/١ (حديث: ٧٤).

(٣) الحجرات: ٦.

(٤) ينظر: اتحاف فضلاء البشر ٤٨٦/٢.

حاصل القراءتين: يأمر الله، عز وجل، بالتأني والتبين أمام قول الفاسق، مع عدم الاكتفاء بالوقوف إلى أن تظهر الحقيقة، فلا بد من بذل الوسع بالكشف والتحري<sup>(١)</sup>.

قال مكي بن أبي طالب: «التبين يعم الثبوت؛ لأن كل من تبين أمراً فليس يتبينه إلا بعد الثبوت، ظهر ذلك الأمر أو لم يظهر، لا بد من الثبوت، ففي التبين معنى الثبوت، وليس كل من ثبت في أمر تبينه، وقد يثبت ولا يتبين له الأمر، فالتبين أعم من الثبوت في المعنى؛ لاشتماله على الثبوت»<sup>(٢)</sup>.

وأن يتسع التفسير بتعدد القراءات ليشمل تيسير المعاني والفهم على الأمة -فذاك معنى يمكن تلخيصه فيما ذهب إليه ابن عاشور من «أنه يجوز أن تكون إحدى القراءات نشأت عن ترخيص النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يقرأ بالمرادف تيسيراً على الناس، كما يشعر به حديث عمر مع هشام بن حكيم، فتروى تلك القراءة للخلف فيكون تمييز غيرها عليها بسبب أن المتميزة هي البالغة غاية البلاغة، وأنَّ الأخرى توسعة ورخصة، ولا يعكر ذلك على كونها أيضاً بالغة الطرف الأعلى من البلاغة وهو ما يقرب من حدِّ الإعجاز»<sup>(٣)</sup>.

-ولا ريب أن تباين المقامات والسياقات مؤذنٌ في الدخول إلى عوالم المجاز والكناية والإيجاز أو الكف عن ذلك إلى واقع الحقيقة والتصريح والإطناب، ولو كانت الآي والقراءات كلها في مرتبة واحدة على سنام البلاغة، لما سهّل الفهم

(١) القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ٥١٨/٢.

(٢) الكشف ٣٩٤/١.

(٣) التحرير والتنوير ٦٣/١.

على الغلام والخادم والشيخ العجوز، وفي تباين المقامات في آي الكتاب وجدنا أبا عثمان الجاحظ يقول: «ورأينا الله، تبارك وتعالى، إذا خاطب العرب والأعراب، أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم، جعله مبسوطاً وزاد في الكلام»<sup>(١)</sup>.

فإذا روعي تباين مقامات المخاطبين، فلا بد أن يحضر، ولأريب، التفاضل المبني على أن تكون آية ما أو قراءة ما «أحفل بوجوه من اللطائف والمحسنات، فيقال حينئذ: إن هذه الآية (أو القراءة) أبلغ من تلك، وما أشبه ذلك، مع أن نظيرتها في موقعها بليغة؛ لمطابقتها مقتضى الحال، وهذا أحد الوجوه المهمة في إعجاز القرآن»<sup>(٢)</sup>.

**ولبُّ القول:** أنّ حتمية المفاضلة بين القراءات قد تدخل من باب اختلاف المقامات المقتضي لأن تكون قراءة أبلغ من قراءة، وكلتاها بليغة في سياقها المقصود لها، وأنّ التيسير يقتضي التخفف من مستوى الفصاحة التي قد تخفى على الناشئ أو العاجز عن مراتب الفصاحة العليا، وبذلك يكون التيسير بالأحرف السبعة أشمل من المستوى النطقي والقرائي، وهناك إشارات عدة فيما جمعه العلماء في تفسير (الأحرف السبعة) يسند ما اطمأنَّ إليه بحثنا هذا<sup>(٣)</sup>.

(١) الحيوان ٩٤/١.

(٢) التفاوت البلاغي بين آي القرآن ٣٩٩.

(٣) الإنشاق، للسيوطي ١/١٣١، وما بعدها.

## الاعتبار الثاني: المفاضلة وشروط قبول القراءة.

المستقر عند علماء اللغة والقراءات أن شروط القراءة المقبولة ثلاثة:

١- التواتر على رأي الجمهور، أو الشهرة والاستفاضة عند بعضهم.

٢- موافقة الرسم العثماني ولو احتمالاً.

٣- موافقة العربية بوجه من الوجوه.

وهذه الشروط ذات دلالة نسبية وتفاضلية، وتعد في ذاتها مسوّغا للقول

بجتمية المفاضلة بين القراءات.

أولاً: شرط (التواتر) ومسارب المفاضلة.

الفرق الجوهرى بين مفاضلة القراء ومفاضلة النحويين هو ما أوجزه ابن

الجزري بقوله: «وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى

في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل. والرواية

إذا ثبتت عنهم، لم يردّها قياس عربية، ولا فشو لغة؛ لأن القرآن سنةٌ مُتَّبَعَةٌ يلزم

قبولها والمصير إليها»<sup>(١)</sup>.

ولك أن تتأمل في هذا النص الجليل وما فيه من تكرار صيغة أفعّل التفضيل

مقسّمة على ما يخص شأن القراء وما يخص شأن النحويين؛ إذ المفاضلة قاسم

مشترك بينهما.

---

(١) جامع البيان، للداني ٥/١.

وهناك معطيات أولية بالغة الأهمية في فهم علاقة النحويين بالقراءات القرآنية، أجمالها في الآتي:

أولاً: أنّ النحويين يؤمنون بأن القراءة سنّة متبعة، فالأصل عندهم هو الاتّباع، قال إمام النحاة سيبويه: «والقراءة لا تُخالف؛ لأن القراءة السنّة»<sup>(١)</sup>، وقال النحاس: «ولا يجوز الابتداع في القراءات»<sup>(٢)</sup>، وقال ابن خالويه: «والقراءات سنة وليست قياساً»<sup>(٣)</sup>.

وقد سجل د. شعبان صلاح ملاحظة على موقف سيبويه من القراءات بقوله: «والذي يلفت الانتباه في بداية الحديث عن موقف سيبويه من القراءات أنّه يقرر أن (القراءة لا تُخالف؛ لأنها السنة). وقد كان هذا المبدأ كفيلاً بأن يورث سيبويه احتراماً لكل ما ورد من قراءات، واعتماداً لها في مجال التقعيد النحوي»<sup>(٤)</sup>.

والجواب عن ذلك: أنّ القراءة، حقيقةً، في منهج النحويين سنّة متبعة، لكن موافقهم مع أفراد القراءات ومدى تيقّنهم من ثبوتها هو الذي يؤثر في اعتراض القراءة أو المفاضلة بينها وبين غيرها؛ لأنّ تباين القراءات المتواترة من الشاذة لم يستقر إلا بعد القرن الرابع الهجري بمدة، ولم يكن قبل ذلك إلا قراءات مشهورة

---

(١) الكتاب ١/١٤٨.

(٢) إعراب القرآن ٥/٢٣٨.

(٣) إعراب القراءات السبع ٢/٤٤.

(٤) مواقف النحاة من القراءات القرآنية ١٤٠.

أو مستفيضة يتفاوت بعضها في الشهرة أو الاستفاضة<sup>(١)</sup>، ولو سلموا لكل قراءة لما قام قياس العربية بوظيفته تجاه القراءات القرآنية.

ثانيًا: يمكننا القول بأن ما يخفف التوتر من مواقف النحاة من تضعيف بعض القراءات أو المفاضلة بينهما تفهم مصطلح (التواتر) وملايساته في الآتي:

١- ما أشرنا له من أن كثيرًا من مواقف النقد لبعض القراءات كانت قبل تمايز القراءات المتواترة من غيرها. ولك أن تتأمل في احتكام سيبويه للمصحف في قوله: «ومثل ذلك قوله، عز وجل: ﴿مَاهَذَا بَشَرًا﴾<sup>(٢)</sup>، في لغة أهل الحجاز، وبنو تميم يرفعونها إلا من درى كيف هي في المصحف»<sup>(٣)</sup>.

علق الزركشي على قول سيبويه قائلًا: «وإنما كان كذلك، لأن القراءة سنة مروية عن النبي، صلى الله عليه وسلم، ولا تكون القراءة بغير ما روي عنه»<sup>(٤)</sup>. والمقصود أنه لا يُعدّ أحد متجربًا على (التواتر) إلا من تيقن بحدوثه ولم يكن النحويون الأوائل على ذلك.

٢- «هؤلاء الأئمة السبعة الذين تلقت الأمة قراءتهم بالقبول، قد يرد عنهم حروف مفردة لم يقبلها العلماء، وهي خارج القراءة العامة التي أقر بها الإمام

---

(١) أمّا لفظ التواتر فلم أقف عليه عند من قبل الطبري (ت: ٣١٠هـ)، ولا عند ابن مجاهد (ت: ٣٢٤هـ) الذي سبّح السبعة، ولا عند الداني (ت: ٤٤٤هـ) في كتابه التيسير، ينظر: مقال (هل أنكر ابن جرير قراءة متواترة أو ردها؟)، ضمن كتاب: مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير ٤٢٨/١.

(٢) يوسف: ٣١.

(٣) الكتاب ٥٩/١.

(٤) البرهان، للزركشي ٣٢٢/١.

منهم، لذا لا يُعدُّ كل ما روي عنهم في درجة واحدةٍ من القبول، بل ما كان معروفاً بالنقل من الطرق المعتبرة عند أهل هذا الشأن. وإنما أشير لهذا ليُعلم أن الحكم بقبول قراءاتهم إنما هو فيما اختاروه وأقرؤوا به العامة وانتشر، دون تلك الأفراد التي لا يخلو منها إمام منهم.

وإذا ما تأملت ما ذكر هؤلاء العلماء من أسانيد القراءة وجدتها تقف عند هؤلاء السبعة، فهي في حقيقتها أفراد، لكن لما تلقيتها الأمة بالقبول، فإنها صارت قراءة مستفيضة مشهورة، وهذا لو كان هو الضابط بدل التواتر لكان، لكن للفظ التواتر سلطان يحتاج إلى تحرير»<sup>(١)</sup>.

لذا جاء في ضوابطهم أنّ «ما انفرد به من كان جائزاً عليه السهو والغلط، فغير جائز الاعتراض به على الحجة»<sup>(٢)</sup>.

يضاف إلى ذلك أن أمر التواتر مختلف فيه عند بعض المحققين، فهذا الزركشي يقول: «والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة، أما تواترها عن النبي، صلى الله عليه وسلم، ففيه نظر»<sup>(٣)</sup>. وأبو شامة يحصر التواتر فيما اتفقت الطرق على نقله عن القراء فقط، أما المختلف في أداء الكلمة أو لفظها فلا<sup>(٤)</sup>، وقد أوردنا رأي ابن الحاجب الذي يرى فيه أن التواتر فيما ليس من قبيل الأداء<sup>(٥)</sup>.

(١) مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير ٤٣١/١.

(٢) جامع البيان، للطبري ٤/١٦ (تح. شاك).

(٣) البرهان، للزركشي ٣١٩/١.

(٤) ينظر: المرشد الوجيز ١٤٥.

(٥) ينظر: بيان المختصر ٤٦٩/١.

وجاء في (البرهان) أن جماعة منهم الزمخشري ظنوا القراءة اختيارية لا توقيفية<sup>(١)</sup>، تدور مع اختيار الفصحاء واجتهاد البلغاء، «ولعل هذا، فيما نظن، هو الذي جعل بعض النحويين يبحثون لأنفسهم اختيار ما رأوه موافقاً للعربية مستكملاً لشرائط الفصاحة والبلاغة، وردّ ما عداه»<sup>(٢)</sup>.

وقد صرح الرضي بما هو قريب من قول الزمخشري قائلاً: «ولا نسلم تواتر القراءات وإن ذهب إليه بعض الأصوليين»<sup>(٣)</sup>.

إذاً، الخلاف في المتواتر داخل حراك النحويين وخارجه، ولا ينبغي تفسير المواقف من القراءات القرآنية إلا داخل الاجتهاد العلمي، وإن كان المستقر عند جمهور العلماء هو أن قراءات الأئمة معقودة بالسند، وأنّ إضافتها للأئمة «إضافة اختيار ودوام ولزوم، لا إضافة اختيار ورأي واجتهاد»<sup>(٤)</sup>.

ولا عذر اليوم لرد أي قراءة سبعة أو عشرية، بحجة ما كان قديماً من بعض العلماء فقد استقر الأمر وتلقته الأمة بالقبول، وما من شك في صحتها وسلامتها، لكنما المراد من طرح المواقف من (التواتر) هو «النظر إلى القراءات في كل جيل، والاعتذار لما وقع من بعض العلماء العارفين من ردّ بعض

---

(١) البرهان، للزركشي ٣٢١/١.

(٢) أصول النحو العربي ٤٥.

(٣) شرح الكافية للرضي ٩٤٢/٢/١.

(٤) النشر في القراءات العشر ٥٢/١.

القراءات، وأنهم إنما ردوها بأسلوب علمي مناسب لما تلقوه من القراءات وليس عن هوى أو جهلٍ منهم»<sup>(١)</sup>.

أما التواتر الذي اطمأنت له الأمة بعد القرن الرابع، أو الشهرة المستفيضة قبلها- لم يكن هذا أو ذاك بمنزلةٍ واحدةٍ عند العلماء، ولقد وردت الآثار بما يدلُّ على ذلك التفاضل:

● قال مالك، رحمه الله: «قراءة أهل المدينة سنّة، قيل له: قراءة نافع؟ قال: نعم»<sup>(٢)</sup>.

● وقال مكي: «وربما جعلوا الاختيار ما اتفق عليه نافع وعاصم، فقراءة هذين الإمامين أوثق القراءات، وأصحها سندًا، وأفصحها في العربية»<sup>(٣)</sup>.

● ولا ريب أنّ ما اتفقت الطرق على نقله عن القراء هو أقوى مراتب التواتر، لذا نجد أبا شامة، رحمه الله، يخالف الأكثرين، ويرى أنّ ما اختلفت الطرق في نقله ليس بمتواتر<sup>(٤)</sup>.

وهذا المسوّغ لحتمية التفاضل هو مسوّغ مشترك بين النحاة والقُرّاء، وإن كان هو من جانب القراء بالأصالة.

---

(١) مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير ٤٣١/١.

(٢) ينظر: غاية النهاية ٣٣٠/٢.

(٣) الإبانة عن معاني القراءات ١٠١.

(٤) المرشد الوجيز ١٧٧.

● قال الزجاج: «وأخبرني إسماعيل بن إسحاق أنّ نافعاً-رحمه الله- لم يقرأ بحرف إلا وأقل ما قرأ به اثنان من قراء المدينة»<sup>(١)</sup>، «فلهذا قال عبد الله بن وهب: قراءة نافع سُنَّة»<sup>(٢)</sup>.

كلُّ ذلك يدل على أنّ شرط التواتر له مراتب في القوة، وإذا وُجدت المراتب حلّت المفاضلة.

\*\*\*

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١/١٩٧.

(٢) إعراب القرآن، للنحاس ٤/٩٢.

## ثانيًا: شرط (موافقة الرسم العثماني) ومسابر المفاضلة.

أمّا شرط موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، فقد استثنوا من ذلك مخالفات جائزات، قال عنها ابن الجزري: «على أنّ مخالفة صريح الرسم في حرف مدغم، أو مبدل، أو ثابت، أو محذوف، أو نحو ذلك، لا يُعدّ مخالفاً إذا ثبتت القراءة به، ووردت مشهورة مستفاضة، ألا ترى أنهم لم يعدوا إثبات ياء الزوائد وحذف ياء ﴿تَسْتَلِي﴾<sup>(١)</sup> في الكهف، وقراءة ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصّٰلِحِيْنَ﴾<sup>(٢)</sup>، والطاء من ﴿بَصِيْبٍ﴾<sup>(٣)</sup> ونحو ذلك من مخالفة الرسم المردود، فإنّ الخلاف في ذلك يُغتفر إذ هو قريب يرجع إلى معنى واحد وتعضده صحة القراءة وشهرتها وتلقيها بالقبول، وذلك بخلاف زيادة كلمة ونقصانها، وتقديمها وتأخيرها حتى لو كان حرفاً واحداً من حروف المعاني، فإنّ حكمه في حكم الكلمة لا يسوغ مخالفة الرسم فيه، وهذا هو الحد الفاصل في حقيقة اتباع الرسم ومخالفته»<sup>(٤)</sup>.

لقد كان لتفاوت درجة اختلاف رسم القراءة عن المصاحف العثمانية -أثر في انعقاد كثيرٍ من المفاضلات بين القراءة، وبالأخص في الاختلاف اليسير المتجاوز عنه، قال النحاس في قول الله، عز وجل: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ

(١) الكهف: ٧٠.

(٢) في المصحف (أكن)، وقرأها أبو عمرو (وأكون) بالواو والنصب والباقون بغير (واو) وجزم النون، ينظر: حجة القراءات، لابن زنجلة ٧١٠، التيسير، للداني ٢٢٠.

(٣) المنافقون: ١٠.

(٤) التكوير: ٢٤.

(٥) النشر في القراءات العشر ١/١٢. وينظر: رسم المصحف -دراسة لغوية تاريخية ٦٩٦، وما بعدها.

شَيْئًا»<sup>(١)</sup>: «قرأ أهل المدينة وأهل البصرة وعاصم (وقد خلقتك من قبل)، وقرأ سائر الكوفيين (وقد خلقناك)، قال أبو جعفر: والقراءة الأولى أشبه بالسواد»<sup>(٢)</sup> قال: (أشبهه) بصيغة التفضيل.

● وقد تنعقد المفاضلة بسبب اختلافهم في تحقق اختلاف الرسم في القراءة من عدمه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾<sup>(٣)</sup>: «قرأ عاصم والأعمش وحمة والكسائي ... بغير ياء في الوصل والوقف، وهو اختيار أبي عبيد اتباعاً للخط؛ لأنَّ الياء لام الفعل فقد علِم أنَّ حقها الثبات»<sup>(٤)</sup>.

● وقد تنعقد المفاضلة لسبب علائق الرسم مع غيره من شروط القراءة المتواترة، فهم قد يغتفرون بعض مخالقات الرسم العثماني إذا قوي سند القراءة، وقوي قياسها، «ولم يضادَّ معنى خط المصحف»<sup>(٥)</sup>، وقد قال أبو شامة: «والقراءة نقل فما وافق منها ظاهر الخط كان أقوى، وليس اتباع الخط بمجرد واجباً ما لم يعضده نقل، فإن وافق فيها ونعمت، ذلك نور على نور»<sup>(٦)</sup>.

(١) مريم: ٩.

(٢) إعراب القرآن ٨/٣.

(٣) ق: ٤١.

(٤) إعراب القرآن ٤/٢٣٣.

(٥) الإبانة عن معاني القراءات ٣٦.

(٦) إبراز المعاني ٦٠٤.

- والنحويون على ذلك النهج، تفاوتت مواقفهم من شرط الرسم العثماني، فالزجاج يحتاج برسم المصحف في اللغويات والإعراب والصرفيات، فيتشدد فيما تجاوز عنه الجمهور من مخالفة الرسم، ويفاضل وفق ذلك، يقول: «وأما ﴿مَنْ يَزِيدْ﴾<sup>(١)</sup> فهو الأصل<sup>(٢)</sup>؛ لأن التضعيف إذا سكن الثاني من المضعفين ظهر التضعيف، نحو ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾<sup>(٣)</sup>، ولو قُرئت إِنْ يَمْسَكُمْ قَرْحٌ، كان صواباً، ولكن لا تقرأنَّ به لمخالفته المصحف، ولأنَّ القراءة سنة»<sup>(٤)</sup>.
- وكثيراً ما يلّمح المراقب لعلاقة النحويين بالرسم العثماني تفاوتاً بين النحويين في مراعاة الرسم، وإن كانت مراعاته سمة بارزة عامة فيهم، ففي القرن الرابع مثلاً: «نرى مسلكين متخالفين: ابن خالويه يعتد اعتداداً شديداً برسم المصحف، وأبو علي الفارسي يُحكّم القياس في الاحتجاج، ولا يرى أن يأخذ برسم المصحف»<sup>(٥)</sup> في كثير من المواضع وهو كذلك مسرب من مسارب التفضيل بين القراءات القرآنية المتواترة، وفق ضوابط تدل على دقة السلف وعنايتهم بالأمانة، واجتهادهم في حمل وجوه القراءات على أشرف محمل.

(١) المائدة: ٥٤.

(٢) قرأ نافع وابن عامر بالفك والباقون بالإدغام، ينظر: السبعة، لابن مجاهد ٢٤٥، التيسير، للداني ٨٢.

(٣) آل عمران: ١٤٠.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٨٢/٢.

(٥) ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ٢١٠.

### ثالثًا: شرط (موافقة العربيّة) ومسارب المفاضلة.

أما شرط موافقة العربية ولو بوجهٍ من الوجوه، فهو أوسع الأبواب المقتضية للتفضيل بين القراءات المتواترة، وسيتناوله البحث لاحقًا في كثير من الجوانب بإذن الله، غير أننا يكفي هنا أن نؤصل للطبيعة التفاضلية لذلك الشرط عند القراء والنحاة، وقد نقلت كتب القراءات قول ابن القشيري (٤١٤هـ): «فإننا لا ندعي أن كل القراءات على أرفع الدرجات في الفصاحة»<sup>(١)</sup>.

أما النحويون فدستورهم المعلن أنّ «القرآن إنما يُحمل على أشرف المذاهب»<sup>(٢)</sup>، وكل مفاضلة بين القراءات القرآنية عندهم ت قصد هذا الدستور.

وإذا ارتضينا شرط مكّي، رحمه الله، في القراءة المقبولة: «قوة وجهها في العربية»<sup>(٣)</sup>، فالقوة تتفاوت في حضرة الاحتكام إلى القياس، وإذا ارتضينا ما استقر عند ابن الجزري وهو شرط: «موافقة العربية ولو بوجه»<sup>(٤)</sup>، وهو قيد أخف من سابقه، فالوجوه تتفاوت في الحسن، وقد أوضح ابن الجزري قيد (ولو بوجه)، بقوله: «نريد به وجهًا من وجوه النحو، سواء كان أفصح أم فصيحًا،

---

(١) علّق عليه أبو شامة بقوله: «قلت: وهذا كلمٌ حسن صحيح»، وفي هذا نقصٌ لما اشتهر عنه عند الباحثين بأنه لا يجوز المفاضلة بين القراءات المتواترة، وجمع أقواله من مظان كثيرة تدل على أنه يمنع المفاضلة التي تكاد تسقط إحدى القراءتين وحسب. ينظر: إبراز المعاني ٧٠، ٤١٢.

(٢) الكامل، للمبرد ٩٣١/٢.

(٣) الإبانة عن معاني القراءات ١٠٠.

(٤) النشر في القراءات العشر ٩/١.

مجمعاً عليه أم مختلفاً لا يضر مثله، إذا كانت القراءة مما شاع وذاع، وتلقته الأئمة بالإسناد الصحيح»<sup>(١)</sup>.

وهناك من يرى أنَّ مثل هذا التسمّح في المعيار اللغوي هو الذي سمح بدخول قراءات ليس له وجه قوي في القياس، وأنَّ هذا نفسه مسوّغ لما فعله أئمة النحو من إبداء وجهة نظر القياس اللغوي، إذ هو اجتهادٌ ممن يملك حق الاجتهاد، فالنحاة لم يخضعوا القراءات لمقاييس اللغة، «وإنما رأوا المنسوب إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، على يقين ليس بمعزل عن مقاييس اللغة الفصحى التي هي وعاء القرآن الكريم»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

---

(١) النشر في القراءات العشر ١/١٠.

(٢) ضوابط الفكر النحوي ١/٣١٣. وينظر: ١/٢٩١.

### الاعتبار الثالث: المفاضلة وطبيعة عمل النحوي.

التفكير النحوي في حقيقته ذو بنية تفاضلية من الدرجة الأولى. وأعتقد أنّ الطبيعة (المعيارية) في النظام النحوي لها التأثير الأكبر في ذلك. وكثيرٌ من الدراسات المعاصرة تقع في خللٍ كبير حين يختلط عليها الأمر، فلا تمايز بين رُكني الفهم اللغوي:

١- فهم طبيعة اللغة.

٢- فهم طبيعة التقعيد للغة.

والخلط بينهما أدى إلى مغالطات كثيرة في البحث اللغوي الحديث. فلم تكن وظيفة النحو العربي هي نقل كلام العرب ولهجاتها للمتلقين وتدوينها، لكن وظيفتهم -بالتحديد- هي تقنين لأعلى مستويات هذه اللهجات، وكان هذا التقنين يصب في غاية محددة لطالما نصَّ عليها النحويون، قال ابن السراج: «النحو إنما أريد به أن ينحو المتكلم إذا تعلمه كلام العرب، وهو علم استخرجه المتقدمون فيه من استقراء كلام العرب حتى وقفوا منه على الغرض الذي قصد المبتدئون بهذه اللغة»<sup>(١)</sup>، وكما حدد ابن جني الغاية بقوله: «يلحق مَنْ ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها، وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم عنها رد به إليها»<sup>(٢)</sup>، «وقد ظل الهدف التعليمي مقتزناً بالدرس

(١) الأصول، لابن السراج ٣٥/١.

(٢) الخصائص ٣٤/١.

النحوي في كل مراحل تكونه... فقد صاغ النحو العربي نفسه وفق غايته التربوية ونظر إلى المتكلم الممكن على أنه مُتَعَلِم<sup>(١)</sup>. وهذه التنشئة ذات صبغة دينية قرآنية، إذ لما بدأت تضعف الملكية اللغوية عند كثيرين لعامل الخلطة بالأعاجم «خشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكية رأساً، ويطول العهد، فينغلق القرآن والحديث على الفهوم فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكية مطّردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام»<sup>(٢)</sup>. هذه الغاية هي التي اقتضت أن يكون عمل النحوي ذا جهد وصفي ومعيارى في آن، واقتضت «أنّ المنهج النحوي لم يكن نقلاً محضاً، ولم يكن عقلاً محضاً»<sup>(٣)</sup>، على أنّ ما ينبغي التنبيه إليه هو أنّ الوصفية أو المعيارية ليستا شحنتين متنافرتين، "فليستا من طبيعة واحدة حتى تتسنى مقارنة إحداها بالأخرى، فليس لزماً أن تقوم بينهما علاقة ما: من توازٍ أو تصادم أو تطابق. فهما مصادرتان فكريتان مستقلّة كلتاها عن الأخرى»<sup>(٤)</sup>، وفي مرحلتين زمنيّتين مختلفتين. هذه الطبيعة الممتزجة من جهة، ومن جهة أخرى سلطة المعيار الذي كانت وظيفة النحو إخراجه من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل أي: «بتحويله من وضع الكمون إلى وضع التحقق»<sup>(٥)</sup> -هاتان الجهتان

(١) الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي العربي ٣٤.

(٢) مقدمة ابن خلدون ٢٣٨/٣.

(٣) النحو العربي والدرس الحديث ١٩، وينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية ٢.

(٤) اللسانيات وأسسها المعرفية ١٥.

(٥) المرجع السابق ٣٩.

هما اللتان كونتا البنية التفاضلية في النظام النحوي، ويمكن ملاحظة ذلك في المفاضلات التكوينية التالية:

١- في ثنائية الأصول (السمع/القياس)، السماع مقدّم على القياس، وما يثبت بالسمع أفضل مما يثبت بالقياس:

• يقول ابن السراج: «الأصل ما سمع عن العرب، وإذا لم يصح سماع الشيء عن العرب فيلجئ فيه إلى القياس»<sup>(١)</sup>.

• «وإذا تعارض القياس والسمع نطقت بالمسموع»<sup>(٢)</sup>.

• «وقواعد النحو ليست على سبيل الابتداء والابتداء، بل على وجه الاقتداء والاتباع»<sup>(٣)</sup>.

٢- ثنائية (الإطار الزمني والإطار المكاني) للاحتجاج -هي في حقيقتها مفاضلة حيث يشير الإطار المكاني إلى رغبتهم في التقعيد على لغة عليا بجمع ما علا في أساليب وظواهر لهجته. ويشير الإطار الزمني إلى تحديد المدونة الفصيحة التي تشدُّ الناطقين بالعربية إلى فصاحة القرآن المعجز؛ إذ لو تُرك الإطار الزمني لخضعت اللغة لناموس التطور والتغيّر، «لذا يجوز أن نقدر بأنّ النحو -في تاريخ الحضارة العربية- هو موقف لا من اللغة ذاتها. وإنما

(١) الأصول، لابن السراج ١٠/١.

(٢) الخصائص ١١٧/١.

(٣) الاقتراح ٢٤٤.

هو موقف من خصائص الملازمة لها، وأبرز تلك الخصائص التغيير والاستحالة»<sup>(١)</sup>.

٣- المسموع يخضع للتفاضل الكمي (القلة/الكثرة)، يقول سيبويه: «الأقل نوادر تُحفظ عن العرب، ولا يُقاس عليها، ولكن الأكثر يُقاس عليه»<sup>(٢)</sup>.

٤- القياس من حيث (القوة والضعف) مراتب، وقد سرد الأنباري أنواع القياس على ما تستحقه من الترتيب من تقديم قياس العلة، ثم قياس الشبه ثم قياس الطرد<sup>(٣)</sup>.

٥- في نظرية (الأصل والفرع)، «تفضيل الفرع على الأصل ممنوع»<sup>(٤)</sup>، غير أنه «يجوز أن يفوق الفرع الأصل بكثرة الاستعمال»<sup>(٥)</sup>.

كل هذه المفاضلات- كما ترى- هي في عمق أصول ومرجعيات الفكر النحوي، وهي أيضا شديدة التماس مع ما تفرع منها من نظريات. وذلك كله يقتضي حتمية صدور المفاضلة من النحوي حين يكون في مقابل النص بالتوجيه والإعراب أو في مواجهته بالتأويل والتخريج.

وإذا أردنا أن نسلط الضوء أكثر على بؤرة البنية التفاضلية الكبرى لعلم النحو العربي وهي خصيصة (المعيارية)، فهي نتيجة طبيعية تستلزمها الغاية التي

---

(١) التفكير اللساني في الحضارة العربية ٩٤.

(٢) الكتاب ٨/٤.

(٣) لمع الأدلة ١٠٥.

(٤) شرح الكافية الشافية ١/٩١٤.

(٥) شرح التسهيل، لابن مالك ١/٢٦.

يرجوها نحة العرب من هذا العلم، فلم يكن أمامهم إلا بناء قواعدهم، على معهود خطاب العرب وسنن قولهم، لكنّ الاطراد المطلق لا يتحقق للغات البشر، فعادة تكون مهمة التقنين في مواجهة مباشرة مع اعتراض الشاذ والقليل والنافر عن القياس، وإذا عجزت صناعة التقنين عن مواجهة التعددية والتنوع والاختلاف، والصيرورة به إلى الشمولية والاحتواء فلن يبلغ بهذه الصناعة قاصدو العربية غاية الارتسام والاحتذاء، أو كما قال ابن السراج: «ولو اعترض بالشاذ على القياس المطرد لبطل أكثر الصناعات»<sup>(١)</sup>، هنا مأرز حتمية المفاضلة في بنية الفكر النحوي، فالنتيجة أنّ قام بناء التقعيد النحوي على صخرة (الأكثر)، وقد تواترت ضوابطهم على نحو:

● «إنما القياس على (الأكثر)»<sup>(٢)</sup>.

● «و(الأكثر) عدم الالتفات إلى الأقل، وهذا من أصولهم»<sup>(٣)</sup>.

● وكما قال أحد أئمة التقعيد اللغوي أبو عمرو بن العلاء، حين قيل

له: «أخبرني عما وضعت مما سميتّه عربيّة، أيدخل فيه كلام العرب كله؟

قال: لا، فقلت: كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة؟ قال:

أكمل على (الأكثر) وأسمّي ما خالفني لغات»<sup>(٤)</sup>.

(١) الأصول، لابن السراج ٥٦/١.

(٢) المقتضب ١/ ٢٣٣.

(٣) التوطئة ١١٦.

(٤) طبقات النحويين واللغويين ٣٩.

## المُرجّحات بين القراءات عند النحويين.

يمكننا تلمس العلاقة بين المفاضلة بين القراءات والبنية التفاضلية في أصول النحو ونظرياته من خلال استعراض المُرَجِّحات التي اعتمدها النحاة في التفضيل بين القراءات المتواترة، وأجملها في الآتي:

### أولاً: الموافقة البيّنة للقياس اللغوي المستتب.

تقديم الوجه «الأقيس»<sup>(١)</sup> هو المؤثر الأكبر في تفاضل القراءات عند النحويين. ومع ذلك فأقيستهم ليست واحدة، وطريقة إنزالها على النصوص كذلك هي التي أنتجت بعض الفروق بين مدارس النحو، وهذا جزء من بنية التفاضل في الفكر النحوي، إذ نسبية نظرة كل نحوي إلى قوة وضعف القياس بالنسبة إليه، وطريقة إنزاله على النص وتعامله مع مناط الحكم، كل ذلك بواعث للمفاضلة، ولا أدل على ذلك من مثل مصطلحات الفراء المعبرة عن النظرة الشخصية للقياس حين يحكم على القراءات بقوله: «والوجه الأول أحبُّ إلي»<sup>(٢)</sup>، وقوله: «ولستُ أشتَهي ذلك»<sup>(٣)</sup>.

● كما أنّ مفاضلتهم ترتبط بأوصاف نسبية في القياس ذاته، تختلف من نحوي لآخر، لكنهم متفقون على أصل الوصف، وأعني بذلك وضوح القياس

---

(١) وقولهم نحو (وجه الكلام)، و(أحسن القراءتين)، و(أجود) و(أنفذ) و(أوجه)، ينظر: الكتاب

١٨٢/١، ١٨٩/٤، معاني القرآن، للفراء ٩٢/١، ١٧١/١.

(٢) معاني القرآن ٢٤٥/١.

(٣) معاني القرآن ١٨٤/٣.

ذاته، فهم كثيراً ما يختارون: «القراءة البينة»<sup>(١)</sup>، «والأبين في العربية»<sup>(٢)</sup>، ويجتنبون ما يجوز على «غموض من العربية»<sup>(٣)</sup> أو على وجه «بعيد في العربية»<sup>(٤)</sup>.

- كما أن مناط الحكم بالمفاضلة قد يتجاذبه أكثر من قياس، فيقدم نحويّ قياساً ويقدم آخر قياساً آخر. قال أبو حيان في قوله تعالى: ﴿مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمِنَا فَقَدْ رَاحَهُ﴾<sup>(٥)</sup>: «وتكلم العربون في الترجيح بين القراءتين على عادتهم، فاختر أبو عبيدة، وأبو حاتم، وأشار أبو عليّ إلى تحسينه، قراءة (يُصْرِفُ)<sup>(٦)</sup> مبنياً للفاعل، لتناسب (فقد رحمه)، ولم يأتِ فقد رُحِمَ... ورجّح الطبري قراءة (يُصْرِفُ)<sup>(٧)</sup>، مبنياً للمفعول، قال: لأنها أقلُّ إضماراً»<sup>(٨)</sup>. فهناك من قدّم قياس مراعاة التناسب وهناك من قدّم قياس مراعاة الأقل حذفاً.

(١) إعراب القرآن، للنحاس ٢٩٦/٢.

(٢) معاني القرآن ٢٢٨/٣، إعراب القرآن، للنحاس ٣٧٣/٣.

(٣) إعراب القرآن، للنحاس ٤٥١/١.

(٤) إعراب القرآن، للنحاس ٩٠/٣.

(٥) الأنعام: ١٦.

(٦) وهي قراءة حمزة وأبو بكر والكسائي، ينظر: السبعة، لابن مجاهد ٢٥٤، حجة القراءات، لابن زنجلة ٢٤٣.

(٧) وهي قراءة السبعة ما عدا حمزة وأبا بكر والكسائي، ينظر: حجة القراءات، لابن زنجلة ٢٤٣، التيسير، للداني ٨٤.

(٨) البحر المحيط ٤٧٢/١١.

- وما يجدر التنبيه إليه هو أن ربط حركة نقد القراءات القرآنية بتمسك النحويين بأقيستهم - ربطاً خاطئاً، فقد وقع النقد والاختلاف منذ زمن الصحابة، رضوان الله عليهم، والأئمة بعدهم، أمّا نقد النحويين واختلاف اختياراتهم للقراءات فهو بذلٌ وسع، غايته الاحتراز وحمل القرآن وقراءاته على أشرف الوجوه.

\*\*\*

## ثانيًا: موافقة قراءة العامة.

من المرجحات بين القراءات المتواترة عند النحويين مراعاة ما اختاره عامة الأئمة، قال سيبويه مُسلِّماً لاجتماع القراء على وجه، وعدم قراءتهم على الوجه الذي يقويه: «وقد قرأ أناس»<sup>(١)</sup>: «السَّارِقَ وَالسَّارِقَةَ»<sup>(٢)</sup> و«الرَّائِيَةَ وَالرَّائِي»<sup>(٣)</sup>، وهو في العربيَّة على ما ذكرت لك من القوة. ولكن أبتِ العامةُ إلا القراءة بالرفع»<sup>(٤)</sup>.  
● وهذا من النحويين من دلائل عدم اندفاعهم للأقيسة على حساب التثبت ومراعاة النقل، فاحترام قراءة العامة هو في الحقيقة احترام للنقل القوي الذي تنتمي له قراءاتهم. إضافة إلى ما قاله الطبري: «وما انفرد به من كان جائزاً عليه السهو والغلط فغير جائز الاعتراض به على الحجة»<sup>(٥)</sup>. وكثيراً ما نجد الفراء ينص على ضابط تقديم قراءة العامة ويختارها، وقد قال: «وأجود ذلك ما اختارته القراء الذين تؤثر عنهم القراءة»<sup>(٦)</sup>.  
وقد تناولنا - سابقاً - روافد حتمية المفاضلة الناتجة عن مراعاة قراءة العامة.

---

(١) وهي قراءة عيسى بن عمر، وابن أبي عبة، والجمهور على الرفع ينظر: مختصر ابن خالويه ٣٢، البحر المحيط ٥٣٩/١٠.

(٢) المائدة: ٣٨.

(٣) النور: ٢.

(٤) الكتاب ١٤٤/١.

(٥) جامع البيان، للطبري ٦/٤.

(٦) معاني القرآن ٣٦/١، وينظر: ٢١٤/٢، ٢٤٦، ٢٢٥/٣، إعراب القرآن، للنحاس ٢١٩/٢، ١٠٥/٤.

### ثالثاً: موافقة الرسم العثماني.

تحدثنا قبلاً عن أثر موافقة الرسم العثماني ودرجاته في الترجيح بين القراءات القرآنية، ونضيف هنا أن الاعتداد بالرسم العثماني قد يكون فاصلاً في الترجيح بين اللغات المشهورة عن العرب.

قال النحاس في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتْ﴾<sup>(١)</sup>: «وقد ذكر سيبويه<sup>(٢)</sup> اللغتين وَوَقَّتْ وَأَقْبَت<sup>(٣)</sup>، فلم يقدم إحداهما على الأخرى، فإذا كانتا فصيحيتين، فالأولى اتباع السواد»<sup>(٤)</sup>.

● والمقصد أن القراءة الموافقة للرسم العثماني تستمد قوتها من دلالة الرسم على الاجتماع عليها، لذا قال النحاس في إحدى القراءات وقد ذكر سندها: «هذه قراءة مخالفة للمصحف، فإن قال قائل: الإسناد صحيح، قيل له: الإجماع أولى»<sup>(٥)</sup>. وقال الزجاج في إحدى القراءات: «وهذا جيد في العربية إلا أنني أكرهه لمخالفة المصحف، والقراءة إنما ينبغي أن تلزم فيها السنة، ولزوم السنة فيها أقوى عند أهل العربية»<sup>(٦)</sup>، لذا كان من قواعد الترجيح

(١) الرسائل: ١١.

(٢) ينظر: الكتاب ٤/٣٣١.

(٣) قرأ أبو عمر بالواو (وَقَّتْ)، والباقون بالهمزة، وقرأ الحسن وأبو جعفر (وُقَّتْ) بواو وتخفيف القاف، ينظر: معاني القرآن، للفرار ٢٢٢/٣، التيسير، للداني ١٧٧.

(٤) إعراب القرآن ٥/١١٥.

(٥) إعراب القرآن ٤/٦٥.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ١/٢٣٦.

في علوم التفسير وعلوم العربية «الوجه التفسيري والإعرابي الموافق لرسم  
المصحف أولى من الوجه المخالف له»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين ١/١١٠.

#### رابعاً: موافقة الأكثر والأشهر في لغات العرب.

وهذا المعيار من أبين مسارب حتمية مفاضلة النحوي بين القراءات القرآنية، فالقراءات مهما علت فصاحتها، إلا أنها يبعد أن تتساوى الوجوه واللغات التي نزلت بها في الكثرة والشهرة. لذا كان من ضوابطهم:

- «ولا ينبغي أن نقرأ إلا بالكثير»<sup>(١)</sup>.
- «ولا يحمل كتاب الله، عز وجل، إلا على الأغلب الأشهر»<sup>(٢)</sup>.
- أفصح اللغات ما جاء في القرآن «وربما وقع الغلط من بعض أهل اللغة فيما يذكرون من فصيح الكلام»<sup>(٣)</sup>.
- «وموافقة الأكثر أولى من موافقة الأقل»<sup>(٤)</sup>.
- قال أبو زرعة نقلاً عن أبي عبيد في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾<sup>(٥)</sup>: «القراءة عندنا بالفتح»<sup>(٦)</sup>؛ لأنها أعرف اللغتين، ولو كان (عَسَيْتُمْ) لَقُرئت ﴿عَسَى رَبُّنَا﴾<sup>(٧)</sup>، وما اختلفوا في الحرف»<sup>(٨)</sup>.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣٥/١.

(٢) إعراب القرآن، للنحاس ٨٣/٤.

(٣) المرجع السابق ٩٩/٤.

(٤) شرح التسهيل، لابن مالك ١٦٧/١.

(٥) البقرة: ٢٤٦.

(٦) وهي قراءة العشرة عدا نافع، ينظر: السبعة، لابن مجاهد ١٨٦، الحجة، لأبي علي ٣٤٩/٢، النشر

في القراءات العشر ٢٣٠/٢.

(٧) القلم: ٣٢.

(٨) حجة القراءات، لابن زنجلة ١٣٩.

وهنا نشير إلى أمرٍ مهم في علاقة التفاضل بين القراءات بالبنية التفاضلية في الفكر النحوي وهو أنّ هذا المنهج يقودنا أولاً إلى التذكير بما يقرره العلماء من أن أكثر الاختلاف في القراءات أصله اختلاف لهجات، إذ «القرآن العربي فيه من جميع لغات العرب؛ لأنه أنزل عليهم كافة، وأبيح لهم أن يقرأوا على لغاتهم المختلفة، فاختلفت القراءات فيه لذلك»<sup>(١)</sup>.

هنا تظهر حتمية تأثير طبيعة عمل النحوي التفاضلي، إذ الحكم على القراءتين، سيكون -بالضرورة- فرعاً عن الحكم على اللغتين أو اللهجتين ومنزلتهما في كلام العرب، وعلى ذلك مدار التفاضل، وقد قرر ابن جني الموقف المنهجي من التعادل في اللغات والترجيح بينها، وقال في نصه الدستور: «وليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتهما؛ لأنها أحق بذلك من رسيّلتها. لكن غاية ما لك في ذلك أن تتخير إحداهما، فتقويها على أختها، وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها، وأشدُّ أنساً بها. فأما رد إحداهما بالأخرى فلا.

أولا ترى إلى قول النبي، صلى الله عليه وسلم: «نزل القرآن عليّ بسبع لغات كلها كافٍ شافٍ». هذا حكم اللغتين إذا كانا في الاستعمال والقياس متدائيتين متراسلتين، أو كالمتراسلتين. فأما أن تقل إحداهما جدّاً وتكثر الأخرى جدّاً، فإنك تأخذ بأوسعهما رواية وأقواهما قياساً»<sup>(٢)</sup>.

(١) إبراز المعاني ٤٧٨.

(٢) الخصائص ١٠/٢.

هنا تتدخل طبيعة عمل النحوي، فكيف يُطمئنُ لنسبة منع المفاضلة لأبي العباس ثعلب-مثلاً-القائل: «ارتفعت قريش في الفصاحة عن عننة تميم، وكشكشة ربيعة...»<sup>(١)</sup>، وهو في منجزاته ومؤلفاته - كالفصيح-يفاضل بين لغات العرب؟!.

فهو، رحمه الله، اختار في الفصيح: (وَحَزَنِي الْأَمْرَ يَحْزُنِي)<sup>(٢)</sup>، وهي إحدى قراءتي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ﴾<sup>(٣)</sup>، قال ابن خالويه: «يُقرأ بفتح الياء وضم الزاي، وبضم الياء وكسر الزاي»<sup>(٤)</sup>، فالحجة لمن فتح الياء أنه أخذ من (حَزَنَ يَحْزُنُ حُزْنًا، والحجة لمن فتح الياء أنه أخذه من (أَحْزَنَ يُحْزِنُ حُزْنًا)، ولم يُسمع إحزانًا وإن كان القياس يُوجبه»<sup>(٥)</sup>.

إن طبيعة البنية التفاضلية في التراث النحوي هي التي أنبأتنا بترجيح الإمام ثعلب ولو لم نجد له نصوصًا في قراءات الآية السابقة. وما ورد عنه - رحمه الله - من أنه لا يُفضل إعرابًا على إعراب فإذا خرج إلى كلام الناس، فضَّل الأقوى، فجوابه أن من تمام إعجاز القرآن الكريم أن نزل ليتحدى العرب بلغتهم، فمن

---

(١) مجالس ثعلب ٨٠/١.

(٢) الفصيح ٢٦٨.

(٣) يونس: ٦٥.

(٤) قرأ نافع (يحزن) بضم الياء وكسر الزاي حيث وقع ما خلا قوله في (الأنبياء: ١٠٣)، ﴿لَا يَحْزَنُكُمْ﴾

فإنه فتح الياء وضم الزاي وفيه الباقيون كذلك في الكل. ينظر: السبعة، لابن مجاهد ٢١٩، التيسير،

للداني ٧٦.

(٥) الحجة ١١٦.

يفاضل بين كلام العرب ولغاتهم فهو - لا محالة - سيفاضل بين القراءات التي  
نزلت بلغاتهم وعلى معهود خطابهم.

\*\*\*

## خامساً: المرجّح البلاغي ومراعاة جوانب الدلالة والسياق.

كثيراً ما يرجح النحويون بين القراءات المتواترة لاعتبارات بلاغية وأسلوبية كالمشاكلة، وتناسب الفواصل، ودلالات القطع والاستئناف، والخصوص والعموم، ودلالات التكثير والتقليل، وعامة الدلالات النحويّة والصّرفيّة واللغوية.

ومن نماذج ذلك استحسان الفراء الاستئناف والإتباع على البدلية في قراءة (رب) بالرفع في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾<sup>(١)</sup>، يقول: «خفضها عاصم والأعمش، ورفعها أهل الحجاز، والرفع يحسن إذا انفصلت الآية عن الآية»<sup>(٢)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِئْتَةً﴾<sup>(٣)</sup>، برفع (تكون) <sup>(٤)</sup>، قال النحاس: «الرفع عند النحويين في (حسبت) وأخواتها أجود... وإنما صار الرفع أجود؛ لأنَّ (حسبت) وأخواتها بمنزلة العلم في أنه شيء ثابت، وإنما يجوز النصب على أن تجعلهنَّ بمنزلة (خشيت) و(خفت)»<sup>(٥)</sup>. فالدلالة المعجمية للفعل (حسب) أثرت في الحكم التركيبي للفعل بعدها، وعليه مدار التفضيل.

(١) المزمّل: ٨-٩.

(٢) معاني القرآن ١٩٨/٣.

(٣) المائدة: ٧١.

(٤) قرأها بالرفع أبو عمرو وحمزة والكسائي، والباقون بالنصب. ينظر: السبعة، لابن مجاهد ٢٤٧،

التيسير، للداني ٨٣.

(٥) إعراب القرآن، للنحاس ٣٥/١.

والترجيحات الأسلوبية والبلاغية كثيرة في توجيهات النحويين، حتى إنك تكاد تذهب إلى أنَّ ظاهرة المفاضلة بين القراءات عند علماء العربية ذات صبغة دلالية، باعتبار أن الدلالة هي مستوى مشترك وكامن في مستويات اللغة: الصرفية والنحوية واللغوية، كما أن الترجيح الدلالي يمثل طبيعة لغة، تحتزن فنون قولٍ وتحتزن انزياحاتها كذلك، أو كما قال ابن جني: «كلام العرب كثير الانحرافات، ولطيف المقاصد والجهات، وأعذب ما فيه تلفته وتثنيته»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

---

(١) المحتسب ٨٦/٢.

## سادساً: مراعاة ما توافق مع قول المفسرين وأئمة التأويل.

مما يتقيد به النحويون في اختياراتهم للقراءات القرآنية هو موافقة ما عليه أئمة التفسير والتأويل، فينبون ترجيحهم على الأبين والأوضح تأويلاً من أقوالهم، ولا يجوز لأحدٍ «أن يخرج عن جملتهم فيما قالوه، وإن كان قولاً محتملاً»<sup>(١)</sup>. قال أبو جعفر في قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا عُوقٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾<sup>(٢)</sup>: «والقراءة الأولى<sup>(٣)</sup> أبين وأصح في المعنى؛ لأن معنى (يُنْزَفُونَ) عند جلة أهل التفسير منهم مجاهد: لا تذهب عقولهم، فنفي الله، عز وجل، عن خمر الجنة الآفات التي تلحق في الدنيا من خمرها من الصداع والسكر. فأما معنى (يُنْزَفُونَ)، فالصحيح فيه أن يقال: أنزف الرجل إذا نفذ شرابه، وهذا يبعد أن يوصف به شراب أهل الجنة، ولكن مجازه أن يكون بمعنى لا ينفد أبداً»<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

---

(١) إعراب القرآن، للنحاس ٢١٢/٥.

(٢) الصافات: ٤٧.

(٣) وهي (يُنْزَفُونَ) بفتح الزاي وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وقرأها عاصم هنا بالفتح وفي (الواقعة: ١٩) بالكسر، وقرأها حمزة والكسائي بكسر الزاي في الموضعين. ينظر: السبعة، لابن مجاهد ٥٤٧، الحجة، لأبي علي ٥٤/٦.

(٤) إعراب القرآن ٤١٩/٣.

## • ويبقى لنا أن نشير إلى أمور في غاية الأهمية:

أولاً: إنّ فكرة ربط عدم المفاضلة بالديانة أو ما يُشبهه فكرة (التحرّز الديني) التي وردت في نص ثعلب ونصوص النحاس وأبي حيان - لم تكن قادرة على مواجهة طبيعة عمل النحوي التفاضلية، فقد أسلمهم التوجيه النحوي للقراءات القرآنية إلى صريح التفاضل بينها، فلو كانت فكرة (التحرّز الديني) ستغلب على طبيعة عمل النحوي لأدت بهم إلى الزهد في نقد القراءات وتضعيفها قبل أن تُزهدهم في مجرد المفاضلة، فتغلب والنحاس - رحمهما الله - نقدوا القراءات القرآنية وتضعيفها<sup>(١)</sup>. كما أن النهج الأثري الواضح عند أبي حيان، ومنافحته عن القراءات المتواترة لم يُنقذه من الوقوع في المفاضلة.

والمفارقة أن أحد المواضع التي أنكر فيها النحاس على من فاضل بين القراءات التي لها حظ من الاجتماع؛ لأن الديانة تحظر ذلك<sup>(٢)</sup>، هو نفسه موضعٌ انتقد فيه أبو العباس ثعلب قراءة للأئمة وهو الذي نص على أنه لا يفاضل بين الإعراب إلا إذا خرج إلى كلام الناس. قال أبو العباس في ذلك الموضع وهو في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُوتُ الْمُؤَدَّةُ﴾<sup>(٣)</sup>، بضمّتين (عُمْد) <sup>(٤)</sup>: «هو القياس،

(١) ينظر: مجالس ثعلب ١/٥٣، ٢/٣٥٩، إعراب القرآن، للنحاس ١/٢٣، ١٧٠.

(٢) إعراب القرآن ٥/٢٩٠.

(٣) الهمة: ٩.

(٤) قرأها بضمّتين أبو بكر وحزمة والكسائي، وقرأ بقية السبعة بفتحتين. ينظر: السبعة، لابن مجاهد

٦٩٧، التيسير، للداني ٢٢٥.

(وَعَمَد) شاذٌّ»<sup>(١)</sup>. والسُرُّ في ذلك هو أنَّ التفاضل صادرٌ عن بنية التفكير النحوي ولا شيء خارجه يمكن أن يلغي ذلك. وهم يفاضلون والقراءات مختلفة، ويفاضلون في الإعراب والقراءة واحدة لدواعٍ صناعية وغير صناعية -لفظية ودلالية<sup>(٢)</sup>.

ثانيًا: وظيفة أقيسة النحويين هي تقنين كلام العرب الفصيح، لا التقنين لما جاء في القرآن الكريم وحسب. وعماد هذا التقنين هو الاعتماد على الكثير الشائع المعبر عن معهود خطابهم.

وموقف النحويين من القرآن الكريم وقراءاتها المتواترة والشاذة -أنَّ ذلك كله يُحتج به، ويُحتجُّ له<sup>(٣)</sup>، غير أن هناك ما يتميز به النص القرآني عن غيره، وقد لخصه ولخص موقف النحويين منه الزجاج بقوله: «القراءة سنة لا ينبغي أن يُقرأ فيها بشكل يميزه النحويون، وإن تَبَّع، فالذي روي من المشهور في القراءة أجود عند النحويين، فيجتمع في القراءة بما روى الأتباع، وإثبات ما هو أقوى في الحجة»<sup>(٤)</sup>. فتوسط موقف النحويين صادرٌ عن حفاظهم على حرمة القراءات بلزومهم النقل، واحترامهم لقوانين العربية، بقبول الأوجه القوية في

---

(١) مجالس ثعلب ١/٣٢٥.

(٢) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس ١/٣٦٩.

(٣) الاقتراح/٣٦.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١/١٢.

القياس وإن كانوا لا يميزون القراءة به إذ «الْقُرَاء لا تقرأ بكل ما يجوز في العربية، فلا يقبحن عندك تشنيع مشنّع مما لم يقرأه القراء مما يجوز»<sup>(١)</sup>.

ولما كان الاحتكام في القوة والضعف إلى أقيستهم المستنبطة من كلام العرب، رأوا في بعض الشاذ<sup>(٢)</sup> الخارج عن قراءة القراء السبعة أنه «مع خروجه عنها نازعٌ بالثقة إلى قرائه، محفوفٌ بالروايات من أمامه وورائه، ولعله، أو كثيراً منه، مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه»<sup>(٣)</sup>.

ومادام طبيعة عمل النحوي الاحتكام إلى القياس، إضافة إلى الاحتجاج للقراءة تارة الاحتجاج بها تارة أخرى، فلا مانع من أن يجعل أئمة النحو أحياناً القراءة الشاذة هي القياس<sup>(٤)</sup>، وربما يحتجون بالمتواتر والشاذ جنباً إلى جنب<sup>(٥)</sup>، وربما يقدمون قراءة القلة على قراءة الكثرة<sup>(٦)</sup>، مادام القياس المبني على الكثير من كلام العرب يقتضي ذلك.

---

(١) معاني القرآن للقراء ٢٤٥/١.

(٢) مرّ مصطلح الشذوذ عند علماء القراءات بثلاث مراحل، أولاًها: ما خالف رسم المصحف، وكثيراً ما يعدّها النحاس وغيره مدرجة (آية تفسير)، ثانيها: ما خالف السبع التي اختارها ابن مجاهد، وآخراها: ما اختلف فيه ركن من أركان القراءة المقبولة، ملخص ذلك من: ضوابط الفكر النحوي ٢٩٧/١، ومطوّله في: رسم المصحف ٥٥٥.

(٣) المحتسب ٣٢/٢.

(٤) ينظر أحد اختيارات الخليل في: الكتاب ٣٩٩/٢.

(٥) ينظر فعل سيبويه في: الكتاب ١٤٧/٢.

(٦) المقتضب ١٢٤/٤.

وقد أُيِّدَ سيبويه في احتجاجه بما في مصحف ابن مسعود<sup>(١)</sup>، ومصحف أبي<sup>(٢)</sup> لما هو جائز في العربية، موثقٌ بالأسانيد، وإن خالف المصحف الإمام، إذ يكفي لتجويز إعراب ما أن يُستشهد بما في مرسوم المصاحف التي قبل المصحف الإمام، ولكن لا يقرأ بتلك القراءة، «ومسلك سيبويه يبدو طبعياً، إذ كانت صفته الأولى والبقية على الدهر أنه نحوي ينظر إلى المصاحف على عمومها، محتجاً بما جاء في مرسومها، غير متقيد بمصحف الإمام، ما دامت المصاحف الأخرى في الاحتجاج على المذاهب الإعرابية في فنون الكلام»<sup>(٣)</sup>. ومهما يكن من أمر، فالمسألة تترد إلى اختلاف الغاية الوظيفية من التعامل مع القراءة القرآنية، إذ «الاحتجاج شيء، والبناء على المجتمع به شيء آخر، فالقراءات متواترها وشاذها - لصحة ثبوتها - يحتج بها في الواردة فيه بعينه، أما بناء غيرها عليها فلا يكون إلا إذا اتفقت وضابط النحاة في بناء قواعدهم على الكثير الشائع»<sup>(٤)</sup>.

هذه الطبيعة للنحو العربي المكونة في أصل التكوين من السماع، المتمحضة بعد ذلك في (قياس يُتَّبَع)، ويحتكم إليه للحكم على أي نص، هذه الطبيعة هي النشأة، والنمو، والنضج، وكل ذلك تمَّ والتباين الحاد بين القراءات المتواترة

(١) الكتاب ٨٣/٢.

(٢) الكتاب ١٦٦/٣.

(٣) رسم المصحف العثماني ٧١.

(٤) ضوابط الفكر النحوي ٢٩٨/١.

والشاذة والآحاد لم يتحقق، فالقراءة في نظر أئمة النحو «مذهب من مذاهب النطق»<sup>(١)</sup>، أو هي «أداء قارئ وليس أداءً نبويًّا»<sup>(٢)</sup>.

وإذا كُنَّا ذهبنا إلى أن المعيارية في القياس النحوي، وطبيعة المرحلة التي تكون فيها علم النحو العربي، ومن ثم طبيعة البنية التفاضلية في الفكر النحوي-اقتضى حتمية المفاضلة بين القراءات القرآنية، فإنَّ مما يؤكد لنا ذلك الآتي:

١- أنَّ الذين نصُّوا على منع ذلك ديانَةً، لم يُسْعِفهم الواقع الإجرائي في توجيهاتهم وإعراباتهم، فوقعوا في حتمية المفاضلة للقراءات، وإذا اتسع الفارق بين قراءة وأخرى في القرب من القياس اللغوي اضطر المانعون إلى الترجيح الخفي، بذكر نصوص الأئمة، أو الاعتداد بسبويه وذكر اختياره<sup>(٣)</sup>. وخاصة إذا كانت القراءتان قويتين في الشهرة والإجماع.

٢- إنَّ الباحثين يكادون يجمعون على أنَّ مواقف النحويين المحققين والمتأخرين بالجملة أكثر مواءمة مع القراءات القرآنية من غيرهم، بسبب استقرار أمر التواتر واطمئنانهم إليه، ومع ذلك كله فالتغير في الموقف نسبي<sup>(٤)</sup>، فإذا كان

(١) في أصول النحو العربي ٥٨.

(٢) الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي العربي ٢٤٧.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣٢/٢.

(٤) كثير من اضطراب مواقف الباحثين وحيرتهم في تفهّم حركة نقد النحويين للقراءات مرجعها إلى غياب فكرة حتمية المفاضلة والتصنيف التي يقتضيها طبيعة الفكر النحوي، ولولا الدافع العلمي وحرص الباحث على محاولة الاستقلال بقضية المفاضلة عن قضية تضعيف القراءات وتلحينها، لأوضححت للقارئ -بنفس مطوّل- ما في هذا البحث من نقاط كثيرة يمكن أن يُستفاد منها في تفهّم حركة نقد النحويين للقراءات القرآنية بشكل عام.

أبو حيان - رحمه الله - المتأخر والمعروف عنه بموقفه الأثري ودفاعه المستميت عن القراءات والقراء - قد فاضل بين القراءات المتواترة، فأبي نحويّ غيره يمكن - طوعاً منه أو كرهاً - أن نجد تراثه النحوي خالياً من المفاضلة؟!!

**ويظهر لي أنّ عدم تمايز المتواتر من غيره عاملٌ مهم في تحذر النظرة التفاضلية في التفكير النحوي، لكن ذلك لا يعني تلاشي حركة النقد للقراءات أو المفاضلة بين القراءات بعد استقرار التسبيع، إذ السر الأكبر في داخل أسس النظام لا خارجه، ولذا اضطر بعض الباحثين في التفرقة بين منهج المتأخرين بعد استقرار فن القراءات وأصوله بعد رأس السنة ثلاثمئة ومنهج المتقدمين قبلها إلى القول: «من كان عمله على النوع الأول وهو نقد القراءات وإخضاعها للمقاييس المختلفة فهو على نهج المتقدمين وإن كان في عصر متأخر، ومن كان عمله على النوع الثاني، وهو الاعتماد على الرواية في ذلك فهو على نهج المتأخرين، وإن وُجد قبلهم»<sup>(١)</sup>. والأمر، في تقديري، يعود لما أشرتُ إليه من حتمية المفاضلة في الفكر النحوي الذي لا يردّها تقدّم أو تأخر.**

\*\*\*

---

(١) ضوابط الفكر النحوي ١/ ٣٣٠.

ثالثًا: حتمية وقوع المفاضلة بين القراءات من قبل اللغويين مرتبطة بعوامل اختلاف، ولا أقول تضاد، بين طبيعة علم القراءات وطبيعة علم النحو العربي، أوجزه في الفكرتين الآتيتين:

١- النحويون ينصون على أنَّ القرآن الكريم نزل على لغات العرب، قياسها وشاذّها، يقول ابن بابشاذ (٦٩ هـ): «والقرآن العظيم في أعلى رُتب البيان، منه ما يأتي على أقيسة النحويين، وهو الأكثر، ومنه ما يأتي على غير أقيستهم، وكلُّ مسلمٍ مُتَّبِعٌ كالتَّص الذي يرتفع معه حكم القياس، فلا يجوز العدول إلى القياس مع وجوده»<sup>(١)</sup>، وأبو حيان يقول: «القراءات جاءت على لغة العرب قياسها وشاذّها»<sup>(٢)</sup>.

والنحويون، وإن كان عندهم «الشذوذ لا ينافي الفصاحة»<sup>(٣)</sup> في ذاته، إلا أنَّهم يبنون قواعدهم على الكثير المطرد و«الشاذ مقصور على السماع، فلا يقاس عليه»<sup>(٤)</sup>، ومن يؤمن بهذا القياس وصفته - كأبي حيَّان - لا يسوغ أن تتساوى في توجيهاته القرآنية القراءةُ الآتيةُ على المطرد الشائع الذي يُؤمن به صراحة في تراثه النحوي بغيرها من القراءات.

٢- القراءات القرآنية تكونت وفق مبدأ التيسير والاتِّساع، فجاءت أفانين على سبعة أحرف، تتسع أفقيًّا لتلائم مذاهب النطق في جغرافية أكثر امتدادًا،

(١) شرح المقدمة المحسبة ٤٣٤/٢.

(٢) البحر المحيط ٤٧٦/٢٥.

(٣) فيض نشر الانشراح ٤٢٧/١.

(٤) الخصائص ١٩٣/١.

أمّا طبيعة التقعيد النحوي فهي طبيعة استقطاب وانتخاب تلائمان غاية تسهيل الاحتذاء بأعلى مستوى من كلام العرب وفق قواعد مطردة يسهل تمثّلها، «وهذه الخصوصية في النظام النحوي تسمح، بل توجب أن يُخرج الباحث معطيات البحث فيه من التعددية والتنوع إلى الشمول والتّوحد قدر الإمكان، حتى يتسنى له أن يرسم صورة دقيقة لطبيعة العلاقات القائمة في هذا النظام»<sup>(١)</sup>، وبناءً لاختلاف الطبعيتين، فإنّ القراءة الموافقة للكثير الشائع المنتخب للتقعيد -بالضرورة- ستكون هي الفضلى في عمل النحوي، وإن كانت القراءة النائية عن القياس قوية في ذاتها ونقلها وقد تمكنت في القوة بنيلها شرف الانضمام إلى آي الذكر الحكيم.

وبالجملة فإنّ «معيار اللغوي ومنهجه يختلف عن معيار القارئ ومنهجه، وأنّ أي محاولة لفرض منهج القراءة على اللغويين سيعني فرض منهج علم على علم آخر، كما سيظهر اللغوي بمظهر المضطرب أو المتناقض في أقواله وأفعاله»<sup>(٢)</sup>.

رابعاً: إنّ تاريخ القراءات القرآنية منذ الأعمال الجلييلة التي قام به الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم- في الجمع والتدوين والاجتماع على الرسم -يشهد بأن مبدأ (الاحتراز) من دخول غير القرآن فيه مقدّم على جلب أو رصد كل قراءة يمكن أن يثبت صحتها أو تواترها.

(١) منزلة المعنى في نظرية النحو العربي ٢١٠.

(٢) البحث اللغوي عند العرب ٢٥.

وحين استقر أمرُ الأُمَّة على الشروط الثلاثة للقراءة الصحيحة، أصبحت وظيفة (شرط الرسم)، و(شرط العربية ولو بوجه) هي وظيفة احترازية من دخول ما ليس متواتراً في القراءات المتواترة<sup>(١)</sup>، وهذه الوظيفة الرئيسة لم يكن للقياس اللغوي أن يقوم بها لو تنازل اللغويون والنحويون عن أقيستهم بحجة التسليم المطلق لكل قراءة سُمعت أو نُقلت عن جماعة. والنحويون يحفظون للنقل أولوية، إذ القراءة عندهم، ابتداءً، نقلٌ لا قياس<sup>(٢)</sup>، لذا كان معيار تفضيلهم الأهم هو «القراءة التي عليها جماعة الحجة، وما يُروى من غيرها يقع فيه الاضطراب، وكذا أكثر القراءات الخارجة عن الجماعة، وإن وقعت في الأسانيد الصحاح إلا أنها من جهة الأحاد»<sup>(٣)</sup>، غير أن تمسكهم بأقيستهم هو من كمال مهمة العمل النحوي في خدمة القرآن الكريم وقراءته، وأكثر الذين ينتقدون موقف النحويين لم ينتبهوا لحتمية ضياع الوظيفة الاحترازية لو تنازل النحويون عن أقيستهم. ومع تخلف تباين القراءة المتواترة من غيرها عند بدايات علم النحو العربي أصبحت مهمة الاحتراز التي قام بها النحويون أكد ما تكون، وبات النحويون يخلقون بجناحي النقل والقياس، ووجدنا إمامهم سييويه في مواضع عدة «يُسَلِّم بصواب القراءات ... ولكنه يضعها شأنها شأن النصوص الأخرى - في قوائم الملاحظة والتصنيف في مجال استنباط القواعد والأحكام النحويّة، ومن ثم كانت أحكامه من كثرة وقلة وجودة وحسن، دون اعتراض على القراءة من حيث هي

(١) ينظر: النشر في القراءات العشر ١/١٠.

(٢) ينظر: إعراب القراءات السبع ٢/٤٤.

(٣) إعراب القرآن، للنحاس ٥/١٤.

قراءة»<sup>(١)</sup>. ومنذ أن اختط الأئمة هذا المنهج النحوي إلى زمن النضج والتحقيق عند المتأخرين والتفاضل الحتمي (كثرة، قلة، جودة، ضعف) يسكن بنية التفكير النحوي، وبقي النص القرآني بجلاله المعجز، «فإن قلت: هل يفضي ترجيح بعض على بعض إلى أن تكون الراجحة أبلغ من المرجوحة، فيفضي إلى أن المرجوحة أضعف في الإعجاز؟

قلتُ: حدُّ الإعجاز مطابقة الكلام لجميع مقتضى الحال، وهو لا يقبل التفاوت، ويجوز مع ذلك أن يكون بعض الكلام المعجز مشتملاً على لطائف وخصوصيات تتعلق بوجوه الحسن كالجناس والمبالغة، أو تتعلق بزيادة الفصاحة... وأمّا الإيجاز فلا يلزم أن يتحقق في كل آية من آي القرآن؛ لأنَّ التحدي إنما وقع بسورةٍ مثل سور القرآن، وأقصر سورة ثلاث آيات، فكل مقدار ينتظم من ثلاث آيات من القرآن يجب أن يكون مجموعهُ مُعْجَزًا»<sup>(٢)</sup>.

والحق أن المتأمل باسترسال فيما توفر للنص القرآني مما بذله أئمة القراءة «التي لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل»<sup>(٣)</sup>، وما بذله أئمة العربية من صيانة القراءات المستفيضة من أن يتسرب إليها شيء من غيرها من خلال التمسك بأقيستهم التي توجّه القراءات وتقوي سياجها وتجعلها مهيمنة على غيرها بحملها على أشرف المذاهب - المتأمل في ذلك، يدرك حقيقة القول بأنه

(١) مواقف النحاة من القراءات القرآنية ١٥٩.

(٢) التحرير والتنوير ٦٣/١.

(٣) النشر في القراءات العشر ١٠/١.

«لم يتوفر لنص ما توفر للقرآن الكريم من تواتر رواياته وعناية العلماء بضبطها وتحريرها متنًا وسندًا، وتدوينها وضبطها بالمشافهة عن أفواه العلماء الأثبات الأئمة من التابعين، عن الصحابة، عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-، فهو النص العربي الصحيح المتواتر المجمع على تلاوته بالطرق التي وصل إلينا بها في الأداء والحركات والسكنات، ولم تعتن أمة بنص ما اعتنى المسلمون بنص قرآنهم»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

---

(١) في أصول النحو ٢٨.

## الختام:

بعد أن أنهيتُ درّس موضوع المفاضلة من خلال تبيان موقف النحويين من مبدأ (المفاضلة)، والتعرّف إلى موانع المفاضلة بين القراءات القرآنية المتواترة (قراءة توظيفية)، واستقراء لمبدأ (المفاضلة) اللغوية في الفكر النحوي، آنَ لنا أن نوجز ما وصل إليه البحث من نتائج وتوصيات، وهي:

- أن النحاة الذين اشتهر عنهم منع المفاضلة بين القراءات المتواترة وفُهم من نصوصهم النظرية ذلك (ثعلب، النحاس، أبا حيان) -فاضلوا بين القراءات القرآنية في مؤلفاتهم مفاضلة صريحة.
- أن تفسير موقف المنع النظري المشتهر لبعض النحاة مع القيام بالمفاضلة عملياً -أسلمنا بعد البحث والتحري في كتب النحو القرآني إلى حمله على ممانعة خاصة ليست عامة، وأنَّ في ناصية موانع المفاضلة عندهم هو أن تكون القراءتان متكافئتين في قوة الشهرة والقبول والتواتر.
- أنَّ ما نظمئن إليه، وأثبتته بحثنا هذا من جوانب عدة -هو أنَّ المفاضلة بين القراءات القرآنية المتواترة أمرٌ حتمي، ويبعد أن يكون موقف النحوي هو الحياد المطلق أمام قراءات الآية الواحدة، ومردُّ ذلك -بالدرجة الأولى- إلى طبيعة عمل النحوي والبنية التفاضلية المتجذرة في التفكير النحوي، وإذا كنا أثبتنا أن طبيعة اصطفاء هذه القراءات المتواترة هي طبيعة تفاضلية عند

القراء<sup>(١)</sup>، فهي عند النحويين أكد؛ لأن ذلك واقع فيها من جهتين، خارجية (طبيعية القراءات المتواترة)، وداخلية (طبيعة النظام النحوي) ولذلك لم يثبت لنا- فيما قرأت- أن نحوياً أسهم في توجيه القراءات القرآنية أو في إعرابها وبيان معانيها- ولم يُفاضل بين القراءات، بما في ذلك النحويون الذين لهم نصوص نظرية يُفهم منها منعهم أو تحرزهم من المفاضلة.

ولذلك نرى أن تداول هذه الظاهرة في البحث النحوي من منطلق التأييد أو الرفض أو الاكتفاء بذكر الفريقين: مَنْ أَسَدَ إليهم المنع والجواز تداولٌ لا يُقدِّم للبحث النحوي إضافةً تذكر، ما لم تُثبت بالأدلة القاطعة أن نحوياً ما وجَّه القراءات القرآنية المتواترة ولم يفاضل بينها تطبيقاً!

● والنتيجة التي اطمأن إليها بحثنا، هو أنَّ علاقة اللغوي مع القراءات وتوجيهها هي علاقة تفاضلية بامتياز، ولذلك حاول بحثنا دفع التداول إلى المنطقة العميقة، إلى أسس تعامل النحويين مع القراءات، ليكون السؤال: هل يمكن أن يتحقق للنحوي، في إعرابه وتوجيهاته، الحياد المطلق من القراءات المتواترة المتعددة للآية الواحدة؟

● ما يمكن تسجيله من موقف أمام هذه الظاهرة الحتمية هو أنَّ المنع يتوجه إلى المفاضلة المفوضية إلى إسقاط القراءة الأخرى، على حدِّ قول أبي شامة: «وقد أكثر المصنفون في القراءات والتفاسير من الكلام في الترجيح بين

---

(١) ونذكر هنا بما نقل أستاذ علم القراءات ومحقق الأداء فيها ابن الجزري، رحمه الله، عن أبي نصر القشيري قوله: «فإننا لا ندعي أنَّ كل ما في القراءات على أرفع الدرجات من الفصاحة»، ينظر: منجد المقرئين، لابن الجزري ٢٠٣.

هاتين القراءتين حتى إنّ بعضهم يبالغ في ذلك إلى حد يكاد يُسقط وجه القراءة الأخرى، وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين وصحة اتصاف الربّ، سبحانه وتعالى، بهما»<sup>(١)</sup>.

- أوصي الباحثين في قضايا القراءات القرآنية بالاستفادة مما نصّ عليه اللغويون من الموانع التي منعت بعض النحويين في مواضع محدّدة من عقد المفاضلة، مثل: كون القراءتين بمعنى واحد، وكونهما كآيتين كلّ واحدة منهما تؤدّي معنىً، وكونهما متكافئتين في قوة التواتر والشهرة، على نحو ما جرى تفصيله بالمبحث الثاني، فيستفدوا منها في ترشيد ظاهرة المفاضلة باقتصارها على المرجّحات الحقيقية البيّنة، إذ هو المنهج الأسدّ، لا سيما أن هذا الكتاب المُعجز فيه من الأسرار البيانية التي لا تنكشف جملةً واحدةً لكلّ متطلّب لها.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

\*\*\*

---

(١) إبراز المعاني ٧٠.

## المصادر والمراجع:

- الإبانة عن معاني القراءات، لمكي بن أبي طالب، تحقيق: د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي، المكتبة الفيصلية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- إبراز المعاني من حرز الأمان في القراءات السبع، للإمام الشاطبي أبو شامة الدمشقي، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.
- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، لأحمد بن محمد البناء، تحقيق: شعبان محمد اسماعيل، عالم الكتب (بيروت)، مكتبة الكليات الأزهرية.
- أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي، د. عفيف دمشقية، معهد الإنماء العربي، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م.
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، للأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- الاختيار في القراءات-منشؤه ومشروعيته، د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي، مركز بحوث الدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.
- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، لابن عبد البر، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار قتيبة، بيروت-دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي العربي، د. فؤاد بوعلي، عالم الكتب الحديث، إريد، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ=٢٠١١م.
- الأشباه والنظائر في النحو، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: د. عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ=١٩٨٥م.
- أصول النحو العربي، د. محمد خير الحلواني، أفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الثانية، ٢٠١١م.
- أصول النحو العربي، د. محمود أحمد نحلة، دار العلوم العربية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.
- الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

- إعجاز القرآن، لأبي بكر الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣هـ.
- إعراب القراءات السبع، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، حققه وقدم له: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ=١٩٩٢م.
- إعراب القراءات الشواذ، لأبي البقاء العكبري، دراسة وتحقيق: محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ=١٩٨٦م.
- إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد النحاس، تحقيق: زهير زاهد، عالم الكتب، بيروت، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ=١٩٨٨م.
- الاقتراح في أصول النحو وجدله، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دراسة وتحقيق: د. محمود فجال، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.
- الإيضاح في شرح المفصل، لأبي عمر عثمان بن أبي بكر المعروف بابن الحاجب، تحقيق: أ.د. إبراهيم محمد عبد الله، دار سعد الدين، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ=٢٠٠٥م.
- البحث اللغوي عند العرب، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٩٧م.
- البحر المحيط، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ١٤٣٦هـ=٢٠١٥م.
- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ=١٩٧٢م.
- بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، لأبي الثناء محمود بن عبد الرحمن الأصفهاني، تحقيق: د. محمد مظهر بقا، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
- تأويل مشكلة القرآن، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، شرحه: أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، ١٩٩٧م.

- التذيل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، لأبي حيان الأندلسي، حققه: حسن هندراوي، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.
- التفاوت البلاغي بين آي القرآن، للدكتور عبد المحسن العسكر، ضمن أعمال ندوة (مناهج البحث في بلاغة القرآن الكريم)، كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٨هـ=٢٠١٦م.
- التفكير اللساني في الحضارة العربية، د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ١٩٨٦م.
- التوطئة، لأبي علي الشلويني، دراسة وتحقيق: يوسف أحمد المطوع، مطابع سجل العرب، ١٤٠١هـ=١٩٨١م.
- جامع البيان في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، تحقيق: محمد صدوق الجزائري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.
- جامع البيان في تفسير القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، محمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٢م.
- حجة القراءات، لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.
- الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، تحقيق وشرح: د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ=١٩٩٠م.
- الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي، تحقيق: بدر الدين فهوجي، بشير جويجاتي، دار المأمون للتراث، دمشق-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.
- حديث الأحرف السبعة، د. عبد العزيز بن عبد الفتاح قارئ، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.
- الحيوان، لأبي عثمان الجاحظ، تحقيق: د. عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤١٦هـ=١٩٩٦م.
- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد النجار، دار الكتاب العربي، بيروت.

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
- الدلالة والتفعيد النحوي، دراسة في فكر سيبويه، د. محمد سالم صالح، دار غريب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
- رسم المصحف—دراسة لغوية، د. غانم قدوري الحمد، اللجنة الوطنية ببغداد، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.
- السبعة في القراءات، لابن مجاهد، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثالثة.
- سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي، تحقيق: علي فوده، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
- سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
- سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا—بيروت.
- سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وغيره، مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ=١٩٧٨م.
- السنن الكبرى، لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، إشراف: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ=٢٠٠١م.
- شرح التسهيل، لابن مالك الأندلسي، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.
- شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، لرضي الدين الاستراباذي، تحقيق: د. حسن بن محمد الحفظي، د. يحيى بشير مصري، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.
- شرح الكافية الشافية، لجمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك، حققه وقدم له: د. عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.

- شرح الكوكب المنير، لمحمد بن أحمد الفتوحى الحنبلى المعروف بابن النجار، تحقيق: د. محمد الزحيلي ود. نزيه حماد، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.
- شرح المفصل، موفق الدين بن يعيش النحوي، تحقيق: د. عبد اللطيف بن محمد الخطيب، دار العروبة، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ=٢٠١٤م.
- شرح المقدمة المحسبة، طاهر بن أحمد بن بابشاذ، تحقيق: د. خالد عبد الكريم، المطبعة العصرية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٧٧م.
- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ=١٩٩١م.
- ضوابط الفكر النحوي، د. محمد عبد الفتاح الخطيب، دار البصائر، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية.
- فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة ابن تيمية للطباعة.
- فتح البارى بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، إشراف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ومحمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.
- الفصيح، لأبي العباس ثعلب، تحقيق ودراسة: د. عاطف مذكور، دار المعارف، القاهرة.
- في أدلة النحو، د. عفاف حسنين، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- في أصول النحو العربي، د. السعيد شنوكة، المكتبة الأزهرية للتراث، الجزيرة للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
- في أصول النحو، سعيد الأفغاني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.
- فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، محمد بن الطيب الفاسي، تحقيق وشرح: أ.د. محمود يوسف فجال، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث الإمارات العربية المتحدة، دبي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ=٢٠٠١م.
- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، د. عبد الصبور شاهين، القاهرة، ١٩٦٦م.
- القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، محمد بن عمر بازمول، دار الهجرة، الثقبه (السعودية)، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.

- قواعد الترجيح عند المفسرين، د. حسين بن علي الحربي، دار القاسم، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.
- قواعد نقد القراءات القرآنية—دراسة نظرية تطبيقية، د. عبد الباقي بن عبد الرحمن سيسي، دار كنوز إشبيلية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م.
- الكامل، لأبي العباس المبرد، تحقيق: د. محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.
- كتاب سيبويه، تحقيق: د. عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ=١٩٩١م.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.
- الكلّيات، أبو البقاء الكفوي، إشراف: د. عدنان درويش، محمد المصري، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ=١٩٩٢م.
- اللسانيات وأسسها المعرفية، د. عبد السلام المسدي، الدار التونسية للنشر، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦م.
- لطائف الإشارات، لشهاب الدين القسطلاني، تحقيق: عامر السيد وصاحبه، لجنة إحياء التراث، ١٣٩٢هـ.
- اللغة العربية بين المعيارية والوصفية، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٢١هـ=٢٠٠١م.
- لمع الأدلة في أصول النحو، لأبي البركات الأنباري، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الفكر.
- اللهجات العربية في القراءات القرآنية، د. عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨م.
- مباحث تأسيسية في اللسانيات، د. عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس—ليبيا، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.

- مجالس ثعلب، أحمد بن يحيى، شرح وتحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.
- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح إسماعيل شلي، لجنة إحياء كتب السنة بوزارة الأوقاف، مصر، ١٤١٥هـ=١٩٩٤م.
- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، لابن خالويه، عني بنشره: ج. برجستراسر، المطبعة الرحمانية بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٣هـ=١٩٣٤م، سلسلة النشرات الإسلامية-٧.
- المدخل إلى علم القراءات، د. عبد القيوم بن عبد الغفور السندي، معهد الإمام الشاطبي، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ=٢٠١٨م.
- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، شهاب الدين أبو شامة، تحقيق: طيار آلي قولاج، دار صادر، بيروت، ١٣٩٥هـ.
- مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ=٢٠٠١م.
- مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- معاني الأحرف السبعة، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي، تحقيق: د. حسن ضياء الدين عتر، دار النوادر، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.
- معاني القرآن للكسائي، جمع وتعليق: د. عيسى شحاته عيسى، دار قباء، القاهرة.
- معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، شرح وتحقيق: عبد الجليل عبده شلي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.
- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، دار السرور، بيروت.

- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د. بشار عواد وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
- المغني في الفقه، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ود. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ=١٩٩٢م.
- مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، د. مساعد بن سليمان الطيار، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ=٢٠١٥م.
- مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق وضبط: د. عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.
- المقتضب، لأبي العباس المبرد، تحقيق: د. محمد عبد الخالق عضيمة، دار الكتاب اللبناني، ١٣٩٩هـ.
- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تحقيق: عبد السلام الشداوي، بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، ٢٠٠٥م.
- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لمحمد بن محمد بن الجزري، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- منزلة المعنى في نظرية النحو العربي، د. لطيفة إبراهيم النجار، دار العالم العربي، دبي، ٢٠٠٣م.
- منهج سيوييه في الاحتجاج بالقراءات ولها، د. إدريس مقبول، عالم الكتب الحديث، إربد، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ=٢٠١٠م.
- مواقف النحاة من القراءات القرآنية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، د. شعبان صلاح، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- موطأ مالك، تصحيح وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.
- النحو العربي والدرس الحديث-بحث في المنهج، د. عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
- النشر في القراءات العشر، لأبي الخير محمد بن محمد الشهير بابن الجزري، بإشراف: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.


- الواضح في أصول الفقه، لأبي الوفاء ابن عقيل، تحقيق: د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، لأبي عمر محمد بن عبد الواحد البغدادي الزاهد المعروف بـ غلام ثعلب، تحقيق: د. محمد بن يعقوب التركستاني، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

\*\*\*



تحقيق ابن هشام الأنصاري نصّ ألفية ابن مالك  
عرض ودراسة

د. جابر بن عبدالله بن سريع السريع  
قسم العلوم الإدارية والإنسانية – كلية المجتمع ببريدة  
جامعة القصيم





## تحقيق ابن هشام الأنصاري نصّ ألفية ابن مالك "عرض ودراسة"

د. جابر بن عبدالله بن سريّع السريّع


قسم العلوم الإدارية والإنسانية – كلية المجتمع ببريدة  
جامعة القصيم

تاريخ تقديم البحث: ١٤٤٢ / ٦ / ٦ هـ تاريخ قبول البحث: ١٤٤٢ / ٨ / ٣٠ هـ

### ملخص الدراسة:

كان لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) -أحد أبرز علماء اللغة في القرن الثامن- جهودٌ متنوعة في تحقيق نصّ الألفية لابن مالك (ت ٦٧٢هـ)، مثل: تحرير نصّها إن كان فيه إشكال، والنظر في اختلاف نُسخها؛ للوصول إلى العبارة الصحيحة، وضبط ما يُشكل من ألفاظها على مقتضى مراد مؤلّفها، وهذه الجهود المتنوعة ينتظمها علم تحقيق النصوص الحديث في عناصر عدة، مثل: جمع النسخ، وقراءة النص، وضبطه، والتعليق على مشكله. وقد أبرز البحث هذه الجهود المتنوعة في ثلاثة مباحث وخاتمة: الأول: كتابة النص. فيه التعريف بنسخة الألفية التي كتبها ابن هشام بخطه، وبيان أصلها، وأبرز محاسنها، وذكر بعض المآخذ عليها. الثاني: معارضة النص. فيه معارضة ابن هشام نصّ الألفية بنسخة أو أكثر، وبيان مسالكة في الترجيح بين النسخ، وأسباب ترجيحاته بينها. الثالث: ضبط النص. فيه أشكال ضبط النصّ عند ابن هشام، والأمور العلمية التي استند عليها في ضبطه، ومسالكه في ضبط ما تعدّدت أوجهه. الخاتمة. فيها أهم النتائج التي وصل إليها البحث.

الكلمات المفتاحية: ابن هشام الأنصاري - ألفية ابن مالك - تحقيق النصوص



## **Ibn Hisham Al-Ansari's Verification of the Text of Al-Alfiyah by Ibn Malik "Presentation and Study"**

**Dr. Jābir bin Abdillāh bin Surayyi‘ As-Surayyi‘**

Department of Administrative and Human Sciences - Community College in Buraidah

QassimUniversity

### **Abstract:**

The research highlighted these various efforts in three chapters and a conclusion: First: Writing the text. It includes the introduction to the copy of the Alfiyyah that Ibn Hisham wrote with his handwriting, explains its origin, highlights its merits, and mentions some observations on it. Second: Comparing the text. It includes Ibn Hisham comparison of the text of the Alfiyyah with one or more copies, his methods of weighting between copies, and the reasons for his preponderance between them. Third: Adjusting the text. It contains the forms of vowelizing the text according to Ibn Hisham, the scientific matters on which he relied in vowelizing it, and his paths in vowelizing what has many aspects. The conclusion contains the most important findings of the research.

**key words:** Ibn Hisham Al-Ansari - Alfiyyah Ibn Malik - Textual verification



## المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على أكرم خلقه محمد بن عبدالله، وعلى آله وأصحابه والتابعين بإحسان، وبعد:

عُرف ابنُ هشام الأنصاري (٧٠٨-٧٦١هـ) نحوياً بارعاً، وأسهب العلماء قديماً وحديثاً في إبراز معارفه ودراستها، وقد بدا لي في جملة جهوده العلمية المتكاثرة أشياء لم أر من عرّج عليها من قبل، وأراها حريّة بالدرس والبحث، وهي جهوده المتصلة بتحقيق نصوص الكتب المتداولة بين العلماء، خاصةً المتون والمقدمات والمختصرات الجامعة لأطراف العلم، التي يقرؤها الطلاب على أشيائهم، ثم يُقرئونها طلبتهم من بعد، فتطول صحبتهم إياها، وتحتاج عبارتها إلى تحقيق وتمحيص؛ لتحريّر نصّها إن كان فيه إشكال، والنظر في اختلاف نُسخها؛ للوصول إلى العبارة الصحيحة، وضبط ما يُشكل من ألفاظها على مقتضى مراد مؤلّفها، وهذه الجهود المتنوعة ينتظمها علم تحقيق النصوص الحديث في عناصر عدة، مثل: جمع النسخ، وقراءة النص، وضبطه، والتعليق على مشكله<sup>(١)</sup>.

وهذا الباب لم يختصّ به ابن هشام وحده، بل شاركه فيه علماءنا المتقدمون، وقد أسهم فيه ابن هشام إسهاماً ملحوظاً، تجلّى في حواشيه وتعليقاته على كتابي ابن مالك (ت ٦٧٢ هـ): الألفية والتسهيل؛ وذلك لمزيد عنايته بهما، وكونهما الكتابين المتداولين بين الأشياخ والطلبة في زمانه، ومن

---

(١) ينظر: تحقيق النصوص ونشرها، لعبد السلام هارون ص ٣٩، ٥٣، ٧٩، ٨١.

المعلوم أن ابن هشام لم يكتب حول شيء من الكتب أكثر مما كتبه حول الألفية ثم التسهيل، فله على الألفية شرحان: مختصر مشهور، هو أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ومطوّل مفقود، هو رفع الخصاصة عن قراء الخلاصة، وله عليها عدة حواشٍ، وُجد منها اليوم أربع، هي: نسخة مكتبة رئيس الكتاب بالرقم ١٠٣٩، ونسخة مكتبة يوسف آغا بالرقم ١٠٣٩٢، ونسخة مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق بالرقم ١٠٤١، والثلاث بخطه، الأولى متناً وحواشي، والأخريان حواشي فقط، ونسخة المكتبة التيمورية بالرقم ١٨٧ نحو، وهي منقولة من خطه. وطريقته في كل واحدة منها هي كتابة تعليقات وفوائد في هوامش نسخة من متن الألفية، فيذكر في كل حاشية منها ما لا يذكره في الأخرى، وله حواش كذلك على شرح الألفية لابن الناظم (ت ٦٨٦ هـ)، وله شرحٌ لشواهد، هو تخلص الشواهد وتلخيص الفوائد، إلا أنه لم يكمل. وعُني أيضاً بالتسهيل، فشرحه شرحاً مطوّلاً، هو التحصيل والتفصيل لكتاب التذيل والتكميل، وُجد منه شرح خطبة الكتاب، وكتب عليه عدة حواشٍ، وُجد منها اليوم اثنتان، هما: نسخة مكتبة مراد ملا بالرقمين ١٦٥٨ و ١٦٥٩، وهي بخطه، ونسخة مكتبة بالكسير بالرقم ٦٦٨، وهي منقولة من خطه وخط أحد تلاميذه، وغير تامة. وطريقته فيها كطريقته في حواشي الألفية<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر: آثار ابن هشام الأنصاري تصنيف واستدراك وتحقيق نسبة، لجابر السريّع ص ٤٤، ٤٧.

وتناقل العلماء من بعده أشياء كثيرة من أعماله حول الألفية والتسهيل، لم يُوقَف اليوم على أصولها، وكان أكثرهم احتفاءً بها: ابن قَديد الحنفي (ت ٨٥٦هـ)، وخالد الأزهري (ت ٩٠٥هـ)، والسيوطي (ت ٩١١هـ)، وياسين العليمي (ت ١٠٦١هـ)، فإنهم وقفوا على أكثرها بخطه<sup>(١)</sup>.

وفي هذه الأعمال العلمية تنوّعت جهود ابن هشام في دراسة الألفية والتسهيل، فراه فيها محققاً النصّ، ومفسّراً ألفاظ المتن تفسيراً لغوياً يوضح المراد، وشارحاً المسائل المتصلة بالباب بتفصيلٍ أو إجمالٍ، ومستشهداً لها بشواهد مسموعة، أو ممثلاً لها بأمثلة توضّحها، ومعتزّضاً العبارة أو مستدرّكاً عليها، أو منتصرّاً لها.

وقد اجتمع لديّ جملةٌ صالحة للدرس من تحقيق ابن هشام نصّ ألفية ابن مالك، أفدت فيه من نسخة الألفية التي كتبها ابن هشام بخطه، ومن حواشيه عليها وعلى غيرها، ومن كتابه أوضح المسالك، ومما نقله عنه العلماء اللاحقون، فرأيت أن أعرض له بتفصيلٍ يجلّي أطرافه، ويوضّح معالمه، وكان مما دعاني إلى دراسته:

١- إبراز جهود علمائنا الأوائل في تحقيق النصوص، وابن هشام مثالٌ صادق على ذلك.

٢- بيان أثر الاعتماد على خطوط العلماء في ضبط النصوص، وتحرير محلّ الخلاف فيها.

---

(١) ينظر: السابق ص ٤٩.

٣- إظهار طريقة ابن هشام في تحقيق النصوص، والمعارف التي استعملها لذلك.

ولم أرَ من تعرَّض لتحقيق ابن هشام نصِّ الألفية غير الدكتور سليمان بن عبدالعزيز العيوني، فإنه -وفقه الله وبارك في علمه- نَهَدَ إلى تحقيق متن الألفية، وانتخب لها أعلى النُسخ التي وقف عليها قيمةً، وأرفعها قدرًا، فاعتمد نسخة الألفية التي كتبها ابنُ هشام، فجعلها أوَّلَ نسخ تحقيقها، ورمز لها بالحرف (أ)<sup>(١)</sup>، وهو بسبقٍ حائِزٌ تفضيلاً، وقد انتفعت بعمله كثيراً، واستفدت من دراسته وحواشيه، لكي أرى بين عمليَّنا فروقاً من جهات:

١- كان غرضه تحقيقَ متن الألفية على نُسخها العالية، فاستفاد من نسخة ابن هشام ضمن نسخ التحقيق، ولم يكن معنيّاً بجهود ابن هشام خاصةً، كما هي غاية دراستي هذه.

٢- اقتصرَ فيما يتصل بجهود ابن هشام حول نصِّ الألفية على الإشارة إليها دون دراستها دراسةً مفصَّلةً، وقد فصلتُ في دراستي هذه آراءَ ابن هشام ما استطعت، وذكرت عللها، وأشرت إلى تعدد رأيه أحياناً في المسألة الواحدة.

٣- جاء وصفه نسخة ابن هشام مختصراً في بضعة أسطر ضمن وصف نُسخ التحقيق، ولم يفصِّل القول في ذكر أصلها، ومراحل كتابتها، وطريقة ابن

(١) ينظر: مقدمة تحقيق الألفية ص ٤٥، ٤٦.

هشام فيها، ومحاسنها، والمآخذ عليها، وما فيها لغير ابن هشام، ورجَّح أن بعض العلماء نقل منها، وهو ما خالفته فيه؛ لأدلةٍ ذكرتها.

٤- نَقَلَ من حواشي نسخة ابن هشام ومن غيرها ما يتصل بتحقيقه نصَّ الألفية في عشرين موضعًا، ثلاثة منها تتعلق بالضبط، وباقية إشارات إلى نسخ أخرى، وزدْتُ على ما ذكره من حواشي نسخة ابن هشام وحدها اثنين وعشرين موضعًا، ومن غيرها خمسة عشر موضعًا، متنوِّعةً بين معارضة النص وضبطه.

٥- ذكر في حواشيه فرق ما بين نسخة ابن هشام والنسخ العالية الأخرى، حتى أوهام ابن هشام، واستدركت عليه ثلاثة وخمسين موضعًا فاتته التنبيه عليها.

وقد سرت في بحثي على المنهج الاستقرائي الوصفي، ورأيت أن يكون في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: كتابة النص. وفيه ثلاثة مطالب:

الأول: التعريف بنسخة الألفية التي كتبها ابن هشام بخطه، وبيان أصلها.

الثاني: الفرق بينها وبين نسخ الألفية العالية الأخرى.

الثالث: قيمتها العلمية.

المبحث الثاني: معارضة النص. وفيه ثلاثة مطالب:

الأول: معارضة ابن هشام نصَّ الألفية بنسخة أو أكثر.

الثاني: مسالكة في الترجيح بين النسخ.

الثالث: أسباب ترجيحاته بين النسخ.

المبحث الثالث: ضبط النص. وفيه ثلاثة مطالب:

الأول: أشكال ضبط النص عند ابن هشام.

الثاني: الأمور العلمية التي استند إليها في ضبطه.

الثالث: مسالكه في ضبط ما تعددت أوجهه.

ثم ختمت بذكر أهم ما وصلت إليه في بحثي، وأسأل الله التوفيق والإعانة  
والسداد، إنه سميع عليم.

\*\*\*

## المبحث الأول: كتابة النص.

أُخِذَت الألفية عن ابن مالك روايةً وسماعًا وإجازةً، وحملها عنه تلاميذه، وأدّوها إلى من بعدهم، وكان له في أثناء ذلك اجتهادات جديدة في صياغة العبارات، تَوَحَّيًّا للأقرب والأدقِّ<sup>(١)</sup>، فكان للألفية عدة روايات، فكلُّ آخذٍ لها يُثَبِّت رأيَ ناظمها حالَ الأخذ عنه، أو ينسخُها من نسخةٍ قد كتبها صاحبها على ما أقرَّه ناظمُها أخيرًا.

وعلى أن تُسخ الألفية اليوم قد كثرت وتعددت فإن النسخ العالية منها - وهي النسخ التي تقدّم زمانُ نسخها، أو كُتِبَتْ بخط عالمٍ نحويٍّ، أو عليها إجازة من عالمٍ نحويٍّ أو خطُّه، أو نُقِلَتْ من نسخة عالية - قليلة، ولم يُعرف منها اليوم إلا بضع نسخ، أما النسخ التامةُ العلوّ - وهي التي بخط ابن مالك، أو بخط أحد تلاميذه وعليها إجازته، أو مقروءةٌ عليه ومصحَّحة، أو معارضةٌ بنسخته - فلم يُعرف اليوم منها شيء<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) ينظر: سيرة ألفية ابن مالك تأليفًا وإبرازًا وتحقيقًا، لسليمان العيوني ص ١٩٨، ١٩٩، ومقدمة

تحقيق الألفية ص ٣٩، ٤٠.

(٢) ينظر: مقدمة تحقيق الألفية ص ٦، ٧، ٤٥.

## المطلب الأول: التعريف بنسخة الألفية التي كتبها ابن هشام بخطه، وبيان أصلها.

مما بقي لنا اليوم من نسخ الألفية العالية نسخة كتبها ابن هشام لنفسه في أول حياته العلمية، أتمها وعمره أربعة وعشرون عامًا، إذ جاء في آخرها: «نَحْزَرُ الْخُلَاصَةَ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَوْنِهِ عَلَى يَدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ هِشَامٍ عَفَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ»<sup>(١)</sup>، وهي محفوظة في مجموعة رئيس الكتاب ضمن المكتبة السلিমانيّة في إستانبول بتركيا بالرقم ١٠٣٩.

وتقع في اثنتين وأربعين ورقة مخطوطة، وثلاثة عشر سطرًا في المتوسط لكل وجه من وجهي الورقة، بخط نسخي، و متن الألفية مكتوب بالخير الأسود، وعناوين أبواب الألفية مكتوبة بخط أكبر قليلًا، بعضها بالخير الأحمر، وبعضها بالخير الأسود.

وتبيّن لي من دراستها أن ابن هشام بدأ أولاً بكتابة متن الألفية ثم كتابة عناوين أبوابها، بنقطة متوسط، وضبط قليل، ثم أخذ يتعاهدها بعد ذلك شيئًا فشيئًا بالنقطة والضبط والتعليق.

وجاء ضبطه للألفية متفاوتًا بين الضبط المتوسط والضبط المختار لبعض الألفاظ، وفي مواضع قليلة يكاد الضبط يكون تامًا، وجاء بعضه بالخير الأحمر، وهو الغالب على ضبط أول الألفية إلى آخر باب إعمال اسم

(١) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٤٢/ب.

الفاعل، مع ترك أبواب "كان" وأخواتها، و"إنَّ" وأخواتها، وما بينهما، وأبواب الاستثناء، والحال، والإضافة دون ضبط، ولم أدرك سبب ذلك، وبعضه بالحرر الأسود أو الأسود الباهت، وهو الغالب على ما بقي من أبواب، وهو أقل من سابقه.

وكتب ابن هشام تعليقاته على أبيات الألفية في حواشي المتن، يمين الورقة ويسارها، وأعلىها وأسفلها، وبين الأبيات، وفي قصاصات أوراقٍ ملحقة بين الأوراق الأصلية، وعلى ورقة العنوان، وفي ورقتين مستقلتين في آخر النسخة، بالحرر الأسود والأسود الباهت غالبًا، وبالحرر الأحمر أحيانًا.

وجاءت تعليقاته في مُدَد متفاوتة، بدليل تباين خطوطها بين المتأني والمستعجل، وعدم انتظام كتابتها في اتجاه واحد من الورقة، واضطراره إلى تفريق بعضها في موضعين؛ لضيق المكان وامتلأه.

ودليل تأخر تعليقاته عن كتابة الأبيات ثم عن عناوين الأبواب أنه المنقاد لطبيعة الكتب، إذ يُكتب المتن قبل التعليق عليه، وأن ابن هشام تحاشى في تعليقاته الكتابة على جميع الأبيات وعناوين الأبواب؛ لأنها مكتوبة من قبل، إلا أني رأيته كَتَبَ عنوايَ بابي "الاشتغال" و"التمييز" بعد كتابته تعليقات مكانهما، فاضطر لشرط الكلمة الواحدة منهما شطرين<sup>(١)</sup>، فرمما كانا مما علّق في مكانهما قبل كتابتهما.

(١) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ١١/ب، ١٦/أ.

وأرجّح أن ما كتبه في النسخة بالحرير الأحمر ضبطاً وتعليقاً -سوى عناوين الأبواب؛ فإن حرمتها مختلفة- متأخراً عن غيره؛ لأمر:

الأول: أن التعليقات المكتوبة به جاءت أقلّ، وفي أماكن ضيقة ومحصورة، وذلك بعد امتلاء الورقة بالتعليقات الأخرى المكتوبة بغيره.

الثاني: أن ابن هشام صحّح به تعليقاتٍ مكتوبةً بغيره، إما بالضرب على العبارة، أو تصحيح الخطأ، أو إلحاق الساقط، أو تكميم الناقص، وأعاد به الكتابة على جزء من عناوين أبواب الألفية، وعلى بعض كلمات التعليقات؛ إظهاراً لكونها أولَ التعليق، أو كونها فاصلةً في سياقها، من مثل الكلمات: "قوله" و"قال"، و"أحدها" و"الثاني"...

الثالث: أن ابن هشام كتب به في بعض الأماكن فوق كلماتٍ مكتوبةٍ بغيره، وفرّق في أماكن أخرى الكلمة المكتوبة به شطرين؛ تفادياً للمكتوب بغيره.

وإن صحّ ذلك ترجّح أمران:

الأول: أن ابن هشام قد أعاد قراءة نسخته، وأعمل فيها قلم التصحيح.  
الثاني: أن ضبط الأبيات بالحرير الأحمر الذي سار عليه ابن هشام في أول الألفية ثم تركه كان متأخراً، ويدل على تأخره أيضاً: أنه كتب فتحة فاء "نُقَدْ" في آخر البيت ٣٦٢ بالحمرة فوق مدّة جيم كلمة "جرير" من التعليق الذي في يسار الورقة<sup>(١)</sup>.

(١) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ١٦/أ.

ولم أقف في هذه النسخة على أثرٍ لغير ابن هشام إلا في موضعين كُتبا في الحاشية بغير خطه، أحدهما: استدراك البيت ٦٩٤ الذي أسقطه ابن هشام، والآخر: إشارة إلى نسخة أخرى في البيت ٧٩١<sup>(١)</sup>.

ولم أقف على ما يقطع بأن أحداً من شراح الألفية أو المعتنين بها اطلع على هذه النسخة أو أفاد منها، لا في ضبط نصّ الألفية، ولا في النقل من التعليقات المنثورة على حواشيتها.

أما الضبط الذي نسبته ياسين العُلَيمي<sup>(٢)</sup> إلى خط ابن هشام في كلمتي "اتّمن" في البيت ٩٤٩، و"أصل" في البيت ٩٦٨ فليس مراده هذه النسخة، بدليل أن ابن هشام لم يضبط كلمة "اتّمن" في نسخته هذه أصلاً، وضبط فيها كلمة "أصل" مصحّحاً عليها بخلاف ما نسبته إليه ياسين<sup>(٣)</sup>، وقد وافق ياسين على الموضع الأول الصّبّان (ت ١٢٠٦هـ)<sup>(٤)</sup>، وعلى الثاني ابن سعيد التونسي (ت ١١٩٩هـ)<sup>(٥)</sup>، وابن حمدون (ت ١٣١٦هـ)<sup>(٦)</sup>، والظاهر اعتمادهم عليه، بل صرّح الصّبّان أنه لم يقف على ذلك، فقال: «كما نُقِلَ عن خط ابن هشام».

(١) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٣٠/أ، ٣٤/أ.

(٢) حاشية الألفية ٥٠٣/ب، ٥٠٤/أ، و ٥١٠/ب، ٥١١/أ.

(٣) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٤٠/ب، ٤١/أ.

(٤) حاشية شرح الأشموني ٤١٦/٤.

(٥) زواهر الكواكب ٣٠١/٢.

(٦) الفتح الودودي ٢٧٧/أ.

والأقرب أن إشارة ياسين الآنفة هي لإحدى نسختين من حواشي ابن هشام بهامش الألفية وقف عليهما بخطه<sup>(١)</sup>، وأن المتن فيهما أو في إحداها إما بخط ابن هشام، فيكون قد كتب نسخة أخرى من الألفية وحشّأها بالتعليقات، وإما بغير خطه، والذي بخطه فيها هو الحواشي فقط، فيكون قد عمّد إلى نسخة من الألفية مكتوبة من قبل، فحشّأها بالتعليقات، وضبطَ بخطه في متنها كلماتٍ اقتضى المقام ضبطها، والله أعلم.

وأما ما جاء في حاشية إحدى نُسخ شرح الألفية لابن الناظم<sup>(٢)</sup> بغير خط الناسخ عند البيت ٥١٤ من أن ابن هشام ضبط كلمة "نعت" فيه بالرفع فقد جاء ذلك موافقاً لضبط ابن هشام في نسخته هذه<sup>(٣)</sup>، ولم أفف على ضبطٍ له في غيرها، فمن المحتمل أن يراد به هذه النسخة، وأن يراد به ما يحتمله كلام ياسين الآنف.

ومن المعروف أن الألفية قد حُظيت منذ تأليفها بنسخ كثيرة، ومع ذلك لم يفصح ابن هشام عن النسخة التي نقل منها نسخته هذه، لكنه أشار في موضعين منها<sup>(٤)</sup> إلى نسخة بهاء الدين بن النحاس (ت ٦٨٩ هـ) أحد

(١) حاشية الألفية ٢/١.

(٢) الورقة ١٢٢/أ من نسخة جامعة الإمام بالرقم ٤٥٤٥، كما في تحقيق الألفية ص ١٣٢، ١٣٣.

(٣) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٢٢/ب.

(٤) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٣٢/أ، ٣٨/أ.

تلاميذ ابن مالك، ونقل عنه ياسين العلّيمي من حاشية أخرى أنه أفاد في موضع آخر من نسخة ابن النحاس<sup>(١)</sup>.  
والظاهر أن ابن هشام لم ينقل نسخته كلّها من نسخة ابن النحاس، ولم يقابلها كلّها بها، وإنما عارض بها نسخته في مواضع معينة اقتضتها الحاجة، بدليل أنه صرّح في نسخته في ثاني الموضوعين المشار إليهما بأن ما في نسخة ابن النحاس في هذا الموضوع خطأ، وهو قد كتبه في نسخته على الصواب، فلو كان نقل نسخته من نسخة ابن النحاس لتبعه على خطئه، ولظهر أثر التصحيح في نسخته بعد أن تبين له الخطأ في نسخة ابن النحاس، والأمر على خلاف ذلك، ولو كان قابل نسخته كلّها بنسخة ابن النحاس لما بقيت الأوهام التي ستأتي الإشارة إليها في نسخته.

\*\*\*

---

(١) حاشية الألفية ٥١٠/ب، ٥١١/أ.

## المطلب الثاني: الفرق بينها وبين نسخ الألفية العالية الأخرى.

بموازنة نسخة ابن هشام بنسخ الألفية العالية الأخرى التي اعتمدها محققها<sup>(١)</sup> نجد أنها قد اتفقت معها في أمور عامة، أهمها:

١- ليس منها نسخة تامة العُلُو، فليس منها نسخة بخط ابن مالك، أو بخط أحد تلاميذه وعليها إجازته، أو مقروءة عليه ومصححة، أو معارضة بنسخته.

٢- التوافق في ترتيب الألفية، فإن النسخ متفقة على ترتيب واحد للأبواب والفصول، أما تسمية الباب الواحد فقد يقع فيها خلاف بين نسخة ابن هشام والنسخ الأخرى.

٣- عدم ذكر الرواية التي اعتمد عليها في إثبات نص الألفية، فلم يذكر واحد من نُسّاخها إسناده إلى ابن مالك بالألفية، ولا سُمّي الأصل الذي اعتمد عليه في كتابة نصها.

أما كون بعض النسخ تحمل إجازة من عالم نحوي يسندها إلى ابن مالك فإن ذلك كان -فيما وقفت عليه- بعد كتابة النص في النسخة المجاز بها، فالإجازة متوجهة إلى النص الموجود قبلها، وهذا لا يعني أن ما في النسخة مطابق تمامًا لرواية المجيز، فقد يوجد في روايته ما يخالف المثبت في النسخة، وهم يتسامحون في مثل هذا. ومن ذلك: أن نسخة الألفية المحفوظة في مكتبة عارف حكمت بالرقم ٤١٥/٨٠ عليها إجازة من أبي حيان الأندلسي (ت

(١) ينظر: مقدمة تحقيق الألفية ص ٤٥-٥٠.

٧٤٥هـ)، مع أن نسخته من الألفية التي ضمّنها شرحه "منهج السالك" تخالفها في مواضع كثيرة<sup>(١)</sup>.

٤- الإشارة إلى نسخ أخرى للألفية في مواضع، وإجازة أكثر من وجه في الضبط في مواضع.

وما جاءت فيه نسخة ابن هشام موافقةً للنسخ الأخرى في نصّ الألفية متناً وتبويماً أكثر مما خالفها فيه، ويتضح ذلك بالنظر في هوامش تحقيق الألفية، ويندر أن تخالفها كلّها، والأكثر أن تخالف بعضاً وتوافق بعضاً، ويرجع أكثر هذه المخالفات إلى النسخة التي نقل منها ابن هشام نسخته، فيكون نصّها في هذه المواضع مبيّناً للنسخ الأخرى، ويرجع بعضها إلى ابن هشام نفسه.

ولمخالفة نسخة ابن هشام النسخ الأخرى في نصّ الألفية وفي ضبطها صور، هي:

١- الزيادة. ومن ذلك: باب «الإخبار بالذي والألف واللام» كذا في النسخ، وفي نسخة ابن هشام: «وبالألف»<sup>(٢)</sup>. والبيت ٦٥:  
كذاك "خلّتيه"، واتصالاً اختار، غيري اختار الانفصالاً

---

(١) تقارن على الترتيب أبيات الألفية ٢٧، ١٢٢، ٧٠، ١٣٠، ١٨٣-١٨٦، ٣٣٣، ٣٣٩، ٣٩١، ٤١١، ٤٣٣، ٤٤٢، ٥٠٣ بمنهج السالك ص ٧، ٢٠، ٤١، ٤٧، ٦٨-٨٠، ١٨٠، ٢٧٢، ٢٩٧، ٣٣٢، ٣٤٢، ٤١٤.

(٢) الألفية ص ١٥٥، وحواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٣١/أ.

في النسخ: «خَلَّتْنِي»، وفي نسخة ابن هشام: «خَلَّتْنِي» و«خَلَّتْنِي»، بالوجهين معاً<sup>(١)</sup>.

٢- النقص. ومن ذلك: باب «أسماء الأفعال والأصوات» كذا في النسخ، وليس في نسخة ابن هشام: «والأصوات»<sup>(٢)</sup>. والبيت ٥٣٩:  
ونحو "بِشْرٍ" تابع "البكري"

في بعض النسخ: «تابع» و«تابع»، بالوجهين معاً، وفي نسخة ابن هشام بالجر فقط<sup>(٣)</sup>.

٣- الإبدال. ومن ذلك: البيت ٢٤٣:

فأَوَّلَ الفعل اضممن، والمتصل بالآخر اكسر في مضيّ ك"وَصِلَ"  
في النسخ: «أكسر»، وفي نسخة ابن هشام: «اجعل»<sup>(٤)</sup>. والبيت ٥٦٦:  
مطابقاً، أو بعضاً، أو ما يشتمل عليه يُلفى، أو كمعطوفٍ ب"بل"  
في النسخ: «يَشْتَمِلُ»، وفي نسخة ابن هشام: «يُشْتَمِلُ»<sup>(٥)</sup>.

(١) الألفية ص ٧٨، وحواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٤/أ.

(٢) الألفية ص ١٤٦، وحواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٢٧/ب.

(٣) الألفية ص ١٣٥، وحواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٢٣/ب.

(٤) الألفية ص ١٠٠، وحواشي الألفية (رئيس الكتاب) ١١/ب.

(٥) الألفية ص ١٣٩، وحواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٢٥/أ. والميم فيها غير مضبوطة، وما ظنه محقق الألفية كسرة على الميم هو فتحة الصاد من كلمة "صحب" المكتوبة بين السطرين في آخر البيت التالي.

#### ٤- التقديم والتأخير. ومن ذلك: البيت ١٦٩:

كأنشأ السائقُ يحدو"، كذا "جعلت"، و"أخذت"، و"عَلِقَ"  
في النسخ: «"جعلت"، و"أخذت"»، وفي نسخة ابن هشام: «"أخذت"،  
و"جعلت"»<sup>(١)</sup>. والبيت ٥٤٥ في النسخ:  
والفاء للترتيب باتصالٍ و"ثمَّ" للترتيب بانفصالٍ  
وفي نسخة ابن هشام تقدّم الشطر الثاني على الأول<sup>(٢)</sup>.  
وأمثلة ذلك كثيرة، وهي منتورة في هوامش تحقيق الألفية<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) الألفية ص ٩٢، وحواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٨/أ.

(٢) الألفية ص ١٣٦، وحواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٢٤/أ.

(٣) وفات محققها التنبيه على مخالفات نسخة ابن هشام النسخ الأخرى في أثناء الأبيات ١١٤  
و١٦٩ و٢٠٢ و٢٠٨ و٢٢٧ و٢٤٣ و٣١٩ و٣٨٨ و٤٠٨ و٤٥٧ و٤٦٦ و٥٢٥ و٥٤٥  
و٥٥١ و٥٥٢ و٦٢٨ و٦٤٥ و٦٤٨ و٦٥٦ و٦٦٣ و٦٧٥ و٦٨٣ و٦٨٧ و٦٩٣ و٦٩٤  
و٧٠١ و٧١٣ و٧٢٨ و٧٥٣ و٧٥٦ و٨١٥ و٨٢٢ و٨٢٣ و٨٤٣ و٨٥٠ و٨٥٣ و٨٥٧  
و٨٦٠ و٨٧٨ و٨٧٩ و٨٨٠ و٨٨٥ و٨٨٩ و٨٩١ و٩٢٥ و٩٥٩ و٩٦١ و٩٦٩ و٩٨٠  
و٩٨٥ و٩٨٦ و٩٩٣ و١٠٠٢.

### المطلب الثالث: قيمتها العلمية.

نسخة ابن هشام من بين نسخ الألفية مكانة علمية تميّزت بها، يوضّحها ما يلي:

١- كتابتها من قبل عالم نحوي كبير، صرّف كثيرًا من حياته العلمية إلى دراسة الألفية وعُني بها، شرحًا وتحشية، مدارسًا وتدريسًا، وهذا يعطي النسخة قيمةً أكبر مما لو كتَبها غيرُ عالم.

٢- تقدّم كتابتها وقرئها من عصر ابن مالك، إذ أتمّ ابن هشام كتابتها سنة ٧٣٢هـ كما سبق، وهذه الميزة لم توجد إلا في القليل من نسخ الألفية المعروفة اليوم<sup>(١)</sup>، وكونُ النسخة قريبةً من عصر المؤلف يقدّمها على غيرها مما تأخر عنها ما لم يحمل مزيةً أخرى<sup>(٢)</sup>.

٣- توفّر ابن هشام عليها بالتصحيح والضبط والمقابلة بالنسخ الأخرى منذ إتمام كتابتها، وأماراتُ ذلك باديةٌ عليها، فإن ابن هشام صحّح بعض ما كان سها في كتابته أو ضبطه، وضبط كثيرًا من الألفاظ التي تحتاج إلى ضبط، وربما زاد على الضبط تصحيحًا عليه، إشارةً إلى تصويبه على غيره، وأشار في مواضع إلى ما في النسخ الأخرى من عبارات مخالفة لما في نسخته.

(١) ينظر: سيرة ألفية ابن مالك تأليفًا وإبرازًا وتحقيقًا ص ١٤٤، ١٨٠.

(٢) ينظر: تحقيق النصوص ونشرها ص ٣٨.

٤- وفرة الحواشي التي كتبها ابن هشام عليها، وتنوع أغراضها، بين حواشٍ شارحة وضابطة وناقدة ومتممة، مما يعزز القيمة العلمية لنص الألفية فيها؛ إذ حظي بمزيد عناية.

ومع ذلك فقد بدا لي بعض المآخذ على نسخة ابن هشام، أجمالها فيما يأتي:

١- إغفال المصدر الذي نُقل منه نصُّ الألفية، والإشارة أحياناً إلى ما في نسخٍ أخرى للألفية دون ذكر أصولها.

٢- إهمال النقط والضبط في كثير من ألفاظ الألفية، مع الحاجة أحياناً إليهما.

من ذلك: أن النسخ اتفقت في البيت ٨٥٩ على:

والألفَ الجائزَ أربعاً أزلَ

وأهل ابن هشام نقطة الجيم من: "الجائز"<sup>(١)</sup>، فأوهم أن روايته بالحاء، مع أنه لم يبيّن ذلك بوضع علامة الإهمال عليها، واحتمل من عادته في إهمال النقط أنها بالجيم كبقية النسخ.

واختلفت النسخ في البيتين ٣١٦ و٣١٧، ففي بعضها:

وبعد نفيٍّ أو كنفيٍّ انتخبَ

إتباعَ ما اتصل

وفي بعضها: «انتخب إتباع»، ولم يضبط ابن هشام أيّاً منهما<sup>(١)</sup>.

---

(١) الألفية ص ١٧١، وحواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٣٧/أ.

٣- سقوط ثلاثة أبيات من أبيات الألفية، هي: البيت ٦٩٤:  
وشدَّ حذفُ "أَنْ" ونَصَبُ في ما مرَّ، فاقبلُ منه ما عدلُ روى  
وهو ثابت في نسخ الألفية العالية كلها<sup>(٢)</sup>، واستُدرك في الحاشية بغير خط ابن  
هشام. والبيت ٧١٩:

نحو: "الذي ضربته زيدٌ" فذا "ضربت زيداً" كان، فادرِ المأخذا  
وهو ثابت في نسخ الألفية العالية كلها<sup>(٣)</sup>. والبيت ٨٦٠:  
والحذف في اليا رابعاً أحق من قلبٍ، وحتّم قلبُ ثالثٍ يعنُ  
وهو ثابت في نسخ الألفية العالية كلها<sup>(٤)</sup>.  
أما البيت ٨٩٧:

ووصلَ ذي الهاءِ أجزُ بكلِّ ما حُرِّكَ تحريكَ بناءٍ لزما  
فلعل سقوطه من نسخة ابن هشام كان من قبيل الرواية لا السهو، فقد  
اختلفت نسخ الألفية في إثباته وحذفه<sup>(٥)</sup>.  
وكان ابن هشام قد أسقط سهواً أبياتاً، ثم استدرَكها في الحواشي وبين  
الأبيات، هي الأبيات ٣٥ و ١٤٣ وعجز ٣٢٦ مع صدر ٣٢٧ و ٦٣٣ و  
٦٣٥ و ٦٧٨ و ٨١٦ و ٨١٧ و ٨٨٠ و ٨٨٤ و ٩٧٥<sup>(١)</sup>.

(١) الألفية ص ١٠٩، وحواشي الألفية (رئيس الكتاب) ١٤/ب.

(٢) الألفية ص ١٥٣، وحواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٣٠/أ.

(٣) الألفية ص ١٥٦، وحواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٣١/أ.

(٤) الألفية ص ١٧١، وحواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٣٧/أ.

(٥) الألفية ص ١٧٤، وحواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٣٨/أ.

٤ - مخالفة نسخ الألفية في بعض المواضع مخالفة لا تحتل أن تكون رواية بل سهواً، إما في نصّ الألفية، أو في ضبطها. فمن الأول: ما في البيت ٣١٩، إذ اتفقت النسخ على:

وإن يفرغ سابق "إلا" لِمَا بعدُ يكن كما لو "ألا" عُدِمَا  
وفي نسخة ابن هشام: «لما قبل»<sup>(٢)</sup>. وهو وهم؛ لمخالفة المعنى والحكم.

وفي البيت ٣٨٨ اتفقت النسخ على:  
وإن يُشابه المضاف "يُفعل" وصفاً فعن تنكيره لا يُعزل  
وفي نسخة ابن هشام: «فعن تعريفه»<sup>(٣)</sup>. وهو وهم؛ كسابقه.

وفي البيت ٥٢٥ اتفقت النسخ على:  
ودون "كُلِّ" قد يجيء "أجمع" "جمعاء"، "أجمعون"، ثم "جمع"  
وفي نسخة ابن هشام: «أجمعين»<sup>(٤)</sup>. وهو وهم؛ لمخالفة الإعراب، ولعله  
انتقال نظر إلى البيت قبله:

وبعد "كُلِّ" أكّدوا بـ "أجمعاً" "جمعاء"، "أجمعين"، ثم "جمعاً"  
وفي البيت ٧٣١ اتفقت النسخ على:  
ومع غير "أحدٍ" و"إحدى"

---

(١) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٢/ب، ٧/أ، ١٥/أ، ٢٧/ب، ٢٨/أ، ٢٩/ب، ٣٥/أ، ٣٧/ب، ٤١/ب.

(٢) الألفية ص ١١٠، وحواشي الألفية (رئيس الكتاب) ١٤/ب.

(٣) الألفية ص ١١٧، وحواشي الألفية (رئيس الكتاب) ١٧/ب.

(٤) الألفية ص ١٣٤، وحواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٢٣/أ.

وفي نسخة ابن هشام:

ومع غير "واحدٍ" و"إحدى"<sup>(١)</sup>

وهو وهم؛ لأن المراد مذكر "إحدى"، لا "واحدة"، ووجدتُ في نسخة من الألفية عالية لم يعتمد عليها - كُتبت سنة ٧١٩هـ، وعليها إجازة من أبي حيان سنة ٧٢٠هـ - مثل ما في نسخة ابن هشام هنا، لكنه صَحَّح ليوافق ما في النسخ الأخرى<sup>(٢)</sup>، فرمّا كان مصدرُ النسختين واحدًا، ولم يستدرك ابن هشام ما في نسخته سهوًا.

وفي البيت ٨١٥ اتفقت النسخ على:

في "فَعَلٍ" اسمًا مطلقًا الفاء، له، ولـ "الْفُعَالِ" "فِعْلَانٌ" حَصَلَ وفي نسخة ابن هشام: «"فِعْلَانٌ" شَمِلٌ»<sup>(٣)</sup>، وصَحَّح على: "شَمِلٌ"، وأشار في الحاشية إلى أنه في نسخة: "حصل"، ورَجَّحها على ما أثبتته في المتن. وهو وهم، وانتقال نظرٍ إلى البيت ٨١٧ الآتي، إذ آخره: «"فُعْلَانٌ" شَمِلٌ»، ولذا سقط عليه البيتان ٨١٦ و ٨١٧، فاستدركهما في الحاشية، ولم يَنْبِه على ما وقع له.

وفي البيت ٨٧٩ اتفقت النسخ على:

في نَسَبٍ أغنى عن اليا فُقِيلِ

(١) الألفية ص ١٥٧، وحواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٣١/ب.

(٢) الخلاصة الأسدية ٢٦/أ.

(٣) الألفية ص ١٦٦، وحواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٣٥/أ.

وفي نسخة ابن هشام: «التا»<sup>(١)</sup>. وهو وهم؛ لأن المراد ياء النسب.

وفي البيت ٩٦١ اتفقت النسخ على:

وواوا إثر الضمّ رُدَّ اليا متى أُلْفِي لَامَ فِعْلٍ، او من قبل تا

وفي نسخة ابن هشام: «من قبل يا»<sup>(٢)</sup>. وهو وهم؛ لمخالفة الرويِّ أولاً، والمراد

بالحكم ثانياً؛ إذ المراد مبين في البيت التالي:

كتاء بانٍ من "رمى" كـ "مَقْدُرُهُ"

وهي في نسخة ابن هشام: «كتاء» مصحّحاً عليها، وكأُتْها كانت في

نسخته: كياء، فطمَسَ النقطتين من تحت، وأبدلها بالحمرة باثنتين من فوق،

ولم يصحّح نظيرها في البيت السابق.

ومن مخالفة نسخة ابن هشام النسخ الأخرى في الضبط: ما في البيت

٥٦٩ إذ اتفقت النسخ على:

ومن ضمير الحاضر الظاهر لا

وفي نسخة ابن هشام: «الحاضر» بالنصب<sup>(٣)</sup>. وهو وهم؛ لمخالفته الإعراب.

وفي البيت ٦٩٣ اتفقت النسخ على:

وإن على اسمٍ خالصٍ فِعْلٌ غُطِفَ

وفي نسخة ابن هشام: «فِعْلًا»<sup>(٤)</sup>. وهو وهم؛ لمخالفة الإعراب.

(١) الألفية ص ١٧٣، وحواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٣٧/ب.

(٢) الألفية ص ١٨٢، وحواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٤١/أ.

(٣) الألفية ص ١٣٩، وحواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٢٥/أ.

(٤) الألفية ص ١٥٣، وحواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٣٠/أ.

وفي البيت ٧٥٦ اتفقت النسخ على:

وإن تَصِلْ فلفظُ "مَنْ" لا يَخْتَلِفُ

وفي نسخة ابن هشام: «فَلَفْظُ»، هكذا منوَّنة<sup>(١)</sup>. وهو وهم؛ لمخالفة الإعراب، فالكلمة مضافة إلى "مَنْ" باعتبار لفظها.

في أشياء أُخَرِ أشار إلى بعضها محقق الألفية<sup>(٢)</sup>، وهي مخالفات لا تعدو أن تكون أوهامًا في النقل والضبط، لا في تحرير المسائل والآراء، وهي ترجع في نظري إلى السهو والنسيان الذي هو جِلَّةُ بشرية، بسبب انتقال النظر إلى أبيات سابقة أو لاحقة، أو انتقالِ الذهن إلى ألفاظ أخرى تشبهها في الصياغة أو المعنى، أو سَبَقِ القلم بكتابة غير المراد، أو الاعتمادِ على الحفظ، أو عدم استجماع الفكر لحظة كتابة النص. ويحتمل أن يكون سبب الخطأ في بعضها أن الأصل الذي نقل منه ابن هشام كان على الخطأ، واستمر عليه دون أن ينتبه له.

وقد اعتمد ابن هشام على الحفظ، فخالف في حواشيه ألفاظ الألفية التي يريد التعليق عليها، ففي البيت ٤٢٠ جاء لفظ الألفية في المتن عنده:  
أَخَرِ ما أَضِيفَ لـ"أَلِيا" اكسِرْ إذا لم يَكْ مَعْتَلًا، ك: رَامَ، وَقَدَى

(١) الألفية ص ١٦٠، وحواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٣٢/ب.

(٢) تنظر الأبيات: ٤٥٧ و ٦٤٥ و ٧٢٨ و ٨٨٥ و ٩٨٥ و ٩٨٦ في حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٢٠/أ، ٢٨/أ، ٣١/ب، ٣٧/ب، ٤٢/أ، والأبيات: ٦٢١ و ٦٢٣ و ٦٦٦ و ٧١٣ و ٧٦٩، ٧٧٠ في الألفية ص ١٤٦، ١٥٠، ١٥٥، ١٦١، ١٦٢.

فَنَقَّلَهُ فِي الْحَاشِيَةِ لِلتَّعْلِيقِ عَلَيْهِ مَرَّةً بَلْفَظٍ: «مَا لَمْ يَكْ»، وَمَرَّةً بَلْفَظٍ: «إِنْ لَمْ يَكْ»<sup>(١)</sup>. وَفِي الْبَيْتِ ٦٩٨ جَاءَ لَفْظُ الْأَلْفِيَةِ فِي الْمَتْنِ عِنْدَهُ:  
فَعَلَيْنِ يِقْتَضِيْنَ: شَرْطٌ قَدْ مَا يَتْلُو الْجَزَاءُ، وَجَوَابًا وَوَسْمًا  
فَنَقَّلَهُ فِي الْحَاشِيَةِ لِلتَّعْلِيقِ عَلَيْهِ بَلْفَظٍ: «يَتْلُو الْجَوَابُ»<sup>(٢)</sup>. وَهَذَا يَدْعُمُ الْقَوْلَ  
بِاعْتِمَادِهِ عَلَى الْحِفْظِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ الَّتِي أَخْطَأَ فِيهَا فِي أَثْنَاءِ كِتَابَةِ نَصِ  
الْأَلْفِيَةِ.

\*\*\*

---

(١) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ١٨/ب، وظهر الورقة الثالثة الملحق بين ١٨/ب و ١٩/أ.

(٢) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٣٠/أ.

## المبحث الثاني: معارضة النص.

### المطلب الأول: معارضة ابن هشام نصّ الألفية بنسخة أو أكثر.

الظاهر أن ابن هشام لم يعارض نسخته من الألفية كلّها من أولها إلى آخرها بنسخ مختلفة، فذلك لا يدعمه دليل واضح، وإنما هي مواضع قليلة عارض فيها ابن هشام الألفية بنسخة أو نسخ ضمن جهوده العلمية حول الألفية.

وقد رجع في بعض مواضع معارضته الألفية إلى نسخ كثيرة، يدل على ذلك قوله في أحد المواضع: «يوجد في نسخ كثيرة: "عشرين" بالياء، وهو غلط»<sup>(١)</sup>.

وقد تقدّم أن ابن هشام لم يُفصح عن الأصل الذي نسخ منه نسخته، والأمر كذلك في نسخ الألفية التي عارض بها، فإنه لم يُسمَّ أيّاً منها، لا في حواشي نسخته، ولا في غيرها، سوى نسخة ابن النحاس، فهي النسخة الوحيدة التي سماها ابن هشام من بين النسخ التي رجع إليها، وذلك في موضعين من نسخته<sup>(٢)</sup>، وموضع ثالث نقله ياسين عنه<sup>(٣)</sup>.

(١) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٣٢/أ.

(٢) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٣٢/أ، ٣٨/أ.

(٣) حاشية الألفية ٥١٠/ب، ٥١١/أ.

ولم يظهر لي سبب معارضته بعض المواضع دون بعض، مع أن الخلاف بين نسخ الألفية كثير جدًّا، ولا سبب اقتصاره في مواضع على الإشارة إلى ما في النسخ الأخرى دون ترجيح بينها.

وأشار ابن هشام في غير حواشي نسخته التي كتبها إلى نسخ من الألفية، لكنني لم أجد منها شيئًا يوافق ما في نسخته، فلم يُثَر ابن هشام إلى شيء من النسخ في غير نسخته إلا وفي متن نسخته خلاف ما أشار إليه.

ويشير ابن هشام إلى الفروق بين النسخ بقوله: في نسخة، أو: في بعض النسخ، أو: في نُسخ، أو: رُوي، وأحيانًا باستعمال الرمز (خ) الدال اصطلاحًا على الإشارة إلى نسخة أخرى<sup>(١)</sup>.

وتتنوع الفروق في النسخ التي أشار إليها ابن هشام بين الزيادة، والنقصان، والإبدال، والتقديم والتأخير. فمن الزيادة: ما في البيت ٩:  
وَكَلِمَةٌ بِهَا كَلَامٌ قَدْ يُؤْمُّ

قال ابن هشام: «في نسخة: "بها الكلام قد يؤم"»<sup>(٢)</sup>. وفي البيت ٢٦١:  
وبعد عاطفٍ بلا فصلٍ على معمولٍ فعلٍ مستقرٍّ أولًا  
قال ياسين: «قال ابن هشام: وجدت في نسخة بعد قوله: "وبعد عاطف" البيت:

(١) ينظر: تقاليد المخطوط العربي، لأدم جاسك ص ٢٩٧.

(٢) حواشي الألفية (التيمورية) ٣.

وانصبَّ إذا ما خيفَ من أن مُفسِّرٌ بالوصف مختارًا وقسَّ»<sup>(١)</sup>

ومن النقصان: ما في البيت ٧٦٠:

ولا تلي فارقةً "فَعُولًا" أصلاً، ولا "المُفْعَال" و"المُفْعِيلًا"

قال ابن هشام: «خ: "مُفْعَالًا" أو "مُفْعِيلًا"»<sup>(٢)</sup>.

ومن الإبدال: ما في البيت ١٠:

بالجرِّ والتنوينِ والندا و"أل" ومسندٍ للاسم تمييزٌ حصل

قال ابن هشام: «في نسخة: "مَيِّزٌ قد حَصَلَ"»<sup>(٣)</sup>. وفي البيت ٢٠٢:

وغيرَ ما يلي وغيرَ المفردِ لا تبَن، وانصبَّه، أو الرفعِ اقصدِ

قال ابن هشام: «خ: "أو ارفعْ تقصدِ"»<sup>(٤)</sup>. وفي عنوان باب «ظن

وأخواتها»: قال ابن هشام: «خ: "ظننْتُ"»<sup>(٥)</sup>. وفي البيت ٢٥٨:

وإنْ تلا السابقُ ما بالابتدا

قال ابن هشام: «خ: "بالمبتدا"»<sup>(٦)</sup>. وفي البيت ٧٥٦:

ونادِرٌ "مُنُونٌ؟" في شعرٍ عُرِفَ

قال ابن هشام: «خ: "نظم"»<sup>(١)</sup>. وفي البيت ٧٨١:

---

(١) حاشية الألفية ٢٢٢/١، ٢٢٣.

(٢) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٣٣/أ.

(٣) حواشي الألفية (التبمورية) ٣. وأثبت محقق الألفية ص ٧٠ رواية: «مَيِّزُهُ حَصَلَ».

(٤) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٩/ب.

(٥) الألفية ص ٩٧، وحواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٩/ب.

(٦) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ١٢/أ.

وما كـ"صحراء" بواو ثُنِيًّا ونحو "عِلْبَاءٍ"، "كسَاءٍ"، و"حَيًّا"  
قال ابن هشام: «نسخة: "وما ك: عِلْبَاءٍ"»<sup>(٢)</sup>.

ومن التقديم والتأخير: ما في نسخة ابن هشام في البيت ٩٢:  
بـ"اللاء" و"اللات" "التي" قد جُمعا

قال ابن هشام: «رُوي: باللات واللاء»<sup>(٣)</sup>.

ويوظف ابن هشام اختلاف النسخ في تفسير أبيات الألفية، وتحديد مراد  
ابن مالك منها، ففي البيت ٣٨:

ومثلَ حينٍ قد يردُّ ذا الباب، وهو عند قومٍ يطرِّدُ

قال السيوطي: «قال ابن هشام: هذا كلام مُلَبَّسٍ؛ لأنه يحتمل أن يريد  
أن قومًا من النحاة يرون إجراء "السنين" مُجرى "الحين" مطردًا لا شاذًّا، وأن  
قومًا من العرب يستعملون ذلك على وجه الاطراد لا على وجه الشذوذ،  
وعليه عوَّل ابن الناظم. قال: والمعنيان لا طائل تحتهما، ولا جرت العادة  
بالتنبية على مثلهما في المختصرات، ويُعَدُّ تفسيرُ ابنه: أن في بعض نسخ  
الألفية: "والفرَّ يراه مطرَّد"، فالخلاف نحويٌّ لا عربيٌّ، ويحتمل معنى ثالثًا، وهو  
أن من النحاة من يطرِّد الإجراء مُجرى "حينٍ" في باب جمع المذكر السالم وما

(١) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٣٢/ب.

(٢) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٣٤/أ.

(٣) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٥/أ.

حُمِّلَ عليه، ولا يخصُّ ذلك باب "سنين"، وبهذا قال جماعة، منهم المبرِّد<sup>(١)</sup>. انتهى»<sup>(٢)</sup>.

وما ذكر ابن هشام أنه نسخة أُشير إليه في حاشية إحدى نسخ الألفية العالية<sup>(٣)</sup>، وما نسب له لابن الناظم من احتمال التفسيرين لم أره هكذا في مطبوعة شرحه الألفية<sup>(٤)</sup>، والذي فيها أنه مطرد عند قوم من النحويين، منهم الفراء<sup>(٥)</sup> (ت ٢٠٧هـ)، وقد استعمله غيرهم على وجه الشذوذ، كما في الحديث: «اللهم اجعلها عليهم سنيناً كسنين يوسف»<sup>(٦)</sup>.

وفي البيتين ٤٣٢ و ٤٣٣:

"فَعَّالٌ" أو "مِفْعَالٌ" أو "فَعُولٌ" في كثرةٍ عن "فاعلٍ" بديلٍ فيستحقُّ ما له من عَمَلٍ وفي "فَعِيلٌ" قلَّ ذا و"فَعِلٌ" قال السيوطي: «يحتمل أن يريد بها كثرة العمل؛ لمقابلة قوله: "قلَّ ذا"، قال ابن هشام: ويقوِّيه: أن في بعض النسخ: "بكثرة". ويحتمل أن يريد بها الدلالة على التكثر والمبالغة»<sup>(٧)</sup>.

(١) المقتضب ٣/٣٣٢-٣٣٤.

(٢) النكت ١/١٤٠.

(٣) الألفية ص ٧٤.

(٤) شرح الألفية ص ٢٧.

(٥) ذكر في معاني القرآن ٩٢/٢ أنها لغة لبعض العرب، وأنها كثيرة في أسد وبنو تميم وبنو عامر.

(٦) أخرجه أبو عوانة في المستخرج على مسلم ٢١٦٩، ٢١٧٧، ٢١٩٠، ٢١٩٣ بلفظ: "سنيئاً

كسني يوسف".

(٧) النكت ٢/٨٢.

وما قَوَّاه ابن هشام شَرَحَ عليه في أوضح المسالك، فقال: «تُحوَّل صيغة "فاعل" للمبالغة والتكثير إلى "فَعَّال" أو "فَعُول" أو "مِفْعَال" بكثرة، وإلى "فَعِيل"، أو "فَعِل" بقلَّة، فيعمل عمله بشروطه»<sup>(١)</sup>.

والفرق بين رَوَائِيَّ "في كثرة" و"بكثرة" أن الأولى تحتل أن يكون المعنى أن هذه الأوزان الثلاثة بديلة عن وزن "فاعل" في الدلالة على الكثرة؛ لأنه لم يوضع دالًّا عليها، وأن يكون المعنى أنها جاءت بديلة عنه في عمله مجيئًا كثيرًا، أما الثانية فلا تحتل إلا المعنى الثاني؛ لذا عضَّد بها ابن هشام رأيه، ويؤيِّده تقييد الناظم في البيت التالي وزِيَّ "فَعِيل" و"فَعِل" بقلَّة استحقاقهما عمل اسم الفاعل<sup>(٢)</sup>.

وفي نسخة ابن هشام في البيت ٩٢:

بـ"اللاء" و"اللات" "التي" قد جُمعا

قال ابن هشام: «يحتمل أن يكون أراد: اللاتي، وحذف الياء؛ لالتقاء الساكنين، ورَجَّحه: أنه الذي ورد في التنزيل، فليكن هو المنصوص عليه. ويحتمل أن يكون الحذف من الأصل، ويرجِّحه: أنه زُوي: "باللات واللاء»<sup>(٣)</sup>.

(١) أوضح المسالك ٢١٩/٣.

(٢) ينظر: المقاصد الشافية، للشاطبي ٢٧٧/٤، ٢٧٨، وشرح المكودي ص ١٨١، ١٨٢.

(٣) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٥/أ.

ووجه ترجيحه الأخير أنه لا مكان لاحتمال حذف الياء في هذه الرواية؛ لأن الوزن يحتلُّ بإثباتها، ولا موجب لحذفها، كالتقاء الساكنين في الرواية الأخرى.

وأجاز ابن هشام مرةً لفظةً في بيتٍ، ولم يُنصَّ على أنها نسخة، إذ ورد البيت ٦٢٨ في نسخته هكذا:

وما بمعنى: افعلْ كـ"آمينَ" كَثُرَ ونحوه كـ"وا" و"هيهاتَ" نَزُرَ فقال في الحاشية: «ويجوز: كـ"ويّ"»، ثم مثَّل لـ"وا" و"ويّ" جميعاً<sup>(١)</sup>؛ مع أن الرواية في نسخ الألفية العالية: «وغيره كـ"ويّ"»<sup>(٢)</sup>.

ووجدت في نسخة ابن هشام إشارةً بغير خطه إلى نسخةٍ من نسخ الألفية، وذلك في البيت ٧٩١، إذ جاء في نسخة ابن هشام:

"أَفْعِلْ"، "أَفْعُلْ"، ثمَّ "فِعْلَةٌ" ثَمَّتْ "أَفْعَالٌ" مباني قِلَّةٌ وفوق قوله: «مباني قِلَّةٌ»، بغير خط ابن هشام: «خ: جموعٌ»<sup>(٣)</sup>، وهي رواية النسخ العالية<sup>(٤)</sup>، ولعل صاحب هذه الإشارة أحد مُلَّاك النسخة أو مطالعيها، والله أعلم.

\*\*\*

(١) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٢٧/ب.

(٢) الألفية ص ١٤٦.

(٣) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٣٤/أ.

(٤) الألفية ص ١٦٣.

## المطلب الثاني: مسالكه في الترجيح بين النسخ.

يرجّح ابن هشام بين نسخ الألفية عند اختلافها، فيختار أرجح عبارة من بينها، وله في ترجيحه مسلكان:

المسلك الأول: التصريح بالترجيح، كأن يعبر عن الراجح ب: الأحسن، أو: الأولى، أو: الحق، أو: الصحيح، أو: الصواب، وعن المرجوح ب: الغلط، أو: الخطأ، أو: عدم الوجاهة، أو: عدم الجودة. مثاله: في البيت ٤٩:  
وأيُّ فعلٍ آخرٍ منه أَلِفٌ أو واوٌ أو ياءٌ فمعتلاً عُرِفُ  
قال ابن هشام: «وفي نسخة: "وكلُّ فعلٍ"، وما أحسنها! ومثله في دخول الفاء في الخبر»<sup>(١)</sup>.

ويرجّح رواية "وكلُّ فعلٍ" عدم حاجتها في البيت إلى تقدير محذوف كالرواية الثانية، وإنما فيها دخول الفاء في خبر "كلّ"، وهو جائز<sup>(٢)</sup>، وأشار ابن هشام هنا بقوله: «ومثله في دخول الفاء في الخبر» إلى أن له شواهد مسموعة، لكنها لم تُذكر في النسخة، فإما أسقطها الناسخ سهواً، أو ترك ابن هشام مكانها بياضاً، وأورد ابن هشام في موضع آخر<sup>(٣)</sup> من شواهد ذلك قول الشاعر:

وكلُّ خيرٍ لديه فهو مأمولٌ<sup>(٤)</sup>

(١) حواشي الألفية (التيمورية) ٧.

(٢) ينظر: شرح الكافية، للرضي ٢٦٩/١، والتذيل والتكميل، لأبي حيان ١٠٢/٤.

(٣) تخلص الشواهد ص ٢١٨.

(٤) عجز بيت من البسيط، لعبدة بن الطبيب، في ديوانه ص ٧٥، وصدره:

أما رواية "وأيّ فعلٍ" -وهي رواية نسخ الألفية العالية<sup>(١)</sup>- فتحتاج إلى تقدير "كان" الشأنية أو الناقصة بعدها؛ لأن "أيّاً" لا تدخل إلا على الجمل الفعلية، والتقدير: وأيّ فعلٍ كان آخرٌ منه أحدُ الحروف المذكورة...<sup>(٢)</sup>

وفي البيت ٤٩٦:

صُعْ من مَصوغٍ منه للتعجُّبِ "أَفْعَلْ" للفضيل، وأَب اللَّذْ أُبِي  
قال ابن هشام: «قوله: "وَأَبَ الَّذِي"<sup>(٣)</sup> أُبِي": في نسخة: "وَأَبَ مَا أُبِي"، وهو أحسن»<sup>(٤)</sup>.

والرواية التي أشار إليها ابن هشام أسهلُّ على اللسان، وأحسن جرساً، مع أدائها المعنى، وحفاظها على استقامة الوزن، لكن لم تشر إليها نسخ الألفية العالية<sup>(٥)</sup>.

وفي البيت ٥٩٣:

وفتَحْ أو كَسَرْ وحذِفْ اليا استمرَّ في "يا بن أمّ"، "يا بن عمّ" لا مفرّ

نرجو فواضل ربِّ سَيِّئِهِ دِيمَ ...

سَيِّئِهِ: عطاؤه الكثير. ودِيمَ: على حالة واحدة لا ينقطع ولا يتغيّر.

(١) الألفية ص ٧٦.

(٢) ينظر: توضيح المقاصد والمسالك، للمرادي ٣٤٩/١، وشرح المكودي ص ٢٠، وتمرين الطلاب، لخالد الأزهري ص ١٢، ١٣، واللوامع الشمسية، لابن طولون ١/٢٤/أ، ب.

(٣) كذا في المخطوطة، وهو سهو من الناسخ، والذي في نسخ الألفية العالية ونسخة ابن هشام:

«اللَّذْ». ينظر: الألفية ص ١٣٠، وحواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٢٢/أ.

(٤) حواشي الألفية (التيمورية)، وجه الورقة الملحقة بين ٩٦، ٩٧.

(٥) الألفية ص ١٣٠.

كذا جاء الشطر الأول في نسخة ابن هشام، فوضع على أوله: «خ»،  
وكتب فوقه: «والفتح والكسر وحذف»: خ، وهي أحسن<sup>(١)</sup>.

وحُسِّنُ رواية التعريف في سلامتها من الابتداء بالنكرة، وهي رواية إحدى  
نسخ الألفية العالية، لكن في حاشيتها إشارة إلى الرواية الأخرى، مصحَّحًا  
عليها<sup>(٢)</sup>.

وفي البيت ٧٣٦:

ومَيَّزُوا مَرْكَبًا بِمَثَلِ مَا مُيِّزَ عَشْرُونَ، فَسَوَّيْنَهُمَا  
صَحَّحَ ابن هشام في نسخته على كلمة "عشرون"، وقال في الحاشية:  
«يوجد في نُسخ كثيرة: "عشرين" بالياء، وهو غلط، وفي نسخة ابن النحاس  
بالواو»<sup>(٣)</sup>، وجاء في أصل نسخة أخرى حشَّأها ابن هشام "عشرين"<sup>(٤)</sup>، ولم  
أره علَّق عليها بشيء.

وظاهرٌ أن ابن هشام غلَّط رواية الياء لمخالفتها مقتضى الإعراب، إذ  
يجب رفعها نائبًا عن فاعل "مَيِّزَ"<sup>(٥)</sup>، وليست "عشرين" مما جاء في البيت  
على الحكاية فتبقى على صورتها.

(١) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٢٦/أ.

(٢) الألفية ص ١٤٢.

(٣) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٣٢/أ.

(٤) حواشي الألفية (مجمع دمشق) ٦٣/ب.

(٥) ينظر: تمرين الطلاب ص ١١٨، واللوامع الشمسية ٩٧/٢/أ.

وفي البيت ٨٨٨:

مُحَرَّكًا، وحركاتٍ انقلًا لساكنٍ تحريكه لن يُحْطَلَا

قال ابن هشام: «حظَل: بالطاء أخت الطاء، ويوجد بخط بعض الناس - هو ابن النحاس - بصاد، وليس بجيد»<sup>(١)</sup>.

واستظهر محقق الألفية أن رواية الصاد: «يَحْضَلَا»<sup>(٢)</sup>، وما في نسخة ابن هشام «يُحْطَلَا» أوفق للمعنى، والْحُظَلُ في اللغة: المنع<sup>(٣)</sup>، والمعنى: أنه لا يصح الوقف على الكلمة بنقل حركة آخرها إلى ما قبله إلا إذا كان ساكنًا سكونًا لا يُمنع تحريكه، سواء كان منع تحريكه لتعذره، كالألف، أم لا، كالواو والياء والحرف المدغم<sup>(٤)</sup>، وهذا أقرب من أن يقال: إلا إذا كان ساكنًا لا يَحْضَلُ تحريكه، أي: لا يمكن تحريكه؛ لأنه قد يمكن تحريكه، ولكنه يُمنع، كما سبق.

المسلك الثاني: الإشارة إلى الترجيح برمز التصحيح (صح) أو: (صح) الدال اصطلاحًا على ترجيح المصحح عليه على غيره مما ورد في الموضع نفسه<sup>(٥)</sup>. مثاله: في البيت ٢:

(١) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٣٨/أ. وكأنه استدرك تصريحه بابن النحاس؛ إذ كتبه تحت قوله: «بعض الناس».

(٢) الألفية ص ١٧٤.

(٣) ينظر: الصحاح، للجوهري ١٦٧٠/٤.

(٤) ينظر: توضيح المقاصد والمسالك ١٤٧٩/٣، والمقاصد الشافية ٦٣/٨، ٦٤، وشرح المكودي ص ٣٥٦، ٣٥٧.

(٥) ينظر: علوم الحديث، لابن الصلاح ص ١٩٦، ومعجم مصطلحات المخطوط العربي، لأحمد

مُصَلِّيًا عَلَى الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى وَآلِهِ الْمُسْتَكْمِلِينَ الشَّرَفَا  
صَحَّحَ ابْنُ هِشَامٍ فِي نَسْخَتِهِ عَلَى كَلِمَةِ "الرَّسُولِ"، وَكَتَبَ فِي الْحَاشِيَةِ:  
«خ: النَّبِيُّ»<sup>(١)</sup>.

وَكَلِمَةُ "الرَّسُولِ" أَخْصَصُ مِنْ كَلِمَةِ "النَّبِيِّ"، فَهِيَ أَمْدَحُ<sup>(٢)</sup>، وَهِيَ رَوَايَةُ  
النُّسَخِ الْعَالِيَةِ<sup>(٣)</sup>، وَتَدُلُّ إِشَارَةُ ابْنِ هِشَامٍ هُنَا إِلَى الرِّوَايَةِ الْآخَرَى عَلَى أَنَّ  
الْخِلَافَ بَيْنَ نُسَخِ الْأَلْفِيَةِ فِيهَا قَدِيمٌ، وَإِنْ لَمْ تَأْتِ بِهِ نَسْخَةٌ عَالِيَةٌ.  
وَجَاءَ الْبَيْتُ ٥٩٦ فِي نَسْخَةِ ابْنِ هِشَامٍ بِلَفْظٍ:

فِي سَبِّ الْأَنْثَى نَحْوُ يَا حَبَاثَ

فَوَضَعَ عَلَى كَلِمَةِ "نَحْوُ": «خ»، وَكَتَبَ فَوْقَهَا: «وَزَنُ»، وَصَحَّحَ عَلَيْهَا<sup>(٤)</sup>،  
وَهِيَ رَوَايَةُ نَسَخِ الْأَلْفِيَةِ الْعَالِيَةِ<sup>(٥)</sup>.

وَلَفْظَةُ "وَزَنُ" أَدْقُ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَرَادِ؛ إِذْ يُفْهَمُ مِنْهَا أَنَّ مَا أَشْبَهَ الْمِثَالَ  
الْمَذْكُورَ مِنْ جِهَةِ الْوِزْنِ أُعْطِيَ حَكْمَهُ فِي أَطْرَادٍ مَلَاظِمَةِ النَّدَاءِ<sup>(٦)</sup>، أَمَّا لَفْظَةُ  
"نَحْوُ" فَلَيْسَ فِيهَا بَيَانُ جِهَةِ الْمِشَابَهَةِ الَّتِي يَبْنِي عَلَيْهَا الْحُكْمُ فِي الْمِثَالِ الْمَذْكُورِ.

بَنِينَ وَزَمِيلَهُ ص ٨٩.

(١) حَوَاشِي الْأَلْفِيَةِ (رَأْسُ الْكِتَابِ) ١/ب.

(٢) يَنْظُرُ: الْمَقَاصِدُ الشَّافِيَّةُ ١٣/١.

(٣) الْأَلْفِيَةُ ص ٦٧.

(٤) حَوَاشِي الْأَلْفِيَةِ (رَأْسُ الْكِتَابِ) ٢٦/أ.

(٥) الْأَلْفِيَةُ ص ١٤٢.

(٦) يَنْظُرُ: شَرْحُ ابْنِ النَّازِمِ ص ٤١٥، وَالْمَقَاصِدُ الشَّافِيَّةُ ٣٤٩/٥، وَشَرْحُ الْمَكُونِيِّ ص ٢٤٦.

وجاء البيت ٩٤٧ في نسخة ابن هشام بلفظ:

وفي مثل "جِراوة" جُعِلَ

فوضع على كلمة "جِراوة": «خ»، وكتب في الحاشية: «هراوة»، وصَحَّح عليها<sup>(١)</sup>.

وليس في نُسخ الألفية العالية إشارة إلى كلمة "جِراوة"<sup>(٢)</sup>، ولم أقف عليها في شيء من معجمات العربية المتقدمة، وذكر القلقشندي (ت ٨٢١هـ)<sup>(٣)</sup> أنها آلة من جلد يُجعل فيها الطين الذي يرمى به عن قوس البُنْدُقة، وذكرها ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)<sup>(٤)</sup> بضم الجيم موضعًا في الأندلس، أما كلمة "هَراوة" فهي أشهر، إذ وردت في المعجمات، ومعناها: العصا الغليظة<sup>(٥)</sup>.

ووقفت على موضعين في نسخة ابن هشام كتبهما في المتن بلفظ، وأشار في الحاشية إلى لفظ آخر مرجحًا إياه، دون أن يشير إلى أن ما في المتن عنده نسخة:

(١) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٤٠/ب.

(٢) الألفية ص ١٨١.

(٣) صبح الأعشى ١٥٤/٢.

(٤) معجم البلدان ١٧٧/٢.

(٥) ينظر: الصحاح ٢٥٣٥/٦.

الموضع الأول: في عنوان باب الاشتغال، إذ أثبتته في المتن بلفظ «الاشتغال»، وكتب في الحاشية: «اشتغال العامل عن المعمول»، وصحّ عليه<sup>(١)</sup>.

الموضع الثاني: في البيت ٩٤٢، إذ جاء في نسخته بلفظ: و"اَيْمُنْ" وهَمْزٌ "أَلْ"، وَيُبَدِّلُ مَدًّا فِي الاستفهام أَوْ يُسَهِّلُ فكتب أمام الشطر الأول في الحاشية: «صوابه: و"اَيْمُنْ"، هَمْزٌ "أَلْ" كَذَا،

فاحتمل الأمر من صنيعه في الموضعين أن يكون ما في المتن نسخةً، وأن يكون خطأ وقع منه في أثناء النسخ أو في النسخة المنقول منها، ويؤيد الأخير أن نُسخ الألفية في الموضعين لم تشر إلى كون ما عند ابن هشام في المتن نسخةً<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ١١/ب.

(٢) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٤٠/أ.

(٣) الألفية ص ١٠٢، ١٨٠.

## المطلب الثالث: أسباب ترجيحاته بين النسخ.

يعلّل ابن هشام بعض ترجيحاته بين النسخ ذاكراً أسباباً متنوعة، منها:  
١- الترجيح لأمر لغويّ، حيث تكون العبارة الراجحة أقرب لغةً إلى المراد من المرجوحة.

مثاله: عنوان الباب الأول في الألفية: «الكلام وما يتألّف منه»، قال السيوطي: «وفي تعليق آخر لابن هشام: في بعض النسخ: "يتألّف"، وفي بعضها: "يُتْلَف"، والأولى أحسن؛ لدالتها صريحاً على الانفعال الناشئ عن فعل الفاعل، إشارةً إلى احتياج التأليف إلى معالجة، وكلاهما أحسن من "يتركّب"؛ لأن التأليف أخصّ؛ إذ هو تركيب وزيادة، وهي وقوع الألفة والتناسب بين الجزأين»<sup>(١)</sup>.

وجاءت نسخ الألفية العالية بموافقة ما رجّحه ابن هشام<sup>(٢)</sup>، لكن جاء في نسخته: «يُتْلَف»<sup>(٣)</sup>، بخلاف ما رجّحه هاهنا، ولم يعلّق عليه بشيء؛ اكتفاءً بما في تعليقه الآخر، أو لأنه لم يظهر له حُسْنُ الرواية الأخرى إلا بعد ذلك.  
٢- دقة العبارة الراجحة في توفية الحكم النحوي حقّه، وإخلال العبارة المرجوحة بذلك.

مثاله: ما في البيت ٧٤:

(١) النكت ٥٦/١.

(٢) الألفية ص ٦٩.

(٣) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ١/ب.

واسمًا أتى وكنيةً ولقبًا وأحْرَنُ ذا إن سواه صَحِبًا  
حيث ورد عجزه بروائتين: مشهورة، هي المتقدِّمة، وعليها نسخة ابن هشام<sup>(١)</sup>  
والنسخ العالية<sup>(٢)</sup>، والأخرى غير مشهورة، هي:

وذا اجعلْ آخِرًا إذا اسمًا صَحِبًا

قال السيوطي: «لم يذكر ابن هشام في الشذور<sup>(٣)</sup> أيضًا سوى تأخيرهِ عن  
الاسم، وكذا في القطر<sup>(٤)</sup> والجامع<sup>(٥)</sup>، لكن في بعض تعاليقه على الألفية -  
ومن خطه نقلت- ما نصّه: يُؤخَّرُ اللقب عن الاسم والكنية؛ لأن اللقب  
موضوع للذات من حيث هي ممدوحة أم مذمومة تحقيقًا أو تفاؤلاً، والاسم  
أُتِيَ به لمجرد تعريف الذات، وأيضًا فالاسم والكنية يتقدَّمان وضعًا، واللقب  
يتأخَّر، فناسب ترتيبهما في اللفظ كترتيبهما في الموجود. ثم ذكر النسخة التي  
أشير إليها، وقال: إن النسخة المشهورة أُولَى؛ لأن في هذه إيهامًا  
وإخلالًا»<sup>(٦)</sup>.

فرجَّح ابن هشام الرواية الأولى المشهورة؛ لأنها أشمل وأوفى، إذ فيها بيان  
حكم اللقب مع الاسم والكنية، بخلاف الثانية، فليس فيها إلا بيان حكم

(١) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٤/ب.

(٢) الألفية ص ٨٠.

(٣) شرح شذور الذهب ص ١٧٩.

(٤) شرح قطر الندى ص ١١٩.

(٥) الجامع الصغير ص ٢٥.

(٦) النكت ١/١٧٩.

اللقب مع الاسم فقط، لكنه في أوضح المسالك رجَّح مقتضى الرواية الثانية، فبعد أن ذكر أن اللقب يؤخر عن الاسم، وأنه لا ترتيب بين الكنية وغيرها، قال: «وفي نسخة من الخلاصة ما يقتضي أن اللقب يجب تأخيره عن الكنية، ك: أبي عبدالله أنف الناقة، وليس كذلك»<sup>(١)</sup>. فظهر أن له في هذا رأيين.

وجاء البيت ٢٠٨ في نسخة ابن هشام هكذا:

والذي كـ"صيرا" أيضًا به انصب مبتدأ وخبر  
فكتب في الحاشية: «خ: "والتي" ... "أيضًا [بها]»<sup>(٢)</sup>، وصحَّح عليها،  
إشارةً إلى الرواية الأخرى التي عليها النسخ العالية:  
والتي كـ"صيرا" أيضًا بها انصب مبتدأ وخبر<sup>(٣)</sup>

ثم قال: «هذا الأحسن؛ لأن الذي كـ"صير" ليس شيئًا واحدًا»<sup>(٤)</sup>.

ومراده: أن ما يدل على التصيير والتحويل ليس فعلًا واحدًا، بل عدَّةُ  
أفعال، مثل: جَعَلَ، وَتَرَكَ، وَرَدَّ، وَوَهَبَ، وَاتَّخَذَ<sup>(٥)</sup>، وكلمة "الذي" في إحدى  
روايي البيت تدل على المفرد، فتعطي أن ما يأخذ حكم "صير" في نصب

(١) أوضح المسالك ١٣٠/١، ١٣١.

(٢) موضع النقط بياض تركه ابن هشام دليلًا على الحذف، وما بين المعقوفين انقطع مكانه في طرف الورقة، وما أثبت موافق للرواية الأخرى الآتية.

(٣) الألفية ص ٩٧.

(٤) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ١٠/أ. وكانت العبارة هكذا: «هذا الصحيح والأحسن؛ لأن الذي كـ"صير" ليس شيئًا واحدًا، ف"التي" تدل عليه، أي: والأشياء التي كـ"صير"، ثم ضرب على: «الصحيح و»، وعلى «فالتى» إلى آخره.

(٥) ينظر: أوضح المسالك ٥١/٢.

المفعولين هو فعل واحد، بينما تدل كلمة "التي" في الرواية الأخرى على الجنس، وهو يتناول القليل والكثير، فناسب المقام التعبير بـ"التي"؛ لأنها أدق في تبين الحكم.

٣- مخالفة العبارة المرجوحة مراد الناظم.

مثاله: ما في البيت ١٣١:

أو كان مُسندًا لذي لام ابتدا أو لازم الصّدر كـ"من لي منجدا؟"  
ضبط ابن هشام في نسخته قوله: "لازم" بكسر الزاي والميم، وصحّح عليها، وقال في الحاشية: «في بعض النسخ: "لازم"، بالفتح في الميم، يعني: أو كان الخبر لازم الصدر. وهذا عكس القصد؛ لأن ذاك لا يجب تأخير بل تقديمه. ويوجد: "لازم"، بفتح الزاي والميم، عطفاً على "كان"، أي: أو لازم هو الصدر. وهو كالأول في الخطأ. والحق: "لازم"، بكسرهما. ثم العطف على "ذي" لا على "لام"؛ لأن المعنى يصير على الأول: أو كان مسنداً لل لازم الصدر، أي: لمبتدأ لازم الصدر، وهو المراد، وعلى الثاني: لمبتدأ ذي لازم الصدر، فينصرف إلى مثل: أزيد قائم؟ والحكم أن الخبر متقدم على المبتدأ، لا على همزة الاستفهام، فهذا فساد، ولا يطابق»<sup>(١)</sup>.

(١) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٦/ب.

فمن بين ثلاثة أوجهٍ يحتملها ضبطُ كلمة "لازم" في البيت لا يوافق مراد الناظم منها سوى ما اختاره ابن هشام، ولم يشر محقق الألفية إلى ورود شيء مما ضَعَفَه ابن هشام في نسخها العالية<sup>(١)</sup>.

٤- وجود أحد عيوب القافية في العبارة المرجوحة.

مثاله: ما في البيت ٨١٥، إذ جاء في نسخة ابن هشام هكذا:

في "فَعْلٍ" اسمًا مُطْلَقَ الفاء، لَهْ، وَلِلْفُعَالِ "فِعْلَانُ" شَمِلَ  
فضبط كلمة "شمل" بكسر الميم وفتحها، وصَحَّحَ عليها، وكتب فوقها: «خ:  
"حَصَلَ"»، ثم قال في الحاشية: «ينبغي أن يكون الإنشاد: "حَصَلَ"؛ لأن  
"شَمِلَ" بفتح<sup>(٢)</sup> العين، فلا يطابق الأول كلَّ المطابقة»<sup>(٣)</sup>.

وليس في نسخ الألفية العالية ما يوافق ما أثبتته ابن هشام في أصل  
نسخته، بل فيها: «حَصَلَ»<sup>(٤)</sup>، ويحتمل كلامه معنيين:

الأول: أن في عين "شمل" -وهي الميم- وجهين: الكسر، وهو مشهور،  
والفتح، وهو مسموع<sup>(٥)</sup>، فينبغي من جهة النظم أن يكون ما يقابلها في آخر  
الشطر الأول مما يجوز في عينه وجهان، لكن عين "فَعْلٍ" في آخر الشطر  
الأول لا تحتمل في كلام الناظم إلا وجهًا واحدًا، هو الفتح؛ لأنه تقدم في

(١) الألفية ص ٨٨.

(٢) مهمة في خط ابن هشام، ويمكن أن تقرأ: تُفْتَحَ.

(٣) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٣٥/أ.

(٤) الألفية ص ١٦٦.

(٥) ينظر: الصحاح ١٧٣٨/٥، ١٧٣٩.

البيت قبله<sup>(١)</sup> الكلام على اطراد جمع "فَعِل" - بكسر العين - على "فُعُول"، فلم يبق إلا الكلام على جمع "فَعَل" - بفتح العين - على "فُعُول"، فيكون مراد ابن هشام بقوله: «لأن "شمل" بفتح العين» أن فتح عينها زائد على المشهور فيها، وهو الكسر، فيكون فيها وجهان.

الثاني: أن عين "شمل" مكسورة على المشهور، وعين "فَعَل" في آخر الشطر الأول مفتوحة، وذلك أحد عيوب القافية عند بعضهم، وهو سِنَاد التوجيه، وهو أن يكون قبل حرف الرويِّ المقيّد فتحّةً مع ضمة أو كسرة<sup>(٢)</sup>، وهو مراد ابن هشام بعدم المطابقة، فيكون على هذا قد سَبَقَ قلمه في قوله: «لأن "شمل" بفتح العين» إلى كتابة "بفتح" بدل "بكسر".

هذا ما ظهر لي في فهم كلام ابن هشام، وقد تقدّم أنه وقع له هاهنا في أثناء كتابة الألفية انتقالٌ نظرٍ وإسقاطٌ، حيث انتقل نظره إلى آخر البيت ٨١٧ الآتي:

غَيْرَ مَعِلٍّ الْعَيْنِ "فُعْلَان" شَمَلْ

(١) وهو قوله:

وَبِ"فُعُولٍ": فَعَلٌ نَحْو: كَبِدٌ يُخْصُ غَالِبًا، كَذَاكَ يَطْرُدُ

(٢) ينظر: القوائمي، للأخفش ص ٣٧، والموشح، للمرزباني ص ٧، ٨، والواقي، للخطيب التبريزي ص

فأثبت هاهنا: «"فِعْلَانُ" شمل»، وأسقط بيتين بينهما، ثم استدركهما في الحاشية بعد ذلك، ولم يَنْبِهْ على أن "شمل" الذي كتبه أولاً كان سهوًا لا نسخةً.

ويشار إلى أنه وقع في الألفية في البيت ٤٤٥ نظير ما وقع هاهنا، وهو قوله:

لِلدَّاءِ "فُعَالٌ" أَوْ لِصَوْتٍ، وَشَمِلَ سَيْرًا وَصَوْتًا "الْفَعِيلُ" كـ "صَهْلٌ"  
ولم يذكر ابن هشام الإشكال في كلمة "شمل" الذي ذكره في البيت ٨١٥، مع أنه ضبط ميمها في نسخته هاهنا بالوجهين أيضًا، وصَحَّحَ عليها، وكتب فوقها: «معًا»، وضبط هاء "صهل" بالفتح فقط، وصَحَّحَ عليها<sup>(١)</sup>.  
٥- موافقة العبارة الراجحة الوجهة الإعرابي الظاهر، ومخالفة العبارة المرجوحة له.

مثاله: في البيت ٢٩٨:

يُنْصَبُ مَفْعُولًا لَهُ الْمَصْدَرُ إِنْ أَبَانَ تَعْلِيلًا، كـ "جُدْ شُكْرًا وَدِنْ"  
صَحَّحَ ابن هشام في نسخته على لفظ: "مفعولًا"، وقال في الحاشية: «في بعض النسخ: "مفعولٌ" باللام بغير ألف، ولا وجه له ظاهرًا»<sup>(٢)</sup>.

(١) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ١٩/ب.

(٢) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ١٣/ب.

ف"مفعولاً" في البيت حال من نائب الفاعل، وهو قوله: "المصدر"<sup>(١)</sup>، أي: يُنصب المصدر حالة كونه مفعولاً له إن أبان تعليلًا، أما رفعه فلا وجه له كما قال ابن هشام.

وفي ختام هذا المبحث يُلاحظ أن ابن هشام -فيما وقفت عليه- لم يعتمد في ترجيحه بين النسخ على الرواية عن الناظم والنقل والسماع منه، فیرجّح أعلى النسختين روايةً، أو أوثقهما نقلًا، أو أقربهما سماعًا من المؤلف أو ممن دونه، بل كان اعتماده على الدراية والنظر والتعليل، مع أن القاعدة في الترجيح عند اختلاف النسخ أن يدور الأمر حول معرفة العبارة التي انتهى إليها المؤلف، حتى لو كانت تقصر عن الدقة درجةً، أو فيها خللٌ ما من جهة التركيب والصياغة<sup>(٢)</sup>.

وعذر ابن هشام في هذا أن النسخ التي وقف عليها كانت كلّها عنده في درجة واحدة من جهة الرواية، إما علوًا أو نزولًا، فلم يكن بُدٌّ من الترجيح بأمر خارج عن هذه الجهة.

\*\*\*

(١) ينظر: تمرين الطلاب ص ٤٨، واللوامع الشمسية ١/١٣٤ أ.

(٢) ينظر: تحقيق النصوص ونشرها ص ٧٢، ٧٣.

## المبحث الثالث: ضبط النص.

### المطلب الأول: أشكال ضبط النص عند ابن هشام.

أَحَدَ ضَبْطِ الأَلْفِيَةِ عند ابن هشام ثلاثة أشكال: ضبط القلم، وضبط الحروف، وضبط الإعراب.

أما ضبط القلم فهو ما أَعْمَلَ فيه ابنُ هشام قَلَمَهُ بالضبط في متن نسخته من الألفية، فإنه جرى في كتابتها على عادة أهل عصره في إهمال أكثر الحروف المعجمة؛ اعتماداً على فطنة القارئ ومعرفته، ثم عاد إليها بعد ذلك بالضبط في أوقات متفاوتة، كما تقدّم.

وقد مرَّ ضبط الألفية بالقلم في نسخة ابن هشام بمرحلتين:

الأولى: في أثناء كتابة الألفية، وهو ضبطٌ بالحبر الأسود الذي كُتِبَ به متن الألفية، وكان ضبطاً مختاراً لبعض حروف الكلمة المضبوطة، وأكثره كان مما لا تدعو الحاجة إلى ضبطه.

الثانية: بعد كتابة الألفية، وذلك بالعودة إليها مرةً أخرى لضبط كلماتها، إما بالمرور على الأبواب وضبط أبيات الباب كلّها ضبطاً يكاد يكون تامّاً، وبعض ذلك كان بالحبر الأحمر، وبعضه كان بالأسود أو الأسود الباهت، وكان في أبوابٍ سَبَقَ بيانها، وإما بضبط ما كان هناك داعٍ لضبطه، ومن ذلك:

١- أن يكون في الكلمة المضبوطة بحثٌ أجراه ابن هشام في حواشيه على الألفية، فضبطها في المتن تنبيهاً لما انتهى إليه بحثه فيها.

٢- أن يكون الخطأ في قراءة الكلمة المضبوطة وارداً؛ إما لأن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، وإما لأن السياق يحتمل ضبطين والمراد أحدهما، فيضبطها ابن هشام في الحالين؛ لئلا يسبق ذهن القارئ إلى الخطأ.

٣- أن يكون ابن هشام كَتَبَ الكلمة المضبوطة أو ضَبَطَهَا أولاً على الخطأ، فيعيد كتابتها أو ضبطها على الصواب.

واستعمل ابن هشام في ضبط القلم العلامات الشائعة في الضبط، كنقط الإعجام، والحركات، وعلامات السكون، والإهمال، والتشديد، والتخفيف، والمد، والهمز، والوصل، والتصحيح، والجمع بين ضبطين فأكثر (معًا).

وأما ضبط الحروف فهو ما ضَبَطَ فيه ابن هشام ألفاظ الألفية ضبطًا مشروحًا من خلال تعليقاته عليها.

وأما ضبط الإعراب فهو أن يعرب ابن هشام بعض ألفاظ الألفية، ويكون غرضه من ذلك الوصول إلى الضبط الأقرب للصحة.

\*\*\*

## المطلب الثاني: الأمور العلمية التي استند إليها في ضبطه.

استند ابن هشام فيما ضبطه من الألفية إلى أمور علمية متعددة، راعى فيها ما تقتضيه قواعدها، فمنها:

١ - مراعاة مقتضى الإعراب.

من ذلك: ما في البيت ٣٣٢:

الحال وصفٌ فضلةٌ منتصبٌ      مُفْهِمٌ "في حال" ك: فردًا

قال ياسين: «قوله: "مُفْهِمٌ في حال"، قال ابن هشام: "حال" بغير تنوين على الحكاية. وقال في موضع آخر: "حال" غير منون؛ لأن ابنه قال<sup>(١)</sup>: "أي: في حال كذا"، وقوة هذا يعطي أنه مضاف»<sup>(٢)</sup>، وهو ما مشى عليه في أوضح المسالك، فقال: «وقال الناظم:

الحال وصفٌ فضلةٌ منتصبٌ      مُفْهِمٌ في حالٍ كذا

... ومفهمٌ في حالٍ كذا: مخرج لنعت المنصوب...»<sup>(٣)</sup>.

ومراده بالحكاية في الموضع الأول حكاية حال كلمة "حال" في الجملة التي أوردها عن ابن الناظم، وهو كونها مضافةً غير منونة، فهي على نية الإضافة، وهو ما عبّر عنه في الموضع الثاني بالإضافة؛ لأن المضاف لا ينون، ومجيئها في البيت غير مضافة اكتفاءً من الناظم ببعض الجملة عن جميعها؛ لدلالة المكتفى به على المراد، فأوردها بلفظها كما لو كانت مضافةً.

(١) شرح الألفية ص ٢٢٧.

(٢) حاشية الألفية ٣٠٨/١.

(٣) أوضح المسالك ٢٩٥/٢.

لكن ابن هشام خالف رأيه هذا، فضَبَطَ في نسخته كلمة "حال" بالتونين<sup>(١)</sup>، على قطع الكلمة عن الإضافة، فله في ضبطها رأيان، وجاءت نسخ الألفية العالية بالوجهين<sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك: ما في البيت ٩٦٢:

كتاء بانٍ من "رمى" كـ "مقدرة" كذا إذا كـ "سبعان" صيرة  
قال ياسين: «قال ابن هشام: الصواب: فتح نون "سبعان" على لغة من أجرى المثني مسمًى به مجرى "سلمان"، ولو كُسرت النون لَزِمَ: "كذا إذا كسبعين"، ولم يَجْزُ حينئذٍ كونها منونة؛ لأنها نون التثنية»<sup>(٣)</sup>، ونقله الصَّبَّان، وزاد: «وعندي فيما ذكره من اللزوم نظر؛ لأن إلزام المثني وما أُلْحِقَ به الألف لغةً، كما سبق»<sup>(٤)</sup>.

وقد مشى ابن هشام في نسخته من الألفية على ما اختاره هنا، فضبط بالخمرة نونَ "سبعان" بالفتح، وكان ضَبَطَ بالسواد السينَ والباءَ بالفتح فالضم<sup>(٥)</sup>.

(١) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ١٥/أ.

(٢) الألفية ص ١١١.

(٣) حاشية الألفية ٥٤٩/٢.

(٤) حاشية شرح الأشموني ٤٣٢/٤، ٤٣٣.

(٥) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٤١/أ.

والمثنى إذا سمي به جاز فيه وجهان:  
الأول: بقاءه على ما كان عليه قبل التسمية، فيرفع بالألف، وينصب  
ويجر بالياء.

الثاني: إعرابه إعراب الممنوع من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون،  
فيرفع بالضممة، وينصب ويجر بالفتحة<sup>(١)</sup>.

فابن هشام يوجب فتح نون سُبْعَان - وهو اسم موضع<sup>(٢)</sup> -، ويخرجه  
على أنه مثنى مسمًى به أجري مجرى الممنوع من الصرف، فُجِّرَ بالفتحة، ولا  
يجيز كسر نونه؛ لأنه إن لم يعرب كالممنوع من الصرف أعرب إعراب المثنى،  
ولو كان كذلك لُجِّرَ بالياء لا بالكسرة، ولا يجوز تنوينه؛ لأن الممنوع من  
الصرف والمثنى لا ينونان.

أما الصَّبَّان فلا يوجب فتح نونه كما قاله ابن هشام، بل يجوز ذلك،  
ويجيز الكسر، ويخرِّج الكسر على أنه مثنى معرب بالألف في أحواله كلِّها.

## ٢- مراعاة مقتضى الصناعة:

من ذلك: ما في البيت ٩٧١:

وصَحَّ عَيْنُ "فَعَلٍ"، و"فَعِلًا"      ذَا "أَفْعَلٍ" ك: أَغْيَدٍ، وَأَحْوَلَا  
لم تُضبط كلمتا "فعل" و"فعلا" في إحدى نسخ الألفية التي حشَّها ابن  
هشام، فضبط الأولى بالقلم بفتحتين، وكتب فوقها: «قَدَّمْتُه؛ لأن المصدر

(١) ينظر: شرح المفصل، لابن يعيش ٤٤٣/٣، وتسهيل الفوائد، لابن مالك ص ٢٢٥، وارتشاف

الضرب، لأبي حيان ٨٩٨/٢.

(٢) ينظر: معجم البلدان ١٨٥/٣.

الأصل»، وضبط الأخرى بفتح فكسر، وكتب فوقها: «أخَرْتُهُ؛ لأنه فرغ المصدر، ولأن "ذا أَفْعَل" أقرب إليه، والأوصاف إنما تنسب إلى الأفعال»<sup>(١)</sup>.  
ومراده: أن المصدر أصلُ الفعل على رأي البصريين<sup>(٢)</sup>؛ لذا رأى أنه أولى بالتقديم في البيت، فضَبَطَ الكلمة الأولى بما يوافق كونها مصدرًا على وزن "فَعَلَ"، مثل: غَيَّدَ، وَحَوَّلَ، وضَبَطَ الأخرى بما يوافق كونها فعلاً ماضياً على وزن "فَعِلَ"، والألف فيها للإطلاق، وعَلَّله بأنه فعلٌ، والفعل فرغٌ عن المصدر، فهو أولى بالتأخير، وبأنه المراد بما ذكر بعده من أن الوصف منه على "أَفْعَل"، فيكون القَيْدُ على هذا الضبط متصلاً بالمقيّد.

ويدل قوله: «قدّمته»، و«أخرته» على أنه لم يرجع فيما ضبطه من الألفية إلى رواية، بل إلى دراية ونظر، ولو كان في المسألة شيء منقول عن الناظم لانتهى إليه.

### ٣- مراعاة المعنى.

من ذلك: ما في البيت ٣٤٥:

وعاملٌ ضُمِّنَ معنى الفعلِ لا حروفه مؤخراً لن يعملا  
قال ابن هشام تعليقا على كلمة "حروفه": «عطفت على "معنى"، لا على "الفعل"؛ لفساد المعنى»<sup>(٣)</sup>.

(١) حواشي الألفية (مجمع اللغة بدمشق) ٨٨/ب.

(٢) ينظر: الإنصاف، للأنباري ١/١٩٠، والتبيين، للعكبري ص ١٤٣.

(٣) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ١٥/ب.

ومرادده: ضبط كلمة "حروفه" بالنصب؛ لأن المعنى يدل على أنها معطوفة على كلمة "معنى" في البيت، والتقدير: ضُمَّنْ معنى الفعل لا حروفَ الفعل، ولو جُعِلَتْ مجرورةً عطفاً على كلمة "الفعل" لكان المعنى: ضُمَّنْ معنى الفعل لا معنى حروف الفعل، وذلك كلام غير مستقيم.

ومن ذلك: ما في البيت ٤٧٦:

وحذف ما منه تعجَّبت استبح إن كان بعد الحذف معناه يضح

قال ابن هشام: «"يضح" بالضاد المعجمة، أي: إن كان معناه عند الحذف واضحاً، لا بالمهملة؛ لأن قولك: إن كان معناه عند الحذف صحيحاً لا معنى له»<sup>(١)</sup>. وقال أيضاً: «يقال: وَضَحَ الأمرُ - بالضاد المعجمة، ثم بالحاء المهملة - وضوحاً، وأَوْضَحَ، ثلاثياً ورباعياً: ظَهَرَ، والوجه: حَسُنَ. قال خَلْفُ بن خَلِيفَةَ الْأَقْطَعُ:

كَفَى الْهَجْرُ أَنَّا لَمْ نَضِحْ<sup>(٢)</sup> لَكَ وَلَمْ يَأْتِنَا عَمَّا لَدَيْكَ يَقِينُ»<sup>(٣)</sup>

ومرادده: تضعيف ما في بعض نسخ الألفية<sup>(٤)</sup> من كون آخر البيت: «يَضِحُّ» بدل «يَضَحُّ»، بدليل أن المعنى لا يستقيم عليه، ويؤيد كلام ابن

(١) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٢١/أ.

(٢) كذا في المخطوطة مضبوطاً، وفي مراجع البيت الآتية: «يضح» بالياء.

(٣) حواشي الألفية (التيمورية) ٨٨. والبيت من الطويل. ينظر: شرح الحماسة، للمرزوقي ٨٨٩/١، وللتبريزي ١٨١/٢.

(٤) الألفية ص ١٢٨.

هشام حاشيةً على هذا الموضوع في إحدى نسخ الألفية العالية، نصّها:  
«حاشيةً بخطه رحمه الله: وَضَحَ الشيء يَضِحُ، إذا كان واضحًا»<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك: ما في البيت ٧٠٤:

وجزْمٌ أو نصبٌ لفعلٍ إثرَ فا أو واوٍ أنْ بالجمليتين اكتُنِفَا

قال ياسين: «قوله: "اكتنفا"؛ قال ابن هشام: بضم التاء، والألف تثنيةٌ لا إطلاق»<sup>(٢)</sup>، ولم يضبطها ابن هشام في نسخته<sup>(٣)</sup>.

وتضمّن كلامه هنا شيئين: ترجيحَه ضمَّ التاء على فتحها، وجَعَلَه الألفَ فيها أَلَفَ الاثنين، لا أَلَفَ إطلاقٍ.

والفعل "اكتنف" جاء باستعمالين: بمعنى: أحاط، وبمعنى: اتخذ كنيئًا، أي: شيئًا يُحيط به، وهو فيهما متعدٍّ بنفسه<sup>(٤)</sup>، وقد عدّاه الناظم في البيت بالباء، فدلَّ على أنه ضمّنه معنى: أحاط؛ لأنه الذي يتعدى بالباء، مثل قوله تعالى: ﴿وَضُنُّوا أَهْمْ أَحِيطَ بِهِمْ﴾<sup>(٥)</sup>، والمعنى عليه مستقيم؛ إذ يصح أن تقول: أُحِيطَ الفعلُ بالجمليتين، ولا يستقيم على هذا التضمين ما في بعض نسخ الألفية العالية<sup>(٦)</sup> من فتح تاء "اكتنف" مبنياً للفاعل؛ لأنه لا يصح أن تقول:

(١) الخلاصة الأسدية ١٧/أ.

(٢) حاشية الألفية ٢٧٢/٢.

(٣) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٣٠/ب.

(٤) ينظر: إصلاح المنطق، لابن السكيت ص ٢٦١، والصحاح ١٤٢٤/٤، والمحكم ٥٨/٧-٦٠، والمخصص، كلاهما لابن سيده ٥١٢/١، ٢٤٨/٢.

(٥) سورة يونس، من الآية ٢٢.

(٦) الألفية ص ١٥٤.

أحاط الفعلُ بالجمليتين؛ لأنه لا يحيط بهما، بل هما اللتان تحيطان به، ولا يستقيم فتح التاء أيضًا على الاستعمال الثاني لـ "اكتنف" <sup>(١)</sup> إلا أن تكون عبارة البيت: «إنَّ الجملتين اكتنفا»، أي: اتخذهما شيئًا يحيط به؛ لأن "اكتنف" سُمع متعديًا بنفسه لا بالباء.

وأما كون الألف للتثنية لا للإطلاق فلم أره متوقفًا على ما تقدّم، وهو راجع إلى فاعل الاكتناف، أهو كلمة "فعل"، فتكون الألف للإطلاق، أم كلمتا "فا" و"واو" فتكون للتثنية؟ والمعنى مستقيم عليهما، واختار ابن هشام الثاني، والأول أقرب إلى كلام الناظم؛ لأن جواز الجزم والنصب المذكور في البيت منسوب للفعل لا للعاطف.

٤ - مراعاة مراد الناظم والأقرب لمكانته العلمية.

من ذلك: ما في البيت ١١٤:

وأوّل مبتدأ والثاني فاعلٌ اغنى في "أسارٍ ذانٍ؟"

قال ابن هشام: «"ذان" تثنية "ذا"، لا اسمُ فاعلٍ من: دنا يدنو؛ لأنه لا يليق بذِي فَهْمٍ أن يمثّلَ بمشتركٍ، ونحو: أقائمٌ زيدٌ؟ يجوز فيه إعرابان - بإجماع، وإنما النزاع في مثل: ﴿أَرَاغِبْتُ أَنْتَ﴾ <sup>(٢)</sup>، أعني: فيما مرفوعه ضميرٌ - فلا يُمثّلُ به لأحدهما» <sup>(٣)</sup>.

(١) وهو ما شرح عليه الشاطبي في المقاصد الشافية ١٦١/٦.

(٢) سورة مريم، من الآية ٤٦.

(٣) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٦/أ.

ومرادده: أن الوصف الرافع لمكتفى به المعتمد على نفي أو استفهام إن  
طابق الموصوف في الأفراد جاز كونه مبتدأ وخبراً مقدّماً، نحو: أ قائمٌ زيدٌ؟ وإن  
طابقه في غير الأفراد تعيّن خبريّته، نحو: أ قائمان أخواك؟ وأ قائمون إخوانك؟  
وإن لم يطابقه تعيّن ابتدائيّته، نحو: أ قائم هذان؟<sup>(١)</sup>

فلو كان ما في الألفية "دان" بالذال المهملة لصار المثال مما طابق الوصف  
فيه موصوفه في الأفراد، فجاز فيه إعرابان، مثل: أ قائمٌ زيدٌ؟ ولم يصحّ التمثيل  
به؛ لأن الناظم يريد التمثيل لما تتعيّن ابتدائيّته، إذ نصّ عليه في قوله: «وأولُ  
مبتدأ والثاني فاعل أغنى».

أما لو كان ما في الألفية "ذان" بالذال المعجمة تنبيه اسم الإشارة "ذا"  
لكان مما لم يطابق الوصف فيه موصوفه، مثل: أ قائمٌ هذان؟ فتعيّن ابتدائيّته،  
وهو مراد الناظم.

فهو يستبعد أن يمثّل الناظم -وهو مَنْ هو في مكانته العلمية ودقّة فهمه-  
بمثال ليس نصّاً في المسألة، بل يجوز فيه إعرابٌ آخر.  
٥ - مراعاة الوزن الشعري.

من ذلك: ما في البيت ١٧١:

بعد "عسى" "اخلولق" "أوشك" غنى بـ"أن يفعل" عن ثانٍ فقد

---

(١) ينظر: أوضح المسالك ١/١٩٣.

ضبطه ابن هشام في نسخته بتشديد قاف "قَد"، وقال في الحاشية: «تدغم الكاف في القاف مثل: ﴿لَكَ قُصُورًا﴾<sup>(١)</sup>؛ وإلا لزم تسكين...»<sup>(٢)</sup>. وضبطه ابن هشام بالإدغام؛ لئلا ينكسر البيت، بتحوّل عروضه من "مُسْتَفْعِلَنْ": "شَقْ قَدْ يَرْد" إلى "مُتَفَاعِلَنْ": "شَكَ قَدْ يَرْد"، وهو غير جائز في الرجز<sup>(٣)</sup>.

واستدل ابن هشام لهذا الضبط بالإدغام الكبير الذي روي في قراءة أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ)، وهو إدغام الحرف المتحرك في مماثله أو مقاربه أو مجانسه، فالأول كالكاف والكاف، والثاني كالميم والباء، وكالقاف والكاف، والثالث كالتاء والذال<sup>(٤)</sup>.

#### ٦- مراعاة حكاية اللفظ.

وهو ما جرى عليه ابن هشام في ضبط أمثلة الألفية في نسخته، حيث ضبطها دون نظرٍ إلى مقتضى ما دخل عليها، بل على حكاية حركتها كما لو كانت أمثلةً مجردة.

من ذلك: ضبطه بالضم أول المثل من: «كذكُر الله عبده يسر» في البيت ٢٥، و«كالله بُرّ والأَيادي شاهده» في البيت ١١٨، و«كمثل كلِّ صانع وما صنع» في البيت ١٣٩، و«كمُد حنطة غذا» في البيت ٣٥٨،

(١) سورة الفرقان، من الآية ١٠، وهي قراءة أبي عمرو. ينظر: جامع البيان، للداني ٤٤١/١.

(٢) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٨/ب. وأصاب آخر النص في المخطوطة قطع في طرف الورقة.

(٣) ينظر: الواقي، للتبريزي ص ١٠٦.

(٤) ينظر: السبعة، لابن مجاهد ص ١١٨، والنشر ٢٧٥/١، ٢٧٨.

و«إن كان مثل ملء الأرض ذهباً» في البيت ٣٥٩، و«كمحمود المقاصد الورع» في البيت ٤٣٩، و«كالعلم نعم المقتنى والمقتنى» في البيت ٤٩١، وضبطه بالنصب أول المثل من: «كالمطواع مر» في البيت ٩٠٨<sup>(١)</sup>. ولو راعى فيها جميعاً مقتضى ما دخل عليها لضبطها بالجر على الإضافة.

٧- مراعاة الرسم الإملائي.

من ذلك: ما في البيت ٩٢٨:

وإن يك الزائد ضعف أصلي فاجعل له في الوزن ما للأصلي  
كتب ابن هشام في نسخه كلمة "أصلي" في الموضعين بالياء، وقال في الحاشية: «إنما كتبته بالياء على أنه مخفف من "أصلي"، لا أنه لفظه "أصل" ألحقت في اللفظ ياءً للإطلاق»<sup>(٢)</sup>.

فرسم الكلمتين بالياء محتمل لأن تكونا منسوبتين مخففتين، وأن تكونا غير منسوبتين مُشَبَّعتين؛ لذلك نصَّ ابن هشام على المراد، ولو كان يريد غير المنسوبتين لرسمهما بلام مكسورة، تفریقاً بين المنسوب وغيره، كما في نسخ الألفية العالية<sup>(٣)</sup>، مع جواز رسم غير المنسوب بالياء أيضاً؛ للإطلاق.

(١) تنظر على التوالي في: حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٢/ب، ٦/أ، ٧/أ، ١٦/أ (موضعان)،

١٩/ب، ٢١/ب، ٣٨/ب.

(٢) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٣٩/ب.

(٣) الألفية ص ١٧٨.

هذا ما بدا لي في مستندات الضبط التي جرى عليها ابن هشام في نسخته وفي تعليقاته على الألفية، ومن خلالها يظهر أنه لم يعتمد في واحد منها على الرواية والنقل عن المصنف، بل مداره فيها على الاجتهاد والبحث والنظر والتعليل، كمثّل مواقفه من اختلاف النسخ التي مرّ ذكرها، ويقال هنا ما قيل هناك من أن ابن هشام لم يقف على شيء في الضبط منقول عن الناظم فيعتمدّه، وإنما أعمل نظره وفكره، واجتهد في ضبط ما عرض له من الألفاظ التي تدعو الحاجة إلى ضبطها، ولو كان بين يديه أثارة من نقلٍ أو سماعٍ لما حاد عنها، والله أعلم.

\*\*\*

### المطلب الثالث: مسالكه في ضبط ما تعددت أوجهه.

يشير ابن هشام في مواضع إلى أن نصَّ الألفية يجوز في ضبطه أكثر من وجه، وقد سلك في ذلك مسالك: فرمّا رجّح وجهًا من الأوجه على غيره، وربما أجاز الأوجه المحتملة جميعًا، وربما ضعّفها جميعًا، وتفصيل هذه المسالك فيما يلي:

#### ١- ترجيح أحد الأوجه:

من ذلك: ما في البيت ١٩:

وفعلٌ أمرٌ ومضيٌّ بُنيًا

قال ابن هشام: «كيف أخبرَ بالفعل المتحمّل لضمير التثنية عن مفردٍ وهو "فعلٌ"؟ لا يقال: لإضافته إلى "أمرٍ ومُضِيٍّ"؛ لأنك لو قلت: غلامٌ زيدٌ وعمروٌ قاما؛ لم يصح، باعتبار زيد وعمرو. والجواب: أنه على حذف مضاف، أي: وفعلٌ مُضِيٌّ، والإخبارُ في الحقيقة عن المذكور والمحذوف معًا. وهذا الموضع يُقرأ بالخفض، وذلك على حذف المضاف وبقاء المضاف إليه على ما كان عليه منخفض؛ لكون المضاف المحذوف معطوفًا على مثله، نحو:

أكلَ امرئٌ تحسبين امرأً ونارٍ توقدُ بالليلِ نارا؟<sup>(١)</sup>

وينبغي أن يُقرأ: "ومُضِيٌّ" بالرفع، على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، على ما هو الأكثر في كلامهم<sup>(١)</sup>، وعلى هذا فالإخبارُ صحيحٌ»<sup>(٢)</sup>.

(١) البيت من المتقارب، لأبي دؤاد الإيادي، في شعره ص ٣٥٣.

ومع ترجيح ابن هشام هنا قراءة "مُضَيِّ" بالرفع فإنه ضبطها في نسخته بالجر، ولم يُشِرْ إلى غيره<sup>(٣)</sup>، فمشى فيها على مشهور قراءة الألفية، وقد بين في كلامه السابق أن له وجهًا في العربية.

ومن ذلك: ما في البيت ٢٥:

فارفع بضَمِّ وانصَبَنْ فتَحًا وجرَّ كسرًا، ك: "ذَكَرُ اللّٰهِ عَبْدَهُ يَسُرُّ"  
كذا جاء المثال في البيت مضبوطًا في أصل نسخة حشّاها ابن هشام، فكتب في حاشيتها: «ويجوز من حيث المعنى والصناعة أن تقول: عبده، بالرفع، ولكن تَقُوْتُ تَمَّ الحركات الثلاث»<sup>(٤)</sup>.

فهو يراعي مراد الناظم في التمثيل للحركات الثلاث بمثال واحد، فيرجح لذلك ضبط كلمة "عبدَه" بالنصب مفعولًا للمصدر "ذَكَرَ" المضاف إلى فاعله<sup>(٥)</sup> -وبه ضَبَطَهُ في نسخته<sup>(٦)</sup>- على ضبطها بالرفع فاعلاً له، مع كون هذا الضبط جائزًا على إضافة المصدر إلى مفعوله.

ومن ذلك: ما في البيت ٤٥:

وحذفُها للجزم والنصب سِمَةً ك: "لم تكوني لترومي مَظْلَمَةً"

(١) ينظر: شرح التسهيل، لابن مالك ٢٦٥/٣، وأوضح المسالك ١٦٧/٣، ١٦٨.

(٢) حواشي الألفية (التيمورية) ٣٢، ونقله ياسين في حاشية الألفية ١/١٩، ٢٠، ولم يعزه لابن هشام.

(٣) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٢/أ.

(٤) حواشي الألفية (يوسف آغا) ١/أ.

(٥) ينظر: تمرين الطلاب ص ٩، واللوامع الشمسية ١/١٤١.

(٦) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٢/ب.

ضبط ابن هشام في نسخته كلمة "مَظْلَمَة" بفتح اللام وكسرهما، وكتب فوقها: «معاً»، وقال في الحاشية: «والأحسن - لأجل الشعر - الكسر»<sup>(١)</sup>. وكلمة "مَظْلَمَة" مما جاء على وزن "مَفْعَلَة" بفتح العين وكسرهما، فالفتح القياس؛ لأنها مصدر ميمي من فعل ثلاثي مجرد صحيح، والكسر على الشذوذ، أو على أنها اسمٌ ما أُخِذَ منك، لا يراد بها المصدر<sup>(٢)</sup>.  
ومراد ابن هشام بقوله: «لأجل الشعر» موافقتها آخر الشطر الأول، وهو "سِمَة"، فبكسر اللام في "مَظْلَمَة" تتوافق اللفظتان في حركة حرفين قبل حرف الرويِّ، وبالفتح تتوافقان في حركة حرف واحد فقط، وهو مع جوازه ليس مثل الأول في التناسب.

ومن ذلك: ما في البيت ٢٧٦:

وحذفَ فضلةً أجزُ إن لم يَضُرْ      كحذفِ ما سيق جواباً أو حُصِرَ  
قال ياسين: «قوله: "إن لم يَضُرْ": قال ابن هشام: يجوز: "يَضُر" بكسر الضاد، من قولهم: ضَارَه يَضِيرُه، ومنه: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾<sup>(٣)</sup>، ويجوز ضمُّ الضاد، على أن الفعل أجوفٌ واويٌّ، وعلى أنه مضعَّفٌ وَقَفَ عليه في القافية بالتخفيف، مثل قوله:

(١) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٣/أ.

(٢) ينظر: الكتاب، لسيبويه ٩١/٤، والمخصص ٤٠٥/٣، ٣٢٠/٤، وشرح الشافية، للرضي ١٧٢/١، وارتشاف الضرب ٥٠٤/٢.

(٣) سورة الشعراء، من الآية ٥٠.

لا يَدَّعي القومُ أنَّي أَفِرُّ<sup>(١)</sup>

...

والأولى أنسب»<sup>(٢)</sup>.

فأجاز ابن هشام في ضبط كلمة "يَضُرُّ" في البيت وجهين:  
الأول: "يَضُرُّ" بكسر الضاد وسكون الراء غير مشددة، على أنها مضارع مجزوم من: ضار يضير.

الثاني: "يَضُرُّ" بضم الضاد وسكون الراء غير مشددة، على أنها مضارع مجزوم من: ضار يضور، أو من: ضَرَّ يَضُرُّ، جاءت على التخفيف، وأصلها: يَضُرُّ.

والوجهان يرجعان إلى معني واحد، هو الضَّرُّ ضد النفع<sup>(٣)</sup>، لكن ابن هشام اختار هنا الوجه الأول، وضبط به في نسخته<sup>(٤)</sup>؛ لأن فيه تناسباً بين: "حُصِرَ" و"يَضُرُّ" في كسر ما قبل حرف الرويِّ المقيّد، وبه يسلم البيت من اختلاف القافية.

(١) عجز بيت من المتقارب، لامرئ القيس، في ديوانه ص ١٥٤، وصدّره:

لا، وأبيك ابنة العامريّ ...

(٢) حاشية الألفية ٢٣٨/١، وفيها: "يضعف" بدل "مضعف"، والتصويب من مخطوطته ١١٦/ب.

(٣) ينظر: إصلاح المنطق ص ٢٣، وجمهرة اللغة، لابن دريد ١٢٢/١، ٧٥٣/٢، ١٠٦٦،  
والصحاح ٧٢٣/٢، والمحكم ٢٢٧/٨.

(٤) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ١٢/ب.

ومن ذلك: ما في البيت ٩٦٨:

من ياءٍ او واوٍ بتحريكٍ أَصْلُ      أَلْقَا ابدَلْ بعد فتحٍ مُتَّصِلِ  
ضبط ابن هشام في نسخته قوله: "أصل" بفتح الهمزة، وضم الصاد، وصَحَّح عليه<sup>(١)</sup>، ونقل عنه ياسين أنه ضبطه في أصل نسخته -وهي نسخة أخرى اعتمدها غير التي بين أيدينا- بضم الهمزة، وكسر الصاد، وأنه كتب في حاشيتها: «كما وُجِدَ بخط ابن النحاس»، ثم قال: «رأيتُ بخط ابن هشام في شرحه: قوله: "أصل" يقرؤه الناس بضم الهمزة وكسر الصاد، على البناء لما لم يسم فاعله، وفيه نظر؛ لأن هذا الفعل لا يتعدَّى، فلا يُبنى للمفعول، ولا معنى لقولك: أجعله مبنياً للمصدر، والتقدير: أَصِلْ هو، أي: أَصِلْ، ووُجِدَ بخط ابن النحاس: "أصل" بفتح الهمزة وضم الصاد، وهو القياس، إلا أنه يَضْعُفُ من حيث التقفية بينه وبين "مُتَّصِلِ"، وهو جائز، ومن أحسن ما جاء فيه قولُ امرئ القيس:

كَأَنَّ الْمُدَامَ وَصَوَّبَ الْعَمَا      م وَرِيحَ الْخَزَامِي وَنَشَرَ الْقُطْرُ  
يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْبَاهَا      إِذَا غَرَّدَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِرُّ<sup>(٢)</sup>

(١) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٤١/أ.

(٢) بيتان من المتقارب، وهما في الديوان ص ١٥٧، ١٥٨. المدام: الخمر. والغمام: السحاب. وصوبه: وقَّعه. ونشر القطر: رائحة العود الذي يتطيب به. ويُعَلُّ: يُسقى. والمستحِرُّ: المصوَّب بالسحر.

انتهى. وهذا الذي أشار إليه آخرًا هو المسمى عند علماء القوافي: سِنَاد التوجيه»<sup>(١)</sup>.

ويتضح مما تقدّم أن الضبطين نُقلا عن ابن النحاس -وبذلك صرّح ابن سعيد التونسي (ت ١١٩٩هـ)<sup>(٢)</sup>- وعن ابن هشام، أما ابن النحاس فلم أجد ما يرجح اختياره أحد الضبطين على الآخر، وأما ابن هشام فصريح عبارته المفصلة التي نقلها ياسين وصنيعه في نسخته التي بين أيدينا يفيدان ترجيح فتح الهمزة وضم الصاد، وذلك أرجح من الضبط الآخر الذي نقله عنه ياسين من نسخة أخرى؛ لأنه مجمل، وربما كان رأيًا له قديمًا نزع عنه، ويحتمل أن يكون الضبط لغيره، فظنّ وهما أنه له، ورأيت الكلمة في أصل نسخة أخرى حشّاها ابن هشام مضبوطةً بغير خطه بضم الهمزة وكسر الصاد، ولم يعلّق عليها<sup>(٣)</sup>.

وأما تسمية ياسين ما أشار إليه ابن هشام آخرًا بسِنَاد التوجيه، فإن سِنَاد التوجيه هو أن يكون قبل حرف الروي المقيد فتحةً مع ضمةٍ أو كسرةٍ، هذا رأي الخليل، وأجازه الأخفش، فإن كانت الضمة مع كسرة لم يكن سِنَادًا عندهما<sup>(٤)</sup>، وعليه فلا عيب هنا في البيت على الضم.

---

(١) حواشي الألفية ٥١٠/ب، ٥١١/أ، وبعضه في مطبوعته ٥٦١/٢، ونحوه في: حاشية الصبان ٤٤٠/٤، وحاشية الخضري ٩٢٢/٢، والفتح الودودي ٢٧٧/أ.

(٢) زواهر الكواكب ٣٠١/٢.

(٣) حواشي الألفية (يوسف آغا) ٣٥/أ.

(٤) ينظر: القوافي، للأخفش ص ٣٧، والموشح ص ٧، ٨، والوافي، للخطيب التبريزي ص ٢٢١.

٢- تجويز أكثر من وجه:

من ذلك: ما في البيت ٩:

واحدُهُ كَلِمَةٌ والقولُ عَمَّ وَكَلِمَةٌ بها كلامٌ قد يُؤمَّ

ضبط ابن هشام في نسخته كلمة "كلمة" الأولى بفتح فكسر، والثانية بكسر فسكون، وقال في الحاشية: «في "الكلمة" ثلاث لغات. من الكفاية»<sup>(١)</sup>.

وهو يشير إلى جواز ثلاثة أوجه لغوية فيها، ولم يذكرها، بل أحال على الكفاية، وهو كتاب لابن الحبار (ت ٦٣٩هـ) شَرَحَ في كتابه النهاية، ونصُّه في النهاية: «وفي الكلمة ثلاث لغات: كَلِمَةٌ كـ"نَبَقَة"، وهي لغة أهل الحجاز، وكَلِمَةٌ كـ"جَفْنَة"، وهي لغة ربيعة، وكَلِمَةٌ كـ"سِدْرَة"، وهي لغة بني تميم، وكذلك يُفعل بكل اسم على فَعَلٍ -بكسر العين- يقال: كَبَدَ وَكَبَدَ وَكَبَدَ»<sup>(٢)</sup>.

ولأجل استقامة الوزن لا يجوز في الموضع الأول من البيت غير ما ضبط به ابن هشام، أما الثاني فيجوز فيه أيضاً اللغة الثانية، وهي فتح الكاف وسكون اللام.

ومن ذلك: ما في البيت ٣٥٦:

اسمٌ بمعنى "مِنْ" مَبين نكره يُنصَبُ تمييزاً بما قد فسره

(١) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ١/ب.

(٢) النهاية في شرح الكفاية ٤٠/١.

يجوز في كلمة "مبين" الرفع والجر، فالرفع على أنها نعت لـ"اسم"، والجر على أنها نعت لـ"مِنْ" باعتبار لفظها<sup>(١)</sup>، وبكليهما جاءت نسخ الألفية العالية<sup>(٢)</sup>.

قال ابن هشام في أوضح المسالك: «التمييز: اسم نكرة، بمعنى "مِنْ"، مبين لإبهام اسمٍ أو نسبةٍ، فخرج بالفصل الأول نحو: زيد حسنٌ وجهه ... وبالثاني: الحال؛ فإنه بمعنى: في حالٍ كذا، لا بمعنى "مِنْ"، وبالثالث نحو: لا رجل، ونحو:

أستغفرُ اللهَ ذنبًا لستُ مُحْصِيَهُ<sup>(٣)</sup>

فإنهما -وإن كانا على معنى "مِنْ" - لكنها ليست للبيان، بل هي في الأول للاستغراق، وفي الثاني للابتداء<sup>(٤)</sup>.

وهذا من كلامه يحتمل الضبطين، فَإِنَّ جَعَلَهُ قول الناظم: "مبين" فصلًا مستقلاً من فصول الحدِّ يفيد رفعه صفةً لـ"اسم"؛ لأنه لو لم يكن مستقلاً

---

(١) ينظر: تمرين الطلاب ص ٦٢، واللوامع الشمسية ١/١٥٨/أ.

(٢) الألفية ص ١١٤.

(٣) صدر بيت من البسيط، لم أقف له على نسبة، وعجزه:

... رَبِّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

ينظر: الكتاب ١/٣٧، والمقتضب، للمبرد ٢/٣٢١، وشرح التسهيل ٢/٣٧٩.

(٤) أوضح المسالك ٢/٣٦٠-٣٦٣.

لجعله قيدًا للفصل الثاني قبله، وقوله: «فإنهما - وإن كانا على معنى "من" - لكنها ليست للبيان» يفيد جرّه صفةً لـ "من"؛ لأنه جعل البيان عائداً إليها<sup>(١)</sup>. وقد اكتفى ابن هشام مرةً بالجر، فضبط به الكلمة في نسخته من الألفية، ولم يذكر غيره<sup>(٢)</sup>، واكتفى مرةً بالرفع، فضبطها به في حاشية أخرى، قال ياسين: «وعبارة المصنف في الحواشي: قوله: "مبين" بالرفع»<sup>(٣)</sup>، وهذا من ابن هشام دالٌّ على إجازته الوجهين معًا.

ومن ذلك: ما في البيت ٤٣٧:

وكل ما قَرَّرَ لاسْمٍ فَاعِلٍ يُعْطَى اسم مفعولٍ بلا تَقَاضِلٍ  
ضبط ابن هشام في نسخته كلمة "كل" بالرفع والنصب، وكتب فوقها "معًا"، وضبط كلمة "اسم" بالرفع، وقال في الحاشية: «إن رُفِعَ "كُلُّ" فمبتدأ، خبره "يُعْطَى"، أي: يُعْطَاهُ، "اسم" مرفوعٌ، مثل: وَخَالِدٌ يَحْمَدُ أَصْحَابُهُ<sup>(٤)</sup>

(١) ينظر: تمرين الطلاب ص ٦٢، وحاشية التصريح ٦٨٣/٢.

(٢) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ١٦/أ.

(٣) حاشية التصريح ٦٨٣/٢.

(٤) صدر بيت من السريع، للأسود بن يَعْقُرٍ، في ضرائر الشعر، لابن عصفور ص ١٧٦، وعجزه:

... بالحق لا يُحْمَدُ بالباطل

وهو بلا نسبة في: شرح التسهيل ٣١٣/١، ١٦٢/٢، ومغني اللبيب، لابن هشام ص ٧٩٦.

وإن جعلت "كُلَّ" مفعول "يُعْطَى"، فتنصب، و"اسم" أيضاً مرفوع؛ لأنه مفعوله الأول نائب عن فاعله، فالحاصل: أن "اسم" لا بد من رفعه، وأنه يجوز وجهان في "كُلَّ"؛ بناءً على أنه: هل الأصل: يُعْطَاهُ، أم لا؟<sup>(١)</sup>

لكن ابن هشام لم يقتصر على هذين الوجهين، بل أجاز معهما في حاشية أخرى<sup>(٢)</sup> وجهاً ثالثاً، وهو رفع "كل"، ونصب "اسم" على أنه مفعولٌ أوَّلٌ لـ"يُعْطَى"، وأن مفعوله الثاني ضمير مستتر فيه نائب عن الفاعل، لكن ضَعَفَهُ بأن فيه إقامة المفعول الثاني وترك المفعول الأول، وقَوَّاه على عكسه بأن المفعول الثاني فيه لم يتقدَّم على العامل، وهذا الوجه الثالث هو الذي جاءت به نسخ الألفية العالية، ولم يشر محققها إلى ورود غيره فيها<sup>(٣)</sup>.

وضَعَفَ ابن هشام في الحاشية الأخرى أيضاً الوجه الأول الذي ذكره في الحاشية الأولى -وهو رفع "كل" و"اسم"- بأن فيه حذف المفعول الثاني، وقَوَّاه بأن له شواهد مسموعة، مثل قراءة: ﴿وَكُلُّ وَعَدَ اللَّهِ الْحُسْنَى﴾<sup>(٤)</sup>، وقول الشاعر:

كُلُّهُ لَمْ أَصْنَعِ<sup>(٥)</sup>

(١) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ١٩/ب.

(٢) حواشي الألفية (التيمورية) ٧٥ في موضعين، ونقلهما ياسين في حاشية الألفية ٤٣٩/١، ٤٤٠.

(٣) الألفية ص ١٢٣.

(٤) سورة الحديد، من الآية ١٠، وهي قراءة ابن عامر. ينظر: السبعة ص ٦٢٥، والنشر، لابن الجزري ٣٨٤/٢.

(٥) بعض بيت من مشطور الرجز، لأبي النجم العجلي، في ديوانه ص ٢٥٦، وتاممه مع ما قبله:

والخلاصة أن الأوجه الثلاثة في البيت عند ابن هشام متساوية؛ لأن لكل واحد منها وجهًا يقوّيه، ووجهًا يضعّفه.

ومن ذلك: ما في البيت ٥٩٢:

واجعلْ منادىً صحَّحَ ان يُضَفَّ كـ"عبد، عبدِي، عبدَ، عبدًا،  
قال ياسين: «وقال أيضًا (أي: ابن هشام): المعروف في نُسخ هذه  
الأرجوزة وعلى لسان قُرَّائها فتحُّ "أَنَّ" من قوله: "صحَّحَ أَنَّ يُضَفَّ"، وليس  
بواضح اللفظ؛ لكون ما وَلِيَ "أَنَّ" على صورة المجزوم، فيجوز أن يكون مجزومًا  
والحالة هذه على لغة من يجزم ما بعد النواصب، وهي لغة حكاها جماعة من  
النحويين، وقد جاء عليها شيء صالح من السنة والشعر<sup>(١)</sup>، وتكون "أَنَّ"  
وصلَّتها في موضع رفع بـ"صحَّحَ"، وتكون فائدة إسناد "صحَّحَ" إلى "أَنَّ يُضَفَّ"  
التنبيه إلى أن من الأسماء ما لا يصح أن يضاف إلى الياء. ويجوز أن تكسر  
"إِنَّ"، ويكون فاعل "صحَّحَ" ضميرًا عائداً على "منادى"، وفائدة وَضَفَّه  
بالصحة الاحتراز عما حَرَفَ إعرابه ألفٌ أو ياءٌ، نحو: عصا، وفَتَى، وزَيْدِيَّ،

---

قد أصبحتُ أُمُّ الخِيَارِ تَدَّعِي

عَلَيَّ ذَنْبًا كُلُّهُ لَمْ أَصْنَعِ

(١) ينظر: الإنصاف ٥٠٣/٢، وشواهد التوضيح والتصحيح، لابن مالك ص ٢١٧، ومغني اللبيب ص ٣٦٥، ٩١٦.

وزيديّ، فإنه لا يجوز فيه كلُّ هذه اللغات، وجوابُ الشرط محذوف دلٌّ عليه "اجعل" ومعمولُهُ»<sup>(١)</sup>.

فأجاز ابن هشام في همزة "أَنَّ" الفتح والكسر، وخرَّج كل واحد منهما على وجه صالح في العربية، مبينًا أن معنى البيت ومراد الناظم يختلفان في كل واحد منهما: ففي الفتح يكون معناه: اجعل المنادى الصالح للإضافة إلى الياء شبيهًا بما مُثِّل به، ومرادُه: بيان أن من الأسماء المناداة ما لا تصح إضافته إلى ياء المتكلم، وعلى الكسر يكون معناه: اجعل المنادى الذي صحَّ حرفُ إعرابه إذا أضيف إلى الياء شبيهًا بما مُثِّل به، ومراده: بيان أن الأسماء المناداة التي إعرابها بحرف معتل لا تكون شبيهةً بما مُثِّل به من كل وجه.

وما ذكره ابن هشام في أول كلامه من أن الفتح هو المشهور في نسخ الألفية وعلى ألسنة قرائها في وقته لم أر محقق الألفية أشار إلى وروده في شيء من نسخها العالية<sup>(٢)</sup>، واختار ابن هشام في نسخته الكسر، ولم يُشر إلى غيره<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك: ما في البيت ٩٤٩:

ومدًا ابدلْ ثانيَ الهمزينِ مِنْ  
كَلِمَةٍ ان يَسْكُنْ ك: آثِرْ، وايتَمِنْ

(١) حاشية الألفية ١٢١/٢، ١٢٢، وفيها: "للتنبية"، والمثبت من مخطوطته ٣٢٠/أ، وفيهما:

"جعل" بدل "اجعل".

(٢) الألفية ص ١٤٢.

(٣) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٢٦/أ.

رسم ابن هشام في نسخته كلمة "ايتمن" بالياء، ولم يضبطها<sup>(١)</sup>، وهي كذلك بالياء غير مضبوطة في أصل نسخة ثانية حشّاها ابن هشام، إلا أن المتن فيها بغير خطه<sup>(٢)</sup>، وكأنها في أصل نسخةٍ ثالثة -متنّها بغير خط ابن هشام أيضًا- مضبوطةٌ بضم التاء وفتحها معًا، مع كسر الميم، وكتب ابن هشام بخطه في حاشيتها: «ومثّل ابنه<sup>(٣)</sup> ب: آثَرْتُ أُوثِرُ إِيثَارًا، لكن الإبدال في: آثَرْتُ جائز لا واجب؛ لأن الهمزة الأولى همزة المضارعة<sup>(٤)</sup>، وهذا يأتي التنبيه عليه في قوله:

و"أَوْثَمُّ" ونحوه

البيت<sup>(٥)</sup>. والمثال المطابق لوجوب الإبدال: أُوثِمُنْ، ويحتمله قوله: "واتمن"، ويجوز أن يُقرأ: وَاثَمُنْ، فيكون أمرًا، لا ماضيًا مبنياً للمفعول<sup>(٦)</sup>. ومدلول كلامه أن الكلمة تحتل ثلاثة أوجه: واحدًا ممنوعًا، وهو كونها فعلًا مضارعًا: آثَمُنْ؛ لأن ما كانت همزته الأولى للمضارعة فيبدال همزته الثانية جائز لا واجب<sup>(٧)</sup>، واثنين جائزين، وهما كونها فعلًا ماضيًا مبنياً للمفعول:

(١) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٤٠/ب.

(٢) حواشي الألفية (مجمع اللغة بدمشق) ٨٦/أ.

(٣) شرح الألفية ص ٥٩٩.

(٤) كذا بخطه، و"آثَرْتُ" فعل ماضٍ، ومراده: أُوثِرُ، وأصلها: أُأَثِّرُ.

(٥) الألفية ص ١٨١، البيت ٩٥٢.

(٦) حواشي الألفية (يوسف آغا) ٣٤/ب.

(٧) ينظر: شرح الألفية، لابن الناظم ص ٦٠٠، وأوضح المسالك ٤/٣٨٤، ٣٨٥، والمقاصد

الشافية ١٠٣/٩.

أَوْثَمَنْ، وكونها فعلٌ أمرٌ: إِيْتَمَنْ، ويُلاحظ أن ابن هشام رسمها في تعليقه: "واتمن" بلا ياء أو واو، كما في بعض نسخ الألفية العالية<sup>(١)</sup>، فاحتمل فيها ثلاثة الأوجه، ولم يلتفت إلى رسمها بالياء في النسخة التي علّق عليها وفي غيرها من النسخ، وهو قاضٍ بكونها فعلٌ أمرٌ.

لكنه راعى مقتضى رسمها بالياء في نسخة أخرى، فنقل ياسين عن خطه أنه ضبطها بكسر الهمزة، وفتح التاء، وكسر الميم، وقال: «وهو المناسب لرسم "ايتمن" بالياء في جميع النسخ. وقولُ الشهاب<sup>(٢)</sup>: إنه فعلٌ ماضٍ مبنيٌّ لما لم يسم فاعله لا يناسب ذلك، وإنما يناسب رسمها واوًا؛ لأنها حينئذٍ تقلب واوا»<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك: ما في البيت ٩٦٤:

من لام "فَعَلَى" اسمًا أتى الواو ياءً، كـ"تَقَوَى"، غالبًا جا ذا البَدَلْ  
ضبط ابن هشام في نسخته كلمة "تَقَوَى" بنقطتين من فوق، وبنقطة من تحت، وكتب فوقها: «معًا»، إشارةً إلى تجويز الوجهين فيها، وقال في الحاشية: «قوله: "كـتَقَوَى"؛ إن قرئ بالتاء من فوق فهو من: اتَّقَيْتَ، أو

(١) الألفية ص ١٨١.

(٢) هو أحمد بن قاسم العبادي (ت ٩٩٢هـ). ينظر: حاشيته على شرح الأشموني ٢١٩/أ (الأزهرية ٨٤٦٢١)، وفي بعض نسخها: «قوله: "ايتمن": فعل مضارع مبني لما لم يسم فاعله»، وهو تحريف. ينظر: ١٠٦/ب (الأزهرية ٤٢٠٠٣)، ٢٨١/ب (الأزهرية ٢٢٦٢)، ٢٢٨/أ (الأزهرية ١٣٢٣٦٥).

(٣) حاشية الألفية ٥٠٣/ب، ٥٠٤/أ، ونحوه في حاشية الصبان ٤١٦/٤.

بثانية الحروف فهو من: بَقِيَ ضد فَنِيَ، أو من بَقِيت الشيء -بفتح القاف- إذا انتظرتَه<sup>(١)</sup>، وكلاهما<sup>(٢)</sup> بالياء»<sup>(٣)</sup>.

والوجه الأول الذي أجازَه ابن هشام -وهو التقوى- هو المشهور الذي جاءت به أكثر نسخ الألفية العالية، أما الوجه الثاني -وهو البقوى- فقد جاءت به إحدى نسخها<sup>(٤)</sup>.

### ٣- تضعيف جميع الأوجه:

من ذلك: ما في البيت ٤٢٢:

وَتُدْغَمُ اليَا فِيهِ وَالْوَاوُ وَإِنْ مَا قَبْلَ وَاوٍ ضُمَّمٌ فَكُسِرُهُ يَهْنُ  
ضبط ابن هشام كلمة "يَهْنُ" في نسخته بكسر الهاء، وقال في الحاشية:  
«وقوله: "يَهْنُ": إِنْ ضُمَّتْ الهاءُ تَغَيَّرَتِ القَوَائِي، وَإِنْ كُسِرَتْ كَانَ مَعْنَاهُ:  
يُضَعِّفُ، وَهُوَ فَاسِدٌ؛ لِأَنَّهُ وَاجِبٌ لَا ضَعِيفٌ»<sup>(٥)</sup>.

وبالكسر جاءت أكثر نسخ الألفية العالية، وبالضم جاءت نسخة منها<sup>(٦)</sup>، وقد أورد ابن هشام على كل واحد منهما إشكالاً، فبالضم -على أنه مجزوم في جواب الطلب، من: هَانَ يَهُونُ، إِذَا سَهَّلَ- يَخْتَلَفُ مَا قَبْلَ

(١) ينظر: الصحاح ٢٢٨٣/٦، والمحكم ٥٨٦/٦.

(٢) في المخطوطة: وكلامها، وهو سهو.

(٣) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) ٤١/أ.

(٤) الألفية ص ١٨٣.

(٥) حواشي الألفية (رئيس الكتاب) وجه الورقة الثالثة الملحق بين ١٨/ب و ١٩/أ.

(٦) الألفية ص ١٢١.

حرف الرويِّ المقيّد في الشطرين، وبالكسر -على أنه من: وَهَنْ يَهِنْ، إذا ضَعُفَ- يكون المعنى: فأكسره يَضْعُفُ، وهو ليس ضعيفًا، بل قوي واجب.

ولعل الضبطين جائزان، أما الضم فقد تقدم أن اختلاف الضمة مع الكسرة في القوافي المقيّدة لا يعد من سِنَاد التوجيه<sup>(١)</sup>، وعليه فلا عيب في البيت على الضم، وأما الكسر فلأنه جاء: هَانَ يَهِنْ، إذا صار هَيَّانًا لَيَّانًا<sup>(٢)</sup>، فيمكن أن يَخْرُجَ ما في البيت على هذه اللغة، وهو موافق لمعاد الناظم.

هذا ما تيسر لي إيرادُه في هذا البحث، وبَقِيَتْ فيه أمثلة أخرى، لعل فيما أوردته دليلًا عليها، وأجمل خلاصة ما انتهيت إليه فيما يلي:

- ١- ظهر في جهود ابن هشام في تحقيق نصوص الألفية استفادته من علوم شتى، فاستعمل لذلك معارف متنوعة في اللغة والنحو والصرف والقافية.
- ٢- وقع لابن هشام في نسخة الألفية التي كتبها مخالفات لنسخ الألفية العالية الأخرى، بعضها أوهام لا يخلو منها البشر، وبعضها راجع إلى ما في الأصل الذي نقل منه.

- ٣- خالف ضبط ابن هشام في نسخته ما اختاره في غيرها في البيتين ١٩ و ٣٣٢، ورجّحت أن ذلك من اختلاف رأيه في الضبط. وجاء ما في نسخته مخالفًا لاختياره من بين نسخ الألفية في عنوان الباب الأول منها، ورجّحت أن ذلك اتباعٌ منه لأصل نسخته.

(١) ينظر: القوافي، للأخفش ص ٣٧، والموشح ص ٧، ٨، والوافي، للخطيب التبريزي ص ٢٢١.

(٢) ينظر: خطأ فصيح ثعلب، للزجاج ص ٤٣، والمحكم ١/٧٥، ٤/٣٨٣.

٤- لم يعتمد ابن هشام في ترجيحه بين نسخ الألفية وفي ضبطه ألفاظها -  
فيما وقفت عليه- على رواية، بل رجّح بينها مراعيًا أمورًا، منها: المعنى  
اللغوي، والحكم النحوي، ومراد الناظم، والخلوّ من عيوب القافية، وأظهر  
وجوه الإعراب، وضبطها مراعيًا أمورًا، منها: المعنى، والإعراب، والصناعة  
النحوية، ومراد الناظم، والوزن، والرسم، وحكاية اللفظ.

٥- جاءت نسخة الألفية التي كتبها ابن هشام في مقدّمة نسخها العالية التي  
اعتمدها محققها، ولها نسخة أخرى أقدم من نسخة ابن هشام بثلاث  
عشرة سنة، كتبت سنة ٧١٩هـ، وعليها إجازة بخط أبي حيان سنة  
٧٢٠هـ، لم يعتمدها محققها.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه  
أجمعين.

\*\*\*

## مراجع البحث

### أولاً: المخطوطات والرسائل العلمية:

- حاشية الألفية، لياسين بن زين الدين العليمي، نسخة جامعة الملك سعود، بالرقم ٧٠٣١.
- حاشية شرح الأشموني على الألفية، لأحمد بن قاسم العبادي، نسخ المكتبة الأزهرية بالأرقام ٨٤٦٢١ و ٤٢٠٠٣ و ٢٢٦٢ و ١٣٢٣٦٥.
- حواشي ألفية ابن مالك، لابن هشام. نسخة مكتبة رئيس الكتاب بالرقم ١٠٣٩، ونسخة مكتبة يوسف آغا بالرقم ١٠٣٩٢، ونسخة مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق بالرقم ١٠٤١، ونسخة المكتبة التيمورية بالرقم ١٨٧ نحو.
- الخلاصة الأسدية، لابن مالك، نسخة مكتبة يوسف آغا بقونيه بتركيا بالرقم ٥٦٧.
- الفتح الودودي على المكودي، لابن حمدون، نسخة جامعة الملك سعود بالرقم ٧٢٦٣.
- اللوامع الشمسية في إعراب الألفية، لابن طولون الحنفي، نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق بالرقمين ١٦٤٥ و ١٦٤٦.
- النهاية في شرح الكفاية، لابن الخباز، تحقيق عبدالله عمر حاج إبراهيم، رسالة ماجستير قدمت إلى فرع اللغة في قسم الدراسات العليا بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٢.

### ثانياً: المطبوعات:

- آثار ابن هشام الأنصاري تصنيف واستدراك وتحقيق نسبة، لجابر بن عبدالله السريع، مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية بمكة المكرمة، ع ٢٣، ١٤٤١، ص ٣٥-٨٣.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٤١٨.
- إصلاح المنطق، لابن السكيت، تحقيق محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٣.
- ألفية ابن مالك، تحقيق سليمان بن عبدالعزيز العيوني، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط ١، ١٤٣٢.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البركات الأنباري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٤.

- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
- التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، للعكبري، تحقيق عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، ١٤٢١.
- تحقيق النصوص ونشرها، لعبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٧، ١٤١٨.
- تخلص الشواهد وتلخيص الفوائد، لابن هشام، تحقيق عباس مصطفى الصالحي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٦.
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لابن مالك، تحقيق محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٣٨٧.
- تقاليد المخطوط العربي، لأدم جاسك، ترجمة مراد تدغوت، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ٢٠١٠م.
- تمرين الطلاب في صناعة الإعراب، لخالد الأزهرى، المكتبة الشعبية، بيروت.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، لحسن بن قاسم المرادي، تحقيق عبدالرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط ١، ١٤٢٨.
- جامع البيان في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، تحقيق مجموعة من الباحثين، جامعة الشارقة، الإمارات، ط ١، ١٤٢٨.
- الجامع الصغير في النحو، لابن هشام، تحقيق أحمد محمود الهرميل، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٠.
- جمهرة اللغة، لابن دريد، تحقيق رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م.
- حاشية الألفية، لياسين بن زين الدين العلمي، المطبعة المولوية، فاس، ١٣٢٧.
- حاشية التصريح، لياسين بن زين الدين العلمي، بحاشية: التصريح بمضمون التوضيح للأزهرى، تحقيق أحمد السيد سيد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
- حاشية شرح ابن عقيل على الألفية، لمحمد الخضري، تحقيق يوسف البقاعي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٢٤.

- حاشية شرح الأشموني على الألفية، لمحمد بن علي الصبان، ضبط إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٧.
- خطأ فصيح ثعلب، للزجاج، تحقيق محمد علي عطا، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ط ١، ١٤٣٩.
- ديوان أبي النجم العجلي، جمع محمد جمران، مطبوعات مجمع اللغة بدمشق، ١٤٢٧.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط ٥، ١٩٩٠ م.
- زواهر الكواكب لبواهر المواكب، لابن سعيد التونسي، مطبعة الدولة التونسية، ١٢٩٣.
- السبعة، لابن مجاهد، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٠ م.
- سيرة ألفية ابن مالك تأليفاً وإبرازاً وتحقيقاً، لسليمان بن عبدالعزيز العيوني، مجلة الدرعية، ع ٤٦، ١٤٣٠، ص ١٤٣-٢١٨.
- شرح الألفية، لبدر الدين ابن مالك، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠١٠ م.
- شرح الألفية، للمكودي، تحقيق عبد الحميد هندواي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٥.
- شرح التسهيل، لابن مالك، تحقيق عبدالرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، دار هجر، القاهرة، ط ١، ١٤١٠.
- شرح الحماسة، للخطيب التبريزي، مصورة عالم الكتب، بيروت.
- شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، مصورة دار الجليل، بيروت، ط ١، ١٤١١.
- شرح الشافية، للرزي الإستراباذي، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفازف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، مصورة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام، تحقيق عبدالغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، ١٤٠٤.
- شرح قطر الندى وبل الصدى، لابن هشام، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ١٤١٧.

- شرح الكافية، للرضي الإستراباذي، تحقيق يوسف عمر، جامعة قاريونس، ليبيا، ١٣٩٥.
- شرح المفصل، لابن يعيش، تحقيق إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢.
- شعر أبي دؤاد الإيادي، جمع غوستاف فون غرنباوم، ترجمة إحسان عباس وأنيس فريحة ومحمد يوسف نجم وكمال اليازجي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٩م.
- شعر عبدة بن الطبيب، تحقيق يحيى الجبوري، دار التربية، بغداد، ١٣٩١.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، للقلقشندي، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م.
- الصحاح، للجوهري، تحقيق أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٣٧٦.
- ضرائر الشعر، لابن عصفور، تحقيق السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، ط ١، ١٩٨٠.
- علوم الحديث، لابن الصلاح، تحقيق نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق، ودار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤٠٦.
- القوافي، للأخفش، تحقيق أحمد راتب النفاخ، دار الأمانة، ط ١، ١٣٩٤.
- الكتاب، لسيبويه، تحقيق عبدالسلام هارون، مصورة دار الجليل، بيروت، ط ١.
- المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، تحقيق عبدالحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١.
- المخصص، لابن سيده، تحقيق خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٧.
- المستخرج على صحيح مسلم، لأبي عوانة الإسفراييني، تحقيق أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٤١٩.
- معاني القرآن، للفراء، تحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي وعبدالفتاح شلي، مصورة عالم الكتب، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣.
- معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥م.
- معجم مصطلحات المخطوط العربي، لأحمد شوقي بنين ومصطفى طوي، الخزانة الحسنية، الرباط، ط ٣، ٢٠٠٥م.


- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمدالله، دار الفكر، بيروت، ط ٦، ١٩٨٥م.
- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، لأبي إسحاق الشاطبي، تحقيق مجموعة من الأساتذة، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٨.
- المقتضب، للمبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، مصورة عالم الكتب، بيروت.
- منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق سدني جلازر، ١٩٤٧م.
- الموشح، للمرزباني، تحقيق علي البجاوي، نهضة مصر.
- النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، تصحيح علي الضباع، دار الفكر، بيروت.
- النكت على الألفية والكافية والشافية والشذور والنزهة، للسيوطي، تحقيق فاخر جبر مطر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٨.
- الوافي في العروض والقوافي، للخطيب التبريزي، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق، ط ٤، ١٤٠٧.

\*\*\*



صَوْنُ الْيَاءِ مِنَ الْقَلْبِ  
(مَظَاهِرُهُ، وَبَوَاعِثُهُ، وَطُرُقُهُ)

د. عبد العزيز بن علي بن أحمد الغامدي  
قسم النحو والصرف وفقه اللغة – كلية اللغة العربية  
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية





## صَوْنُ الْيَاءِ مِنَ الْقَلْبِ (مَظَاهِرُهُ، وَبَوَاعِثُهُ، وَطُرُقُهُ)

د. عبد العزيز بن علي بن أحمد الغامدي

قسم النحو والصرف وفقه اللغة كلية اللغة العربية  
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ١٦ / ٧ / ١٤٤٢ هـ تاريخ قبول البحث: ٦ / ٩ / ١٤٤٢ هـ

### ملخص الدراسة:

لم يكن مصطلح الصَوْن شائعاً في استعمالات العلماء في مسائل القلب بهذا اللفظ، وإنما كان يُوحى إليه في كلامهم، وقد يُعبر عنه بألفاظ تدلُّ عليه، وهو يعني: تصحيح الحرف حين يكون معرضاً للقلب بالحيولة دون العلة الموجبة لقلبه، والحرف المقصود هو الياء؛ فقد كانت أكثر الحروف التي اتقى قلبها.

وتعني هذه الدراسة بالكشف عن جوانب هذا الموضوع، ونظم ما تفرّق فيه من دقائق للعلماء، كانت تُساق مبنوثة في ثنايا نصوصهم.

وقد بدأها بمقدّمة، ثم تمهيد فيه عرضٌ سريعٌ لحروف القلب، ومواضع قلب الياء، ومعنى صَوْنها من القلب، وتلا ذلك ثلاثة مباحث: اشتمل الأول على مظاهر الصَوْن، والثاني على بواعثه، والثالث على طُرُقهِ، ثم جاءت الخاتمة وأودعت فيها أهم ما توصّلت إليه من نتائج.

الكلمات المفتاحية: صَوْن، تصحيح، سلامة، الياء، القلب.

\* يشكر الباحث عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في المملكة العربية السعودية؛ لتمويلها هذا المشروع في عام ١٤٤٢ هـ، برقم: (٢٠,١٣,٠٤,٠٠٨).



**Protecting the Yaa Letter from Conversion :  
(Its Manifestations, Motives, and Methods)**

**Dr. Abdulaziz Ibn Ali Ibn Ahmad Al-Ghamdi**

Department of Grammar, Morphology and Philology - College of Arabic  
Language

Al-Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University


**Abstract:**

The term Protection was not common in the uses of scholars with this word; rather it was hinted to it from their words. It means correcting the letter when it is exposed to be turned by preventing the cause that results in converting it, and the intended letter in this topic is the Yaa as it was the most common letter that was prevented to be turned.

This research is concerned with uncovering the aspects of this topic; setting the details dispersed by the scholars on it. They presented and conveyed in the folds of their texts.

I began it with an introduction, then a preface in which a quick presentation of converting letters, positions of turning the Yaa. The meaning of protecting it from conversion, followed by three discussions: the first included manifestations of protection the second on its motives, and the third on its methods, then concluded and put in it the most important results I have come to.

**key words:** Protection, Correction, Safety, Yaa, Conversion.



## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين،  
نبينا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين، أما بعد:  
فلا يخفى أن موضوع القلب من الموضوعات المألوفة في الدرس الصرفي،  
وقد تكلم العلماء عن حروفه، وبحثوا في العلل والشروط والشواذ، وقدموا في  
ذلك دراساتٍ مستفيضة.

وهذا الموضوع يتناول جانباً آخر: وهو أن الحرف قد يكون معروضاً  
للقلب، ثم يُعتمد إلى تصحيحه، بطريقةٍ تحول دون السبب المقتضي قلبه.  
ومن أمثلة ذلك: (أَيِّدِ) أصله: (أَيِّدِي) على وزن (أَفْعِلْ)، فالياء فيه  
سائخةٌ لقلبها واواً بسبب الضمة قبلها، لكنّ الضمة أبدلت كسرةً؛ لتسلم  
الياء، ولو قُلبت واواً ففعل: (أَيِّدُو) لصارت إلى بناءٍ ليس له نظير، فليس في  
العربية اسم معربٌ آخره واوٌ لازمةٌ مضمومٌ ما قبلها<sup>(١)</sup>.

وقد أُلْفِيَتْ بعد طول استقراءٍ أن حديث العلماء في هذا الموضوع يحوم  
معظمه حول الياء، وأنه أكثر الحروف التي صينت من القلب، فكان ذلك  
باعثاً لإعداد دراسةٍ تتجه لبحث مسأله، والتعمُّق في جزئياته.  
وتكمن أهمية هذا الموضوع في أن علماء العربية لم تكن عنايتهم محصورةً  
في عرض حالات القلب المجردة، وما يتصل بها من مسائل شاذة، وإنما كانوا

---

(١) ينظر المبحث الثالث: مراعاة النظير.

يشيرون لدقائق مهمة، تُساقُ مبثوثةً في ثنايا نصوصهم، لعلّ هذا البحث يكشف شيئاً منها.

ويهدف الموضوع إلى حصر المظاهر التي صينت فيها الياء من القلب، وإشهار أسباب الصّون، وعرض طُرُقه.

وقد قُدِّمت في موضوع القلب دراساتٌ كثيرةٌ لا حصر لها<sup>(١)</sup>، غير أنني لم أقف على دراسةٍ اتجهت إلى فكرته بحسب اطلاعي.

وتتبعاً خطة هذا العمل أن تحقّق الأهداف المرسومة آنفاً، فتكون على النحو الآتي:

#### المقدمة.

التمهيد: وفيه عرضٌ سريعٌ لحروف القلب، ومواضع قلب الياء، ومعنى صونها من القلب.

ثم يأتي بعد ذلك ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مظاهر صون الياء من القلب.

المبحث الثاني: بواعث صون الياء من القلب.

المبحث الثالث: طُرُق صون الياء من القلب.

الخاتمة: وفيها نتائج البحث.

والله - تعالى - أسأل أن يتقبّل هذا الجهد، وأن ينفع به، والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) وبعضها يتصل بموانعه، مثل: (موانع الإعلال في العربية: دراسة صوتية صرفية، لعلاء صالح عبيد حسين الأسدي)، وفحوى هذه الدراسة أن الحرف يمتنع إعلاله بالقلب أو بالنقل أو بالحذف إذا فقد شرط الإعلال، ودراستي لا تتناول هذا.

التمهيد: حروف القلب، ومواضع قلب الياء، ومعنى صوغها من القلب:

يختصّ القلب بأحرف العلة، وهي الواو والياء والألف، وأدخل بعض العلماء الهمزة؛ لأنها تقارب تلك الأحرف بكثرة التغير<sup>(١)</sup>.

الياء تُقلب إمّا واوًا، وإمّا ألفًا، وإمّا همزة، وهذه المواضع معروفةٌ مألوفةٌ، أفاض فيها العلماء، وبسطوا شروطها، وأشاروا في طيّات حديثهم إشاراتٍ عابرةً إلى أن الياء قد تصير إلى هيئةٍ لا يُؤمّن فيها القلب، ثم تُصان منه.

والصّون في اللغة يعني: الوقاية أو الحفظ، جاء في العين<sup>(٢)</sup>: "الصّون: أن تقي شيئاً مما يُفسده"، وقال ابن فارس: "الصاد والواو والنون أصلٌ واحد، وهنّ كنّ وحفظ، من ذلك: صُنْتُ الشيء أصونه صَوْنًا وصيانةً"<sup>(٣)</sup>.

وأما في الاصطلاح فيمكن تقريب مفهومه بأنه: تصحيح الحرف المعرّض للقلب بالحيلولة دون العلة الموجبة لقلبه.

وتبدو العلاقة جليّةً بين المعنى اللغوي والمفهوم الاصطلاحي؛ فتصحيح الحرف يعني وقايته من القلب أو حفظه منه.

ومصطلح الصّون لم يكن شائعاً عند علماء التصريف بهذا اللفظ في مواضع القلب، وإنما كان يُفهم من كلامهم، وقد صرّح به السيوطي في

(١) ينظر شرح الأشموني مع حاشية الصبان: (٣٩٢/٤)، وعلم الصرف الميسر: (٢٣٢).

(٢) ١٥٧/٧.

(٣) معجم مقاييس اللغة (صون): (٣/ ٣٢٤).

إحدى المسائل، فقال: "فإن كان عين مفعول ياءً كُسرت الضمة المنقولة صوتاً من إبدال الياء بعدها، نحو: مَبِيعٌ"<sup>(١)</sup>، وقد يُعَبَّر عنه بالصيانة<sup>(٢)</sup>، أو بالسلامة<sup>(٣)</sup>، أو بالتصحيح<sup>(٤)</sup>، ونحو ذلك.

\*\*\*

---

(١) همع الهوامع: (٣ / ٤٧٨).

(٢) ينظر مثلاً شرح مراح الأرواح لديكنقوز: (١٤١).

(٣) ينظر مثلاً المنصف: (١ / ٢٩٧).

(٤) ينظر مثلاً شرح المفصل لابن يعيش: (٧ / ١١٢).

## المبحث الأول: مظاهر صون الياء من القلب:

تُصان الياء إمّا من قلبها واوًا، وإمّا من قلبها ألفًا، وإمّا من قلبها همزة، والأول هو الكثير، والثاني قليل، والأخير الأقلّ، على النحو الآتي:

أولاً: صون الياء من قلبها واوًا:

أجلّ ما يُفزع إلى تصحيح الياء حين تكون سائحةً لقلبها واوًا، ومَرَدُّ ذلك - في معظمه - أن الواو ثقيلة، والياء أخفّ، قال الأنباري: "وإنما وجب قلب الواو إلى الياء دون قلب الياء إلى الواو؛ لأن الياء أخفّ من الواو"<sup>(١)</sup>، وقال أيضاً: "ولم يقلبوا الياء إلى الواو؛ لأن الياء أخفّ والواو أثقل"<sup>(٢)</sup>، ولأجل هذا كان "انقلاب الواو إلى الياء أكثر من انقلاب الياء إلى الواو"<sup>(٣)</sup>.

وهذا المظهر مواضعه غفيرة - كما تقدّم - وسوف أُورّد فيما يلي من النماذج ما يُجلّي صورته:

### - بَيَض:

لو بنيتَ من البياض اسماً على زنة (فُعَل) نحو: (بُرْد)، فإنك تقول: (بَيَض)، والأصل: (بَيِّض)، أُبدلت الضمة كسرةً لتسلم الياء من القلب،

(١) الإنصاف: (١٣/١، ١٤).

(٢) أسرار العربية: (٦).

(٣) الممتع: (٣٤٥).

وهذا مذهب سيويوه<sup>(١)</sup> في كلِّ ياءٍ هي عينٌ ساكنةٌ مضمومةٌ ما قبلها -قريبة من الطرف- أن تُقلب الضمة كسرةً لتصحَّ الياء<sup>(٢)</sup>.

ولا فرق في هذا المذهب بين المفرد -كما تقدَّم<sup>(٣)</sup>- والجمع نحو: (بَيْض)، واحده (أَبْيَض)، وأصله: (بَيْض)، على وزن (فُعْل)، ك(أَحْمَر) و(حُمْر)<sup>(٤)</sup>؛ فالياء تُصان من القلب في الحالين.

أمَّا الأخفش<sup>(٥)</sup> فيُفرِّق بين المفرد والجمع، وتفصيل ذلك: أن اللفظ إذا كان مفرداً فإن الضمة تُقرُّ على حالها، وتقلب الياء واواً؛ فلو بنيت من البياض اسماً على (بُرْد) قلت: (بُؤْض)، وإن كان اللفظ جمعاً أبدلت الضمة كسرةً؛ لتسلم الياء من القلب، فيقال: (بَيْض) جمع (أَبْيَض).

وحجَّة الأخفش: "أن قلب الضمة كسرة قد استقرَّ في الجمع، نحو: (بَيْض) في جمع (أَبْيَض)، ولم يستقرَّ في المفرد، والقياس يقتضي التفرقة؛ لأن الجمع أثقل من الواحد، فهو أدعى للتخفيف؛ فلذلك قلبت الضمة كسرةً في

---

(١) الكتاب: (٤ / ٣٥٩)، ويُعزى هذا المذهب للخليل. ينظر المقتضب: (٢٣٩/١)، والمنصف:

(٢٩٧/١)، والمتع: (٣٠٤).

(٢) وإن كانت الياء بعيدةً من الطرف قلبت واواً، نحو: (مُؤَقِّن)، والأصل: (مُئَقِّن). ينظر المفصل:

(٥٢٨)، والمتع: (٢٩٩).

(٣) وذلك في (بَيْض) التي بُنيت من البياض على نحو (بُرْد).

(٤) ينظر المقتضب: (٢٣٩/١)، والمنصف: (٢٩٧/١)، والمتع: (٣٠٤).

(٥) تنظر المراجع السابقة.

الجمع لتصحّ الياء، ولم تُقلب الياء واواً؛ لأن الياء أخفّ من الواو، وأمّا المفرد فلكونه أخفّ من الجمع يُحتمل فيه الواو<sup>(١)</sup>.

ويرى بعضهم أن ما ذهب إليه سيبويه هو القياس؛ لأن الضرورة مُلجئة في اجتماع الياء والضمّة إلى تغيير إحداهما، وتغيير الحركة أولى من تغيير الحرف؛ لأن المحافظة على الحرف أولى من المحافظة على الحركة<sup>(٢)</sup>، وهذا تعليل حسن.

#### — (مَعِيشَة).

تحتمل (مَعِيشَة) عند الخليل وسيبويه<sup>(٣)</sup> أن تكون على أحد وزنين:  
الأول: (مَفْعَلَة)، والأصل: (مَعِيشَة) نُقلت حركة الياء -وهي الكسرة- إلى الساكن الصحيح قبلها، فصارت (مَعِيشَة).  
والثاني: (مَفْعَلَة)، والأصل: (مَعِيشَة)، نُقلت حركة الياء -وهي الضمة- إلى الساكن الصحيح قبلها، فصارت (مَعِيشَة)، ثم أُبدلت الضمة كسرةً لئلا تُقلب الياء واواً.

أمّا الأخفش<sup>(٤)</sup> فيرى أن هذه اللفظة لا تحتمل إلا وزناً واحداً، وهو (مَفْعَلَة)، ولو كانت على (مَفْعَلَة) لقليل: (مَعُوشَة)، كما قال الشاعر:

---

(١) ينظر الممتع: (٣٠٤)

(٢) ينظر الكناش: (٢٧٠/٢).

(٣) ينظر الكتاب: (٣٤٩/٤)، والمقتضب: (٢٣٩/١)، والأصول في النحو: (٣٤٨/٣)، والتعليقة

على كتاب سيبويه: (٣٠/٥)، والمنصف: (٢٩٦/١)، وشرح التصريف للثمانيني: (٤٦٦).

وكنْتُ إذا جاري دعا لمضُوفَةٍ أُشِمِّرُ حتى يبلغَ السَّاقَ مئزري<sup>(٢)</sup>  
قال ابن جني: "فأما قول الشاعر .... ففيه تعلُّقٌ لأبي الحسن في قوله في  
(مُفْعَلَةٌ) من (عِشْتِ مَعُوشَةً)؛ لأن (مَضُوفَةٌ) (مُفْعَلَةٌ)، من (ضِفَّتَ الرجلُ):  
إذا نزلتَ به؛ لأن معناها ما ينزل بالإنسان ويضيفه من نوائب الدهر،  
وأصلها: (مَضْيُفَةٌ)، ثم نُقلت الضمة إلى الضاد، وانقلبت الياء واواً لسكونها  
وانضمام ما قبلها"<sup>(٣)</sup>.

فالأخفش لا يرى غضاضةً في قلب الياء واواً متى ما وقعت عيناً ساكنةً  
مضموماً ما قبلها في لفظٍ مفردٍ، وعَلَّتْه في ذلك: أن المفرد خفيفٌ، فيُحتمل  
فيه القلب، بخلاف الجمع؛ فإن الياء فيه تُصان من القلب كما صينت في  
نحو: (يَبِضُّ) جمع (أَبْيَضُ)<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر الأصول في النحو: (٣٤٨/٣)، والتعليقة على كتاب سيبويه: (٣٠/٥)، والمنصف:  
(٢٩٧/١)، وشرح التصريف للثمانيني: (٤٦٧).

(٢) من الطويل، وهو لأبي جندب الهذلي. ينظر ديوان الهذليين: (٩٢/٣)، ولسان العرب (جور):  
(١٥٤/٤)، وورد بلا نسبة في المنصف: (٣٠١/١)، والممتع: (٣٠٥)، وحاشية الصبان على  
شرح الأشموني: (٤٣٢/٤)، ويروى: (لمضيفة)، و(لمضافة).

(٣) المنصف: (٣٠١/١).

(٤) ينظر التعليقة على كتاب سيبويه: (٣٠/٥)، وشرح التصريف للثمانيني: (٤٦٧)، ومسألة  
(بيض) السابقة.

وَيَرِدُ عَلَى مَذْهَبِ الْأَخْفَشِ أَمْرَانِ:

أحدهما: أَنْ (مَضُوفَةً) شَادَّةٌ، فَلَا تُبْنَى عَلَيْهَا الْقَوَاعِدُ<sup>(١)</sup>.

والآخر: أَنْ قِيَاسُهُ فِي (مَعِيشَةٍ) يُخَالِفُ قِيَاسَهُ فِي (مَبِيعٍ)، إِذِ الْأَصْلُ فِيهِ: (مَبِئُوعٌ)، عَلَى زَنَةِ (مَفْعُولٍ)، نُقِلَتْ الضَّمَّةُ إِلَى الْبَاءِ فَقِيلَ: (مَبِئُوعٌ)، ثُمَّ أُبْدِلَتِ الضَّمَّةُ كَسْرَةً لَتَسْلَمَ الْيَاءُ مِنَ الْقَلْبِ، فَقِيلَ: (مَبِئُوعٌ)، ثُمَّ حُذِفَتِ الْيَاءُ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ، فَقِيلَ: (مَبِئُوعٌ)، ثُمَّ قُلِبَتِ الْوَاوُ يَاءً لِلْكَسْرِ الَّتِي قَبْلَهَا - كَمَا قُلِبَتْ فِي (مِيزَانٍ) - فَقِيلَ: (مَبِيعٍ)<sup>(٢)</sup>.

وَالشَّاهِدُ فِي هَذِهِ السَّلْسَلَةِ مِنَ التَّغْيِيرَاتِ أَنَّ اللَّفْظَ حِينَ آلَ إِلَى (مَبِئُوعٍ)، أُبْدِلَتِ ضَمَّةُ الْبَاءِ كَسْرَةً لَعَلَّا تُقْلَبَ الْيَاءُ، وَيَلْزَمُ الْأَخْفَشَ هَذَا فِي (مَعِيشَةٍ) فَإِنْ كَانَ يَقُولُ: (مَعُوشَةٌ) فَيَلْزَمُهُ أَنْ يَقُولَ: (مَبِئُوعٌ) فَيُخَالِفُ الْعَرَبَ أَجْمَعِينَ<sup>(٣)</sup>.

---

(١) يَنْظُرُ الْمَنْصَفُ: (٣٠١/١)، وَشَرَحَ الْمَفْصَلَ لَابِنُ يَعِيشُ: (٨٢/١٠)، وَشَرَحَ الشَّافِيَةَ لِلرُّضِيِّ:

(١٣٤/٣، ١٣٦)، وَشَرَحَهَا لِلرَّكْنِ: (٢/ ٧٨٠).

(٢) يَنْظُرُ الْمَنْصَفُ: (٢٨٧/ ١، ٢٩٨)، وَحَاشِيَةُ الصَّبَّانِ عَلَى شَرْحِ الْأَشْمُونِيِّ: (٤٧٧/٢).

(٣) يَنْظُرُ الْأَصُولُ فِي النَّحْوِ: (٣٤٩/٣)، وَالْمَنْصَفُ: (١/ ٢٩٨، ٢٩٩)، وَشَرَحَ الْمَفْصَلَ لَابِنُ

يَعِيشُ: (٨١/١٠).

## - مَوْوَنَة:

عُزِي للفراء<sup>(١)</sup> أن (مَوْوَنَة) أصلها ( أ ي ن)، من (الْأَيْن)<sup>(٢)</sup>، ووزنُها: (مَفْعَلَة)، والأصل: (مَأْيُنَة) نُقِلَت حركة الياء -وهي الضمة- إلى الهمزة قبلها، فصارت (مَوْيُنَة)، ثم قُلِبَت الياء واوًا.

وتظهر ثمرة الخلاف بين مذهب الخليل وسيبويه ومذهب الأخفش - اللّذين تَكَرَّرَ ذكرهما قبل<sup>(٣)</sup> - في هذه المسألة:

- فأمّا الخليل وسيبويه فلا يتماشى ما اختاره الفراء في (مَوْوَنَة) -وهو أنها من (الْأَيْن)- مع قاعدتهما في الإعلال: التي تقتضي أن الياء إذا وقعت عيناً ساكنةً مضموماً ما قبلها -وهي قريبة من الطرف- أُبدلت الضمة كسرة لتصحّ الياء<sup>(٤)</sup>.

وعلى هذا فإن (مَوْوَنَة) -على قاعدتهما- لو كانت من (الْأَيْن)<sup>(٥)</sup> ووزنُها (مَفْعَلَة) لقليل: (مَيِّنَة) كما قيل: (مَعِيشَة)، وسيكون الأصل: (مَأْيُنَة) على

---

(١) ينظر الأصول في النحو: (٣٤٩/٣)، والمختضب: (٢١٤/١)، والصحاح: (مأن): (٢١٩٨/٦)، وتداخل الأصوات اللغوية: (٤٠٢/١).

(٢) وهو التعب والشدة. ينظر الصحاح (مأن): (٢١٩٨/٦).

(٣) في المسألتين السابقتين.

(٤) ينظر الأصول في النحو: (٣٤٩/٣)، وتداخل الأصوات اللغوية: (٤٠٣/١)، ومسألة (مَعِيشَة).

(٥) يُعزى لسيبويه أن (مَوْوَنَة) من (م و ن)، يُقال: (مُنْتُ الرجل أمونه)، وأصلها: (مَوْوَنَة) بلا همز، كقولهم: (قَوُوم) من القيام، و(نَوُوم) من النوم، ثم هُمَزَت الواو الأولى استحساناً للزوم الضمة قبلها، فصارتا على هذه الهيئة: (قَوُوم) و(نَوُوم). ينظر المختضب: (٢١٤/١)، وتداخل الأصوات اللغوية: (٤٠٢/١).

زنة (مَفْعَلَةٌ)، وهذا يستوجب أن تُنقل ضمة الياء إلى ما قبلها، فتصير: (مُؤَيِّنَةٌ)، ثم تُقلب الضمة كسرةً لتسلم الياء من القلب، فتصير (مُئَيِّنَةٌ)<sup>(١)</sup>.

- وأما الأخفش<sup>(٢)</sup> فيجوز على قاعدته في الإعلال أن تكون (مُؤَوِّنَةٌ) من (الأَيْن) - كما يرى الفراء - لأن الياء عنده إذا وقعت عيناً ساكنةً مضموماً ما قبلها قُلبت واواً في المفرد، فيُقال: (مُؤَوِّنَةٌ) كما يُقال: (مُعَوِّشَةٌ)، واستشهد بـ(مَضُوفَةٍ).

#### - (ضِيْزِي):

اختلف في وزن (ضِيْزِي) على قولين:

الأول: قول سيبويه<sup>(٣)</sup>، وهو أنه على (فُعَلَى)، وأصله: (ضِيْزِي) أبدلت الضمة كسرةً لثلاثاً تُقلب الياء واواً.

الثاني: قول الأخفش<sup>(٤)</sup>، وهو أنه على (فُعَلَى).

والفرق بين القولين: أن الأخفش أخذ بظاهر القول، وأمّا سيبويه فردّه إلى وزن آخر، ويتصل بقول سيبويه ثلاثة أمور يرتبط بعضها ببعض:

---

(١) ينظر الأصول في النحو: (٣٤٩/٣)، وتداخل الأصوات اللغوية: (٤٠٣/١)، ومسألة (مَعِيْشَةٍ).

(٢) ينظر الهامش السابق.

(٣) الكتاب: (٣٦٤/٤)، وينظر الممتنع: (٣١٨)، وارتشاف الضرب: (١٩٠/١).

(٤) ينظر ارتشاف الضرب: (١٩٠/١).

أولها: أن (ضِيْزَى) صفة، والقاعدة عند سيبويه أنه لا يُوجد في الصفات (فُعْلَى)، وفيها (فُعْلَى) بضم الفاء، مثل: (حُبْلَى)، فلذلك أبدلوا من الضمة كسرةً في (ضِيْزَى) لتصحّ الياء، على حدّ فعلهم في (يُبِض)، وأصله: (يُبِض)<sup>(١)</sup>.

وثانيها: أن الياء لم تُقلب واواً في (ضِيْزَى) كما قُلبت في (طُوْى)-وأصله: (طُوْى)- لأن (ضِيْزَى) صفة كما تقدّم، و (طُوْى) اسم، والصفة أثقل من الاسم، فأرادوا التفرقة بينهما<sup>(٢)</sup>، قال ابن يعيش: "وخصّصوا الاسم بالقلب للفرق؛ لأن الاسم أخفّ من الصفة، والصفة أثقل؛ لأنها في معنى الفعل، والأفعال أثقل من الأسماء، والواو أثقل من الياء، فجعلوها في الاسم الذي هو خفيف، ولم تُجعل في الصفة؛ لئلا تزداد ثقلاً"<sup>(٣)</sup>.

وثالثها: أنه يُتخصّل مما مضى أن (فُعْلَى) عند سيبويه لا يخلو من أن يكون اسماً أو صفة؛ فإن كان اسماً قُلبت فيه الياء واواً مثل: (طُوْى)، وإن كان صفةً سلمت فيه الياء من القلب مثل: (ضِيْزَى): وهو مذهب الجمهور<sup>(٤)</sup>.

---

(١) ينظر الكتاب: (٤/ ٣٦٤)، والمقتضب: (١/ ٣٠٤)، والأصول في النحو: (٣/ ٢٦٧)، وشرح الكتاب للسيرافي: (٥/ ١٢٩، ٢٧١)، وشرح المفصل لابن يعيش: (١٠/ ٩٧، ٩٨).

(٢) تنظر المراجع السابقة.

(٣) شرح المفصل: (١٠/ ٩٧، ٩٨).

(٤) ينظر الكتاب: (٤/ ٣٦٤)، والمقتضب: (١/ ٣٠٤)، والأصول في النحو: (٣/ ٢٦٧)، وشرح الكتاب للسيرافي: (٥/ ١٢٩، ٢٧١)، وشرح التصريف للثمانيني: (٥٣٦)، وشرح المفصل لابن يعيش: (١٠/ ٩٧، ٩٨)، والممتع: (٣١٨).

## – (بَغْيٍ)<sup>(١)</sup>:

أصل (بَغْيٍ): (بَغُوي)، على زنة (فَعُول)، قال ابن عصفور: " فُتِلِبَت الواو ياءً وأُدغمت الياء في الياء، ثم قُلبت الضمة التي في العين من (بَغْيٍ) كسرةً؛ لتصحَّ الياء، والدليل على أن (بَغْيًا) (فَعُول): كونه للمؤنث بغير تاء، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾<sup>(٢)</sup>، ولو كان (بَغْيٍ) (فَعِيل)<sup>(٣)</sup> لكان بالتاء كـ(ظريفة)"<sup>(٤)</sup>.

## – (مَرْمِيٍّ) و(مُسْلِمِيٍّ):

الأصل في (مَرْمِيٍّ): (مَرْمُويٍّ)؛ على زنة (مَفْعُول)، اجتمعت الواو والياء، وسُبقت الأولى منهما بالسكون، فانقلبت الواو ياءً، فقليل: (مَرْمِيٍّ)، ثم كُسرت الميم لئلا تُقلب الياء واوًا؛ وذلك لسكونها وضَمُّ ما قبلها، فقليل: (مَرْمِيٍّ)، ثم أُدغمت الياء في الياء، فقليل: (مَرْمِيٍّ)<sup>(٥)</sup>.

وقريبٌ من هذا اللفظ: (مُسْلِمِيٍّ) في الرفع؛ أصله: (مُسْلِمُويٍّ)، قُلبت فيه الواو ياءً، فقليل: (مُسْلِمِيٍّ)، ثم أُبدلت الضمة كسرةً لتصحَّ الياء، وأُدغمت الياء في الياء فقليل: (مُسْلِمِيٍّ)<sup>(٦)</sup>.

(١) من بَعَت الأمة، أي: عهرت وزنت. ينظر لسان العرب (بغا): (١٤ / ٧٧).

(٢) [مريم: ٢٨].

(٣) هو مذهب بعض النحويين، والخلاف مفصّل في الدر المصون: (٧ / ٥٧٨).

(٤) الممتع: (٣٤٩).

(٥) ينظر المفتاح في الصرف: (٧٨)، وشرح الشافية للركن: (٢ / ٧٨٩)، والتصريح: (٣ / ٣٣٨).

(٦) ينظر شرح الكتاب للسيرافي: (٤ / ١٦٣)، وشرح الشافية للركن: (٢ / ٧٨٩).

– (أَرْمِيَّة):

تقول في (أَفْعَلَة) من (رَمَيْتُ): (أَرْمِيَّة)، والأصل: (أَرْمِيَّة)، بضم الميم، غير أنهم كسروها لتصحّ الياء<sup>(١)</sup>.

– (شَيْب):

(شَيْب) جمع مفردُه: (أَشَيْب)، وأصله: (شَيْب) – بضمّ الشين – كـ(أَحْمَر) و(حُمُر) – لكنها كُسرت؛ لئلا تُقلب الياء<sup>(٢)</sup>.

– (نَيْب):

(نَيْب) جمع مفردُه: (نَاب)، وأصله: (نَيْب)، على زنة: (فُعْل)، كـ(أَسَد) و(أُسَد)، وقد كُسرت النون لتسلم الياء من القلب<sup>(٣)</sup>.

– (ضَيْفَان) و(شَيْخَان):

وهما جمعان مفردُهما: (ضَيْف) و(شَيْخ)، ووزنهما: (فُعْلَان)، ويجوز أن يكون وزنهما: (فُعْلَان)؛ لأن الأصل: (ضَيْفَان) و(شَيْخَان)، ثم كُسرت فيهما الضاد والشين؛ لتصحّ الياء<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(١) ينظر شرح الكتاب للسرياني: (٣٤٥/٥).

(٢) ينظر تخلص الشواهد: (٧١).

(٣) ينظر الصحاح (نَيْب): (١/ ٢٣٠).

(٤) ينظر شرح الشافية للرضي: (١١٧/٢).

## ثانياً: صون الياء من قلبها ألفاً:

ظهر في مواضع نَزَرَةٍ من كلام العلماء ما يُشير إلى أنّ قلب الياء ألفاً قد يقود إلى بعض الإشكالات، كحدوث اللبس، أو كثرة التغير، أو التقاء الساكنين، ومن أجل هذا عُمد إلى تصحيح الياء، والحيلولة دون العلة الموجبة لقلبها، وسوف يتضح أن بعض الإشكالات التي خيفَ منها كانت محلّ نظرٍ؛ لأن موجبات القلب لم تكتمل، وإنما تحقق بعضها، وانعدم بعضها، فكانت الياء في وقاءٍ من محاذير القلب.

### - (بَيِّضَات):

إذا جُمع نحو: (بَيِّضَة) - مما كان اسماً معتلاً العين - بألفٍ وتاءٍ قيل: (بَيِّضَات)، بسكون الياء، ولا تُحرّك الياء بالفتح كما حُرِّكت في (جَفَنَات) و(نَمَرَات)؛ لأن التحريك يؤدي بالياء إلى قلبها ألفاً، فتلتبس (فَعْلَة) ساكنة العين ب(فَعْلَة) مفتوحة العين، ك(دَارَة)<sup>(١)</sup> و(دَارَات)، و(قَامَة) و(قَامَات)<sup>(٢)</sup>، وهكذا الشأن في نحو: (جَوْزَة) - مما عيْنُه واو - يُقال فيه: (جَوَزَات)، قال ابن جني: "فأمّا تسكينهم الواو والياء في (جَوَزَات) و(بَيِّضَات) فإنما كرهوا الحركة فيهما لثلاثا يصيروا إلى لفظٍ يجب معه القلب، وهو قولهم: (بَيِّضَات)

(١) هي ما أحاط بالشيء، وتُطلق على الأرض الواسعة بين جبال. ينظر لسان العرب (دور): (٤) / ٢٩٦.

(٢) ينظر المنصف: (٣٤٣/١)، وشرح المفصل لابن يعيش: (٣٠/٥)، وشرح الشافية للركن: (١) / ٤٣٢.

و(جَوَزَات)، ولو قلبوا فقالوا: (باضات) و(جازات) لالتبس لفظه بلفظ ما واحده مقلوبٌ، نحو: (دارات) و(قارات)<sup>(١)</sup> جمع (دارة) و(قارة)<sup>(٢)</sup>.

والحقُّ أنَّ هذا الإشكال لا يردُّ؛ لأنَّ الياء والواو لا تُقلبان ألفين إلا إذا كانت حركتهما أصلية<sup>(٣)</sup>، وحركتهما في (بَيَّضَات) و(جَوَزَات) عارضة، فكانتا في مأمنٍ ممَّا خيف منه، ولهذا لم تُقلبا في لغة هذيل<sup>(٤)</sup>، قال ابن يعيش: "ومنهم من يقول: (جَوَزَات) و(بَيَّضَات)، فيفتح، ولا يقلب؛ لأنَّ الفتحة عارضة، كما لم يقلب الواو من ﴿وَأَلَوِ اسْتَقَمُوا﴾<sup>(٥)</sup> و﴿أَشْتَرُوا الضَّلَالَةَ﴾<sup>(٦)</sup>، وهي لغة لهذيل، قال الشاعر:

أخو بَيَّضَاتٍ رَائِحٌ مُتَأَوِّبٌ      رَفِيقٌ بِمَسْحِ الْمَنَكِينِ سَبُوحٌ<sup>(٧)</sup>  
وذلك<sup>(٨)</sup> قليل، والأول<sup>(٩)</sup> عليه الكثير<sup>(١٠)</sup>.

(١) الأراضي ذات الحجارة السود. ينظر لسان العرب (قور): (٥ / ١٢٢).

(٢) المنصف: (٣٤٣/١).

(٣) ينظر المفتاح في الصرف: (٩٢)، وشذا العرف: (١٤٣).

(٤) تنظر هذه اللغة في الكتاب: (٦٠٠/٣).

(٥) [الجن: ١٦].

(٦) [البقرة: ١٦].

(٧) من الطويل، وقد عُزِّي لشاعرٍ من هذيل في ارتشاف الضرب: (٥٩٢/٢)، وبلا نسبة في شرح

الكتاب للسيرافي (٣١٩/٤)، والمنصف: (٣٤٣ / ١).

(٨) أي: فتح الياء.

(٩) أي: تسكين الياء.

(١٠) شرح المفصل: (٣١، ٣٠/٥).

## - (أَيْنَ وَكَيْفَ):

إذا أُريدَ التخلُّص من التقاء ساكنين بتحريك أحدهما فإن الأصل في التحريك أن يكون للأول؛ "وإنما قلنا: الأصلُ تحريك الأول من قِبَل أن سكون الأول منع من الوصول إلى الثاني، فكان تحريكه من قِبَل إزالة المانع، إذ بتحريكه يُتوصَّل إلى النُّطق بالثاني، وصار بمنزلة ألفات الوصل التي تدخل متحرِّكةً توصُّلاً إلى النُّطق بالساكن بعدها"<sup>(١)</sup>.

وقد خرج عن هذا الأصل: (أَيْنَ) و(كَيْفَ)، حيث حُرِّكَ الثاني منهما دون الأول، والعلَّة في ذلك أنه لو حُرِّكَ الأول فيهما -وهو الياء- لانقلبت ألفاً؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها، فيصير اللفظان على هذا النحو: (أَنَّ) و(كَافَ)، فيلتقي ساكنان، وهذا يستوجب تحريك النون والكاف، فيتوالى تغييران.

قال ابن يعيش: "فأما (أَيْنَ) و(كَيْفَ) فمعدولٌ بهما عن القياس بتحريك الساكن الثاني دون الأول لمانع؛ وذلك أنا لو حرَّكنا الأول -وهو الياء في (أَيْنَ) و(كَيْفَ)- لانقلبت ألفاً؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها على حكم التصريف، إذ الحركة تقع لازمة، ولو قُلبت ألفاً لزم تحريك النون؛ لسكونها وسكون الألف قبلها، فلمَّا كان يؤدِّي تحريك الأول إلى تغيير بعد تغيير حرَّكوا الثاني من أوَّل الأمر، واستغنوا بذلك عن تحريك الأول"<sup>(٢)</sup>.

(١) شرح المفصل لابن يعيش: (٩/ ١٢٥).

(٢) شرح المفصل: (٩/ ١٢٥).

وهذا فيه نظر؛ لأن الأول -وهو الياء- لو اختير تحريكها فقليل: (أَيْنُ) و(كَيْفُ) فلن تكون معرّضةً للقلب -وإن تحوّرت وانفتح ما قبلها- لأن ما بعدها ساكن، والياء لا تُقلب ألفاً إلا إذا كان ما بعدها متحرّكاً<sup>(١)</sup>، فهي محروسةٌ ممّا حُشي منه.

وقد يكون سبب تحريك الثاني هو استئصال الحركة على الياء لو قيل: (أَيْنُ) و(كَيْفُ)، ونظير ذلك جمع (بَيْضَة)، فإن الأكثر فيه أن يُقال: (بَيْضَات) بتسكين الياء، وقلّ فتحها -وهي لغة هذيل- لثقل الحركة عليها<sup>(٢)</sup>.

#### - (لَيْسَ):

(لَيْسَ) في مذهب الجمهور فعل<sup>(٣)</sup>، وأصله: (لَيْسَ)<sup>(٤)</sup>، وكان حقُّ الياء أن تُقلب ألفاً؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها<sup>(٥)</sup>، لكنها سَكِنَتْ؛ لتسلم من القلب؛ لأنهم لم يريدوا أن يصيرَوا هذا الفعل، قال ابن السراج: "وقال أصحابنا: إِنَّ (لَيْسَ) أصلها (لَيْسَ)، نحو (صَيَدَ البعير)<sup>(٦)</sup>، ولم يقلبوا الياء

(١) ينظر شذا العرف: (١٤٤).

(٢) ينظر شرح الشافية للركن: (٤٣٢/١)، والمسألة السابقة.

(٣) ينظر التذييل والتكميل: (١١٧/٤).

(٤) ينظر التعليقة على كتاب سيبويه: (١٤٦/٥)، والمنصف: (٢٥٨/١).

(٥) ينظر الكتاب: (١٠٩/٤)، وشرحه للسيرافي: (٤٨٦/٤).

(٦) أي: لا يستطيع الالتفات من داءٍ ونحو. ينظر لسان العرب (صيد): (٢٦٢/٣).

ألفاً؛ لأنهم لم يريدوا أن يصرفوها فيستعملوا منها (يَفْعَلُ)، ولا (فَاعِلِ)، ولا شيئاً من أمثلة الفعل، فأسكنوا الياء وتركوها على حالها بمنزلة (كَيْت)"<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

---

(١) الأصول في النحو: (٣/٤٥٠).

### ثالثاً: صون الياء من قلبها همزة:

مواضع هذا المظهر قليلة جداً، وغاية ما وقفت عليه من ذلك - بعد طول استقراء - مسألتان، تُلوّفي فيهما قلب الياء همزة؛ حتى لا تلتقي همزتان.

#### - (جاء):

(جاء) اسم فاعلٍ من (جاء)، وأصله: (جائي)، مثل: (بائع)، إلا أن الهمزة حدث فيها قلبٌ مكاني، حيث قُدِّمت إلى موضع العين، فقليل: (جائي)، ثم أُعِلَّتْ إعلال (قاضي)، فقليل: (جاء)، وهذا مذهب الخليل<sup>(١)</sup>.

والذي حمل الخليل على القلب المكاني: أن الياء في (جائي) وقعت عيناً لاسم فاعلٍ أُعِلَّتْ في فعله، وهذا يقتضي قلبها همزة، ولو قُلبت الياء همزةً لقليل: (جائي)، فيجتمع همزتان في كلمة واحدة، وهذا لم يرد إلا في نادر الشعر<sup>(٢)</sup>، كقوله:

فإنك لا تدري متى الموتُ جائئٌ إليك ولا ما يُحدثُ الله في غدٍ<sup>(٣)</sup>  
وذهب سيبويه<sup>(١)</sup> إلى أن الياء في (جائي) لم تخضع للقلب المكاني، بل قُلبت همزةً على مقتضى القياس، فقليل: (جائي) مثل: بائع، ثم أبدلت الهمزة

(١) ينظر الكتاب: (٥٤٩/٣)، وشرحه للسيرافي: (٢٨٩/٤)، والمنصف: (٥٢/٢)، والخصائص: (٣/ ١٤٣)، والممتع: (٣٢٧)، وارتشاف الضرب: (٣٣٥/١)، وشرح الشافية للركن: (٧٠٩/٢).

(٢) تنظر المراجع السابقة.

(٣) من الطويل، ولم أقف على قائله، ينظر الخصائص: (١٤٣/٣)، والمقاصد الشافية: (٨٢/٩).

الثانية ياءً، ففيل: (جائي)، ثم أُعِلَّتْ إعلال (قاضي) ففيل: (جاءٍ)، على زنة (فاعِل).

قال ابن جني: "وكلا القولين حسن جميل"<sup>(٢)</sup>، وقد حكى عن شيخه الفارسي أن قول الخليل هو الأقوى؛ لأن ما ذهب إليه سيويو يترتب عليه إعلالان، وهما قلب العين همزة، وقلب الهمزة التي هي لامٌ ياءً<sup>(٣)</sup>، و"توالي إعلالين على الكلمة من جهةٍ واحدة لا يُوجد في كلام العرب إلا نادراً أو في ضرورة الشعر"<sup>(٤)</sup>.

والحقُّ أنَّ مذهب الخليل - وإن لم يرد عليه الإشكال السابق - لا يخلو من تكلف القلب<sup>(٥)</sup>، بل يرى بعضهم أنه يُفضي إلى توالي إعلالين أيضاً؛ لأن النقل يُوقِعُ في تأخير حرفٍ عن موضعه، ثم رَدّه إلى أصله، وذلك إعلالان، وإقرار الكلمة على نظمها أولى<sup>(٦)</sup>.

- (خطايا):

---

(١) الكتاب: (٣٧٧/٤)، وعزا المبرد هذا المذهب إلى النحويين أجمعين. ينظر المقتضب: (٢٥٣/١).

(٢) المنصف: (٥٣/٢)

(٣) ينظر المرجع السابق.

(٤) الممتع: (٣٢٧).

(٥) ينظر المرجع السابق.

(٦) ينظر اللباب للعكبري (٣١٢/٢).

(خطايا) جمع (خطيئة)، وقد اختلف في أصل هذا الجمع<sup>(١)</sup>، ومذهب الكوفيين أنه على زنة (فَعَالِي)، وأصله: (خطايي)، وكان القياس أن تُقلب الياء همزةً على حدّ قلبها في (صحيفة) و(صحائف)، و(كتيبة) و(كتائب)، غير أنهم قدّموا الهمزة لتسلم الياء من القلب، وذلك أنها لو قُلبت لقليل: (خطائي)، فتجتمع همزتان، وهو مرفوضٌ في كلامهم<sup>(٢)</sup>.  
ولا يُعترض بقولهم: (درائي) في جمع (دريئة)<sup>(٣)</sup>، وقولهم: (لفائي) في جمع (لفيئة)<sup>(٤)</sup>، ونحوهما، فأولئك شواذٌ<sup>(٥)</sup>، "وما كانت هذه سبيله وجب أطراحه، والتوقف عن لغة من أورده"<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر الكتاب: (٥٥٣/٣)، والمقتضب: (٢٧٧/١، ٢٧٨)، والأصول في النحو: (٤٠٣/٢)، وشرح الكتاب للسيرافي: (٢٨٨/٤)، وشرح التصريف للثمانيني: (٤٤٩)، وشرح الشافية للركن: (٧١١/٢).

(٢) ينظر الإنصاف: (٨٠٥/٢).

(٣) هي حَلَقَةٌ يُتَعَلَّمُ عليها الطعن. ينظر الصحاح (د ر أ): (٤٩/١).

(٤) هي كلّ بَضْعَةٍ لا لحم فيها. ينظر لسان العرب (لفأ): (١٥٣/١).

(٥) ينظر الخصائص: (١٤٢/٣، ١٤٣)، وارتشاف الضرب: (٢٦٨/١).

(٦) الخصائص: (٧/٢).

## المبحث الثاني: بواعث صون الياء من القلب:

تبيّن مما مضى أن الياء قد يُتَحاشى قلبها واواً أو ألفاً أو همزةً، وقد دفعَ إلى ذلك بواعثٌ مختلفة، لعلّي أسوقُ فيما يلي أبرزها:

### ١ - مراعاة النظر:

من التصريفات ما تقول معه الياء إلى القلب المحذور، فيأتي اللفظ على هيئةٍ نادرةٍ، أو على وزنٍ مهمليٍّ ليس له نظير، وقد احترز العلماء من ذلك بفرض قيودٍ يؤمّن معها هذا النوع من القلب.

ولعلّ مما يدخل في هذا الصّدّ ما قيل في جمع (أَفْعَلُ فَعْلَاء)؛ فإنه يُجمع على زنة (فُعْل)، فيقال في (أَحْمَرُ وَحَمْرَاء): (حُمَر)، ويجوز ضمُّ العين في الضرورة فيما صحت عينه ولامه ولم يُضاعف<sup>(١)</sup>، كقوله:

طوى الجديدانِ ما قد كُنْتُ أنشرُهُ وَأَخْلَفْتَنِي ذواثُ الأَعْيُنِ النُّجْلِ<sup>(٢)</sup>

وقوله:

وما انتميتُ إلى حُورٍ ولا كُشِفٍ ولا لثامٍ غداةَ الرّوعِ أوزاعِ<sup>(٣)</sup>

---

(١) ينظر شرح الكافية الشافية: (٤ / ١٨٣٠)، وتمهيد القواعد: (٩ / ٤٧٧٤)، وجمع الهوامع: (٣ / ٣٥٢، ٣٥١).

(٢) من البسيط، وقد غُزي إلى أبي سعيد المخزومي في الأمالي للقالبي: (١ / ٢٥٩)، وبلا نسبة في شرح الكافية الشافية: (٤ / ١٨٣٠)، وتمهيد القواعد: (٩ / ٤٧٧٤٥)، وجمع الهوامع: (٣ / ٣٥٢).

(٣) من البسيط، وقد غُزي لضرار بن الخطاب في المقاصد النحوية: (٤ / ١٦٤٣)، وبلا نسبة في شرح الكافية الشافية: (٤ / ١٨٣١)، وتمهيد القواعد: (٩ / ٤٧٧٥)، وجمع الهوامع: (٣ / ٣٥٢).

والشاهد في البيتين: (نُجِّل) و(كُشِف) فهما جمعان ل(نَجَّلَا) و(أَكْشَفَا)<sup>(١)</sup>.

واحتُزِر بصحة: اللام من معتلها<sup>(٢)</sup>، نحو: (أعْمَى) فإنه يُجمع على (عُمَي)، ولا تُضَمُّ عينه؛ لأنها لو ضُمَّت لانقلبت ياؤه واوًا، فيقال: (عُمُو)، وهذا مرفوضٌ في كلامهم؛ لأنه لا يوجد اسمٌ معربٌ آخره واوٌ لازمةٌ مضموم ما قبلها، فيضطرُّ إلى قلب الواو ياءً فيقال: (عُمَي) ثم تكسر الميم لمناسبة الياء فيقال: (عُمَي) على زنة (فُعِل)، وهو مهمل في الأسماء<sup>(٣)</sup>.

ونحو هذا: (أَيَّد) فهو جمعٌ مفردُه: (يَدِي)، ك(ظَنِي)، وأصله: (أَيَّدِي) على وزن (أَفْعَل)<sup>(٤)</sup>، فُلبت فيه ضمة الدال كسرةً لتسلم الياء من القلب<sup>(٥)</sup>.

وإنما صحَّت الياء في هذا الجمع لأنها لو قُلبت واوًا -للضمة التي قبلها- فقليل: (أَيَّدُو) لأدَّى ذلك إلى بناءٍ ليس له نظير، فليس في العربية اسم معربٌ آخره واوٌ لازمةٌ مضمومٌ ما قبلها، قال ابن يعيش: "جمعوا (يداً) على (أَفْعَل)،

(١) ينظر شرح الكافية الشافية: (٤ / ١٨٣١)، وتمهيد القواعد: (٩ / ٤٧٧٥)، و (الأكشف): هو

الرجل الذي لا تُرْس معه في الحرب. ينظر الصحاح (كشف): (٤ / ١٤٢٢).

(٢) واحتُزِر بصحة العين من نحو: (سُود) و(بَيَض) جمعي (أَسُود) و(سَوْدَاء) و(أَبْيَض) و(بَيضاء)، وبالمضاعف من نحو: (عُزِر) و(جُم) جمعي (أُعَزِر) و(عَزَاء) و (أَجَم) و(جَمَاء). ينظر تمهيد القواعد: (٩ / ٤٧٧٥).

(٣) ينظر تمهيد القواعد: (٩ / ٤٧٧٥)، وجمع الهوامع: (٣ / ٣٥٢).

(٤) ينظر الكتاب: (٣ / ٣٥٨)، والمقتضب: (١ / ٣٦٤)، والأصول في النحو: (٣ / ٣٢٤)، وشرح

الكتاب للسيراfi: (٤ / ١١٢)، وشرح التصريف للثمانيني: (٤١٤)، وإيجاز التعريف: (٧٨).

(٥) ينظر شرح المفصل لابن يعيش: (٥ / ٧٤).

وهو من أمثلة أقلّ العدد لما كان واحدُه (فَعْلًا)، والدالّ التي هي عين (الفعل) وإن كانت مكسورةً فأصلُّها الضمّ، كما أنها في (كَلْب) و(أَكْلَب)، و(كَعْب) و(أَكْعَب) كذلك، وإنما عدلوا إلى الكسر لتصح الياء؛ إذ لو بقيت الضمة قبل الياء لانقلبت واوًا، وكنتَ تصير إلى بناءٍ ليس مثله في الأسماء<sup>(١)</sup>. ومثّل ذلك أيضاً: (ترامي)؛ فإن قياس مصدره أن يكون على (تراثي)، لأنه (تَفَاعُل)؛ فتكون الياء سائجةً لقلبها واوًا، وقلبها يقوّد إلى وقوع واوٍ قبلها ضمة لازمة في آخر اسم معرب، وهو مرفوضٌ في كلامهم، ودرءاً لهذا الإشكال كُسرت الميم لتصحّ الياء<sup>(٢)</sup>.

## ٢- أمن اللبس:

اللبس محذور؛ لمنافاته القصد من وضع اللغة، والمراد به في اصطلاح النحويين: حصول إشكال في الكلمة أو الكلام يؤوّل إلى عدم الفهم، أو سوء الفهم<sup>(٣)</sup>.

ومن المسائل التي قد يحصل فيها هذا الإشكال:

قلب الياء واوًا في نحو: (اغزي)؛ فإن أصله: (اغزوي) بوزن: (اقتلي)، فكرهوا الكسر على الواو لانضمام ما قبلها، فسكنوها، فاجتمع ساكنان:

(١) شرح المفصل: (٧٤/٥).

(٢) ينظر الباب للعكري (٥١٦/١).

(٣) ينظر الأحكام النحوية المبنية على أمن اللبس أو الخوف منه من خلال شرح الرضي على الكافية: (١٠٧).

الواو والياء، فحذفوا الواو لالتقاء الساكنين، ثم كسروا الزاي لتسلم الياء؛ لأنها علامة التأنيث<sup>(١)</sup>، ولو قُلبت الياء واواً فقليل: (اغزو) لتوهم السامع أن الأمر للجماعة.

وقريبٌ من هذا ما كان على وزن (فُعَلَى) -مما عينه ياء- فإنه لا يخلو من أن يكون اسماً أو صفةً؛ فإن كان اسماً قُلبت ياءه واواً، نحو: (طُوًى)، وإن كان صفةً سلمت فيه الياء من القلب بكسر ما قبلها -فرقاً بين الاسم والصفة<sup>(٢)</sup>- نحو: (مشيةٌ حَيْكى)<sup>(٣)</sup>، و﴿قَسَمَةُ ضَيْرَى﴾<sup>(٤)</sup>، والأصل: (حَيْكى)، و(ضَيْرَى)<sup>(٥)</sup>، قال سيبويه: "وذلك قولهم: (امرأة حَيْكى)، وبدللك على أنه (فُعَلَى) أنه لا يكون (فُعَلَى) صفةً، ومثل ذلك: ﴿قَسَمَةُ ضَيْرَى﴾، فإنما فَرَّقوا بين الاسم والصفة في هذا كما فَرَّقوا بين (فُعَلَى) اسماً وبين (فُعَلَى) صفةً في بنات الياء التي الياء فيهنّ لام، وذلك قولهم: (شَرَوَى) و(تَقَوَى) في الأسماء، وتقول في الصفات: (صَدْيَا) و(حَزْيَا)، فلا تُقلب"<sup>(٦)</sup>.

### ٣- طلب الحفة:

- (١) ينظر شرح الكتاب للسيراي: (٣٦٧/٥)، والمنصف: (١/ ٥٥).
- (٢) ينظر الكتاب: (٤/ ٣٦٤)، والمقتضب: (١/ ٣٠٦)، والأصول في النحو: (٣/ ٣٠٣)، وشرح الكتاب للسيراي: (٥/ ٢٧١)، والممتع: (٣١٨)، وشرح الشافية للرضي: (٣/ ٨٦)، وشرحها للركن: (٢/ ٧٧٨، ٧٧٩).
- (٣) أي: مشية فيها تبختر. ينظر لسان العرب (حيك): (١٠/ ٤١٨).
- (٤) [النجم: ٢٢].
- (٥) وهو المختار عند سيبويه. ينظر مسألة (ضَيْرَى) في المبحث الأول.
- (٦) الكتاب: (٤/ ٣٦٤).

دأبت العربية على الخفة في الكلام، وقد تجلّى في المبحث السابق أنّ أكثر المواطنين التي تُلوّني فيها قلب الياء هي تلك التي تكون فيها معرّضةً لقلبها واوًا؛ وذلك أن الواو ثقيلة، والياء أخفّ، والخفيف لا يُنتقل منه إلى الثقيل.

ومن أجل ذلك لم يرد من باب (فَعْل يَفْعُل) يائي العين ولا يائي اللام متصرّفًا<sup>(١)</sup>؛ لأن مضارع (فَعْل) بالضم لا غير؛ فلو أتيا منه لاحتيج إلى قلب الياء واوًا في المضارع نحو: (يُبوع) و(يَرْمو) من البيع والرمي، فينتقل من الثقيل إلى ما هو أثقل منه<sup>(٢)</sup>، قال ابن جني: "ألا تراهم إنما تحاموا أن يبنوا (فَعْل) مما عينه ياء مخافة انتقالهم من الأثقل إلى ما هو أثقل منه؛ لأنه كان يلزمهم أن يقولوا: بُعْتُ أَبُوعٌ، وهو يَبُوعٌ، وأنتَ أو هي تَبُوعٌ، وبُوعا وبُوعُوا وبُوعي، وهما يَبُوعان، وهم يَبُوعُونَ، ونحو ذلك، وكذلك لو جاء (فَعْل) مما لامه ياء متصرّفًا للزم أن يقولوا: رَمُوتُ ورَمُوتَ، وأنا أرْمُو، ونحن نرمُو، وأنتَ ترمُو، وهو يرمُو، وهم يرمُون، وأنتما ترمُوان، وهُنَّ يرمُون، ونحو ذلك، فيكثر قلب الياء واوًا، وهو أثقل من الياء"<sup>(٣)</sup>.

---

(١) ينظر الممتع: (٢٨٩)، وشرح الشافية للرضي: (٧٦/١)، وقد قُدِّد يائي اللام بالتصرّف تنبيهاً على نحو: (قَضُو الرجل رَمُوت)، بمعنى: ما أفضاه و ما أرماه! فإنه مطّرد، وهو غير متصرف.

ينظر الخصائص: (٣٤٨ / ٢)، وتمهيد القواعد: (٣٧٠٨ / ٨).

(٢) ينظر شرح الشافية للرضي: (٧٦/١).

(٣) الخصائص: (٣٤٨ / ٢).

وقد شدَّ عن ذلك لفظ: (هَيَّؤْ) من قولهم: (هَيَّؤْ الرجلُ) أي: صار ذا هيئة<sup>(١)</sup>، ولفظ: (نَهَوْ) من قولهم: نَهَوُ الرجلُ فهو نَهْيٌّ، إذا كان كامل النُّهْيَةِ في العقل<sup>(٢)</sup>.

ولا يُشكَل نحو: (سَرَّوْ)<sup>(٣)</sup> و(رَمَّوْ)<sup>(٤)</sup>؛ لأن الواو فيهما لم تُقلب عن ياء بل هي واو في الأصل - فهما في بناء لا يتصرَّف، لمشابهته التعجَّب و(نَعَمْ) و(بُئْسَ) - فلم يُؤتَ بثقل بعد خفيف<sup>(٥)</sup>.

---

(١) ينظر الخصائص: (٢ / ٣٤٨)، وشرح الشافية للرضي: (٧٦ / ١)، ولسان العرب (هياً):

(١ / ١٨٨)، وارتشاف الضرب: (١ / ١٥٣)، وشذا العرف: (٣٦).

(٢) ينظر لسان العرب (نحى): (١٥ / ٣٤٦)، وشرح الشافية للركن: (٢ / ٧٩٢)، وشذا العرف: (٣٦).

(٣) سَرَّوْ الرجل: ارتفع، فهو رفيع. ينظر لسان العرب (سرا): (١٤ / ٣٧٨).

(٤) رَمَّوْ الرجل: جاد رميَّه. ينظر المرجع السابق (هياً): (١ / ١٨٨).

(٥) ينظر الخصائص: (٢ / ٣٤٨)، والمنصف: (٢ / ١١٣)، والمقاصد الشافية: (٩ / ١٦٥).

#### ٤ - المحافظة على الغرض من الحرف:

اجتُلبت بعض الحروف للدلالة على غرضٍ معيّن، وهذا يعني أن حذف الحرف المجتلب أو تغييره بقلبٍ ونحوه ينافي الغرض الذي جاء من أجله ذلك الحرف.

ويسري هذا الحكم على الياء في نحو: (رُجَيْل)؛ فالغاية من هذه الياء هي الدلالة على أن الكلمة مصغّرة، وقد وضع علماء التصريف قاعدةً مفادها: أنه لا يُصغّر اسم أقلّ من ثلاثة أحرف؛ لأنه لو صُغّر وهو على حرفين لوقعت ياء التصغير ثالثةً في الطرف، وهذا يستوجب تحريكها بحركات الإعراب، وهي لا تكون إلا ساكنة، وإذا تحركت ياء التصغير وانفتح ما قبلها قُلبت ألفاً، فينتفي الغرض منها.

قال ابن يعيش: "اعلم أنه لا يجوز أن يُصغّر اسم على أقلّ من ثلاثة أحرف؛ لأن أدنى أبنية التصغير (فُعَيْل)، وذلك لا يكون إلا من بنات الثلاثة؛ لأن ياء التصغير تقع ثالثةً ساكنةً، وأدنى ما يقع بعدها حرفٌ يكون حرفَ الإعراب، نحو: (رُجَيْل) و (جُمَيْل)، ولو صُغّر ما هو على حرفين لوقعت ياء التصغير ثالثةً طرفاً، فكان يلزم تحريكها بحركات الإعراب، وهي لا تكون إلا ساكنةً؛ لأنها رسيلة ألف التكسير<sup>(١)</sup> في (رجال) و (جَمال) و (جَعافِر)، و (مَساجِد)، وكان يُؤدّي ذلك إلى

(١) أي: في حكمها، فكلٌّ منهما ساكن.

قلب ياء التصغير ألفاً؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها، أو حذفها إذا وقع بعدها تنوين، وكلُّ ذلك محذور؛ لما يلزم فيه من نقض الغرض باجتلاب ياء التصغير<sup>(١)</sup>.

## ٥ - المحافظة على القافية:

قد يتصرّف الشاعر في قصيدته على النحو الذي يحفظ وزنها ويضبط قافيتها، وهذا التصرف ربما لا يكون من وجه واحد بل يكون مركباً، فيسري على اللفظ تغييراتٌ مختلفة، كالحذف، والإبدال، وتغيير الحركة، وقد جاءت هذه الثلاثة مجتمعةً في قول الرجز:

قواطناً مكّةً من وُرْقِي الحَمِي<sup>(٢)</sup>

والشاهد: (الحَمِي)، وأصله: الحَمَام، حُذفت الألف تخفيفاً، فصار: (الحَمَم)، فاجتمع مثلان، فأبدل من الثاني منهما ياءً<sup>(٣)</sup> -استثقالاً للتضعيف- فصار: (الحَمِي)، ثم كُسرت الميم لتسلم الياء من قلبها ألفاً، فقليل: (الحَمِي)، ولولا سلامة الياء من القلب لاختلّت القافية<sup>(٤)</sup>.

(١) شرح المفصل (١١٨ / ٥).

(٢) الرجز للعجاج، يصف فيه حمام الكعبة. ينظر الديوان: (٢٣٧)، والكتاب: (٢٦/١)، ولسان العرب

(حم): (١٥٨/١٢)، وبلا نسبة في الخصائص: (٤٧٣/٢)، وروايته في الديوان: (أولاً مكّة ..).

(٣) كما قالوا في (تظنّنت): تظنّيت، ينظر شرح الكتاب للسيرافي: (١ / ٢١١)، والخصائص:

(٤٧٣/٢)، وشرح التصريف للثمانيني: (٢١٨)، ولسان العرب (حم): (١٢ / ١٥٩).

(٤) هذا أحد الأوجه التي قيلت في البيت، ومما قيل أيضاً: أن الشاعر حذف ميم (الحمام)، وأبدل

الألف ياءً بعد كسر ما قبلها. ينظر الخصائص مع هامشه: (٤٧٣/٢)، ولسان العرب (حم):

(١٥٩ / ١٢).

## ٦. إرادة عدم التصرف:

وهذا ظاهرٌ في (لَيْسَ)؛ فأصله (لَيْسَ) عند الجمهور كما تقدّم<sup>(١)</sup>، وسكنت فيه الياء لِيُؤْمَنَ القلبُ؛ لأنهم أرادوا ألا يتصرف، قال ابن يعيش: "وإنما قلنا: إن أصله (فَعَلَ) بالكسر؛ لأنه لا يخلو من أن يكون على (فَعَلَ) أو (فَعَل) أو (فَعِل) على ما ذكرنا، فلا يجوز أن يكون على (فَعَلَ) بالفتح؛ لأنه لو كان مفتوحاً لم يجز إسكانه؛ لأن الفتحة خفيفة؛ ألا ترى أنهم لا يخففون نحو (قَلَم) و(جَبَل) بالسكون؟ ولا يجوز أن يكون على (فَعَلَ) بالضم؛ لأن هذا البناء لم يأت من بناءه الياء، فلما امتنع أن يكون على (فَعَلَ) و (فَعُل) تعيّن أن يكون (فَعِل) بالكسر، وصُحِّح كما صُحِّح (صَيَدَ البعير) ، وليس المراد أن العلة واحدة، وإنما ذلك لإبداء النظير؛ وذلك لأن العلة في تصحيح (لَيْسَ) إرادة عدم التصرف، والعلة في تصحيح (صَيَدَ) إنما هو لأنه في معنى (أَصِيدَ) ك(عَوِر) و(حَوِل)، إذ كانا في معنى (أَعَوِر) و(أَحَوِل)"<sup>(٢)</sup>.

## ٧- درء التقاء الهمزتين، أو التقاء الساكنين:

وهذان محظوران تقدّما:

- فأما الأول ففي نحو: (جاءَ)<sup>(٣)</sup>، وفي نحو: (خطايا)<sup>(٤)</sup>.
- وأما الثاني ففي نحو (أَيْنَ وَكَيْفَ)<sup>(٥)</sup>، وقد تبين أن هذا المحظور كان محلّ نظرٍ، لأن موجبات القلب لم تكتمل، فكانت الياء في جرّ منه.

(١) ينظر المظهر الثاني في المبحث الأول: صون الياء من قلبها ألفاً.

(٢) شرح المفصل: (١١٢ / ٧).

(٣) ينظر المظهر الثالث في المبحث الأول: صون الياء من قلبها همزة.

(٤) ينظر المظهر الثالث في المبحث الأول: صون الياء من قلبها همزة.

(٥) ينظر المظهر الثاني في المبحث الأول: صون الياء من قلبها ألفاً.

### المبحث الثالث: طُرُق صَوْن الياء من القلب:

ذكرت في مقدمة هذا البحث أن الحرف قد يكون ممكناً من القلب ثم يُعتمد إلى تصحيحه بالحيلولة دون العلة الموجبة لقلبه، والمتتبع المسائل المتعلقة بالياء يجد أن الطُّرُق التي اتُّبعت في سبيل تصحيحها - وإن تعدَّت مظاهرها - لا تخرج في جُمْلتها عن الطَّريقتين التاليتين:

#### الطريقة الأولى: إزالة العلة الموجبة للقلب:

وتتأتى هذه الطريقة بما يلي:

١ - إبدال حركة ما قبل الياء: وهذا المسلك يُرَكَّن إليه حين تصير الياء معرَّضةً لقلبها واواً؛ وذلك لكون ما قبلها مضموماً، فعندئذٍ تُبدل الضمة إمَّا كسرة، وإمَّا فتحة، وإمَّا سكوناً، على التفصيل الآتي:

أ - إبدال الضمة كسرة، وهذا كثير<sup>(١)</sup>، ومن أمثلته: (عَيْن)، جمع (أَعْيَن)، والأصل فيه أن يكون على (عَيْن)؛ لأن وزنه (فُعْل)، مثل: (أَسُود) و (سُود)، "إلا أنه كُسِر أوله، كراهية أن تصير الياء واواً، فتلتبس ذوات الياء بذوات الواو"<sup>(٢)</sup>.

ب - إبدال الضمة فتحة: كما في (كَيْئُونَة)؛ وزنه عند الفراء (فُعْلُولَة)، فكان الأصل أن يُقال: (كُؤُونَة)، غير أنهم فتحوا ما قبل الياء؛ لأن

(١) ينظر مسائل المظهر الأول في المبحث الأول: صَوْن الياء من قلبها واواً.

(٢) ديوان الأدب: (٤١٧/٣).

أكثر نظائر هذا المصدر مصادرُ ذوات الياء-نحو: (صَيَّوْرَة) و(سَيَّوْرَة)- فلو أبقوا الضمة قبل الياء لصارت واواً<sup>(١)</sup>.

ج -إبدال الضمة سكوناً: وهذا ظاهر في نحو: (مُدِّيَة)، فحين يُجمع بألف وتاء مزيديتين يمتنع أن تتبع العين حركة الفاء، فلا يكون على منهاج: (ظُلُمات)؛ لأن ذلك يُوجب قلب الياء واواً، ولكن يُسكَّن فيقال: (مُدِّيَات)، ويجوز الفتح<sup>(٢)</sup>.

٢- تسكين الياء: وهذه الطريقة يُركن إليها حين تكون الياء سائحةً لقلبها ألفاً؛ وذلك لتحركها وانفتاح ما قبلها، كما في (لَيْسَ)، قيل: إن أصله: (لَيْسَ)، أرادوا عدم تصرُّفه، فسكَّنوا الياء؛ لئلا تُقلب ألفاً<sup>(٣)</sup>.

٣- نقل حركة الياء، نحو: (بَيْعَ)، أصله: (بَيْعَ)، نُقلت كسرة الياء إلى فاء الكلمة بعد أن أُلقيت ضمَّتْها، فقليل: (بَيْعَ)، ونُقل كسرة الياء أحسن من حذفها، لأنها إن حُذفت قيل: (بَيْعَ)، فتقلب الياء واواً لسكونها وضمُّ ما قبلها، فتصير إلى (بُوعَ)، فيخرج الأخفُّ إلى الأثقل<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(١) ينظر الإنصاف: (٧٩٨/٢، ٧٩٩).

(٢) ينظر المقتضب: (١٩٢/٢).

(٣) ينظر مسألة (لَيْسَ) في المبحث الأول.

(٤) ينظر الممتع: (٢٩٥).

٤ - تأخير الياء: وهذا تقدّم في (خطايا)؛ فأصله عند الكوفيين: (خطائي)، وكان القياس أن تُقلب الياء همزة، فيقال: (خطائي)، مثل: (صحائف)، غير أنهم قدّموا الهمزة وأخروا الياء لئلا تُقلب الياء همزة فتلتقي همزتان<sup>(١)</sup>.

### الطريقة الثانية: الاحتراس بمنع ما قد تحصل به علة القلب:

أُحيطت بعض الألفاظ بسياجٍ يمنعها من إحداث بعض التصريفات التي قد يتحقّق بها سبب القلب، وتتّبّع مسائل الياء في كلام العلماء ألفت أن ما احترسوا منه فمنعوه يكمن فيما يلي:

١ - منع الترخيم على لغة من لا ينتظر، نحو: (حُبليان) اسماً لرجل<sup>(٢)</sup>؛ لأن الياء في هذه اللغة ستقلب ألفاً؛ فيقال: (يا حُبلاً)، وألف (فُعَلَى) لا تكون منقلبة، بل زائدة<sup>(٣)</sup>.

٢ - منع تصغير ما دون ثلاثة أحرف، نحو: (بل) اسماً؛ وذلك أنه لو صُعِرَ لقليل: (بُلَيّ) فُتَحَرَكَ ياء التصغير بحركات الإعراب، وینفتح ما قبلها، فتُقلب ألفاً، فيفوت الغرض منها<sup>(٤)</sup>.

٣ - منع الجمع على بعض الصيغ، نحو: (سِقَاء)، فلا يُكسّر على (فُعَل)؛ لأن تكسيه عليه يُوجب قلب الياء واواً، فيصير إلى: (سُقُو)، ولا يوجد

(١) ينظر مسألة (خطايا) في المبحث الأول.

(٢) وذلك عند أكثر البصريين. ينظر المتبع في شرح اللمع: (٤٩٩/٢).

(٣) ينظر اللمع: (٨٦).

(٤) لم يُصرّح العلماء بهذا المثال، ولكنه يوافق ما ذكره. ينظر شرح المفصل لابن يعيش (١١٨/٥)، وينظر (المحافظة على الغرض من الحرف) في المبحث السابق.

في الأسماء المعربة واو لازمة مضموم ما قبلها، وهذا يقوّد إلى قلب الواو ياءً فيقال: (سُفِي)، ثم تُبدل الضمة كسرة لمناسبة الياء، فيقال: (سُفِي) على زنة (فُعِل)، وهو بناء تنكبّته العرب، ولا نظير له في الأسماء إلا ما جاء في الشواذ<sup>(١)</sup>.

٤- منع الإتيان، نحو: (كُلِّيَّة)؛ فإنه إذا جُمع بألف وتاء مزيدتين قيل: (كُلِّيَّات)، و(كُلِّيَّات)، بتسكين العين أو فتحها، "ولا يجوز ضمها إتياناً لحركة الفاء؛ لأن ذلك يستوجب قلب الياء التي هي لامٌ واواً لانضمام ما قبلها"<sup>(٢)</sup>، "فيثقل النطق بها"<sup>(٣)</sup>، قال سيبويه: "ومن قال (حُطُوت) بالثقل فإن قياس ذلك في (كُلِّيَّة): (كُلُوت)، ولكنهم لم يتكلموا إلا بـ(كُلِّيَّات)"<sup>(٤)</sup> مخففة؛ فراراً من أن يصيروا إلى ما يستثقلون"<sup>(٥)</sup>.

\*\*\*

(١) ينظر الخصائص: (٣ / ١٧٩)، وتوضيح المقاصد: (٣ / ٤٤).

(٢) ينظر التذييل والتكميل: (٢ / ٥٠).

(٣) شرح المفصل لابن يعيش: (٥ / ٢٣).

(٤) ضبط المحقق عين الكلمة بالتسكين، ويجوز الفتح كما تقدّم.

(٥) الكتاب: (٤ / ٤١١).

## الخاتمة:

خلص البحث إلى النتائج التالية:

- ١- صَوْن الياء من القلب يعني تصحيحها حين تكون معرّضةً للقلب بالحيلولة دون العلة الموجبة لقلبها.
- ٢- مصطلح الصَوْن لم يكن ذائعاً في استعمالات علماء التصريف في مسائل القلب بهذا اللفظ، وإنما كان يُفهم من كلامهم، وقد صرّح به بعض العلماء، وعبر عنه آخرون بالصيانة، والسلامة، والتّصحيح، ونحو ذلك.
- ٣- صَوْن الياء من قلبها واواً هو الأكثر؛ لأن الواو ثقيلة، والياء أخف، ولأجل هذا كان انقلاب الواو إلى الياء أكثر من انقلاب الياء إلى الواو.
- ٤- يُفهم من كلام بعض العلماء أن الياء متى ما تحرّكت وانفتح ما قبلها كانت سانحةً لقلبها ألفاً، وهذا فيه نظر؛ فقلب الياء ألفاً لا يتأتّى إلا بشروطٍ لو اختلَّ أحدها لم تخضع للقلب.
- ٥- اختلف سيبويه والأخفش في الياء إذا وقعت عيناً ساكنةً مضموماً ما قبلها في كلمة مفردة وهي قريبة من الطرف؛ فمذهب الأخفش أن الياء تُقلب واواً، ومذهب سيبويه أن الضمة المتقدّمة تبدل كسرة؛ لتسلم الياء من القلب.
- ٦- تبين من هذه الدراسة أن صَوْن الياء من القلب إنما كان لبواعث مهمّة، كمرعاة النظر، وأمن اللبس، وطلب الحفّة، والتزام القافية، وغير ذلك.
- ٧- تبين من هذه الدراسة أيضاً أن صَوْن الياء من القلب يتأتّى بطريقتين: الأولى: إزالة العلة الموجبة للقلب؛ كإبدال الضمة قبل الياء كسرةً -وهو

الأغلب - أو فتحةً أو سكوناً، وكتسكين الياء، أو إدغامها، أو تأخيرها، أو نقل حركتها، والثانية: الاحتراس بمنع ما قد تحصل به علة القلب، كمنع ترخيم بعض الألفاظ على لغة من لا ينتظر، ومنع تصغير ما دون الثلاثة، ومنع الجمع على بعض الصيغ، ومنع إتباع العين ضمة الفاء فيما كانت لامه ياءً مما جُمع بألف وتاء مزيدتين، نحو: (كُلِّيات). ويبقى أن أقول: إن موضوع الصَّوْن في هذه الدراسة حُصر في حرفٍ واحدٍ من حروف القلب، وهو الياء، وهذا يعني التوصية بدراسة ما تُلوِّن قلبه من الأحرف الأخرى.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

\*\*\*

## ثبت المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الأحكام المبنية على أمن اللبس أو الخوف منه من خلال شرح الرضي على الكافية، للدكتور عبد الملك عبد الوهاب الحسامي، مجلة الدراسات الاجتماعية، جامعة العلوم والتكنولوجيا، اليمن، العدد الحادي والثلاثون، يوليو - ديسمبر ٢٠١٠ م.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق وشرح ودراسة الدكتور رجب عثمان محمد، مراجعة الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨ م.
- أسرار العربية لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، غني بتحقيقه محمد بهجة البيطار، مطبوعات الجمع العلمي العربي بدمشق، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م.
- الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- الأمالي، لأبي علي القالي، ويليه الذيل والنوادر للمؤلف، وكتاب التنبيه لأبي عبيد البكري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، لكamal الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف، لمحمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي.
- إيجاز التعريف في علم التصريف، لمحمد بن عبد الله بن مالك الطائي أبي عبد الله جمال الدين، تحقيق محمد المهدي عبد الحي عمار سالم، منشورات عمادة البحث العلمي، بالجامعة الإسلامية، في المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- تخلص الشواهد وتلخيص الفوائد، لابن هشام، تحقيق الدكتور عباس الصالحي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

- تداخل الأصوات اللغوية وأثره في بناء المعجم، للدكتور عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- التذيل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق الدكتور حسن هندراوي، دار كنوز إشبيليا، الرياض.
- التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد زين الدين بن عبد الله الأزهري، دراسة وتحقيق الدكتور عبد الفتاح بحيري إبراهيم، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- التعليقة على كتاب سيبويه، لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، تحقيق وتعليق الدكتور عوض بن حمد القوزي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، لبدر الدين الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق أحمد محمد عزوز، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- حاشية الصبان، لمحمد بن علي الصبان الشافعي على شرح الأشموني علي بن محمد بن عيسى الأشموني على ألفية ابن مالك، حققه وصحّحه وخرّج شواهد إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- ديوان الأدب، لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي، تحقيق الدكتور أحمد مختار عمر، ومراجعة الدكتور إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ديوان العجاج، قدّم له وحقّقه سعدي ضناوي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

- ديوان الهذليين، تحقيق محمود أبو الوفا، دار الكتب المصرية.
- شذا العرف في فن الصرف، لأحمد الحمالوي، شرحه وحققه الدكتور ناجي عبد العال حجازي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- شرح التسهيل المسمى تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفرائد، لمحب الدين محمد بن يوسف ابن أحمد المعروف بناظر الجيش، دراسة وتحقيق الدكتور علي محمد فاخر وآخرين، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- شرح التصريف، لأبي القاسم عمر بن ثابت الثماني، تحقيق الدكتور إبراهيم بن سليمان البعيمي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي، مع شرح شواهد، لعبد القادر البغدادي، حققه وضبط غريبه وشرح مبهمه محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت.
- شرح شافية ابن الحاجب في علم الصرف، لأبي الفضائل ركن الدين الحسن الاستراباذي، تحقيق الدكتور عبد المقصود محمد عبد المقصود، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- شرح الكافية الشافية، لابن مالك، حققه وقدم له الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان، تحقيق أحمد حسن مهدي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م.
- شرح مراح الأرواح، لديكنقوز، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م.
- شرح المفصل، لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش، عالم الكتب - بيروت، مكتبة المتنبي - القاهرة.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٩٠م.
- علم الصرف الميسر، لمحمود عكاشة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى.
- الكناش، لأبي الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه، الملك المؤيد صاحب حماة، دراسة وتحقيق الدكتور رياض بن حسن الخوام، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- اللباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق غازي مختار طليمات، دار الفكر المعاصر، -بيروت، دار الفكر- دمشق ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
- المتبّع في شرح اللمع، لأبي البقاء العكبري، دراسة وتحقيق الدكتور عبد الحميد حمد الزوّي، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الحليم النجار، والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٦هـ.
- اللمع في العربية، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق الدكتور سميح أبو مُغلي، دار مجدلاي، ١٩٨٨م.


- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.
- المفتاح في الصرف، لعبد القاهر الجرجاني، حققه وقدم له الدكتور علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- المفصل في صنعة الإعراب، لأبي القاسم الزمخشري، تحقيق الدكتور علي بو ملح، مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣ م.
- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين وآخرين، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
- المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية، المشهور بشرح الشواهد الكبرى، لبدر الدين العيني، تحقيق الدكتور علي محمد فاخر، والدكتور أحمد محمد السوداني، والدكتور عبد العزيز محمد فاخر، دار السلام، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- الممتع في التصريف، لابن عصفور الإشبيلي، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوه، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- المنصف، شرح أبي الفتح عثمان بن جني النحوي لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني النحوي البصري، تحقيق إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، دار إحياء التراث القديم، الطبعة الأولى ١٩٥٤ م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق عبد الحميد هندراوي، المكتبة التوفيقية، مصر.

\*\*\*



جائحة كورونا وأثرها في الشعر السعودي الرؤيـة والتشكيل  
شعراء جازان نموذجاً

د. سعيد بن عبدالله بن عبدالله آل ناصر القرني  
قسم اللغة العربية – كلية الآداب  
جامعة بيشة





## جائحة كورونا وأثرها في الشعر السعودي الروية والتشكيل شعراء جازان نموذجاً

د. سعيد بن عبدالله بن عبدالله آل ناصر القرني

قسم اللغة العربية – كلية الآداب  
جامعة بيشة

تاريخ تقديم البحث: ١٤٤٢ / ٦ / ٢٦ هـ تاريخ قبول البحث: ١٤٤٢ / ٨ / ٣٠ هـ

### ملخص الدراسة:

يتناول هذا البحث رؤية الشعراء لجائحة كورونا التي اجتاحت العالم وحصدت الأرواح وأدت إلى شلل في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ويتتبع كيف صور الشعراء التداعيات والآثار السلبية لهذا الوباء وكيف عجز العلماء عن مواجهته والرؤية الدينية لهذه الجائحة وتقدير جهود المملكة في مواجهته ومحاصرته.

ينطلق من إشكالية تتمثل في مدى قدرة الشعراء على التفاعل مع أحداث العصر، ويعتمد المنهج التحليلي الذي يعنى بتحليل الظاهرة الشعرية واستقراءها واستخلاص مضامينها وأبعادها الفنية، ويشتمل على مبحثين، تقدمهما تمهيد مختصر عن الأوبئة في التاريخ والأدب، تناول الأول رؤية الشعراء لهوية الوباء ونشأته وآثاره وتداعياته، وتناول الثاني التصوير الفني والسمات الأسلوبية واللغوية، وانتهى البحث بخاتمة تتضمن أبرز النتائج أعقبها ثبت المصادر المراجع.

الكلمات المفتاحية: جائحة، كورونا، الشعراء، الروية، التصوير، السمات.

## **The Impact of Corona Pandemic on Saudi poetry: It's Vision and Formation, Jazan Poets as a Model**

**Dr. Saeed bin Abdullah Al-Qarni**

Department of Arabic Language - College of Arts

Bisha university

### **Abstract:**

This study deals with a group of poets' vision of the Corona pandemic that swept the world, claimed thousands of lives and led to a great paralysis in economic and social life. It traces how these poets portrayed the pandemic's negative impacts, the scientists' inability to end it, the religious vision of this pandemic, and appreciating the Kingdom's efforts to control it. It is initiated by the issue of the extent of the poets' ability to interact with contemporary events, the accuracy of their poetic vision in depicting this pandemic, and their agreement and disparity in this vision while achieving the elements of originality and innovation. It adopts the analytical approach for analyzing the components and artistic dimensions of this poetic phenomenon. It has two sections, preceded by a brief introduction to epidemics in history and literature. The first section deals with the poets' vision of the epidemic's identity, origin, negative effect, and repercussions; their disparity in presenting disturbing and positive visions of the pandemic, highlighting its religious explanation, and appreciating the Kingdom's role in controlling it. The second section explores the artistic vision, concentrating on two important elements: the artistic depiction and the stylistic and linguistic features. The study ends with a conclusion stating the prominent findings, followed by a list of references.

**key words:** pandemic, Corona, poets, vision, depiction, features

## مقدمة

يتناول هذا البحث رؤية مجموعة من الشعراء لجائحة كورونا التي اجتاحت العالم وحصدت آلاف الأرواح وأدت إلى شلل كبير في الحياة الاقتصادية والاجتماعية. ويتتبع البحث كيف صور هؤلاء الشعراء التداعيات والآثار السلبية لهذا الوباء وكيف عجز العلماء عن مواجهته والرؤية الدينية لهذه الجائحة وتضرعهم إلى الله لدفع هذا البلاء وتقدير جهود المملكة في مواجهته ومحاصرته.

### ● أهمية البحث:

يستمد البحث أهميته من كونه يتناول موضوعاً جديداً كان للشعراء قصب السبق في تناوله وتصويره والتعبير عنه لاسيما وقد فاجأت هذه الجائحة العالم كله وأربكته.

### ● مشكلة البحث:

ينطلق هذا البحث من إشكالية تتمثل في مدى قدرة الشعراء على التفاعل مع أحداث العصر ومدى دقة رؤيتهم الشعرية في تصور هذه الجائحة ومدى اتفاقهم وتفاوتهم في هذه الرؤية.

### ● أهداف البحث

يسعى البحث إلى تحقيق عدة أهداف منها الوقوف على موقف الأدب والتاريخ من الأوبئة، والكشف عن أبعاد وملامح الرؤية الشعرية لهذا الوباء، وإبراز دور الشعر في التفاعل مع الأحداث الجديدة، وقياس قدرة الشعراء على تصوير هذه الجائحة وسعيهم إلى تحقيق عنصري الأصالة والابتكار.

### ● منهجية البحث:

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي يعنى بتحليل الظاهرة الشعرية واستقراءها واستخلاص مضامينها وأبعادها الفنية، مع الاستعانة بالمنهج الأسلوبى.

ويشتمل على مبحثين، تقدمهما تمهيد مختصر عن الأوبئة في التاريخ والأدب. وجاء الأول منهما بعنوان (الرؤية الشعرية) وتناول رؤية الشعراء لهوية الوباء ونشأته والتفسير الدينى وآثاره وتداعياته السلبية وتفاوتهم بين الرؤية المزعجة للوباء والرؤية الإيجابية له مع إبراز الرؤية الدينية والوعظ وتقدير دور المملكة في محاصرته، وجاء الثانى بالرؤية الفنية من خلال التركيز على عنصرين مهمين هما: التصوير الفنى والسمات الأسلوبية واللغوية.

وانتهى البحث بخاتمة تتضمن أبرز النتائج أعقبها ثبت المصادر المراجع. والله أسأل التوفيق والسداد.

\*\*\*

## تمهيد: الأوبئة في التاريخ والأدب:

اجتاحت الأوبئة مناطق كثيرة من العالم على مرّ العصور ومن أقدمها طاعون عمواس في بلاد الشام التابعة للخلافة الراشدة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٨هـ بعد فتح بيت المقدس، ويعد أول وباء يظهر في الدولة الإسلامية وقيل إنه أودى بحياة ثلاثين ألفاً وقيل سبعين ألفاً في ثلاثة أيام، وراح ضحيته عدد من الصحابة منهم أبو عبيدة عامر بن الجراح ومعاذ بن جبل ويزيد بن أبي سفيان والفضل بن العباس بن عبد المطلب وغيرهم.<sup>(١)</sup> وتروي كتب التاريخ أن وباءً قاتلاً اجتاح البشرية عام ٧٤٩ هـ، عُرف باسم (الفناء العظيم أو الموت الأسود)، وقد جاء من بلاد المغول في شرق آسيا، واشتد على الناس في بلاد عديدة، وتحدثت كتب أخرى عن الطاعون الذي أهلك آلاف الأرواح، وأنه صُلِبَتِ الجنازةُ في أحد أيام الجمع على مئات الأشخاص دفعة واحدة في الجوامع، وتحدث بعض المؤرخين عما ألحقه وباء الطاعون بالدولة المملوكية وما أعقبه من مجاعة وخراب وانحيار اقتصادي.

وقد ظلت وجهة النظر الغالبة لدى الفقهاء والعلماء أن الطاعون بلاء من الله بسبب فساد العباد ولاين حجر العسقلاني (ت. ٨٥٢ هـ) الذي توفيت ثلاث من بناته بالوباء كتاب يسمى (بذل الماعون في فضل الطاعون)

---

(١) يُنظر: تاريخ الرسل والملوك، أبو جعفر الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢،

دار التراث بيروت، ١٣٨٧ ٦٠/٤

ولم تكن جائحة (كورونا) التي تجتاح العالم كله في أيامنا هذه إلا امتدادا لهذه الأوبئة القاتلة حيث يعيش العالم محنة وباء جديد هو (كورونا) وهو فيروس غامض لا يعرف أحد حقيقته أو أسباب ظهوره، وقد بدأ في الصين ثم انتشر بسرعة مذهلة في أنحاء العالم، فحصد أرواح الآلاف من البشر وأدى إلى إغلاق الحدود بين الدول وتعليق حركة الطيران حول العالم وتوقف حركة التجارة العالمية وتدهور الاقتصاد العالمي وإجبار المواطنين على البقاء في منازلهم واتخاذ إجراءات الحجر الصحي وحدث شلل تام في جميع أشكال الحياة وكأن الكرة الأرضية توقفت فيها الحياة.

### الأوبئة والأدب

وكما كانت الأوبئة مادة للمؤرخين فإنها وفرت كذلك مادة خصبة للأدباء عربيا وعالميا ومن ذلك ما ذكره د. طه حسين في كتابه (الأيام) الذي يمثل سيرته الذاتية عن انتشار وباء الكوليرا في قريته في مطلع القرن العشرين ووصف لوعة أسرته بموت أخيه الأوسط طالب الطب الشاب بالوباء الذي هبط إلى مصر ففتك بأهلها فتكا ذريعا ودمر مدنا وقرى ومحا أسرا كاملة.<sup>(١)</sup> وقد تناولت الشاعرة العراقية نازك الملائكة في قصيدتها المشهورة (الكوليرا) هذا الوباء الذي اجتاح مصر عام ١٩٤٧ وقالت فيها:<sup>(٢)</sup>

---

(١) الأيام د. طه حسين، دار المعارف بمصر ٦٤/٣

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة، نازك الملائكة ط. المجلس الأعلى للثقافة بمصر ٢٠٠٢ ١/

سكن الليل  
أصغ إلى وقع صدى الأنات  
في عمق الظلمة تحت الصمت على الأموات  
صرخات تعلو تضطرب  
حزن يتدفق يلتهب  
يتعثر فيه صدى الآهات  
في كل فؤاد غليان  
في الكوخ الساكن أحزان  
في كل مكان روح تصرخ في الظلمات  
في كل مكان يبكي صوت  
هذا ما قد مزقه الموت  
الموت الموت الموت  
يا حزن النيل الصارخ مما فعل الموت

.....

الكوليرا  
في كهف الرعب مع الأشلاء  
في صمت الأبد القاسي حيث الموت دواء  
استيقظ داء الكوليرا

حقدا يتدفق موتورا  
هبط الوادي المرح الوضاء  
يصرخ مضطربا مجنونا  
لا يسمع صوت الباكي  
في كل مكان خلف مخلبه أصداء

وترددت أصداء هذا الوباء في الأدب العالمي فكتب الأديب الكولومبي غابرييل جارسيا ماركيز روايته (الحب في زمن الكوليرا) وكتب الأديب الإنجليزي دانيال ديوف روايته ( روبنسون كروزو) وما نشرته مجلة ( عام الطاعون) التي عرضت لوقوع لندن في قبضة الطاعون وصورت انتشار الوباء القاتل فيها في القرن السابع عشر.

وقد حظي وباء كورونا باهتمام الشعراء فوجدنا في (ملتقى شعراء جازان)<sup>(١)</sup> عدداً غير يسير من القصائد التي خصصها الشعراء لهذا الغرض صوروا فيها خطورة هذا الوباء وآثاره المدمرة وما خلفه من تداعيات سلبية طالت البشرية وما أثاره في نفوس الناس من خوف ورعب وهلع، وقد اتخذ الباحث من هذه القصائد عينة للدراسة في هذا البحث.

---

(١) قصائد كورونا في ملتقى شعراء جازان الأرشيف، مجلة ملتقى شعراء جازان الافتراضية ١٩٦/٥ - ٢٣٢ وللتواصل مع أمينه د. جبران سحاري ٠٥٠٢٩٧٥٩٨٥ ، ومن خلال الروابط الإلكترونية التالية:

## المبحث الأول: الرؤية الشعرية

اهتمت الرؤية الشعرية برصد هوية هذا الوباء ونشأته وجهود العلماء لمكافحته وآثاره السلبية وجهود المملكة في محاصرته واعتصام الناس بالدين والتضرع إلى الله لكشف هذه الغمة.

### منشأ الوباء:

حرص الشعراء على تتبع هوية هذا الوباء ومعرفة أصله وموطنه فأشاروا إلى ظهوره أول الأمر في ولاية (ووهان) بالصين التي كانت موطنه وبؤرة انتشاره وتفشيه في العالم، يقول مهدي حكيمي<sup>(١)</sup>:

يقال لنا من هناك ابتدأت      فهل سيقال هناك انتهيت

ظهرت بـ(ووهان) صبح الخميس      وصلت عصرا شمال الكويت

وبت على قبة الفاتيكان      فماذا سمعت؟ وماذا رأيت؟

ويؤكد ابن النجمي في لاميته هذه الحقيقة فيقول<sup>(٢)</sup>:

قد سمعنا عنه في الصين فإذ      هو في الأرجاء فورا قد وصل

ويطرح الشاعر مجدي الشافعي تساؤلاته عن كنه هذا الوباء وهويته وأصله

وأسباب نشأته فيقول<sup>(٣)</sup>:

من أين جئت إلينا؟ يسأل الفرع      وهل ستقضي علينا؟ يطرق الهلع

---

(١) قصائد كورونا في ملتقى شعراء جازان ١٩٦/٥

(١) المصدر السابق ٢١٤/٥

(١) المصدر السابق ٢١٨/٥

من أنت؟ ما أنت؟ ما الفيروس؟ هل مرض من التجارة لما بارت السلع هل أنت "حرب اقتصاديات عالمنا؟" حتى تحدد عند الغالب البيع أم أنت غلطة دكتور بمختبر فاحت فلم يستطع تجميعها الوسع أم أنت نذر لنا أم أنت منذرنا؟ ضاقت بنا الأرض فيما أنت تتسع والشاعر في طرحه هذه الأسئلة يكشف عن استيعابه كل الطروحات التي ترددت في الأوساط العلمية والطبية والثقافية والاقتصادية عن كنه هذا الوباء فهي أسئلة الحيرة والدهشة والفتنة وقد وظف الشاعر المجاز بمهارة فشرح الفيروس وحاووه وحاكمه وشخص الفزع وأسند إليه الأسئلة. وعبرت صيغ الاستفهام بدواها عن هذه الحيرة العميقة فتنوعت بين دلالة العاقل (من أنت) ودلالة غير العاقل (ما أنت) مما يحمل دلالة الحيرة ويعمقها. وقد وظف الشاعر بعض المصطلحات الحديثة التي طرحت لتفسير وجود هذا الوباء ومنها (حرب اقتصاديات العالم) فثمة من يبرر وجود هذا الفيروس بخطط الحرب الاقتصادية لاسيما بين الصين وأمريكا. وقد مضى الشاعر في طرحه الأسباب المفترضة لنشأة هذا الوباء ومنها ما يتردد من أنه نشأ بسبب خطأ معلمي لم يتمكن العلماء من السيطرة عليه أو محاصرته ولم يفت الشاعر أن يبرر هذه النشأة تبريرا دينيا فرآه نذرا أو نذيرا لمعاقبة البشر الذين انشغلوا بالماديات عن القيم الدينية والإنسانية.

### التفسير الديني:

طغى التفسير الديني لنشأة هذا الوباء على غيره من التفسيرات فرأى بعض الشعراء أن هذا الفيروس جند من جنود الله أرسله لردع الطغاة الذين

يقيمون أهل الدين ويتسلطون بصفة خاصة على عقيدة الإسلام ويربطون انطلاقه من الصين بما حدث من قمع وبطش بالمسلمين من أهل الإيغور وقد عبر حمد صديق محمد طاهر عن ذلك فقال (١) :

الله أكبر جند الله يرسلها      بعلمه تأخذ الطاغي على حين  
هيا ادفعوا يا قوى الدنيا تسلطها      أما تسلطتم في قمع ذي الدين  
بما أذقتم بني الإيغور بطشكم      ذوقوا - قتلتم - فلا رفق بمأفون  
ويرى ابن النجمي أن هذا الوباء قدر من الله وأن من ماتوا بسببه كان مقدرا لهم ذلك يقول (٢) :

قدر الله ومن كان به      موته مات ولو حل زحل  
نبذل الأسباب في دفع البلاء      وتعلقنا بمولانا الأجل  
ويرى أحمد دهاس أن هذا الوباء إنما حل بالبشر بسبب خطاياهم وذنوبهم وما ارتكبه من معاص، فأنزل الله سخطه عذابه وعقابه جزاء بما ارتكبه (٣) :

يا إلهي قد غدت منا الخطايا      كجبال راسيات في البوادي  
إن يكن هذا الوباء أنزلت سخطا      وعذابا منك يا منشي الغوادي  
فارض عنا وهب المخطيء عفوا      واهده للحق ولدرب الرشاد

(١) المصدر السابق ٢٢٣/٥

(١) المصدر السابق ٢١٤/٥

(١) المصدر السابق ١٩٩/٥ - ٢٠٠

ولم يغفل الشعراء الإشارة إلى جهود العلماء في مكافحة هذا الوباء  
وتسابقهم في أمريكا وأوروبا للتوصل إلى لقاح يجنب البشرية وبلائته، يقول  
مهدي حكيم<sup>(١)</sup>:

**وخلف المحيط ارتباك شديد      على قطرتين لقاح وزيت**

فالشاعر واع بما يواجهه العلماء من تحبط وارتباك وعجز أمام سطوة هذا  
الوباء وقد ألمح كذلك إلى ما يواجهه العالم من ارتباك اقتصادي نتيجة هذا  
الوباء وتحبط في أسواق النفط العالمية.

**آثاره وتداعياته السلبية:**

اهتم الشعراء بوصف أضرار هذا الوباء وآثاره وتداعياته السلبية على العالم  
كله فقد اجتاحت الكرة الأرضية وأصابها بالدمار وأزهق الأرواح ولم ينج من  
سطوته كبير أو صغير، يقول مهدي حكيم<sup>(٢)</sup>:

**تلوك المسنين مثل الزبيب      وتزدرد الكهل كالبسكويت**

**فهلا قنعت بما قد أصبت      وهلا شبت وهلا ارتويت**

**تفاوت بكفك أعتى القلاع      وخر لها بهرج الإتيكيت**

وهذا محمد البهكلي يلتفت إلى أضرار أخرى لحقها هذا الوباء بالعالم،

يقول<sup>(٣)</sup>:

**وهبّ في الأرض يطويها على عجل      فما نجي عرب منه ولا عجم**

(١) المصدر السابق ١٩٧/٥

(١) المصدر السابق ١٩٧/٥

(١) المصدر السابق ٢٠٥/٥

يسري ويفتك بالإنسان إذ فشلت كل الوسائل وانهارت به الأمم

وقطع الوصل بين الناس فانقطعت دور العبادة والجيران والرحم

فالشاعر يشير إلى سرعة هذا الوباء في الانتشار وفتكه بالبشر وفشل كل الوسائل الطبية في محاصرته والقضاء عليه، وقد انسحبت آثاره المدمرة لا على أمة بعينها بل على الأمم كلها، وقد امتدت آثاره السيئة على العلاقات الاجتماعية بين الناس، فانقطع التواصل بينهم وتباعد الجيران وذوو الأرحام وأغلقت دور العبادة، ويشير ابن الجمي إلى هذه الآثار السلبية فيقول<sup>(١)</sup>:

عطلت من أجله ما عطلت من علاقات وعلم وعمل

ومحارِب خلت من أجله صار في عالمنا شبه الشلل

لزم الناس به من خوفهم دورهم كل طليق معتقل

وقد أضاف الشاعر هنا عناصر أخرى إلى تلك الآثار السلبية للوباء، فأشار إلى تعطيل العلم وإلى إغلاق المدارس والجامعات. وأشار بالمحارِب إلى دور العبادة كافة على اختلاف الأديان. وكان دقيقاً في وصف ما أصاب العالم بما يشبه الشلل وأضاف كذلك ما ألم بالناس من خوف أدى بهم إلى التزام بيوتهم، وعبر عن ذلك تعبيراً جميلاً بقوله (كل طليق معتقل). ويؤكد أحمد المتوكل النعمي على أهمية الالتزام بالبقاء في البيوت حرصاً على الصحة والسلامة<sup>(٢)</sup>:

---

(١) المصدر السابق ٥ / ٢١٤

(١) المصدر السابق ٥ / ٢٠٨

لقد عقلنا فلم نبرح منازلنا      توكلي إن هذا خير صمام

فالبقاء في المنازل خير صمام وضمان لمحاصرة الوباء والحد من انتشاره.  
ويربط نواف الحكمي بين الإحساس بالذعر الذي بلغ حد الهوس وبين  
التزام الناس بالبقاء في منازلهم فيقول<sup>(١)</sup>:

فمنذ متى وكل الناس      تشكو الذعر والهوسا  
جلوسا في خنادقهم      ليسلم كل من جلسا

والشاعر هنا يصور الموقف وكأنه معركة حربية ضارية ولذلك شبه البيوت  
بالخنادق التي يحتمي بها الجنود للنجاة من العدو.  
وألح الشاعر على وصف حالة الهلع والذعر التي أصابت سكان الكرة  
الأرضية من الأسلحة الفتاكة لهذا الوباء وسيطرته وسرعة حصاده للأرواح  
والأنفس، فقال عبدالصمد المطهري الحازمي<sup>(٢)</sup>:

يا رب رحماك من ضيق ومن علل	ومن بلاء فشا في سائر الملل
فيروس لا تبصر الأحداق هيئته	ولا يرون سوى أعراض منتقل
الناس في حلها تمشى على حذر	وليس تدري بمغتال على عجل
ينسل في غفلة يسعى إلى رئة	ويسكب السم في صمت إلى أجل
حتى إذا فار في التنور مواعده	يهتز كالريح في جوف على عجل
لا عهد أو ملقى باد إلى سلم	يجتاح بالسر من حضن ومن قبل

(١) المصدر السابق ٢٠٧/٥

(٢) المصدر السابق ٢٠٩/٥

## كم كامن يرقب الإنسان في وكن والناس في دربها تسعى إلى أمل

وقد استهل الشاعر قصيدته بالإشارة إلى ما ينتاب الناس من ضيق وملل من هذا الوباء الذي تفشى في سائر الأمم. وهو فيروس فتاك على الرغم من أنه لا يرى بالعين المجردة- فإنه يبدو في أعراضه التي تصيب الجسم بالوهن والإعياء. ويصف الشاعر وصفا دقيقا ما يفعله هذا الوباء بجسم الإنسان حيث ينسل في غفلة مستهدفا رئة الإنسان فينشب أظافره فيها ويؤدي إلى انطباقها وفشلها مما يؤدي إلى وفاة الإنسان، وكان الشاعر دقيق الوصف في قوله (يسكب السم في صمت إلى أجل) وقوله (يهتز كالريح في جوف على عجل)، ويصف كمونه ومراقبته للإنسان، وهو وصف يدل على وعي الشاعر بأبعاد هذا الداء ودقته في وصفه والتعبير عن خطورته. ويتتبع ابن النجمي نشأة هذا الوباء وتفشيهِ في العالم كله ليحصّد أرواح الناس. يقول<sup>(١)</sup>:

وأتى داء (كورونا) ومضى يحصد الناس فكم منهم قتل

وغدا العالم في حيرته كلهم بالفيروس الخافي انشغل

لا يرى بالعين لكن له هجمة تعجز أرباب الحيل

حار فيه الطب واهتزت له هذه الدنيا وكم فيها انتقل

وقد حرص الشاعر هنا على ذكر هذا الداء بمسماه (كورونا) كما وصفه

ب (الفيروس الخافي) الذي لا يرى بالعين المجردة، ومع ذلك فهو يمتلك

(١) قصائد كورونا في ملتقى شعراء جازان ٢١٤/٥

قدرات خارقة على إيذاء البشر ويصف عجز العلماء وحيرة الأطباء عن مقاومته، بل حيرة العالم أجمع وانشغاله بهذا الداء عن كل شيء. ويلتفت الشاعر إلى ما ثار من جدل في العالم حول حقيقة هذا الوباء، وما تناقلته الأنباء عن كونه مخلقا أو مصنوعا لأهداف سياسية واقتصادية خسيصة فهو - في نظر الشاعر - سلاح فتاك اخترعه المتعاديون، ولكنهم اضحوا من ضحاياه، كما لم يفت الشاعر الإشارة إلى أنه شيء مقدر يقول<sup>(١)</sup>:

رب جنبنا عذابا نزلت منه ما قد ظهرت بعض العلل  
هو تقدير ولكن ربما كان مصنوعا معدا منتحل  
وسلاحا قاتلا من غدرهم صاغه أعداؤنا أهل الدجل  
رده الله إليهم فهم من ضحاياه ومن صب نحل

الرؤية المزعجة:

اهتم الشعراء بوصف ما أصاب الناس في شتى أقطار العالم من هلع وذعر نتيجة لشراسة هذا الوباء وسرعة تفشيه وحصد آلاف الأرواح فقال موسى الشافعي<sup>(٢)</sup>:

من أين أبدأ يا شعري وانطلق والكون يرسف في أعماقه النزق  
من أين والأرض وجه قائم ويد شلاء يرقص في أعصابها القلق

(١) المصدر السابق ٢١٥/٥

(٢) المصدر السابق ٢٢١/٥

والخوف يركض عريانا هنا وهنا وفي محالبه من لحمنا مزق

أكاد أشعر أن الأرض أجمعها مما تعالج أرض الصين تختنق

والشاعر يتجاوز الرؤية المحلية إلى الرؤية الكونية، فيصف ما ألم بالكون كله وبصور وجه الكرة الأرضية وقد علته القتامة واكتسى بالسواد، ويصور انعكاس حالة الهلع على الجسد الإنساني وما أصاب أعضائه وأعصابه من قلق وشلل، ويصور الخوف في صورة وحش مفترس ينشب محالبه في لحوم البشر ويتصاعد الهلع حتى لتبدو الأرض كلها في حالة اختناق.

وفي نغمة تشبه التشفي والانتقام يصف الشاعر نفسه ما أصاب الدول الكبرى التي تجبرت وتكبرت، فيقول<sup>(١)</sup>:

بيث من جبروت الله في دمهم شيئا يرينا سماهم وهي تحترق

كم أبهروا الناس والدنيا بصنعتهم واليوم في الناس من تطوافهم شفق

أضحت منازلهم للموت مائدة والموت مضطجع فيها ومغتبق

حتى الحكومات تسعى وهي جاهدة إلى النجاة ولكن ما هي الطرق؟

وهذا الموقف من الآخر — من وجهة نظري — لم يرتق إلى مستوى الحدث الإنساني أو العالمي فالجائحة لم تفرق بين الدول أو الانتماءات أو الأجناس أو العقائد. فقد اكتسحت دول العالم وأنشبت محالبها في الإنسانية كلها، ولم ينبج من شرورها أحد ومن ثم فلا مجال للتشفي أو الحزازات التي تجعل الشاعر يتشفى في سماهم وهي تحترق. وقد أكد هذا الموقف ضد الآخر باستخدام

(١) المصدر السابق ٥ / ٢٢٢

ضمائر الغياب الدالة على الجمع مثل (دمهم - سماهم - صنعتهم - تطوافهم - منازلهم). وبذلك اهتزت الريشة في يد الشاعر لأن الجائحة لم تقتصر على قوم دون قوم وإنما استباححت جميع البشر.

وقد تجاوز معظم الشعراء هذه النظرة وصدروا عن رؤية شاملة كما نرى في قول مهدي الحكمي<sup>(١)</sup>:

حروفك تمتد في شطر بيت      ورعبك يمتد في كل بيت

رمى على الأرض ثوب السكون      فعاملنا اليوم حي كمي

فالشاعر ينطلق من رؤية كلية، تشمل العالم كله. وقد تضافرت اللغة والأساليب في تجسيد هذه الرؤية، ففي مقابل ضمائر الغياب الدالة على الآخرين في الأبيات السابقة نجد هنا ضمائر الجمع الدالة على الحضور كقوله (عاملنا يطول بنا) فضلاً عن صيغة الجمع في قوله (في كل بيت). وبذلك اتسعت رؤية الشاعر لحالة الهلع لتشمل العالم كله.

وهذه الرؤية الكلية نجدها كذلك عند الحسين الحازمي إذ يقول<sup>(٢)</sup>:

وصمتنا نسمع الصوت الذي      ملأ الدنيا بما يرعبنا

ما دهانا مثله فيما مضى      نبأ أجفل منه سمعنا

ذاك (كورونا) أتى يقذفنا      ببلاء ناره تحصدنا

(١) المصدر السابق ١٩٦/٥

(٢) المصدر السابق ٢٠٦/٥

فالرؤية هنا رؤية كونية جمالية عبرت عنها الضمائر الدالة على الجمع في قوله (يرعبنا - سمعنا - يقذفنا - تحصدنا).

وهذه الرؤية ترى أن البلاء عم وطم وشمل العالم كله فامتألت الدنيا رعبا وتحول الوباء إلى قذائف حربية تقذف نيرانها فتحصد أرواح البشر. ومثل هذه النظرة نجدها لدى أحمد دهاس<sup>(١)</sup>:

قد شكى العالم كورونا وأضحى منه يحيا كل يوم في ارتعاد

أزهق الآلاف ما أبقى بلادا يهنأ الأهلون فيها بالرقاد

فالنظرة الكلية تتمثل في لفظة العالم، فهو الذي يشكو ويرتعد ولا يهنأ أهلوه بالنوم أو الراحة. ويحذو الشاعر أحمد المتوكل حذو أضرابه الشعراء في تصوير ما أصاب العالم كله من هلع وفزع وهلاك<sup>(٢)</sup>:

عظم المصاب وقد تفشى الداء ودهى البسيطة بالمصاب بلاء

والكون أظلم في النهار وقد سرت بالضر فينا الليلة الليلاء

وحياة أهل الأرض صارت مرتعا للموت واستلقى به الأحياء

وروى أحاديث المصائب خائف متحير وعلى الوجوه شقاء

فتطيش آلاف العقول بما جرى وتضيق عنا الأرض وهي فضاء

فاللغة هنا تؤكد الرؤية الشاملة التي صدر عنها الشاعر كقوله (عظم

المصاب - دهى البسيطة - الكون أظلم - حياة أهل الأرض)، فهذه الدوال

---

(١) المصدر السابق ٥ / ١٩٩

(١) المصدر السابق ٥ / ٢٠٨

تؤكد شمولية الأضرار التي ألحقها الوباء بالبشر وتشير الأفعال إلى ما أصاب الكون من كارثة كقوله (عظم - تفشى - دهي - أظلم - تطيش - تضيق)، وتحتشد الأبيات بصور الظلام والموت والخوف والذهول والإحساس بالكآبة، حتى ليحس الناس بأن الأرض قد ضاقت عليهم بما رحبت في إحالة إلى الآية القرآنية "وضاقت عليهم الأرض بما رحبت" (١). ويمضي الشاعر في تصوير آثار هذا الوباء (٢):

تجري الدماء على يديه وتذرف ال  
دمع العيون وترجف الأعضاء  
ويهزنا هز الزلازل خيفة  
بأنامل ما فاض منها ماء  
في مقفر لا نجم في ظلماته  
إلا النفوس فإنها الأنواء  
يصبو إلى سحق الورى فيشبهها  
نارا بنا ويميت كيف يشاء

إن الشاعر ينسج هنا تفاصيل عالم كابوسي مزعج ويرسم صورا مخيفة لهذا العالم فهذا الوباء الفتاك حصد أرواح الضحايا الأبرياء وأسأل الدماء وترك حالة هائلة من الحزن والهلع، فأبكى العيون وارتجفت الأعضاء خوفا ورعبا وأحدث زلزالا هائلا في الكرة الأرضية فصارت حياة الناس مقفرة مظلمة وصارت النفوس مرتعا لهذا الوباء يحصد منها ما يشاء.

ويشبه الشاعر نواف الحكمي هذا الوباء بالحصار الذي يطوق البشر فلا يستطيعون منه فكاكا (٣):

(١) سورة التوبة ١١٨

(٢) قصائد كورونا في ملتقى شعراء جازان ٥ / ٢٠٨

(٣) المصدر السابق ٥ / ٢٠٧

يحصرننا صباح مسا ويخنق دوننا النفسا  
وتسقطنا ولا حرس صغير أرهب الحرسا  
هو المخلوق من لا شيء لكن جاء مفترسا  
يطوف الأرض يحمل سمّه الموبوء والشرسا  
تساوى عنده المرؤوس إذ لا فرق والرؤسا  
فمنذ أتى وكل الناس تشكو الذعر والهوسا

هذا الوباء الفتاك يحاصر البشر حصارا تاما ويزهق النفوس ويحصد  
الأرواح، وتتجسد المفارقة في كونه على صغره وضآلته يرهب الحراس، كما  
تتمثل في كونه وهو مخلوق من لا شيء لديه القدرة على الافتراس والفتك  
والانتشار في الكرة الأرضية يحمل سمومه بشراسة لا نظير لها دون أن يفرق  
بين رئيس ومرؤوس، مما أرهب الناس وأحال حياتهم جحيما لا يطاق وأصابهم  
بالذعر والهوس.

\*\*\*

## الإحساس بالملل

أدى تفشي وباء كورونا إلى تغيير أنماط الحياة فعاش الناس حياتهم في ظل حظر كلي أو جزئي وأغلقت المدارس وتوقف النشاط الرياضي، ولم يعد هناك مجال للسهر خارج البيت أو لقاء الأصحاب في مجالس السمر أو المقاهي وغيرها.

وقد أفرزت هذه الأجواء تداعيات سلبية فأشاعت الإحساس بالملل، يقول مهدي حكيمي: (١)

يطول بنا الوقت حد الملل فنقضيه ما بين ماذا وليت

ينام الصغير على يا ما كان ويغفو الكبير على كيت كيت

وقد عبر الشاعر عن الإحساس بالملل تعبيراً لطيفاً من خلال حديثه عن قضاء الوقت بين (ماذا وليت) وهي كناية بديعة عبرت عن المعنى الكثير باللفظ القليل فحملت دلالة الثثرة والحديث (بماذا عن السؤال (وماذا بعد الآن؟) ماذا سيحدث بعد ذلك؟ ماذا ننتظر؟) كما عبر بقوله (ليت) عن الأمنيات بانقشاع هذه الغمة وانحسار الوباء والأمل في النجاة منه.

وعبر الشعراء عن الأحاسيس المتناقضة التي تتنازعهم فبعضهم أحس بأن الحظر حرمه من الملذات ومجالس الأُنس واللّهو. قال عبدالمطلب النجمي (٢):

حال كورونا بيننا فاعتزلنا جلسة أنت أنسها والمواسي

(١) المصدر السابق ١٩٦/٥

(٢) المصدر السابق ٢١٠ /٥

وينزيح الحديث وطأة كرب      وينزيل النشاط خدر النعاس

فترى البشر طافحا وترانا      في انشراح وهما في اندراس

غمة سوف تنجلي عن قريب      وبعيد - بإذنه - دون باس

فقد أدى الحظر إلى حرمان الشاعر من ملذاته وجلسات الأُنس فأخذ يستحضر ما كان - قبل الحظر - من مظاهر التمتع بالحياة ويتنبأ بانكشاف الغمة.

ونرى إحساسا آخر مناقضا لهذا الإحساس، إذ أدى الهلع والخوف من هذا الوباء إلى دخول بعض الشعراء في حالة اكتئاب وسيطر عليهم الإحساس بالموت ليكونوا من ضحايا هذا الوباء القتال، وعبر عن هذا الإحساس الشاعر الحسن بن أحمد النجمي فقال<sup>(١)</sup>:

هذه لامية أنشأتها      دافعي في قولها خطب أجل

فإذا ما قد طوى شاعرها      قدر الموت ووافاه الأجل

وقرأتم شعره فادعوه له      ثم قولوا ذاك نجم قد أفل

وغدا تحت الثرى مرثنا      بالذي قدم قبلا من عمل

واسألوا الرحمن أن يرحمه      وبأن يححو له كل الزلل

فقد أحس الشاعر بأنه سيكون حصيدا لهذا الوباء وأن الأجل سيوافيه قريباً، وعبر عن إحساسه بذاته وقدره بصورة جلية في قوله ذاك نجم قد أفل وأخذ يلتمس الدعاء له بالرحمة والمغفرة.

(٣) المصدر السابق ٥ / ٢١٧-٢١٨

## الرؤية الإيجابية

بالرغم من الرؤية السلبية المتشائمة والنظرة القاتمة التي صدر عنها معظم الشعراء في تصوير الآثار السلبية الناجمة عن هذا الوباء ووصف الأضرار الخطيرة التي أحقت بالبشر من جرائه، فإن بعض الشعراء انطلق في تناول هذا الموضوع من رؤية إيجابية ترى أن هذا الوباء كشف عن جوانب ذات فوائد عديدة، وقد عبر عنها جبران سحاري في لامية مطولة قال في مطلعها<sup>(١)</sup>:

شكرا (كرونا) على ما صغت من مثل علمت تقنية التعليم في عجل  
فمن الجوانب الإيجابية التي رصدها الشاعر: الاهتمام بتقنية التعليم وإبراز أهمية استخدام التعليم عن بعد:

أبرزت عبء ذوي التعليم عن بعد وأن ناقدهم وافاك في عجل  
ومن الجوانب الإيجابية كذلك زيادة الاهتمام بالنواحي الصحية والحرص على النظافة في سائر المجالات:

شكرا وزارتنا في البذل ما فترت تعليمنا صحة مع سائر الجمل  
شكرا نظافتنا زادت معالمها في البيت في البنك وسط السوق في العمل  
كما كشف هذا الوباء عن قدرة المملكة على إدارة الأزمات ومواجهة هذا الخطر الداهم باتخاذ التدابير الصائبة والسياسة الحكيمة.

(١) المصدر السابق ٥ / ٢١١ - ٢١٢

شكرا كرونا لقد أظهرت مملكتي بصائب الرأي والتدبير في الدول  
ويرى الشاعر أن هذا الوباء قد أدى إلى زيادة التلاحم الأسري من خلال  
الحظر بما حققته من فوائد اجتماعية:

تجمعات الورى أضحت معطلة فلا نرى ناديا أو حفل محتفل  
عادوا إلى العزلة المثلى فكم كسبوا من الفوائد يا طوبى لمعتزل  
كما رأى الشاعر أن إغلاق المساجد كان واجبا تحاشيا لتفشي الوباء،  
كما أفتى بذلك الفقهاء:

شكرا أخيرا إذا ارتابت مساجدنا فأغلقت ليس تعطيلًا لمبتهل  
وإنما خوف نشر للوباء كما أفتى هذا أهل علم سادة نبيل  
ومن الجوانب الإيجابية لهذا الوباء عكوف الناس في منازلهم التي أصبحت  
عامرة بتلاوة القرآن وحفظه:

شكرا جعلت بيوت الناس عامرة بالذكر والوعي والقرآن والنزل  
ورأى الشاعر أن هذا الوباء قد أظهر تفاهة الدنيا وضآلتها وأنها لا  
تستحق التكالب عليها:

شكرا أبنت عن الدنيا دناءتها فلا تساوي شراكا كان في النعل  
ورأى الشاعر كذلك أن هذا الوباء كشف النقاب عن طائفة من التجار  
الذين يستغلون الأزمات في تحقيق أرباح طائلة برفع الأسعار:

شكرا كشفت لنا تجار أزمنا في همهم رفع أسعار بلا خجل

وعلى هذا النحو يمضي الشاعر في قصيدته كاشفاً بعدسته الدقيقة الجانب الإيجابي الآخر الذي أظهره هذا الوباء، من تلاحم المجتمع وزيادة الروابط الأسرية وكشف المثالب الاجتماعية وغير ذلك من مناقب: شكرًا وشكرًا وشكرًا لست أحصرها هذي مناقب كورونا فلا تسَلْ

### تقدير جهود المملكة في مواجهة الوباء:

قدر الشعراء تقديراً كبيراً الجهود العظيمة التي بذلتها الدولة أيدها الله في مواجهة هذا الوباء الفتاك وافتخروا بمواقف ولاة الأمر في بذل كل الإمكانيات للمحافظة على صحة المواطنين، عبر عن ذلك الحسين بن أحمد النجمي فقال<sup>(١)</sup>:

من مثل دولتنا؟ ومن كولاتنا	قد قدموا ما لم يقدمه أحد
تلك الحقائق مثل شمس ظهيرة	تعمي الذي غطى الحقيقة أو جحد
حكامنا وقفوا بكل جهودهم	عوناً لكل مواطني هذا البلد
ولقد عهدناهم بماض سالف	كانوا لنا في كل نازلة مدد
فتعالج المرضى وترعاهم على	نفقاتها لمواطن أو من وفد
والحجر في أحلى الفنادق للذي	يحتاجه مهما يزيد بها العدد
هي دولتي العظمى فليس يضرها	من قلبه بالغل والحق قد اتقد

(١) المصدر السابق ٥ / ٢٠١

الشاعر يؤكد في هذه الأبيات موقف المملكة وجهودها المثمرة في محاصرة الوباء وتوفير الأمن والأمان للمواطنين وتقديم العون للمحتاجين، وهذا دأبهم دائما في كل موقف. ويشيد الشاعر بجهود المملكة في رعاية المرضى والمصابين على نفقاتها دون تفرقة بين مواطن ووافد، ويشيد كذلك بالإجراءات التي اتخذتها في الحجر الصحي، حيث وفرت أفخم الفنادق للإقامة مهما كان العدد، ومثل هذه الجهود تجعل الشاعر يفتخر بدولته العظمى التي ترتفع مكانتها في العالم وتعلو على حقد الحاقدين.

ويشيد شاعر آخر بالجهود العظيمة التي بذلتها المملكة فيقول الحسين النجمي<sup>(١)</sup>:

وولاة أمر مخلصون ودعمهم      في كل نازلة يزيد ويكبر  
من قد أصيبوا عولجوا وبكل ما      قد وفرته بلادنا أو يحجروا

---

(١) المصدر السابق ٥ / ٢٠٤

## مفاهيم ومصطلحات جديدة

أفرز هذا الوباء مفاهيم ومصطلحات جديدة تداولها الشعراء منها وصم عصرنا بأنه (عصر كورونا)، وهو عصر مربع عجز فيه العلماء والطب عن مواجهة هذا الوباء الشرس يقول الحسين النجمي<sup>(١)</sup>:

واليوم نحن بعصر (كورونا) التي      فيروسها يسعى ولا يتقهقر  
ملأ الدنيا هلعاً وأوقف كلما      فيها وليس يراه إلا الجهر  
قد أعجز الدنيا بكل علومها      ومضى بإمكاناتها يتأمر  
والطب قد أغفى له مستسلما      حصد البرية منه موت أحمر

ومن المصطلحات الجديدة التي صاحبت ظهور هذا الوباء مصطلح (الجيش الأبيض) في إشارة إلى جهود الأطباء وهيئة التمريض، تقديراً لدورهم الفعال وتضحياتهم في مواجهة الخطر وتقديم الرعاية الصحية للمرضى ولم يفت الشعراء الإشادة بهذا الجهد ومن ذلك<sup>(٢)</sup>:

دول بكل سلاحها وجيوشها      باتت تحاذر منه وهو الأصغر  
لكن جيشاً أبيضاً وقفوا له      والكل يزجي الجهد لا يتعذر  
جيش حكومي وزارة صحة      عن دورها الحيوي لا تتأخر  
منهم أطباء وتمريض لهم      دور من الجهد العظيم يقدر

(٢) المصدر السابق ٢٠٣ / ٥ - ٢٠٤

(٣) المصدر السابق ٢٠٤ / ٥

إشادة الشاعر هنا واجبة بدور الجيش الأبيض الذي لا يقل دوره في محاربة هذا الوباء المخيف عن دور الجيوش العسكرية، كما يشيد بجهود وزارة الصحة ودورها الحيوي في محاصرة هذا الوباء.

### مواقف طريفة

لقد نتج عن تفشي هذا الوباء مواقف طريفة وقفها الشعراء وعبروا عنها في قصائدهم ومن ذلك اقتراح الشاعر حمد صديق لعلاج شعبي لهذا الداء وتقديم صفات من الطب الشعبي ومن ذلك قوله<sup>(١)</sup>:

كل التمر وارشف قهوة زنجلية      وشيئا من السوداء واغتبق السدرا  
أوتر حليب الإبل مع لحم حاشها      ولا تسمعن فيها منغصها قدرا  
وأكثر إذا كشنت محمر فلفل      وعالج لحوح الدخن أو ذرة حمرا  
ولا ترشف الشاهي إذا شيب سkra      ومن دونه فارشف أطلتم بذا عمرا  
ولا تحسن بالبطن ما يحبس الدما      وسلم حياة بعد أن تحسن الكرا  
وبالله يا من سمه شرب ثاعن      توقف تلاحظ كيف أنت ولو شهرا  
وهذه الوصفة المقترحة تعتمد على أكل التمر واحتساء القهوة بالزنجبيل مع الحبة السوداء وعسل السدر وشرب حليب الإبل وأكل لحومها مع الإكثار من الفلفل الأحمر والذرة الحمراء وشرب الشاي بدون سكر وهذه الوصفة شائعة في الأوساط الشعبية ولها فوائد صحية، لكن لا علاقة لها بالشفاء من هذا الوباء.

(٢) المصدر السابق ٢٢٤ / ٥

ومن طرائف الشعراء كذلك الالتفات إلى جوانب طريفة نتجت عن  
شروع هذا الوباء<sup>(١)</sup>:

شكرا فكم (مشغل) أغلقت فاتضحت ذات الجمال بلا صبغ ولا كحل  
وفرت مبلغ تجميل لصاحبه فصار يرضى بخد أصفر أسل  
ولا نرى أي (حلاق) لينفخ في شعور قوم ويرمى باللحي الجزل  
يكشف الشاعر هنا عن حس فكاهي طريف وميل إلى الظرف والدعابة،  
فيرى أن إغلاق محلات التجميل في زمن كورونا كشف عن عادة بعض  
النساء اللاتي يبالغن في استعمال أدوات التجميل كما وفرت ما كان ينفق  
على الحلاقين وما يصدر عنهم. ومن هذه الطرائف تناول الشاعر حمد صديق  
لموقف المرأة من هذا الوباء وتصويرها وهي تحتشد في مظهرها لمواجهة،  
ويصور ذلك تصويرا دقيقا طريفا فيقول<sup>(٢)</sup>:

تقفزت لثمت فاها بكمام تدرعت سترة شدت بإحكام  
وأردفت بين سروالين واعتجرت عليهما بغليظ النسج مبرام  
وجمعت بمقص شعرها وعلت ما قد علا جسمها فضفاض إحرام  
وفوق ذا كله أرخت عباءتها رأسا وليست على الأكتاف كالشام  
وبالغت إذ لنصف الساق جزمتهها مع الجوارب إحرازا لأقدام  
وبرقعت وجهها ما ضاق فتحته مع الحمار وقالت كيف هندامي

(١) المصدر السابق ٥ / ٢١٢

(٢) المصدر السابق ٥ / ٢٠٧

فالشاعر يرسم صورة كاريكاتورية لطريقة لتلك المرأة وقد لبست قفازها  
وأحكمت لثامها وبالغت في ملابسها وهو ما دعا الشاعر إلى انتقاد مبالغتها  
فقال<sup>(١)</sup>:

لئن دعا داء كورونا تبرجنا فذي الوقاية من داع لأسقام  
فقلت سبحان من بالشر يبلغنا خيرا ويرجعنا للملبس السامي  
لكن رويدك قد بالغت فاقصدي فبالتوسط يهني عيش إسلامي  
وبمضي الشاعر في دعاياته فيخاطب المرأة بقوله<sup>(٢)</sup>:  
وإن سجا الليل فاستغنى بعزلتنا لا تلبسي غير ثوب النوم قدامي  
وعقمي باستعاذات مخدتنا وعانقي سهري يا سعد أحلامي  
وهكذا كشف تفشي هذا الوباء مثل هذه الجوانب الطريفة في الشعر.

\*\*\*

---

(٣) المصدر السابق ٢٠٨ / ٥

(١) المصدر السابق ٢٠٨ / ٥

## الرؤية الدينية:

انطلق الشعراء في مواقفهم حيال هذا الوباء من رؤية دينية خالصة فأرجعوا تفشي هذا الوباء إلى أسباب دينية منها: الإسراف في الذنوب والمعاصي وإيثار الدنيا على الآخرة والإهمال في العبادات والطاعات، ورأوا أنه لا خلاص من هذا الوباء إلا بالرجوع إلى الله والاعتصام بالدين فقال ابن النجمي<sup>(١)</sup>:

ليس للأمة غير الدين حل كل من عز بغير الله ذل

ديننا فيه نجاة للورى وسوى هذا هراء ودجل

فالدين هو النجاة من هذا الوباء والخلاص من هذه الغمة التي أظلمت الدنيا وأشاعت الهلع والذعر في النفوس.

وحرص الشعراء على تأكيد موقف الدين من الإجراءات التي اتخذتها الدولة في مواجهة هذا الوباء فقال مجدي الشافعي<sup>(٢)</sup>:

والناس كلهم أضحووا يدا بيد يرجون ربهم فيما به فجعوا

لا يملكون بهذا الاحتياط سوى ما يأملونه في الرحمن حين دعوا

عليهم الآن أن لودوا بدينكم فيه أطيعوا ولي الأمر واتبعوا

قال الرسول ( فصلوا في رحالكم) كذاك قادتنا قالوا كما سمعوا

قال الرسول (وقروا في بيوتكم) كذاك قادتنا اسمعوه وعوا

(٢) المصدر السابق ٥ / ٢١٤

(٣) المصدر السابق ٥ / ٢١٩

## قال الرسول (بألا تخرجوا أبدا) كذاك قادتنا فالحجر إذ يقع

فموقف الدولة فيما اتخذته من إجراءات لحماية المواطنين والمحافظة على سلامتهم نابع من الدين ومتسق مع الشريعة الإسلامية ويستند إلى القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، فكل موقف رسمي أو إجراء حكومي له سند من الدين الإسلامي وذلك درءاً لتفشي الوباء.

\*\*\*

## الجانب الوعظي:

امتزجت الرؤية الدينية بجانب وعظي عند بعض الشعراء فأخذوا يدعون الناس إلى الالتزام بأوامر الله وتجنب ما نهى عنه والعمل للآخرة ليفوزوا بجنة الخلد وينعموا فيها بما وعدهم الله من نعيم. عبر عن ذلك ابن النجمي<sup>(١)</sup>:

فالتزم أمر إلهي واجتنب      نهيه في كل قول أو عمل  
من على دين الهدى عاش به      وعلى منهجه حتى ارتحل  
هو من وفقه ربي إلى      جنة الخلد وحوار وحلل

وفي سياق هذا الوعظ يؤكد الشاعر أن الدنيا ليست بدار قرار، وإنما هي جسر يعبر منه الناس إلى الحياة الباقية في الآخرة ولذلك فهي لا تستحق التكالب عليها ولا بد من زراعة الخير والاعتصام بالدين:

هذه الدنيا عبور وبها      نزرع الخير إلى يوم جلل  
خلق الله لنا الدنيا وما      قد حباننا من متاع وفضل  
جعل الدين لنا يسمو بنا      كل من خالفه زل وضل  
وبه هذبنا خير الورى      من دعا أمته دون كلل

ولاشك في أن هذا الابتلاء الذي مني به العالم قد أثار مثل هذه الجوانب الوعظية وعمق رؤية الشعراء الدينية.

(١) المصدر السابق ٥ / ٢١٤

## التضرع إلى الله:

كان التضرع إلى الله أن يزيل البلاء ويكشف الغمة تعميقاً للرؤية الدينية عند الشعراء وإذا كان التضرع إلى الله مطلوباً في كل وقت فإن الحاجة إليه تزداد في أوقات المحن والشدائد وإذا كان العلم قد عجز عن مواجهة هذا الوباء فإن الله خالق كل شيء هو وحده القادر على دفع هذا البلاء ولذلك أكثر الشعراء من المناجاة والتوسل بالدعاء إلى الخالق لإنقاذ البشرية من هذا الوباء، ومن ذلك قول أحمد دهاس<sup>(١)</sup>:

ربنا يا رافع السبع الشداد      يا عظيم اللطف يا رب العباد  
يا كريماً خيره المدرار دوماً      نحونا يترى ويجري بازدياد  
يا إلها ما لنا في الكون رب      غيره ندعو ونرجو وننادي  
قد برانا الضر يا مولانا فارفع      عنا ما نشكوه في هذي البلاد  
وادفع البلوى ومنّ اليوم والطف      وارجع الإشراق في كل الوهاد  
فالشاعر يتوسل بالخالق الذي خلق السماوات والأرض أن يرأف بالعباد بعظيم لطفه وكرمه وأن يكشف الضر ويرفع البلوى حتى يعم الفرح في كل مكان.

ويستمد الشعراء معانيهم من القرآن الكريم ومن القصص الدينية الحافل بالعظات والعبر كقول موسى الشافعي<sup>(٢)</sup>:

---

(٢) المصدر السابق ١٩٨ / ٥ - ١٩٩

(١) المصدر السابق ٢٢٢ / ٥

لا عاصم اليوم إلا أن تكون لنا      كف بأسباب عفو الله تلتصق  
 وإن تناهى إلينا ما نحاذره      فنحن في الله -لا في علمنا- نثق  
 فقول الشاعر (لا عاصم اليوم) استدعاء لما جاء في قصة نوح والطوفان  
 وكأن الشاعر يرى أن ما يحدث الآن إنما هو طوفان من نوع جديد ولذلك  
 فلا نجاة من هذا الوباء إلا بالتدخل الإلهي.  
 ويؤكد الحسين الحازمي هذا المعنى فلا شيء بقادر على ردع هذا الوباء  
 سوى القدرة الإلهية<sup>(١)</sup>:

فأفيقوا يا عباد الله لا      تدعوه كاهبا ينثرنا  
 حيث لا يوجد من يردعه      غير رب قادر يحفظنا  
 فارفعوا لله كفا ضارعا      وحده سبحانه يرحمنا  
 فالشعراء يؤمنون بأنه لا خلاص ولا نجاة من شر هذا الوباء سوى بقدرة  
 الله فهو المغيث القادر على أن يكشف الغمة ويعيدنا إلى مساجدنا<sup>(٢)</sup>:  
 يا إله الكون يا رب البرايا      يا مغيثا في رزاينا الشداد  
 يا حلينا نرتجي الرضوان منه      والمعافة إلى يوم المعاد  
 قد لجأنا لك في ذل ولدنا      ورفعنا لك يا ربي الأيادي  
 فاكشف الغمة واحفظنا وعنا      مر إلهي ذا الوبا بالابتعاد  
 وأعدنا لمساجدنا فإننا      قد برانا الشوق من طول البعاد

(٢) المصدر السابق ٥ / ٢٠٦

(٣) المصدر السابق ٥ / ٢٠٠

ليعم الفرح أرجانا ونحيا في رواينا بحب ووداد

ويستدعي الشاعر عبده جمالي قصة (أيوب) وما تعرض له من ضر وأذى  
لولا تدخل العناية الإلهية لشفائه يقول<sup>(١)</sup>:

فأذن إلهي بتفريج لكربتنا وامسح كآبتنا فاليأس قد رانا

أنت الملاذ لنا مما ألم بنا يا رب أيوب فاكشف ضرنا الآنا

ويرى مهدي حكيمي أن ابتلاء البشر بهذا الوباء إنما هو نذير وقضاء ومن  
ثم فلا خلاص إلا بالرجاء في عفو الخالق<sup>(٢)</sup>:

فيا رب هذا نذير مبين وأنت أمرت وأنت نھيت

قضاؤك ذاك عبادك نحن وراضون منك بما قد قضيت

فمد لنا مسربا من رجاء فقد حان وقت (اهد فيمن هديت)

وينطلق ابن النجمي - في تضرعه - من هذه الرؤية ويقرن ما يحدث  
بالذنوب والمعاصي ويدعو الله أن يرفع البلاء ويكشف الضر<sup>(٣)</sup>:

ما لنا إلّاك يا رب السما أنت من نقصد في الخطب الجلل

ولنا يا رب ما تعرفه من ذنوب ومعاص وزلل

فاعف عنا وارفع الضر فمّن مال منا آب خوفا واعتدل

(١) المصدر السابق ٥ / ٢١٣

(٣) المصدر السابق ٥ / ١٩٧

(٤) المصدر السابق ٥ / ٢١٥

ويعتمد عبده جمالي في تضرعه على المعاني القرآنية فيقول مناجيا الخالق<sup>(١)</sup>:

وقلت للناس توبوا ثم ما فتئوا      أن بدلوا حالهم جهلا وعصيانا  
ولم نزل في بعاد رغم قربك يا      ملاذ من تاب واسترضاك مولانا  
وقلت (لا تقنطوا) أمنت خائفنا      وقلت (لا تيأسوا) فاللطف آوانا  
وقلت (إني قريب) تستجيب لنا      فارحم دعوناك من داء تغشانا  
فالشاعر يقتبس من الآيات القرآنية في تضرعه راجيا عفو الخالق ورحمته  
لإنقاذ العالم من هذا الوباء الفتاك.

\*\*\*

---

(٥) المصدر السابق ٥ / ٢١٣

## المبحث الثاني: التشكيل الفني

يتناول هذا المبحث عنصرين من عناصر التشكيل الفني، هما: الصورة والأساليب.

### الصورة الفنية:

لعل الجاحظ كان من أوائل النقاد القدامى الذين استخدموا مصطلح التصوير وذلك في تعريفه للشعر بأنه "صناعة وضرب من النسخ وجنس من التصوير".<sup>(١)</sup>

واتسع مفهوم الصورة عند عبد القاهر الجرجاني فشمل الكلام كله أو الأجناس الأدبية، فقال: "ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصبغة وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار".<sup>(٢)</sup>

أما حازم القرطاجني فقد ربط الصورة بالخيال فقال: "والتخييل أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخیل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه وتقوم في خياله صورة أو صور ينفع لتخيّلها وتصورها".<sup>(٣)</sup>

---

(١) الحيوان الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ط. دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة

الثالثة، ٣: ١٣١-١٣٢

(٢) دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر مطبعة المدني، القاهرة، ١٧٥-

١٧٥

(٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء حازم القرطاجني/ تحقيق محمد الحبيب بن خوخه ط. تونس

١٩٦٦ ص ٨٩

ويتسع مفهوم الصورة عند عبد القادر القط فيشمل الشكل الفني بكل عناصره فيقول إن الصورة "هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتراكيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها". (١)

\*\*\*

---

(١) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر د. عبد القادر القط ط. دار الهضبة العربية بيروت

## مصادر الصورة:

لا شك أن الصورة عنصر أساس في الشعر يبتكر من خلاله الشاعر عناصر وعلاقات جديدة ومركبة تمنح الشعر جمالا ويتيح لخيال الشاعر أن ينطلق ويخلق ليشكل صوره من خلال خياله النشط ومن خلال واقعه وبيئته بحيث تسهم هذه العناصر جميعا في نقل تجربة الشاعر والتعبير عنها تعبيرا فنيا يعكس مهارته الفنية وشخصيته الإبداعية.

وقد اشتق الشعراء صورهم من واقعهم المكاني والزمني ومن تراثهم الديني والشعبي ومن الطبيعة المحيطة بهم أرضاً وسماً، ومما أحدثته الثورة العلمية من مصطلحات وآلات لها كبير الأثر في تشكيل الصورة لديهم.

رسم الشعراء صوراً مخيفة لداء كورونا فشبه بعض الشعراء هذا الوباء (بالغول المخيف) الذي يحمل لواء ويلتهم كل من يصادفه يقول أحمد المتوكل<sup>(١)</sup>:

قد عمّ كل الأرض واستشرى بها      غولا يخيف وفي يديه لواء  
وبرز أيضا في صورة الوحش الذي يفتك بجسد الإنسان يقول محمد البهكلي<sup>(٢)</sup>:

يسري ويفتك بالإنسان إذ فشلت      كل الوسائل وانهارت به الأمم  
ويقول عبده جمالي<sup>(١)</sup>:

---

(١) قصائد كورونا في ملتقى شعراء جازان ٥ / ٢٠٩

(٢) المصدر السابق ٥ / ٢٠٥

وقد نشأ في الورى يغتال بهجتهم وطاف بالأرض كل الأرض ما هانا  
وتخيله نواف الحكمي في صورة الأفعى التي تحمل السم وتقتل الناس في  
شراسة<sup>(٢)</sup>:

يطوف الأرض يحمل سمه الموبوء والشرسا  
تساوى عنده المرؤوس إذ لا فرق والرؤسا  
ويصوره عبدالصمد المطهري في صورة ثعبان ينسل في غفلة ويسكب  
سمومه في رئة الإنسان<sup>(٣)</sup>:

ينسل في غفلة يسعى إلى رئة ويسكب السم في صمت إلى أجل  
ورآه حمد صديق في صورة تنين هائل ذي أنياب يفترس بها كل الناس<sup>(٤)</sup>:  
إليك نضرع في سر وفي علن أن تنقذ المبتلى من ناب تنين  
وبرز هذا الوباء عند شعراء آخرين في صورة وحش أسطوري ذي أحداق  
مخيفة ووجه عبوس مرعب وهو يقذف نيرانه ويشعل الحرائق يقول الحسين  
الحازمي<sup>(٥)</sup>:

ذاك (كورونا) أتى يقذفنا ببلاء ناره تحصدنا  
ذو عيون حانقات قد بدا عابسا فينا بما يرهبنا

(١) المصدر السابق ٥/ ٢١٣

(٢) المصدر السابق ٥/ ٢٠٧

(٣) المصدر السابق ٥/ ٢٠٩

(٤) المصدر السابق ٥/ ٢٢٣

(٥) المصدر السابق ٥/ ٢٠٦

ألجم الدنيا فمامن ناصح بالذي ينفعنا ينصحنا

وترددت صورة هذا الوباء المدمر الذي يشب النيران ويسحق الورى يقول  
أحمد المتوكل<sup>(١)</sup>:

يصبو إلى سحق الورى فيشبها نارا بنا ويميت كيف يشاء  
وتخيله حمد صديق وهو في صورة من يحمل شفار الموت<sup>(٢)</sup>:

ملوح بشفار الموت يبصرها قلب تقطع إذ تخفى على العين  
وبدا عند ابن النجمي في صورة من يحصد أرواح الناس<sup>(٣)</sup>:

وأنى داء كرونا ومضى يحصد الناس فكم منهم قتل  
كما ركز الشعراء في صورهم على تخفي هذا الداء وشخصوه في صور  
عديدة يقول عبدالصمد المطهري<sup>(٤)</sup>:

فيروس لا تبصر الأحداق هيئته ولا يرون سوى أعراض منتقل  
ويشخصه أحمد المتوكل في صورة شخص لئيم مستبد<sup>(٥)</sup>:

وازداد لؤما واستبد ونال من خلق فنالت منهم الأدواء  
وتخيله آخرون في صورة الموت الذي يغتال النفوس بسرعة هائلة يقول  
عبدالصمد المطهري<sup>(١)</sup>:

---

(١) المصدر السابق ٢٠٨ / ٥

(٢) المصدر السابق ٢٢٣ / ٥

(٣) المصدر السابق ٢١٤ / ٥

(٤) المصدر السابق ٢٠٩ / ٥

(٥) المصدر السابق ٢٠٨ / ٥

الناس في حلها تمشي على عجل وليس تدري بمغتال على عجل  
وتخيل الحسين الحازمي أن الناس يركبون سفينة فجاء هذا الوباء ليخرقها  
فأخذت تميل بمن فيها وتواجه الغرق<sup>(٢)</sup>:

### وأفقتنا من ذهول لا نعي حيث قد مال بنا مركبنا

وقد تشكلت صور الشعراء من عدة وسائل منها الاستعارة وهي أعمق  
من التشبيه في التصوير الشعري نظرا لقدرتها الفائقة على التخيل والنفاز إلى  
العلاقات الخفية والجوهرية بين الأشياء كما أنها أكثر إيجازاً من التشبيه  
لاعتمادها على حذف أحد الطرفين ولذلك فهي "من أعظم أدوات رسم  
الصورة الشعرية لأنها قادرة على تصوير الأحاسيس الغائرة وتجسيدها تجسيدا  
يكشف عن ماهيتها وكنهها بشكل يجعلنا ننفعل انفعالا عميقا بما تنطوي  
عليه"<sup>(٣)</sup>.

ومن ميزات الاستعارة التكتيف حيث "تحقق عامل الاقتصاد اللغوي بما  
تتيح من صياغة مركزه لعناصر الدلالة المتعلقة بالمعنى العادي لكلمة معينة  
وتحقق تلازما مع المعنى الجديد الذي يفرضه السياق"<sup>(٤)</sup>.

---

(١) المصدر السابق ٢٠٩ / ٥

(٢) المصدر السابق ٢٠٦ / ٥

(٣) التصوير الشعري (التجربة الشعورية وأدوات رسم الصورة الشعرية) د. عدنان قاسم ط ١.

المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع، ١٩٨٠ ص ٨١

(٤) علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته د. صلاح فضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٢٥٧

وقد توسل الشعراء بالاستعارة في تشكيل صورهم عن هذا الوباء كقول  
محمد البهكلي<sup>(١)</sup>:

وقطع الوصل بين الناس فانقطعت      دور العبادة والجيران والرحم  
ففي قوله قطع الوصل استعارة حيث تخيل الوصل شيئاً حسياً وتخيل  
الوباء كائناً يقطع هذا الوصل.  
ومن ذلك قول مهدي حكيمي<sup>(٢)</sup>:

رميت على الأرض ثوب السكون      فعاملنا اليوم حي كميت  
فقد تخيل للسكون ثوباً ألقاه الوباء على الأرض فلفها الصمت  
والسكون.

ومن ذلك قول ابن النجمي<sup>(٣)</sup>:  
رب جنبنا ضلالات الهوى      ليس يرضى بالهوى من قد عقل  
ففي قوله ضلالات الهوى استعارة حيث تخيل الأهواء إنساناً قد ضل  
طريق الحق.

ومن ذلك أيضاً قول أحمد دهاس<sup>(٤)</sup>:  
وأعدنا لمساجدنا فإننا      قد برانا الشوق من طول البعاد  
ففي قوله برانا الشوق استعارة شخص فيها الشوق في صورة حسية.

---

(١) قصائد كورونا في ملتقى شعراء جازان ٥ / ٢٠٥

(٢) المصدر السابق ٥ / ١٩٦

(٣) المصدر السابق ٥ / ٢١٥

(٤) المصدر السابق ٥ / ٢٠٠

ويعمد الحسين النجمي إلى التشخيص فيقول<sup>(١)</sup>:

**واليوم نحن بعصر كورونا التي فيروسها يسعى ولا يتقهقر**

فقد شخص الفيروس وأضفى عليه سمة إنسانية فأسند إليه صفة السعي وعدم التقهقر.

وفي سياق الشكر للمملكة وجهودها يتوسل بالاستعارة فيقول<sup>(٢)</sup>:

**شكرا جيوش بلادنا وحماتنا ولكم زهور الحب منا تنثر**

فقد شخص المعنوي وهو الحب وجعله في صورة حسية هي صورة (الزهور التي تنثر) في مقام الشكر، وذلك لإقامة مقارنة بين شيئين بينهما علاقة أو جامع يربط بينهما وهو في ذلك يتسق مع السليقة الشعرية العربية حيث عول الشعراء كثيراً على التشبيه ولذلك قال المبرد: "إن التشبيه جار كثيراً في كلام العرب حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم لم يبعد".<sup>(٣)</sup>

وقد جاءت التشبيهات بسيطة غير مركبة، تجنح إلى الواقع ومن ذلك قول مهدي حكيم<sup>(٤)</sup>:

**تلوك المسنين مثل الزبيب وتزدرد الكهل كالبسكويت**

(١) المصدر السابق ٢٠٣ / ٥

(٢) المصدر السابق ٢٠٣ / ٥

(٣) الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد ط. مصر ٩٣ / ٣

(٤) قصائد كورونا في ملتقى شعراء جازان ١٩٦ / ٥

فالشاعر يشبه الوباء بناقاة تلوك المسنين وتجعل منهم طعاما وتلتذ بهذا الأكل الذي يشبه الزبيب وهي صورة بسيطة ذات طابع شعبي ومثلها صورة الابتلاع التي تشبه البسكويت.

ومن تشبيهاتهم البسيطة كذلك قول الحسين النجمي<sup>(١)</sup>:

فأيقوا يا عباد الله لا تدعوه كالهبا ينثرنا  
وكذلك قول أحمد دهاس<sup>(٢)</sup>:

يا إلهي قد غدت منا الخطايا كجبال راسيات في البوادي  
وكذلك تشبيه الفيروس بالبرق كما عند أحمد المتوكل<sup>(٣)</sup>:

فيروسه كالبرق إلا أنه ما لاح إلا لاحت الأدوية  
فالتشبيه بالبرق هنا للدلالة على سرعة انتشار الوباء الخاطفة التي تحكي  
سرعة انتشار ضوء البرق في الأجواء.  
ونقع على هذه الصورة الشعبية صورة شراك النعل في قول جبران  
سحاري<sup>(٤)</sup>:

شكرا أبت عن الدنيا دناءتها فلا تساوي شراكا كان في النعل  
وتتردد صورة الشمس في سياق المعاني الدينية كقول عبده جمالي مشبها  
الرسول صلى الله عليه وسلم بالشمس<sup>(١)</sup>:

---

(١) المصدر السابق ٥ / ٢٠٦

(٢) المصدر السابق ٥ / ١٩٦

(٣) المصدر السابق ٥ / ٢٠٨

(٤) المصدر السابق ٥ / ٢١٢

وكان كالشمس يسدي نوره ألقا      وبلغ الدين أقصانا وأدنا  
كما تتردد صورة الشمس في تشبيه جهود المملكة في مكافحة الفيروس  
الحسين النجمي (٢):

تلك الحقائق مثل شمس ظهيرة      تعمي الذي غطى الحقيقة أو جحد  
فالتشبيهات - كما نرى - مالت إلى البساطة والواقعية وابتعدت عن  
الغموض والإيغال.

وتوسل الشعراء بالكناية في تشكيل صورهم وهي - كما وصفها ابن  
رشيق "من غرائب الشعر وملحه وبلاغة عجيبة تدل على بعد المرمى وفرط  
المقدرة". (٣) وميزة الكناية أنها لمحّة دالة واختصار وتلويح وتعريض.

وقد عمد بعض الشعراء إلى استخدام الكناية في الحديث عن وباء كورونا  
فكثّوا عنه بكنائيات عديدة منها (النازلة) في قول محمد البهكلي (٤):

يارب هون علينا كل نازلة      فليس يا ربنا إلاك معتصم  
وكنوا عنه ب(المفزعة) كقول حمد صديق (٥):

وقيت يا رثي من كل مفزعة      الله خالق كورونا هو الحامي

---

(١) المصدر السابق ٥/ ٢١٣

(٢) المصدر السابق ٥/ ٢٠١

(٣) العمدة في محاسن الشعر ابن رشيق القيرواني تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد طبعة  
دار الجيل بيروت ١٩٨١ ص ٣٠٢

(٤) قصائد كورونا في ملتقى شعراء جازان ٥/ ٢٠٥

(٥) المصدر السابق ٥/ ٢٠٨

وكنى عنه مجدي الشافعي ب( ابن الطواعين)<sup>(١)</sup>:

تجمع الكون والدنيا بمنزلهم يا ابن الطواعين والحمى بك اجتمعوا

وتشكلت بعض الصور من الحواس ومن ذلك حاسة الشم في قول  
الحسين النجمي<sup>(٢)</sup>:

وصلاة ربي للحبيب نبينا وسلامه قد فاح منه العنبر

فرائحة العنبر الزكية اقترنت بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه  
وسلم، كما ارتبطت هذه الصور الشمية بالمعاني الدينية كقول ابن  
النجمي<sup>(٣)</sup>:

رب وفقنا لجنات الشذا ربنا حقق لنا أغلى أمل

فالجنان قد اقترنت بالشذا وكل رائحة طيبة تبهج النفوس.

ونجد بعض الصور المستمدة من حاسة التذوق كقول حمد صديق<sup>(٤)</sup>:

بما أذقتم بني الإيغور بطشكم دوقوا - قتلتم - بلا رفق بمأفون

فحاسة التذوق هنا تحمل دلالة المرارة والتشفي بسبب ما تعرضت له  
طائفة الإيغور المسلمة من بطش.

ونقع كذلك على بعض الصور الصوتية كقول الحسين الحازمي<sup>(٥)</sup>:

---

(١) المصدر السابق ٥ / ٢١٩

(٢) المصدر السابق ٥ / ٢٠٥

(٣) المصدر السابق ٥ / ٢١٧

(٤) المصدر السابق ٥ / ٢٢٣

(٥) المصدر السابق ٥ / ٢٠٦

وصمتنا نسمع الصوت الذي ملاً الدنيا بما يرعبنا  
فالصوت هنا كناية عن الدوي الهائل الذي أحدثه الوباء وارتجت له أركان  
العالم، وكقوله أيضاً<sup>(١)</sup>:

وتعلت في الورى أصواتنا حسبنا أفراحنا تصحبنا  
فالصوت هنا يقتزن بالفرحة. ونجد كذلك بعض الصور الحركية كقول  
موسى الشافعي<sup>(٢)</sup>:

من أين والأرض وجه قائم ويد شلاء يرقص في أعصابها القلق  
والخوف يركض عريانا هنا وهنا وفي مخالبه من لحمنا مزق  
ينقل الشاعر هنا صورة الكرة الأرضية بعد أن ضربها هذا الوباء فبرزت  
بوجه قائم ويد أصابها الشلل وأعصاب مختلة سيطر عليها القلق وبدا الخوف  
في صورة حسية مخيفة وهو يركض عريانا وقد استحال وحشا كاسرا مخيفا  
يحمل في مخالبه لحوم البشر وبذلك هيمنت الحركة على الصورة فهناك حركة  
الاهتزاز المنبعثة من الشلل وهناك حركة الرقص وحركة الركض.  
ومن الصور الحركية كذلك قول عبدالصمد المطهري<sup>(٣)</sup>:

حتى إذا فار في التنور موعدة يهتز كالريح في جوف على عجل

(١) المصدر السابق ٢٠٦ / ٥

(٢) المصدر السابق ٢٢١ / ٥

(٣) المصدر السابق ٢٠٩ / ٥

فالشاعر يوظف الحركة في وصف الوباء كحركة فوران التنور وهي صورة قرآنية كنى بها عن أهوال الوباء وكأنه يوم القيامة وشبه حركة اهتزازه بحركة الرياح الهوجاء العنيفة المصحوبة بالصوت.

واعتمد الشعراء في تشكيل صورهم على الصور اللونية المستمدة من مختلف الألوان بما تحمله من رموز ودلالات "إذ تتعدى دلالة اللون نطاقها الوضعي المطابق إلى ما هو أعم حيث تتسع دائرة إيجاء اللون للتفسير والتأويل".<sup>(١)</sup>

وقد تنوعت الصور اللونية في قصائد (جائحة كورونا) وجاء اللون الأحمر في طليعتها من خلال صورة الدماء المقترنة بهذا الوباء القاتل ومن ذلك قول أحمد المتوكل<sup>(٢)</sup>:

**تجري الدماء على يديه وتذرف ال دمع العيون وترجف الأعضاء**  
فالدماء هنا تقترن بهذا الوباء حيث يرمز اللون الأحمر إلى الدماء ويعد من "الألوان الساخنة المستمدة من وهج الشمس واشتعال النار والحرارة الشديدة وهو من أطول الموجات الضوئية"<sup>(٣)</sup>

ونجد صورة الدم كذلك في قول موسى الشافعي<sup>(٤)</sup>:

**ييث من جبروت الله في دمهم شيئا يرينا سماهم وهي تحترق**

(١) الصورة الشعرية والرمز اللوني، د. يوسف حسن نوفل دار المعارف بمصر ص ١٦

(٢) قصائد كورونا في ملتقى شعراء جازان ٥ / ٢٠٨

(٣) اللغة واللون د. أحمد مختار عمر طبعة عالم الكتب طبعة ١٩٩٧ ص ٢٠١

(٤) قصائد كورونا في ملتقى شعراء جازان ٥ / ٢٢٢

فقد اقترن لون الدماء هنا بالاحتراق واشتعال النار.

ونجد صورة الموت الأحمر في قول الحسين النجمي<sup>(١)</sup>:

والطب قد أغضى له مستسلما      حصد البرية منه موت أحمر

فقد وصف الشاعر هذا الوباء بالموت الأحمر دلالة على اقترانه بالدماء  
وقد يخرج اللون الأحمر عن هذه الدلالة المربعة إلى دلالة أخرى مضادة  
كما في قول ابن النجمي<sup>(٢)</sup>:

واثق بالله راض بالذي      قدر الرحمن وردي الأمل

فصورة الأمل الوردي صورة تبعث على التفاؤل والبهجة.  
كما استمد بعض الشعراء صورهم من اللون الأسود بما يحمله من دلالة  
القتامة والتشاؤم معبرين بذلك عن حالة العالم بعد هذا الوباء فقال أحمد  
المتوكل<sup>(٣)</sup>:

الكون أظلم في النهار وقد سرت      بالضر فينا الليلة الليلاء

والصورة بالغة الدلالة على ما أحدثه هذا الوباء من ضرر وأذى حتى تخيل  
الشاعر أن الظلام قد عمّ الكون في النهار وقد حاصرت الناس ظلمة الليل  
وهي كناية عن القتامة والجهامة والرعب.  
واقترن اللون الأسود بالظلام كذلك في قوله<sup>(٤)</sup>:

---

(١) المصدر السابق ٥ / ٢٠٤

(٢) المصدر السابق ٥ / ٢١٦

(٣) المصدر السابق ٥ / ٢٠٨

(٤) المصدر السابق ٥ / ٢٠٨

## في مقفر لا نجم في ظلماته إلا النفوس فإنها الأنواء

فالصورة هنا تحتشد بدلالة القتامة والسواد إذ استحالت الكرة الأرضية – بفعل هذا الوباء- إلى أرض مقفرة مظلمة لا نجوم فيها.

وفي مقابل هذا اللون الأسود نجد اللون الأبيض الذي "يرتبط عند معظم الشعوب –بما فيهم العرب- بالطهر والنقاء واستخدمه العرب القدماء في تعبيرات تدل على ذلك"<sup>(١)</sup>

ومن الصور اللونية التي تشكلت من اللون الأبيض قول الحسين النجمي<sup>(٢)</sup>:

لكن جيشاً أبيضاً وقفوا له والكل يزجي الجهد لا يتعذر

فقد كنى الشاعر عن الأطباء وهيئة التمريض الذين تصدوا لهذا الوباء بالجيش الأبيض.

واقترن اللون الأبيض بالنور والسناء كقول ابن النجمي<sup>(٣)</sup>:

جنة الخلد أعدت للذي في لباس النور والتقوى رفل

فقد تشكلت الصورة من الاستعارة في قوله (لباس النور والتقوى ) إذ شبه الشاعر من صدق إيمانه وعمله بمن يزهو في حلل النور في جنة الخلد. وأطل اللون الأبيض بدلالته غير المباشرة في قول الحسين الحازمي<sup>(٤)</sup>:

---

(١) اللغة واللون ص ٧٥

(٢) قصائد كورونا في ملتقى شعراء جازان / ٥ / ٢٠٤

(٣) المصدر السابق / ٥ / ٢١٦

(٤) المصدر السابق / ٥ / ٢٠٦

شع فجر والسنا يحضننا      حيثما أحلامنا تضحكنا

فاللون الأبيض مستمد من صورتي (الفجر والسنا) وترددت صورة السنا  
في قول حمد صديق<sup>(١)</sup>:

منها يشع السنا نحو الدين وبها      يظل وارف توحيد وتمكين

فالجار والمجرور منها يعود على المملكة حيث صورها الشاعر بأنها مصدر  
النور والإشعاع والتوحيد.

وقد يأتي اللون الأبيض ماثلاً في النور في مقابل النار كما في قول ابن  
النجمي<sup>(٢)</sup>:

أنقذ الناس من النار وقل      ها كما النور هنا درب الأمل

ونقع على اللون الأخضر في قول الحسين النجمي<sup>(٣)</sup>:

جيشان في بلدي فجيش أخضر      يحمي الحدود يرد من يتبختر

فصورة الجيش الأخضر صورة جديدة في وصف الجيش دلالة على الخير  
والنماء والنضارة.

وعلى هذا النحو كان للصورة الفنية بأنماطها ووسائلها المختلفة دور بارز  
في تشخيص المعاني وتجسيدها "فالصورة كلام مشحون شحناً قوياً يتألف من

(١) المصدر السابق / ٥ / ٢٢٣

(٢) المصدر السابق / ٥ / ٢١٦

(٣) المصدر السابق / ٥ / ٢٠٣

عناصر محسوسة، خطوط ألوان، حركة ظلال تحمل في تضاعيفها فكرة أو عاطفة أي أنها توحى بأكثر من المعنى الظاهر"<sup>(١)</sup>

**سمات أسلوبية ولغوية**

لكل أديب أسلوبه الخاص الذي يميزه ويطلع أدبه بطابع خاص فالأسلوب هو "الوسيلة المادية لما ينتجه الأديب، والمظهر لما يدور في نفسه من معان وأفكار تظهر النهاية على شكل جمل مصاغة بلغة وألفاظ تكون جميعها الصلة المادية بين الأديب والمتلقي ويعرض من خلالها إحساسه بالحياة والإحياء والكون والكائنات ومشاعره تجاه هذا العالم وما فيه من ظواهر وأحداث وكميات".<sup>(٢)</sup>

وتتنوع الأساليب بين أساليب إنشائية وخبرية، وباستقراء النماذج الشعرية الخاصة بجائحة كورونا نجد أن أكثر الأساليب الإنشائية كثافة وحضوراً هو أسلوب الاستفهام حيث يتكرر في القصائد بنسبة كبيرة وهذه الكثافة تعكس ما يحمله الاستفهام من دلالات كالتعجب والإنكار والدهشة والحيرة وغيرها، ومن أمثلته قول مجدي الشافعي<sup>(٣)</sup>:

---

(١) بناء الصورة في البيان العربي كامل حسن البصير طبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٧ هـ

ص ١٢٧

(٢) مدخل إلى دراسة الأدب د. مريم بغداددي الكتاب الجامعي الطبعة الأدبية المملكة العربية

السعودية ١٩٨٢ ص ٤٥

(٣) قصائد كورونا في ملتقى شعراء جازان / ٥ - ٢١٨ - ٢١٩

من أين جئت إلينا؟ يسأل الفرع وهل ستقضي علينا؟ يطرق الهلع  
 من أنت؟ ما أنت؟ ما الفيروس؟ هل مرض؟ من التجارة لما بارت السلع  
 هل أنت حرب اقتصاديات عالمنا؟ حتى تمرر عند الغالب البيع؟  
 أم أنت غلطة دكتور بمختبر؟ فاحت فلم يستطع تجميعها الوسع؟  
 أم أنت نذر لنا أم أنت منذرنا؟ ضاقت بنا الأرض فيما أنت متسع  
 فأسلوب الاستفهام يهيمن على الأبيات بكثافة لافتة وبصيغ مختلفة  
 (من- ما- هل- أين) لتعكس الإحساس بالحيرة والتخبط والدهشة  
 والتعجب، وتتنوع بين (ما باله- ما بالهم- أين) التي ترددت أربع مرات  
 لتعكس الإحساس بالذهول والتعجب والإنكار حيث عجزت كل الأسلحة  
 الفتاكة عن مواجهة هذا الوباء القاتل

وقد يكون السؤال ب (ماذا) أو ب (كيف) كقول مهدي حكيمي<sup>(١)</sup>:

وبت على قبة الفاتيكان فماذا سمعت وماذا رأيت

وكيف استشرت اشتها العجو ز تجاعيدها الملس تدعوك: هيت

وكثيرا ما يحمل الاستفهام دلالة الحيرة والتعجب كقول أحمد المتوكل<sup>(٢)</sup>:

من أين جاء وكيف جاء كأنما جمعت به البأساء والضراء

وقد يحمل دلالة التباهي والفخر كقول الحسين النجمي<sup>(٣)</sup>:

(١) المصدر السابق ٥ / ١٩٦

(٢) المصدر السابق ٥ / ٢٠٨

(٣) المصدر السابق ٥ / ٢٠١

من مثل دولتنا؟ ومن كولتنا؟ قد قدموا ما لم يقدمه أحد  
وقد يخاطب الشاعر الوباء بأسلوب يحمل دلالة الحث على التوقف عن  
أفعاله المميتة كقول مهدي حكيم<sup>(١)</sup>:

فهلا قنعت بما قد أصبت وهلا شبت وهلا ارتويت  
وفي سياق وصف كثرة الأرواح التي حصدها الوباء يستخدم الشاعر  
(كم) الخبرية كقول نواف الحكيم<sup>(٢)</sup>:

فكم روح قد انطفأت وكم متحرك يبسا  
وكم من أجله انتفضت شعوب كم قسا وقسا  
ومن الأساليب الملفتة استخدام التكرار وهو "في حقيقته إلحاح على جهة  
هامية في العبارة فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة يكشف  
اهتمام المتكلم بها"<sup>(٣)</sup>

والتكرار له فوائد ومقاصد عديدة فهو يؤدي دورا تعبيريا واضحا "فتكرار  
لفظة ما أو عبارة ما يوحي بشكل أولي بسيطرة هذا العنصر المكرر وإلحاحه  
على فكر الشاعر وشعوره أو لا شعوره ومن ثم فهو لا يفتأ ينبثق في أفق رؤياه  
من لحظة لأخرى"<sup>(٤)</sup>

---

(١) المصدر السابق ٥ / ١٩٦

(٢) المصدر السابق ٥ / ٢٠٧

(٣) قضايا الشعر المعاصر نازك الملائكة ص ٢٤٢

(٤) عن بناء القصيدة العربية الحديثة د. علي عشري زايد ص ٥٨

وقد عمد بعض الشعراء إلى التكرار في صورته البسيطة باستخدام عبارة تتكرر كثيراً للإلحاح على معناها وإبراز أهميته كقول جبران سحاري<sup>(١)</sup>:

شكرا كرونا على ما صغت من مثل علمت تقنية التعليم في عجل  
شكرا وزارتنا في البذل ما فترت تعليمنا صحة مع سائر الجمل  
شكرا نظافتنا زادت معاملها في البيت في البنك وسط السوق في العمل  
شكرا كرونا لقد أظهرت مملكتي بصائب الرأي والتدبير في الدول  
شكرا جعلت بيوت الناس عامرة بالذكر والوعي والقرآن والنزل  
شكرا أبنت عن الدنيا دناءتها فلا تساوي شراكا كان في النعل  
شكرا كشفت لنا تجار أزمتنا من همهم رفع أسعار بلا خجل  
شكرا وشكرا وشكراً لست أحصرها هذي مناقب كورونا فلا تسل  
فقد كرر الشاعر كلمة شكرا عشر مرات وهي نسبة كثافة عالية تؤكد إلحاحه على فكرة معينة هي رؤية الجانب الإيجابي التي كشف عنها هذا الوباء.

وقد عمد بعض الشعراء إلى المفارقة وهي "من البنى الأثرية للإبداع الأدبي بصفة عامة والشعري بصفة خاصة"<sup>(٢)</sup>، وتعتمد المفارقة على إظهار المعنى

(١) قصائد كورونا في ملتقى شعراء جازان ٥ / ٢١١ - ٢١٢

(٢) بناء المفارقة دراسة بلاغية تحليلية شعر المتنبي نموذجاً د. رضا كامل مكتبة الداب القاهرة

وضده وعلى المراوغة اللغوية وإظهار المتناقضات بصورة مضحكة من خلال  
بنية تعتمد على ثنائية دلالية.

ولا شك أن وجود وباء كورونا وتفشيه يمثل مفارقة صارخة وصادمة  
فكيف بهذا الشيء الصغير الذي لا يرى بالعين المجردة يحمل الموت والخراب  
إلى العالم وتعجز عن مواجهته أقوى الدول وأعتى الأسلحة. وقد عبر الشعراء  
عن هذه المفارقة فقال ابن النجمي<sup>(١)</sup>:

**لا يرى بالعين لكن له هجمة تعجز أرباب الحيل**

فالمفارقة تتمثل في كون هذا الفيروس المتخفي الذي لا يمكن رؤيته قد  
أعجز كل العلماء.

ومن المفارقة كذلك قول نواف الحكمي<sup>(٢)</sup>:

**يحصرننا صباح مسا ويخفق دوننا النفسا**

**ويسقطنا ولا حرس صغيرا أرهب الحرسا**

**هو المخلوق من لا شيء لكن جاء مفترسا**

والمفارقة واضحة في الأبيات فهذا الفيروس الذي خلق من لا شيء يملك  
قدرة الافتراس ويحاصر الناس ويهرب الحراس والأقوياء على الرغم من ضعفه.  
وقد وثنى الشعراء أساليبهم بالمعاني القرآنية وأكثروا منها اتساقا مع واقع  
الحال ومواجهة هذا الوباء بالتضرع والابتهاال وتفاوتت طرائقهم وأساليبهم في

---

(١) المصدر السابق ٥ / ٢١٤

(٢) المصدر السابق ٥ / ٢٠٧

ذلك، فاستدعى بعضهم قصص الأنبياء الذين تعرضوا للابتلاء كالإشارة إلى سيدنا أيوب الذي مسه الضر فكشفه الله عنه وفي ذلك يقول عبده جمالي<sup>(١)</sup>:

أنت الملاذ لنا مما ألم بنا يا رب أيوب فاكشف ضرنا الآن  
فالشاعر يتضرع إلى الله ويلوذ به أن يكشف عنا البلاء كما كشفه عن أيوب عليه السلام.

والمح أحمد دهاس إلى قصة أيوب فقال<sup>(٢)</sup>:

قد برانا الضر يا مولاي فارفع عنا ما نشكوه في هذي البلاد  
واستدعى حمد صديق قصة ذي النون يونس عليه السلام فقال<sup>(٣)</sup>:  
الله أكبر ما الغرقى كذي النون فينقذون ويرجي نبت يقطين  
واستدعى شعراء آخرون قصة نوح والطوفان واضعين الحاضر بإزاء الماضي متضرعين إلى الله أن يعصمهم كما عصم نوحا وقومه يقول موسى الشافعي<sup>(٤)</sup>:

لا عاصم اليوم إلا أن تكون لنا كف بأسباب عفو الله تلتصق  
وعمد شعراء آخرون إلى اقتباس الآيات القرآنية التي تناسب المقام ومن ذلك قول عبده جمالي:

(١) المصدر السابق ٥ / ٢١٣

(٢) المصدر السابق ٥ / ١٩٩

(٣) المصدر السابق ٥ / ٢٢٢

(٤) المصدر السابق ٥ / ٢٢٢

وقلت ( لا تقنطوا ) أمنت خائفنا      وقلت ( لا تيأسوا ) فالطلف آوانا

وقلت (إني قريب) تستجيب لنا      فارحم دعوناك من داء تغشانا

فالشاعر يوظف الآيات التي تتفق وواقع الحال وتدعو إلى عدم القنوط أو اليأس وتؤكد أن الله قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه فتوجه المسلمون بالدعاء أن ينجيهم الله من هذا الداء والوباء.

ويقتبس شاعر آخر من الآي القرآني، فيقول مهدي حكيم<sup>(١)</sup>:

فيا رب هذا نذير مبين      وأنت أمرت وأنت نهي

وعمد شعراء آخرون إلى الحديث النبوي يقتبسون منه ما يؤيد الإجراءات التي اتخذتها الحكومة لمواجهة هذا الوباء ومن ذلك قول مجدي الشافعي<sup>(٢)</sup>:

قال الرسول (فصلوا في رحالكم)      كذاك قادتنا قالوا لما سمعوا

قال الرسول (وقروا في بيوتكم)      كذاك قادتنا قالوا اسمعوه وعوا

قال الرسول (بألا تخرجوا أبدا)      كذلك قادتنا فالحجر إذ يقع

فالشاعر يتخذ أحاديث الرسول حجة تؤكد أن ما اتخذته المملكة من إجراءات العزل والحظر إنما تتفق مع أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفيما يتصل باللغة الشعرية فقد جنحت القصائد عموما إلى اللغة السهلة المباشرة التي تحقق التواصل فخلت من الغموض والألفاظ الصعبة وجاء المعجم الشعري متسقا مع موضوع الجائحة فترددت ألفاظ (كرونا -

(١) المصدر السابق ٥ / ١٩٧

(٢) المصدر السابق ٥ / ٢١٩

الفيروس - الوباء - الطاعون - النازلة - الداء الخطير - الداء العضال) وترددت  
الألفاظ المتصلة بمهنة الطب مثل (أطباء - تريض - كمامة - الصحة - الحجر)  
وفي حقل تداعيات الداء ترددت ألفاظ مثل (الرعب - الفرع - الرزايا -  
البلايا - الهلع - ارتعاد - البلوى )  
وترددت أسماء (المساجد - المطاعم - القاعات - تقنية التعليم - التجار )

\*\*\*

## ملحوظات لغوية:

رصد الباحث عدداً من الملحوظات اللغوية، وإجمالها ما يلي:

### ١- الجنوح إلى اللغة النثرية

مالت لغة الشعر أحيانا إلى النثرية ومن ذلك قول ابن النجمي<sup>(١)</sup>:

قد سمعنا عنه في الصين فإذ هو في الأرجاء فورا قد وصل  
فكلمة (فورا) مالت بالأسلوب إلى النثرية.

ومن ذلك أيضا قول الحسين النجمي<sup>(٢)</sup>:

لكن معالجة الوباء تفاوتت والناس يختلفون في هذا الصدد  
فجملة (هذا الصدد) فيها نثرية واضحة.

### ٢- تضمين ألفاظ أجنبية

تضمنت بعض القصائد ألفاظا أجنبية مختلفة منها لفظة (الفيرس) التي  
ترددت كثيرا في القصائد كقول حمد صديق<sup>(٣)</sup>:

فيرس قرن له من فعل سألقة مؤشرات بويلات الطواعين  
وقول ابن النجمي<sup>(٤)</sup>:

وغدا العالم في حيرته كلهم بالفيرس الخافي انشغل  
كما ترددت لفظة (كورونا) كثيرا كقول عبده جمالي<sup>(١)</sup>:

---

(١) المصدر السابق ٥ / ٢٠١

(٢) المصدر السابق ٥ / ٢١٦

(٣) المصدر السابق ٥ / ٢٢٣

(٤) المصدر السابق ٥ / ٢١٤

لم يعهد الناس أمثالا لسطوته ومن شناعته أسموه كورونا  
ومن الألفاظ الأجنبية لفظة (الإيتيكيت) في قول مهدي حكمي<sup>(٢)</sup>:  
تفاوت بكفك أعتى القلا ع وخر لها بهرج الإيتيكيت  
وقول حمد صديق<sup>(٣)</sup>:

أرى كل ما قيل في ذا الوبا كصاعد وعر على بسكليت  
ومن ذلك كلمة (بسكويت) في قول مهدي حكمي<sup>(٤)</sup>:

تلوك المسنين مثل الزبيب وتزدرد الكهل كالبسكويت  
٣- تضمين ألفاظ شعبية

حرص بعض الشعراء على النزول بلغة الشعر إلى لغة السوق والعوام  
كاستخدام لفظة (صبة) ولفظة (الكيف). يقول عبدالمطلب النجمي<sup>(٥)</sup>:

حال كورونا بيننا فاعتزلنا جلسة أنت أنسها والمواسي  
(صبة) منك تعدل (الكيف) عصرا فيفيء المساء سهل المراسي  
ومن ذلك (محدثنا) في قول حمد صديق<sup>(٦)</sup>:

وعقمي باستعاذات محدتنا وعانقي سهري يا سعد أيامي

(١) المصدر السابق ٥ / ٢١٣

(٢) المصدر السابق ٥ / ٢١٦

(٣) المصدر السابق ٥ / ١٩٨

(٤) المصدر السابق ٥ / ١٩٧

(٥) المصدر السابق ٥ / ٢١٠

(٦) المصدر السابق ٥ / ٢٠٨

ومن ذلك كلمة (حلاق) في قول جبران سحاري<sup>(١)</sup>:

ولا نرى أي حلاق لينفخ في شعور قوم ويرمي باللحى الجزل  
وكلمة (مشغل) في قوله أيضاً:

شكراً فكم مشغل أغلقت فاتضحت ذات الجمال بلا صبغ ولا كحل  
٤- نحت ألفاظ جديدة

عمد بعض الشعراء إلى نحت ألفاظ جديدة ومن ذلك لفظة (تقفزت) و  
(كمّام) كقول حمد صديق<sup>(٢)</sup>:

تقفزت لثمت فاها بكمام تدرعت ستره شدت بإحكام  
٥- وجود أخطاء لغوية

لم تخل بعض القصائد من أخطاء لغوية واضحة ومن ذلك ما جاء في  
قول أحمد دهاس<sup>(٣)</sup>:

ما استطاعت دولة توقفه كلا بل بقت من فعله مثل الجماد  
فقوله (بقت) خطأ لغوي وتسكين الفعل (توقفه) لجبر الوزن خطأ لغوي  
لأنه لم يتقدمه جازم.

ومن الأخطاء اللغوية قول عبده جمالي<sup>(٤)</sup>:

أحاقنا بغتة في حين غفلتنا وكر في ساحنا بالخوف أصلا

(١) المصدر السابق ٥ / ٢١٢

(٢) المصدر السابق ٥ / ٢٠٧

(٣) المصدر السابق ٥ / ١٩٩

(٤) المصدر السابق ٥ / ٢١٣

فالفعل (أحاق) لا يتعدى بنفسه والصواب أحاق بنا.  
ومن الأخطاء أيضا قول الحسين النجمي<sup>(١)</sup>:  
لكن جيشا أبيضاً وقفوا له والكل يزجي الجهد لا يتعذر  
فكلمة أبيض ممنوعة من الصرف ولكن الشاعر صرفها كما أضاف الألف  
واللام على كل وهو خطأ.

\*\*\*

---

(١) المصدر السابق ٥ / ٢٠٤

## خاتمة البحث ونتائجه

درس الباحث رؤية مجموعة من الشعراء المعاصرين لجائحة كورونا التي اجتاحت العالم واهتمامهم بتتبع هذه الجائحة وكشف أبعادها، واهتم البحث بدراسة هذه الظاهرة الجديدة في الشعر من ناحيتي المضمون والشكل.

وقد استخلص البحث النتائج الآتية:

- ١- كشف البحث عن قدرة هذه المجموعة من الشعراء على الإحاطة بأبعاد هذه الجائحة ومتابعتها على المستويات العلمية والاقتصادية والاجتماعية.
- ٢- اتفق معظم الشعراء على الرؤية السلبية لهذه الجائحة وعلى إظهار خطورتها وآثارها المدمرة على العالم كله.
- ٣- كانت رؤية الشعراء -في الأغلب الأعم- رؤية كونية شاملة تجاوزت الحدود المحلية وشملت الإنسانية كلها.
- ٤- عكس الشعراء في قصائدهم ما أصاب العالم من حيرة وتخبط إزاء هذه الجائحة وعجز العلماء عن مواجهتها.
- ٥- أبرز الشعراء الدور الديني في مواجهة هذه الجائحة وأكثروا من التضرع إلى الله لدفع هذا البلاء.
- ٦- قام الشعراء بدور وعظي ملحوظ، فحرصوا على دعوة الناس إلى الالتزام بأوامر الله وتجنب ما نهى عنه والتزهد في الدنيا والعمل للآخرة.
- ٧- نهض الشعراء بدور اجتماعي في دعوة الناس إلى الالتزام بالإجراءات الاحترازية والبقاء في منازلهم للمحافظة على سلامتهم.

- ٨- أشاد الشعراء بالدور الرائع الذي قامت به المملكة العربية السعودية في مواجهة هذه الجائحة وعدم تفريقها بين مواطن ووافد، وأكدوا أن المملكة استندت في كل الإجراءات التي اتخذتها على مبادئ الدين الإسلامي.
- ٩- جنح أغلب الشعراء إلى التعبير المباشر عن الجائحة، ومع ذلك لم يهملوا التصوير، فعبروا عن هذه الجائحة بصور مختلفة غلب عليها البساطة والواقعية.
- ١٠- انحاز الشعراء في قصائدهم إلى اللغة الواضحة السهلة الخالية من الغموض والتعقيد، فاستخدموا لغة تواصلية تصل إلى المتلقي يُيسر وسهولة وأكسبوها طابعا شعبيا وإن لم تسلم من بعض الأخطاء اللغوية.

\*\*\*

## التعريف بالشعراء<sup>(١)</sup>

- ١- أحمد المتوكل بن علي النعمي، متقاعد من الاتصالات السعودية عام ٢٠١١، إمام وخطيب جامع حرجة ضمد، بدايته الحقيقية مع الشعر كانت تقريبا في عام ١٤٠٩ هـ. شارك في عدد من الأمسيات قديما وحديثا، من دواوينه المخطوطة (ديوان المتوكل النعمي) و(قصائد من الشرق).
- ٢- أحمد بن هادي دهاس من مواليد ١٣٨٨ هـ بمحافظة بيش بكالوريوس آداب وتربية ١٤١٠ من جامعة الملك سعود فرع أبها تخصص تاريخ، شجعه الأستاذ حسن أبو عله على كتابة الشعر في الصف الثاني المتوسط، كما شجعه في المرحلة الثانوية جاره وصديقه الأستاذ محمد النعمي. نشر قصائده في الصحف والمجلات وشارك في العديد من الأمسيات الشعرية داخل المنطقة وخارجها. كتب العديد من الأوبرينات الشعرية، له قناة في اليوتيوب باسم قناة الشاعر أحمد دهاس. تشرف بإلقاء قصيدة الحفل الذي أقامته محافظة بيش في الزيارة الأولى للأمير المنطقة الأمير محمد بن ناصر بن عبد العزيز. له ديوان تحت الطبع بعنوان (وهج المشاعر).
- ٣- الحسين بن إسماعيل الصلوبي الحازمي، يعمل معلما في المعهد العلمي في صبيا التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. من مواليد الطيبة عام ١٣٨٧ هـ. نال شهادة البكالوريوس في التاريخ من جامعة الإمام محمد بن

---

(١) أمين ملتقى شعراء جازان د. جبران سحاري ٠٥٠٢٩٧٥٩٨٥، ومن خلال الروابط الإلكترونية التالية:

[j500.j@hotmail.com](mailto:j500.j@hotmail.com)

[moltaqarv@hotmail.com](mailto:moltaqarv@hotmail.com)

<https://twitter.com/moltaqarv>

سعود الإسلامية. عضو نادي جازان الأدبي. له ثلاث مجموعات شعرية معدة للطبع. له العديد من الأمسيات والقصائد المنشورة في المواقع والمنتديات الشبكية.

٤- جبران بن سلمان جابر سحّاري، بكالوريوس من كلية الشريعة، ماجستير في الفقه من كلية الشريعة، دكتوراه في الفقه من كلية الشريعة، أستاذ مساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، شاعر وأديب وناقد، مؤسس مدرسة الميزان للنقد الأدبي في الرياض، وعضو نادي جازان الأدبي، وشاعر ملتقى أبناء جازان في الرياض، والمشرف العام على ملتقى شعراء جازان، شارك في عدة ندوات وأمسيات أدبية وثقافية ومؤتمرات علمية في الداخل والخارج، ومثل المملكة العربية السعودية في (ندوة الشباب العربي وتحديات العصر) التي عقدت في السودان عام ١٤٢٩هـ، شارك في ورشة الأمن الفكري المنبثقة عن مجلس شؤون الأسرة والطفل في مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني. شارك في الملتقى الدولي الأول لمحبي اللغة العربية في مصر والذي كان بعنوان (اللغة العربية بين العراق والتحدي)، قدم العديد من البحوث والمشاركات الأكاديمية وأشرف على عدة لجان بحثية، وله العديد من الدواوين الشعرية والكتب والمؤلفات والبحوث المطبوعة والمخطوطة.

٥- حسين بن أحمد بن يحيى النجمي، يلقب بعاشق الفل وعاشق الوحيين، ولد عام ١٣٨١هـ في قرية النجامية التابعة لمحافظة صامطة من منطقة جازان شاعر مكث له ستة دواوين مطبوعة هي: ديوان ألم وأمل عام ١٤٠٥ هـ، ديوان خفقات قلب عام ١٤٠٦ هـ، ديوان عيناك في وقت الرحيل عام

١٤٠٩ هـ، ديوان تأملات على مرافئ الغربية عام ١٤١٧ هـ، ديوان باقة من  
فل جازان عام ١٤٢٢ هـ. ديوان قُبلة على جبين الوطن عام ١٤٢٧ هـ.

٦- حمد بن صديق بن محمد بن طاهر، ولد عام ١٣٨٦ هـ في قرية الرجيع  
\_ ساحل الجعافرة، درس الابتدائية في قريته، درس المتوسطة والثانوية في المعهد  
العلمي في صبيا، والبكالوريوس في كلية اللغة العربية جامعة الإمام فرع أبها،  
عمل معلماً عاماً واحداً بأبها وأربعة وعشرين عاماً بمجمع مدارس تحفيظ  
القرآن الكريم بصبيا، إمام وخطيب القرية من عام ١٤١٣ هـ من محبي فقهاء  
العلم وشعراء الفقه.

٧- عبدالصمد أحمد زنوم آل مطهر بن حازم، مواليد منطقة جيزان محافظة  
ضمد، الابتدائية في مدرسة الملك فيصل ثم التحق بالمعهد العلمي في ضمد،  
ثم التحق بجامعة أم القرى قسم الدراسات الاجتماعية، أوفد إلى مملكة  
البحرين حيث عمل في ثانوية الوحدة للبنين لمدة أربع سنوات ثم انتقل بعدها  
لتعليم المنطقة الشرقية مكتب شرق الدمام معلماً ثم مشرفاً، ومن أعماله  
الأخرى: مدرب للتنمية البشرية، عضو في هيئة تطوير التعليم، مدير صحيفة  
هام الالكترونية في البحرين، حصل على درع التميز في محافظة ضمد عام  
١٤٣١، تم اختياره للمشاركة بقصيدة وطنية بعد شفاء الملك عبد الله رحمه الله  
وعودته للبلاد، شارك بالعديد من الاحتفالات الاجتماعية والوطنية سواء  
بالسعودية أو في البحرين، حصل على العديد من خطابات وشهادات ودروع  
التكريم على مستوى الوطن وخارجه، حصل على جائزة نادي المنطقة  
الشرقية في المسابقة الرمضانية، حصل على المركز الأول في مسابقة ملتقى  
هاملت الأدبي عن قصيدة الغربية، ومن أعماله الأدبية: ديوان مطبوع بعنوان

إسراء شاعر، رواية تحت الطبع بعنوان على جناح الريح، عضو في نادي المنطقة الشرقية الأدبي.

٨- عبدالمطلب بن علي النجمي من أعيان قرية (النجامية) وهو استشاري الطب النفسي، وعضو الجمعية السعودية للطب النفسي، له عدد من المشاركات الشعرية في مناسبات ثقافية ورسمية بمنطقة جازان وخارجها، وله ديوان شعر منشور في شبكة المعلومات باسمه.

٩- عبده بن عواجي محمد جمالي، من مواليد قرية الجمالة بصبيبا عام ١٣٩٩هـ. كانت الدراسة الجامعية في كلية المعلمين بجازان، ماجستير في أصول التربية من جامعة طيبة بالمدينة المنورة، دكتوراه في أصول التربية من جامعة القصيم.

١٠- مجدي بن علي الشافعي ولد عام ١٣٩٤هـ متخرج من الكلية التقنية، تخصص محاسبة، عضو سابق في جمعية الثقافة والفنون ونادي جازان الأدبي مشرف صالون خيال الثقافي، له ديوانا شعر هما: صبيبا والرحيل إلى.. ونوال ليست سلمى.

١١- محمد بن علي البهكلي من مواليد ١٣٦٤ للهجرة، من كبار شعراء منطقة جازان الرواد، له قصائد ومشاركات منشورة في الصحف آخرها قصيدة ميمية في جائحة كورونا منشورة في ملتقى شعراء جازان، من أسرة علم وأدب وشعر.

١٢- مهدي بن أحمد حكيمي، جازان، مزهرة، أستاذ النحو والصرف والعروض بالمعهد العلمي بجازان، عمل أستاذا متعاوناً في جامعة الملك خالد، صدر له ديوان شعري، شارك في أمسيات وندوات ومؤتمرات ومهرجانات وطنية، عضو في عدد من المؤسسات الأدبية والثقافية والاجتماعية، درس شعره عدد من الباحثين.

١٣- موسى بن مروعي بن علي شافعي، بكالوريوس رياضيات، يعمل معلماً في مدرسة العيدابي الابتدائية، له العديد من المشاركات الشعرية: في مهرجان الدرب السياحي، المنتدى الأدبي بالطيبة، ومهرجان سراة عبيدة للتنشيط السياحي، ومسابقة الشعر الفصيح بينبع، ومسابقة الشعر العربي ببيشة، وحاز على جائزة سيف آل خشيل مدير التعليم بها آنذاك، وشارك في الأيام الثقافية السعودية اليمينية في مؤسسة العفيفي الثقافية بالعاصمة صنعاء، كما شارك في برنامج أوراق شاعر على إذاعة الرياض وأحيا العديد من الأمسيات الشعرية بعدد من المناطق آخرها كانت بإثنيينية الزاهد النعمي، وديوانية الشيخ إبراهيم الذروي، نشر بعض القصائد في الصحف.

١٤- - نواف بن أحمد الحكمي، أستاذ مشارك في كلية الآداب بشرورة، حاصل على درجة (الماجستير) في النحو والصرف، وحصل على الدكتوراه في النحو كذلك، وكلاهما من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، له أربع مجموعات شعرية هي (مرايا تتنفس) و(نجاوى عشق) و(عندما تسافر العبرات) و(تضاريس البياض).

\*\*\*

## المصادر والمراجع

### أولاً: المصادر:

١- قصائد كورونا في ملتقى شعراء جازان، الأرشيف، مجلة ملتقى شعراء جازان الافتراضية ١٩٦/٥ - ٢٣٢ وللتواصل مع أمينه د. جبران سحاري ٥٩٨٥٠٢٩٧٠٥٠٥، ومن خلال الروابط الإلكترونية التالية:

[moltaqa37@hotmail.com](mailto:moltaqa37@hotmail.com) [j500@hotmail.com](mailto:j500@hotmail.com)  
<https://twitter.com/moltaqa37>

### ثانياً: المراجع:

٢- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر د. عبد القادر القط دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٧ م

٣- أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة ١٩٩١ م

٤- أصول النقد الأدبي أحمد الشايب دار نهضة مصر القاهرة الطبعة السابعة

٥- الأعمال الشعرية الكاملة نازك الملائكة ط المجلس الأعلى للثقافة مصر ٢٠٠٢ م

٦- الأيام طه حسين، دار المعارف بمصر

٧- بدائع الزهور في وقائع الدهور محمد بن أحمد بن إياس الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤ م

٨- بناء الصورة في البيان العربي كامل حسن البصير طبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٧ هـ

٩- بناء المفارقة دراسة بلاغية تحليلية شعر المتنبي نموذجاً د. رضا كامل مكتبة الآداب القاهرة ط ١، ٢٠١٠ م

١٠- تاريخ الرسل والملوك أبو جعفر الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط ٢، دار التراث بيروت ١٣٨٧ هـ

١١- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ابن بطوطة ط. بيروت

- ١٢- التصوير الشعري (التجربة الشعورية وأدوات رسم الصورة الشعورية) د. عدنان قاسم، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٩٨٠ م
- ١٣- الحيوان الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون ط دار الكتاب العربي بيروت ط ٣
- ١٤- الخطيئة والتكفير، عبد الله الغدامي، النادي الأدبي الثقافي جدة ١٩٨٥ م
- ١٥- السلوك لمعرفة الدول والملوك المقريري، ط. مصر
- ١٦- الشعر العربي المعاصر (قضايا وظواهره الفنية) د. عز الدين إسماعيل، دار العودة بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨١ م
- ١٧- الصورة الشعورية والرمز اللوني، د. يوسف حسن نوفل دار المعارف بمصر
- ١٨- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب د. جابر عصفور المركز الثقافي العربي بيروت الطبعة الثالثة ١٩٩٢ م
- ١٩- عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي، الهيئة المصرية للكتاب
- ٢٠- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته د. صلاح فضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب
- ٢١- علم النص جوليا كريستيفا ترجمة فريد الزاهي طبعة دار توبقال الدار البيضاء ١٩٩١ م
- ٢٢- العمدة في محاسن الشعر ابن رشيق القيرواني تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد طبعة دار الجيل بيروت ١٩٨١ م
- ٢٣- عن بناء القصيدة العربية الحديثة د. علي عشري زايد، مكتبة الآداب مصر
- ٢٤- قضايا الشعر المعاصر نازك الملائكة، بيروت.
- ٢٥- الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد ط. مصر
- ٢٦- كتاب الصناعتين أبو هلال العسكري تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ط. عيسى البابي الحلبي القاهرة ١٩٧١ م
- ٢٧- اللغة واللون د. أحمد مختار عمر طبعة عالم الكتب ط ١، ١٩٩٧ م
- ٢٨- مدخل إلى دراسة الأدب د. مريم بغدادى الكتاب الجامعي الطبعة الأدبية المملكة العربية السعودية ١٩٨٢ م

٢٩- منهاج البلغاء وسراج الأدباء حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة  
ط. تونس ١٩٦٦م

٣٠- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي، الهيئة المصرية العامة  
للكتاب

٣١- النقد الأدبي الحديث د. محمد غنيمي هلال د. نخضة مصر القاهرة.

\*\*\*



تجلیات التناص في رسائل أبي بكر الخوارزمي  
الأشكال والآليات

د. عبد الخالق بن عبد الرحمن بن عبد الخالق القرني  
قسم اللغة العربية – كلية الآداب  
جامعة ببشة





## تجليات التناص في رسائل أبي بكر الخوارزمي "الأشكال والآليات"

د. عبد الخالق بن عبد الرحمن بن عبد الخالق القرني

قسم اللغة العربية – كلية الآداب  
جامعة بيشة

تاريخ تقديم البحث: ١٤٤٢ / ٦ / ٤ هـ تاريخ قبول البحث: ١٤٤٢ / ٧ / ١٦ هـ

### ملخص الدراسة:

ينهض البحث برصد تجليات التناص في رسائل أبي بكر الخوارزمي، ودراسة أبرز أشكال التفاعلات النصية، وآليات تداخل الأجناس الأدبية في رسائله، وتحليل أثرها في صناعة الكتابة، وإثراء الإبداع؛ ولتحقيق هذه الغاية تناول البحث في إطاره النظري مفهوم التناص لدى نقاد العرب القدامى، وأهم مصطلحاته النقدية، وأثرها في تحديد الكتابة، وتطوير أساليبها النثرية، والتي تُعدّ نواة للدراسات الحديثة التي توسّعت في دراسة التفاعلات النصية للعمل الأدبي، وأصبحت مقومًا أساسيًا من مقوماته، كما تناول البحث أشكال التناص في رسائل الخوارزمي وأثرها في إنتاجية النص الرسائي، وتوليد المعاني، وبحث علاقات تداخل هذه الأجناس ومستوياتها الفنية، والوقوف على آليات توظيفها في خطاب الرسالة، والكشف عن كيفية إعادة بناء النصوص المستحدثة في فضائها الأدبي، وأثرها في جمال الصياغة، وإثراء المعنى، وتنوع الأسلوب لدى علم من أعلام كتاب الرسائل ذي الثقافة الأدبية والفكرية الواسعة.

**الكلمات المفتاحية:** الرسائل الأدبية، الخوارزمي، التناص الأدبي، التناص الديني، الأمثال، آليات التناص.



## THE MANIFESTATIONS OF INTERTEXTUALITY IN ABI BAKR ALKHAWARIZMI'S LETTERS FORMS AND MECHANISMS

**Dr. Abdulkhaleq Abdulrhman Alqarni**


Department: Arabik language - Faculty :Arts

University of Bisha

### **Abstract:**

This research paper attempts to observe the manifestations of the most prominent types of textual interactions; the overlap mechanisms of literary genera and analyzes its impacts on the writing industry and creative enrichment. The research discussed the theoretical framework, the views of the ancient Arab critics of the intertextuality concept. Its most important critical terms, its impact on writing renovation, and developing its prose styles, which is considered the core of modern studies that studied in detail the textual interactions of literary work and became one of its essential components. The research also dealt with the different intertextual forms in Abi Bakr Alkhawarizmi's letters and its impacts on the productivity of letter text, generation of meaning, the relationship of genera overlap, and the mechanisms of using it in the letter text. The research also uncovered how innovative texts are rebuilt in their literary space, and their impact on the aesthetics of wording, enrichment of meaning, and style variation of one of the most prominent literary figures who have great literary and intellectual knowledge.

**key words:** literary letters, Alkhawarizmi, literary intertextuality, religious intertextuality, proverbs, intertextuality mechanisms.



## المُقدِّمة

تتعدد نظريات الأدب الحديث ومناهجه، وتتنوع مدارسه النقديّة ومصطلحاته، نظرًا إلى الجهود العلميّة التي نبغ فيها كثيرٌ من الأدباء والنقاد من جهة، وإلى الروافد العلمية والثقافيّة، والتّواصل المحمود مع المدارس الغربية من جهة أخرى، وقليل منها ما يُعنى برصد ظواهر نقدنا القديم الفنيّة، وتتبع مصطلحاته النقديّة، ونظراته الفاحصة، وآرائه الدقيقة التي تعدّ أصولًا لكثير من الاتجاهات النقديّة الحديثة لاسيما مع وفرة التّصوص الإبداعيّة في الأدب العربي التي تقتضي جهودًا جادّة، ودراسات متواصلة؛ لسبر أغوارها، وقراءة إبداعها قراءة حديثة، ورصد ما كان للقدماء من آراء وملاحظ سبقوا إليها بمصطلحات نقديّة متنوعة.

لقد ظهرت في السّاحة الأدبيّة مقاربات نقديّة جديدة تتفاعل مع النّص الأدبي، وتجعله منطلقًا أساسيًا لدراسة أعماقه ودواخله، وأشكال تناصّه مع غيره من النّصوص، حتّى أضحت هذه النظريات في النصف الثاني من القرن العشرين ذات طابعٍ مختلفٍ عما ظهرت عليه في العصور قبله بعد أن كانت تهتم الدراسات بالمرسل أكثر من الاهتمام بالنّص نفسه، ثم جاءت مدرسة على خلاف الأولى حيث جعلت الاهتمام بالنّص دون صاحبه إلى أن جاءت تلك المدرسة التي تعدّ حركة نقديّة بديعة تجعل النّص سلسلةً من العلاقات مع نصوص أخرى سابقة أو معاصرة له، وهذه النظرية هي التي أطلق عليها (نظرية التناص).

وإنَّ رسائل أبي بكر الخوارزمي (ت ٣٨٣هـ) تزخر بالتناصّات المتنوعة، والأشكال والآليات المختلفة سابقة أو متزامنة له على وجه الاختلاف والائتلاف، وتمدّها ثقافتُه أبي بكر الخوارزمي الموسوعيّة، وطاقته الإبداعية بجماليات أسلوبية من خلال تداخل النصوص الغائبة مع رسائله، وتجعلها ميداناً لتعانق الأجناس الأدبيّة، والدينية، والفكرية، والتفاعلات النصّية، والسياقات الأسلوبية البديعة التي تثري رسائله بالإحياءات، وتولد لها المعاني والأفكار المتجددة.

ولقد قلّت الدراسات التي تناولت أدب أبي بكر الخوارزمي بعامة مع مكانته الأدبية البارزة في الأدب العربي القديم شعراً ونثراً، فلم أجد سوى بعض الدراسات التي اتجهت إلى مكانته الشعرية، وتحقيق ديوانه الشعري، كدراسة وتحقيق حامد صدقي، ولكنها لم تتناول نثره ورسائله الأدبيّة، ولم أجد من الدراسات المتعلقة بالجانب النثري إلا القليل، كدراسة مأمون الجنان بعنوان، أبو بكر الخوارزمي بين شعره ونثره، من طباعة دار الكتب العلمية في بيروت، وهي تركز في جانبها النثري على أشكال النثر في القرن الرابع، وأغراض الخوارزمي النثرية، ودراسة للباحثة صبيحة قاسي بعنوان: الاستشهاد بالشعر في رسائل أبي بكر الخوارزمي، ولم أتمكن من الوصول إلى هذه الدراسة، وهو كما يظهر من عنوانه وملخصه يهتم بالشاهد الشعري ووظائفه، والتحويلات والقيم الجديدة في رسائله، كما ووقفت على عدد من الرسائل العلميّة لنيل درجة الماجستير، تهتم بالجانب التاريخي، ودراسة خصائص أدبه الفنيّة العامّة الشعرية والنثرية، ومنها: - أبو بكر الخوارزمي: حياته وأدبه، للباحث عائض بن سعد الحارثي، وإشراف الدكتور محمد نبيه حجاب، جامعة أم القرى عام ١٣٩٨هـ.

- أبو بكر الخوارزمي: حياته وأدبه، للباحث محمود صالح الضمور، وإشراف

الدكتور محمود غناوي الزهيري، جامعة بغداد، عام ١٩٧٩م.

- أبو بكر الخوارزمي وآثاره الأدبية: دراسة تحليلية نقدية، للباحث فاروق

الطيب بشير، إشراف الدكتور طلال أحمد العوض، جامعة أم درمان

الإسلامية، عام ٢٠٠٦م.

ومما سبق يلحظ بأن الدراسات لم تتناول دراسة التفاعلات النصية، والأشكال والآليات الأسلوبية، وتداخل الأجناس الأدبية في رسائل الخوارزمي، وهذا ما يعزم البحث على تجليتها من خلال تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث، يتناول المبحث الأول الإطار النظري للدراسة من الكشف عن مفهوم التناسق قديماً وحديثاً، ولحمة موجزة عن أبي بكر الخوارزمي ومكانته الأدبية، ومن ثم يتناول المبحث الثاني تجليات التناسق الأدبي في رسائل الخوارزمي، ويندرج تحت هذا المبحث التناسق الشعري، والتناسق مع الأمثال العربية، والتناسق مع الشخصيات الأدبية، والنصوص البليغة، والعبارات الجاهزة المتناسقة مع نصوصه، والتناسق الديني وأنواعه، كالتناسق مع الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والمصطلحات الدينية التي تتكرر في رسائله، والتناسق الفكري وأشكاله المختلفة التي امتزجت مع ثقافة أبي بكر الخوارزمي، فولدت عدداً من المعاني والأفكار الجديدة في شتى العلوم والمعارف، كما سيتناول المبحث الثالث آليات وأشكال توظيف التناسق في رسائله، ويندرج تحته أنواع الاقتباسات، والتضمين، والإحالات والتلميح، وسيختم البحث بخاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات، ثم قائمة مصادر البحث ومراجعته.

## المبحث الأول: الإطار النظري المفاهيم والمنطلقات

### ١) مفهوم التناص قديماً وحديثاً

إنَّ (التناس) أو التداخل النصي الذي يمثل اشتغلاً على نصوص أخرى لا يقلل من أهمية النص الذي ينهض جديداً، ولا يؤثر على قيمته الإبداعية، وجماله الأسلوبي "بل على العكس يؤكد سماته المتميزة بوصفه نصاً قائماً بذاته تجاوز غيره، أو تخطاه"<sup>(١)</sup>.

ومصطلح (التناسية) لقي عدداً من الاختلافات المنهجية، وكثرة التعاريف منذ لحظة انطلاقه مع رؤية كريستيفا (Kristiva) لكثرة الأقلام التي تناولته في النقد الغربي والعربي على السواء، فأشاعت فيه التعدد غير المحدود؛ وإن كان من الممكن أن يقرأ هذا الاختلاف والتعدد في السياق الإيجابي، إذ يُوضع في جانب من الثراء المعرفي لدراسة النصوص، وتعدد قراءاتها تبعاً لاختلاف الأشكال والآليات، وتعدد المناهج والنظريات، فهناك التناص الديني والأسطوري، والتناص الأدبي، والفكري، والأسلوبي ونحوها، والنص مهما كان ليس وليد ذاته، وإنما هو يلتحم مع عدد من الرؤى والنظرات، ويأتي بمدلولات جديدة، وسياقات بديعة، ولعلَّ مفهوم التناص وتعدد أشكاله وآلياته تتضح من خلال الإشارات الموجزة لمسيرة هذا المصطلح النقديّة.

لقد ظهر مصطلح التناص في الكتابات النقدية الغربية لدى طائفة من أبرز النقاد أمثال باختين Bachtine وجيرار جنيت G.Genette ورولان بارث

---

(١) نجم مفيد، التناص ومفهوم التحويل من شعر محمد عمران، موقف الأدب، العدد ٣١٩،

١٩٩٧م، ص ٤٧.

Barthe وجوليا كريستيفا Kristiva وتُعد كريستيفا الفرنسية ذات الأصول البلغارية رائدة هذا المصطلح، والتناصية لديها هي إحدى مميزات النص الأساسية، والتي تحيل على نصوص أخرى سابقة عنها، أو معاصرة لها، وظهرت التناصية عندها مع التحليلات التحويلية في النص الروائي<sup>(١)</sup>.

ويتكون كل نصّ لديها كموزاييك (فسيفساء) من الاستشهادات، كل نصّ هو امتصاص وتحويل لنص آخر، ويُقرأ الكلام الشعري على الأقل ككلام مضاعف<sup>(٢)</sup>. وتحدد النصّ كجهاز يعيد توزيع النصّ بالربط بين كلام تواصل يهدف إلى الإخبار المباشر، وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه، أو المتزامنة معه، فالنصّ إذن إنتاجية، وإعادة توزيع، وهو ترحال للنصوص وتداخل نصّي، وتتقاطع في فضاء نص معين ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى<sup>(٣)</sup>. وبعد شيوع التناصية لدى كريستيفا تسارع الكتاب إلى "تبني هذا المصطلح منهم: تودوروف، وريفاتير، وجيرار جينيت، ومثيل أرفي... وعندما وجدت كريستيفا شيوع مصطلح التناص، واستخدامه بالمعنى المبتذل، أي في نقد مصادر نص ما، فضلت عليه مصطلحًا آخر هو المناقلة، أو التحويل Transposition"<sup>(٤)</sup>.

---

(١) ينظر: سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت،

١٩٨٥م، ص ٢١٥.

(٢) ينظر: محمد خير البقاعي، آفاق التناصية، المفهوم والمنظور، ط ١، جداول، الكويت، ٢٠١٣م،

ص ١٢٠.

(٣) ينظر: جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، ط ٢، دار طوبقال، ١٩٩٧م، ص ٢١.

(٤) محمد عزام، النص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي، من مشورات اتحاد الكتاب العرب،

دمشق، ٢٠٠١م، ص ٨٦.

وعلى هذا فإنّ رائدة هذا المصطلح ترى أنّ التناصيّة تحويل التّعبيرات السابقة أو المتزامنة إلى أساليب جديدة، وأن كلّ نصّ يتشكّل من نصوصٍ عديدة حيث يغدو النصّ (التناص) خلاصةً لعدّة نصوصٍ، لم يبقَ منها سوى مادّتها بصياغة جديدة، فهو علاقة (تفاعل) بين نصوصٍ سابقة، ونصٍّ حاضر، أو هو تعالق نصوصٍ مع نصٍّ، حدث بكيفيّات مختلفة لتمنحه روحًا جديدةً، وتميّزًا فريدًا.

وإن كان هذا المصطلح قد ظهر لدى أعلام النّقد الغربي، فلا ينفي وجود مصطلحات عديدة في النّقد العربي القديم تتوافق مع هذا المفهوم، إذ هو مصطلحٌ جديدٌ لظاهرةٍ أدبيّةٍ ونقدية قديمة فـ "ظاهرة تداخل النصوص هي سمة جوهرية في الثقافة العربية حيث تتشكل العوالم الثقافية في ذاكرة الإنسان العربي ممتزجة ومتداخلة في تشابك عجيب ومذهل"<sup>(١)</sup>، ومن يتتبّع الكتب النّقدية القديمة في تراثنا العربي يجد لقضيّة (التناص) وجودًا بصور واضحةٍ، وأصولًا بمسميات مختلفة، وبأشكالٍ تقترب بمسافة كبيرة من المصطلح الحديث.

فقد فطنت الشّعيرة العربية القديمة لعلاقة النصّ بغيره من النصوص منذ الجاهلية، فالمقدمة الطللية مثلاً تعكس شكلاً لسلطة النصّ، وقراءةً أوليّةً لعلاقة النصوص ببعضها، وللتداخل النصّي بينها، فكون المقدمة الطللية تقتضي ذات التقليد الشّعري من الوقوف والبكاء على الأطلال، وذكر الدّمن، فهذا إنّما

---

(١) عبدالله الغدامي، ثقافة الأسئلة (مقالات في النّقد والنظرية) ط ٢، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ١٩٩٢، ص ١١٩.

يفتح أفقًا واسعًا لدخول القصائد في فضاء نصي متشابك، ووجود تربة خصبة للتفاعل النصي<sup>(١)</sup>.

كما أنَّ الموازنة التي أقامها أبو القاسم الآمدي (ت ٣٧٠هـ) بين أبي تمام (ت ٢٣١هـ) والبحتري (ت ٢٨٤هـ) تعكس شكلاً من أشكال (التناص) بمفهومه الجديد، وكذلك المفاضلة بين المتنبي (ت ٣٥٤هـ) وخصومه عند القاضي الجرجاني (ت ٣٩٢هـ) في كتابه الوساطة تعد جانباً من جوانبه، وإنَّ ما تردد في كتب النقد القديم من مفاهيم متعددة لدى النقاد تؤكد مفهوم التفاعل النصي، كمصطلح السرقات الشعرية، والمعارضات الأدبية التي تعددت مدلولاتها عند كثيرٍ من النقاد، كالأخذ والاحتلاب والإغارة لدى ابن سلام الجمحي (ت ٢٣٢هـ)<sup>(٢)</sup>، والأخذ والتنازع عند الجاحظ (ت ٣٥٥هـ)<sup>(٣)</sup> والأخذ والاتباع عند ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)<sup>(٤)</sup> ونحوها، ولكن لفظ السرقة شاع لديهم بشكل واسع، كسرقات أبي تمام للقطرلي، وسرقات البحتري من أبي تمام لبشر بن يحيى النصيبي، والإبانة عن سرقات المتنبي للعميدي (ت ٤٣٣هـ) وسرقات الشعراء وما اتفقوا عليه لابن السكيت (٢٤٠هـ) وغيرهم.

---

(١) ينظر: محمد بنيس، الشعر المعاصر، ط١، دار توبقال، المغرب، ١٩٩٠م، ص ١٨  
(٢) ينظر: ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، د.ت، ١٥٨/١ و ١٤٨/١ و ٧٣٣/٢.

(٣) ينظر: أبو عثمان الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت، ١٩٩٦م، ٣١١/٣، ويُنظر: البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط٧، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م، ٣٧/٣.

(٤) ينظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م، ١١١/١ و ٢٠٨.

وإنّ هذه المصطلحات المتداولة في كتب التراث تُظهر بشكلٍ جلي مدى تأصل مصطلح (التناص) في التراث العربي، يقول ابن رشيق (ت ٤٥٦هـ) في العمدة: "وهذا باب متّسع جداً لا يقدر أحدٌ من الشعراء أن يدّعي السّلامة منه، وفيه أشياء غامضة، إلا عن البصير الحاذق بالصّناعة... وقد أتى محمد بن الحسن الحاتمي (ت ٣٨٨هـ) في حلية المحاضرة بألقاب محدثة تدبرتها ليس لها محصول إذا حققت، كالاصطراف، والاجتلاب، والانتحال، والاهتدام، والإغارة، والمرافدة، والاستلحاق، وكلها قريب، وقد استعمل بعضها في مكان بعض" (١).

ولا تُعد السّرقَة من مساوئ الشعراء؛ لشيوعه وذبوعه بينهم من جهة؛ ولأنّه يضيف للنّص الجديد جمالاً وإبداعاً من جهة أخرى، يقول صاحب الموازنة: "إنّ من أدركته من أهل العلم بالشّعر لم يكونوا يرون سرقات المعاني من كبير مساوئ الشعراء، وخاصّة المتأخّرين، إذ كان هذا باباً ما تعرّى منه متقدّم ولا متأخّر" (٢)، وإن كان شيوع هذا المفهوم لدى النقاد قديماً قد ظلم إلى حد كبير مسيرة مصطلح التناص، وتفاعل النصوص الإيجابي الذي يعدّ تجديدًا للكتابة، وإثراء للمعاني.

ويؤكّد هذا المعنى صاحب الموشّح حيث يقول: إنّ الشاعر "لا يُعذّر في سرقة حتى يزيد في إضاءة المعنى، أو يأتي بأجزل من الكلام الأوّل، أو ينسخ له بذلك معنى يفضّح به من تقدّمه ولا يفتضح، وينظر إلى ما قصده نظر

(١) ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٥،

دار الجيل، بيروت، ١٩٨١م، ٢/٢٨٠.

(٢) الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري، تحقيق: أحمد صقر، ط ١، دار المعارف، القاهرة،

١٩٦١م، ١/٣٢٦.

مستغن عنه لا فقير له"<sup>(١)</sup>، فهو يرى السرقة إعادة إنتاج للمعنى، وتحويل السياقات الأسلوبية والموضوعية إلى سياقات جديدة. كما أنّ نظرة أبي عبدالله المرزباني (ت ٣٨٤هـ) المبكرة تومئ إلى وظيفة التناص وتحليلاته إذ النص الجديد هو مجموعة أصوات من نصوص سابقة، وهي إشارة بأن لفظ السرقة لم يعد المصطلح الجدير بالتعبير عن نظرية تعانق النصوص، وتداخل الأجناس التي وقفوا عليها عند قراءتهم النقدية، ولهذا نجد أنهم يصنفون السرقات، ويضعون لها مصطلحات كثيرة متدرّجة، مما يشي بقصور مصطلح السرقة بمفهومه السلبي عن بلوغ مرادهم؛ لذا تتابعت الأبحاث، وتطورت النظرات عبر مسيرة النقد الأدبي باحثة عن المصطلحات المناسبة للقضايا الأدبية، والدراسات النقدية.

وهذا ما يفسّر ظهور عدد من المصطلحات التي تتقارب وتختلف تحت مسميات نقدية متماثلة في النقد القديم، كالانتحال والإغارة، والمواردة والمرافدة، والاجتلاب والاستلحاق، والاصطراف والاهتمام، ويضيف الحاتمي إلى جانب هذه المصطلحات مصطلح الاشتراك في اللفظ "وقد اعتبر قومٌ هذا سرقةً، وليس بسرقة، وإنما هي ألفاظٌ مشتركة محصورة يضطر إلى المواردة فيها... فأما الحكم في الاحتذاء والاتباع، فإن المحتذي إذا تناول المعنى فكشف قناعه، وأصفى شربه، وطوى سربه وأرهف لفظه، وأحسن العبارة عنه، واختار الوزن الرشيق له، حتى يكون بالأسماع أشدّ علقاً، وفي النفوس ألطف مسلّكاً، كان أحق به،

---

(١) محمد بن عمران المرزباني، الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، أخرجه: محي الدين عبد الحميد،

ط ٢، مطبعة السلفية، ١٩٣٧م، ص ٣٨٨.

ولا سيما إذا أخفى مسراه وأسر مجراه وذكر الاتباع والاقتفاء والالتقاط والتلفيق، وهي ترقية الألفاظ وتلفيقها"<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من دراسة الموازنات والسِّرقات والجدل الطويل الذي دار بين النقاد القدامى حول هذه المصطلحات، ودراسة أهم ظواهرها النقدية التي تتفاوت فيها الصلة بين النص الجديد والنص القديم، إلا أن هذا الجهد يدل على انشغال الثقافة العربية القديمة بعلاقة النصوص ببعضها البعض، وإدراك النقاد القدامى " للغة والأسلوب من جهة، وبنية الخطاب من جهة أخرى، وهكذا أنزلوا الأولى منزلة السَّرقة، والثانية منزلة الإجمار الذي هو شرطٌ أسبق في بناء الخطاب "<sup>(٢)</sup>، وبذلك قد أدرك النقاد العرب القدماء مضمون (التناص). وإنَّ تردّد هذه المصطلحات في التراث العربي لا يعد أمرًا غريبًا؛ لأنَّ التناص بمفاهيمه المختلفة أمر لا بدّ منه في العمل الأدبي، و"ذلك لأن العمل الأدبي يدخل في شجرة نسب عريقة وممتدة تمامًا مثل الكائن البشري، فهو لا يأتي من فراغ كما أنه لا يفضي إلى فراغ، إنّه نتاج أدبي لغوي لكل ما سبقه من موروث أدبي، وهو بذرة خصبة تؤوّل إلى نصوص تنتج عنه"<sup>(٣)</sup>.

وإنَّ دراسة التناص في الأدب الحديث قد انصبت أول الأمر في حقول الأدب المقارن، ثمّ دخل الباحثون العرب في إشكالية المصطلح نتيجة لاختلاف الترجمات والمدارس النقدية، فمحمد بنيس يطلق عليه مصطلح (النص الغائب)

---

(١) محمد بن الحسن الحاقمي، حلية المحاضرة في صناعة الشعر، تحقيق: جعفر الكناي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٧٩م، ٢/ ٩٢.

(٢) محمد بنيس، الشعر المعاصر، مرجع سابق، ص ١٨٣.

(٣) عبدالله الغدامي، ثقافة الأسئلة، مرجع سابق، ص ١١١.

والتداخل النصي، وهجرة النص، ومحمد مفتاح يعرفه بـ(التعالق النصي) فقال "التناص هو تعالق - الدخول في علاقة- نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة"<sup>(١)</sup>.

وقد أثر سعيد يقطين استعمال مصطلح التفاعل النصي، ويرى أنه أعمّ من التناص، وأفضل من " التعاليات النصيّة، التي تقابل Transtextualite عند جنيت؛ لدالتها الإيحائية البعيدة، فيما أن النص ينتج ضمن بنية نصية سابقة، فهو يتعالق بها، ويتفاعل معها تحويلاً أو تضميناً أو خرقاً، وبمختلف الأشكال التي تتم بها هذه التفاعلات"<sup>(٢)</sup>.

وقد عرفه أحمد الزعبي في دراسة تناولت التناص نظرياً وتطبيقياً بتعريف شامل للمفهوم والأشكال، وبمصطلحات التراث العربي بقوله: هو " أن يتضمن نص أدبي ما نصوصاً أو أفكاراً أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين أو الإشارة أو ما شابه ذلك، من المقروء الثقافي لدى الأديب بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي، وتُدغم فيه ليتشكل نصٌ جديدٌ واحدٌ متكامل"<sup>(٣)</sup>.

بل نجد الزعبي يؤكد ما نعتقده، وما سبق الإشارة إليه بأنّ مصطلح التناص وغيره كثير من المدارس الأدبية الحديثة لها أصول في النقد العربي القديم بمسميات

---

(١) محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، ط٣، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٢م، ص ١٢١.

(٢) سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، ط٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٨٩م، ص ٩٨.

(٣) أحمد الزعبي، التناص نظرياً وتطبيقياً، ط٢، مؤسسة عمون للنشر، عمّان، ٢٠٠٠م، ص ١٢.

مختلفة تأتي في نهاية الأمر إلى مدلول واحد، فيقول: "إنَّ موضوع التناص ليس جديدًا تمامًا في الدراسات النقدية المعاصرة، وإن جذوره تعود في الدراسات الشرقية والغربية إلى تسميات ومصطلحات أخرى، كالإقتباس والتضمين والاستشهاد والقرينة والتشبيه والمجاز والمعنى وما شابه ذلك في النقد العربي القديم، فهي مصطلحات أو مسائل تدخل ضمن مفهوم التناص في صورته الحديثة، لكنه يؤشر إلى مسألة هامة تتمثل في التفاوت الحاصل في رسم حدود المصطلح وتحديد موضوعاته، ولعل هذه الإشكالية المنهجية تتجاوز مفهوم التناص إلى غيره من النظريات النقدية الحديثة وما بعد الحديثة نظرًا لتعدد الاتجاهات والتيارات النقدية التي تنشأ داخل كل نظرية من تلك النظريات"<sup>(١)</sup>. وعلى هذا النحو، فقد أضاف النقاد العرب المعاصرون الكثير من الإضافات حول مصطلح (التناس) وتناولوه بالدراسة والتعريب، وهي دراسات ذات قيمة لا تتسع هذه الدراسة، وهي في مقام التمهيد لبسط هذه الآراء وتتبعها، ولكنها كلها تدور حول جوهر التناص الذي يصب في النهاية في كونه تأثر نصّ بنصّ سابق، أو معاصر بأشكال وآليات مختلفة، وهي ما ستحاول الدراسة تناوله من خلال رسائل أبي بكر الخوارزمي.

## ٢) أبو بكر الخوارزمي ومكانته الأدبية

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي المعروف بأبي بكر الخوارزمي، الشاعر المشهور يقال له: الطبرخزي؛ لأن أمه كانت من خوارزم، وأبوه من

(١) المرجع نفسه، ص ١٩.

طبرستان، فنسب إلى البلدين جميعاً، وكان أوحده عصره في حفظ اللغة والشعر، وهو ابن أخت أبي جعفر بن جرير الطبري<sup>(١)</sup>.

ولد أبو بكر الخوارزمي سنة ٣٢٣هـ، وخرج من وطنه في حدثه، وطوف البلاد، ولقي سيف الدولة بن حمدان وخدمه، وورد بخارى، وصحب الوزير أبا علي البلعمي فلم يحمد به وهجاه، وبنيسابور اتصل بالأمير أحمد الميكالي ومدحه، وقصد سجستان، ومدح واليها طاهر بن محمد، ثم هجاه فحبسه، ثم خلاص وسار إلى غرستان، فاتفق له مع واليها ما اتفق له مع والي سجستان، وفارقه هاجياً له، وعاد إلى نيسابور فقصد حضرة صاحب، فربحت تجارتها<sup>(٢)</sup>.

وحول مكانة أبي بكر الخوارزمي الأدبية قال عنه التتالي إنّه: "بجر الأذب، وعلم النثر والتظم، وعالم الفضل والظرف، وكان يجمع بين الفصاحة العجيبة والبلاغة المفيدة، ويحاضر بأخبار العرب وأيامها ودواوينها، ويدرس كتب اللغة والنحو والشعر، ويتكلم بكل نادرة، ويأتي بكل فقرة ودرة، ويبلغ في محاسن الأذب كل مبلغ، ويغلب على كل محسن بحسن مشاهدته، وملاحة عبارته، وبراعة جدّه، وحلاوة هزله، وديوان رسائله مخلّد سائر، وكذلك ديوان شعره"<sup>(٣)</sup>.

---

(١) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق، إحسان عباس، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٩٧١م، ٤/٤٠٠.

(٢) ينظر: جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، ١/١٢٥.

(٣) التتالي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: محمد مفيد قميحة، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م، ٤/٢٢٣.

وكلام الثّعالي شامل كافٍ لبيان براعته في فني الأدب شعرًا ونثرًا، كما أنه امتدح ديوان رسائله الذي خلد لدى الناس؛ لتنوع موضوعاته وأغراضه، وجمال صياغته وصناعته، ولجمعه بين ملاحاة العبارة، ومحاسن الأدب في الجد والهزل، والشعر والنثر.

وعن سعة ثقافته، وغزارة علمه وأدبه أورد ابن خلكان خبرًا عن الخوارزمي يكشف جانبًا من علو مكانته، وسمو منزلته بين أدباء عصره، وأنه كان إمامًا في علوم اللغة والأنساب، وأحد مشاهير عصره في الشعر والنثر حيث يقول: "يحكى أنّه قصد حضرة ابن عبّاد وهو بأرجان، فلما وصل إلى بابه قال لأحد حجابيه: قل للصاحب على الباب أحد الأدباء، وهو يستأذن في الدخول، فدخل الحاجب وأعلمه، فقال الصّاحب، قل له: قد ألزمت نفسي أن لا يدخل عليّ من الأدباء إلا مَنْ يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب، فخرج إليه الحاجب وأعلمه بذلك، فقال له أبو بكر: ارجع إليه وقل له: هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء، فدخل الحاجب، فأعاد عليه ما قال، فقال الصّاحب: هذا يريد أن يكون أبا بكر الخوارزمي، فأذن له في الدخول، فدخل عليه فعرّفه وانبسط له"<sup>(١)</sup>، وقد أقام الخوارزمي بالشّام مدةً، وسكن حلب، وتوفي بنيسابور سنة ٣٨٣هـ<sup>(٢)</sup>.

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م، ٦/٢٥٤٣.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مرجع سابق، ٤/٤٠٠.

## المبحث الثاني: تجليات التّناس في رسائل أبي بكر الخوارزمي: الأشكال

يلحظ النّاطر في رسائل أبي بكر الخوارزمي اعتماده بشكل لافت على التّفاعلات النّصيّة، وتداخل الأجناس الأدبيّة والدينيّة والفكريّة مع نصوصه، حتّى لا تكاد تخلو رسالة من الاتّكاء على عدد من المتناصات المختلفة التي التحمت مع النص بإبداعيّة كاتبها الذي أخفى مسراه، وأسّر مجراه، حتى أضحت نصّاً واحداً، وكانت كما أشار إليه النّقاد من قبل بالأسماح أشدّ علقاً، وفي النفوس ألطف مسلّكاً.

كما أنّ الخوارزمي بثقافته الموسوعيّة نسج رسائله بأنواع الثقافات العلمية واللغوية، والفكرية والطبية وغيرها، ووظف أشكال التراث بمهارة إبداعيّة، وبآليات تتنوّع بين المباشر وغير المباشر، وبين الإحالة والتلميح، والاقتراب والتّضمين كما يتضح ذلك في موضعه من هذه الدراسة، ولم يكن هذا التناغم والتفاعل النّصي يقلّل من قيمته الإبداعية، وإنما أضفى لأسلوبه جمالاً وإبداعاً، وللمعنى تأكيداً ورسوخاً، ويؤكد نظرية الحوار بين الأجناس الأدبيّة التي تقوم على عدم انغلاق الجنس الأدبي على نفسه.

ولعلّ أبرز هذه الأشكال التي تصدرت رسائله، وتفاعلت مع نصوصه كانت على النّحو التالي:

### (١) التّناس الأدبي

شكّل النّص الأدبي بقوالبه المتنوعة ظاهرة فنيّة، ودلالة معنوية بارزة في رسائل أبي بكر الخوارزمي، حيث كان حضور هذه الأجناس الأدبيّة متفاوتاً حسب ما يستدعيه المقام، وما تنسجم معه الأساليب، فتارة يثري الرّسالة

بالشعر العربيّ الذي تتنوع آليات توظيفه في سياقات مختلفة، حيثُ نجده في موضع يذكر الشاعر وأبياته التي تتفاعل مع غرضه، وتارة أخرى يستدعي البيت دون إشارة إلى قائله، أو يذكر صدر بيت أو عجزه متداخلاً مع أسلوبه، كما نجد أسماء الشعراء والكتّاب تتماهى مع موضوعاته التي يؤكد بها أفكاره، ويثري بها موضوعه، ومن ناحية أخرى يتضمن كلامه أطرافاً من بليغ كلام العرب، كالأمثال والأقوال البليغة التي تتداخل مع نصوصه بأسلوب فنيّ بديع.

إن تعدد الأصوات الأدبيّة، وتداخل وتجاوز الأجناس الماثورة في رسائل الخوارزمي هو ما يعرف بالنظرية الحوارية التي أسسها باختين Bachtine في النص الروائي، إذ كلّ خطاب لديه ذو صيغة حوارية: "يمكن أن نجد مكانها بدون أن تكون لها نبراتها في مجموع الأجناس الشعرية بما في ذلك الشعر؛ لكنّها داخل الجنس الروائي، وفيه وحده تستطيع أن تتطور، وأن تصبح معقدة وعميقة، وفي نفس الآن تدرك اكتمالها الأدبي" (١).

وعلى هذا النحو بنى الخوارزمي رسائله على أساس من التفاعل مع نصوص التراث الأدبي، فظاهرة "تداخل النصوص هي سمة جوهرية في الثقافة العربية حيث تتشكل العوالم الثقافية في ذاكرة الإنسان العربي ممتزجة ومتداخلة في تشابك عجيب ومذهل" (٢)، لذا كان ارتباط الخوارزمي بالتراث الأدبي ارتباطاً وثيقاً على اختلاف أشكال هذا التناص الأدبي الذي يأتي تارة ظاهراً، لا سيما

(١) ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، ط ١، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٥٣.

(٢) عبدالله الغدامي، ثقافة الأسئلة (مقالات في النقد والنظرية) مرجع سابق، ص ١١٩.

في الشعر، بحيث" يعرض فيها المحاور الشواهد من أقوال الغير مثل النقل، والتضمين، والحكاية، والعننة، والشرح، والاقتباس والتعليق"<sup>(١)</sup>، وقد كثر هذا النوع في رسائله؛ إذا نجدد بياشر النص بلغته، وهو ما يسمى أيضاً التناص المباشر، وهو" أن يقتبس النص بلغته التي ورد فيها، مثل الآيات والأحاديث والأشعار والقصص"<sup>(٢)</sup>، وقد يأتي غير ظاهر في النص، وسنحاول الكشف عن أبرز تجلياته على النحو التالي:

## ١-١: التناص الشعري:

يعدُّ الشَّعر ديوان العرب، وسجِّل حضارتهم، ورمز بياتهم وفصاحتهم، وقد جعله عمر الفاروق رضي الله عنه: "علم قوم لم يكن لهم علمٌ أصحَّ منه"<sup>(٣)</sup> وهو ما جعل العرب تؤدِّب أولادها على روايته وحفظه، فيقولون: "رووا أولادكم الشعر، فإنَّه يحلّ عقدة اللسان، ويشجّع قلب الجبان، ويطلق يدَّ البخيل، ويحض على الخلق الجميل"<sup>(٤)</sup>.

وقد تنبَّه النقاد والكتّاب القدامى لأهميّة الشَّعر ومنزلته، وأنّه مستودع العلوم والمعارف، وحافظ الآداب والشمائل، فيقول ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) مبيِّناً أهميّة الشَّعر عند العرب، وأنَّ الله تعالى أقامه: "مقام الكتاب لغيرها، وجعله لعلومها

(١) طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٧م، ص ٤٧.

(٢) عبدالباسط مرشدة، التناص في الشعر العربي الحديث (السياب ودنقل ودرويش أنموذجاً) ط١، دار ورد للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠٠٦م، ص ٦١.

(٣) ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشّعراء، مرجع سابق، ٢٤/١.

(٤) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، مرجع سابق، ٢٧/١.

مستودعاً، ولأدائها حافظاً، ولأنسائها مقيّداً، ولأخبارها ديواناً لا يَرثُ على الدَّهر، ولا يبيدُ على مَرِّ الزَّمان، وحرسه بالوزن والقوافي، وحسن النَّظم، وجودة التَّحبير، من التَّدليس والتَّغيير، فمن أراد أن يُحدث فيه شيئاً عَسَرَ ذلك عليه، ولم يخف له كما يخفى في الكلام المنثور<sup>(١)</sup>.

وإنَّ الخوارزمي قد أجاد في توظيف الشعر العربي في رسائله، والإفادة من تضمينه لنصوصه؛ لكونه شاعراً مجيداً يدرك جماليات الشعر وفنونه، ولما يتسم به من ثقافة واسعة، وذاكرة أدبيّة حافظة، فنجدته قد لَوَّن نصوصه النثرية بألوان من الأبيات الشعريّة التي تتوافق مع مقاصده وغاياته من جهة، وبنائه الفني، وأسلوبه النثري الذي بلغ فيه شأواً بعيداً من الإجادة والإبداع من جهة أخرى. كما إنَّ أبا بكر الخوارزمي لم يقف عند نصٍّ معيّن أو شاعر محدّد حين وظّف الشعر في رسائله، بل نجده قد أطلق العنان للأجناس الأدبيّة أن تتجاوز وتتجاوز في تناغم بديع تقوده مهارة المبدع، وقدرته الأسلوبية، حتّى إنّه حقق الغاية من تداخل هذه الأجناس معنى ومبنى، واستطاع أن يسخر هذه النصوص لخدمة أغراضه وموضوعاته، وجعلها ناطقة بلسانه وأسلوبه، ولا تتأثّر إلا لمن يملك الموهبة الأدبيّة الكاملة، والمقدرة الأسلوبية البارعة، ولن تستطيع هذه الدراسة الموجزة أن تقف على كلّ الاستدعاءات الشعريّة في رسائله؛ لكثرتها وتنوعها، وتحتاج إلى دراسة مستقلّة تتناول سياقاتها وآلياتها الأسلوبية، وسأنتخب منها ما يمثّل جوهر التناس، وتداخل الأجناس فحسب، ولعلَّ أوّل

(١) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرحه: السيد أحمد صقر، ط ٣، المكتبة العلمية، المدينة المنورة،

تفاعل شعريّ نجده في رسائله قوله من رسالة إلى الحاجب أبي إسحاق يواسيه في نكته: "وأقضي بذلك حق عضتك، وأخرج من عهدة ما يلزمني في هدايتك، وبين ألين مسّ قولي لك، فتبقى في نفسي حاجة من نصيحتك، فرأيت الأول عليّ أوجب، وإلى الصّواب أقرب، هذا وأنا أقول:

أخوك الذي إن أجزتكَ مِلْمَة من الدّهر لم يبرح لبّثك واجما  
ولا أقول:

وليس أخوك بالذي إن تشعبت عليك أمور ظلّ يلحاك دائما  
أصاب المرقش — أيّدك الله — في بيت الواجم، ولم يُصب في بيت اللائم<sup>(١)</sup>، فإنّ توظيف بيتي المرقش يأتي في سياق النصّح والإرشاد لأبي إسحاق الحاجب، لذا عمد الخوارزمي إلى هذين البيتين لدعم غرضه، لما للشعر في نفس المتلقي من مكانة، وما يمثله البيتان من تجلية الأخوة الصّادقة وضدّها في نفسه، فكان هذا الاستدعاء أفضل إقناعاً، وأقوى تأثيراً، وقد نسب البيتين للشاعر في سياق الرسالة لما له من قيمة بين شعراء العصر الجاهلي، وليس هذا الاعزاء مطرّداً في كل استشهاداته الشعريّة.

وفي الرسالة نفسها يقع التناص الشعري في سياق آخر دون أن ينسب البيتين لصاحبها، وذلك حين يطرح قضية تطلب الدعم والاستدلال، فمقابلة الإحسان بالنكران، والمعروف بالبغي والعدوان من القضايا التي تقتضي تأكيداً واستدلالاً، لا سيما حين يُستعان على المحسن بما أسداه للمنكر من النعم،

---

(١) أبو بكر الخوارزمي، رسائل أبي بكر الخوارزمي، تصحيح: محمد قطة العدوي، مطبعة الجوائب،

١٢٩٧م، قسطنطينية، ص ٢-٣.

فيقول: " ولا تكتب حسنته في جريدة سيئته، ولا تسلّ عليه من لسانك سيفاً يده صقلته، ولا تُشرع إليه من كلامك رمحاً كفه قومه: "

لقد جازيتُ بالإحسانِ سوءاً إذنٌ وصَبَّغتُ عُزْفَكَ بالسَّوَادِ

وَسِرْتُ أَسْوَاقَ عَيْرِ اللَّؤْمِ حَتَّى أَنْخَتُ الْكُفْرَ فِي دَارِ الْجِهَادِ<sup>(١)</sup>

فيا أيُّها الرّجل، وكلّكم ذلك الرّجل، كم تهتكون حجب العوارف بيد الكفران، وكم تصافحون النعم بالبغي والعدوان<sup>(٢)</sup>.

إنّ هذا التناصّ أتى ممزوجاً بالغرض، ومناهضاً للموضوع الذي أراد الخوارزمي ترسيخ دعائمه بهذين البيتين، فمجازاة الإحسان بالكفران والجحود في الرسالة يشابه من يصبغ المعروف بالسّواد في البيتين، ومن ينيخ كفران النعمة في دار مجاهدتها معنى مستعار من بيت أبي تمام؛ ليصور به حال المتلقي، ويدعم به سياق الرسالة الثّري تأكيداً للمعنى، وجمالاً وتنوعاً في الأسلوب.

ومن بديع التناصّ الشعري لدى الخوارزمي الذي أخذ بُغْداً مزدوجاً في الدّلالة والتّضمين ما نجده في استدعائه بيتي الحكمة المتناقضين لأبي الطيّب المتني(٣٥٤هـ)؛ ليصل من خلاهما إلى أنّه لا يمدح حين يمدح إلا من حبّ ووفاء، ولا يتقلب في الطباع مع الممدوح طلباً للنيل والعطاء، يقول: " ونظرتُ إلى أبي الطيّب المتني، وإلى تناقض حكمته، وتفاوت طريفي فعلته، حيث قال في سيف الدّولة (٣٥٦هـ): "

لا تطلبنّ كريماً بعد رؤيته إنّ الكرام بأسخاهم يداً ختموا

(١) الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، تحقيق: راجي الأسمر، ط ٢، دار الكتاب العربي، بيروت،

١٩٩٤م، ٢٠١١.

(٢) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، مصدر سابق، ص ٥.

وقال في كافور الإخشيدي:

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقلَّ السواقيا  
فقد باع من الوفاء علقًا خطيرًا، واعتاض من الطمع ثمنًا يسيرًا، وحال  
ضباب الحرص والرجاء بينه وبين العهد والوفاء... فلا جرم أنّ الناس كما  
استحسنوا قوله، استقبحوا فعله، وكما أعجبوا بشعره، تعجبوا من غدره<sup>(١)</sup>.  
فقد كان التناص الشعري مع بيتي المتنبي مقترنًا بالتّقد له لتناقض موقفه،  
وتغير نظرتة في الممدوح مع تغير حاله، وقد كان هذا التصوير في سياق إثبات  
وفائه في مدح الوزير، وأنّ وفاءه له لا يحمله على مدح وشكر غيره، كما فعل  
المتنبي، وأنّه لا ينطق لسانه بشكرين، ولا يتّسع قلبه لمحبة اثنين، وإنّما فتح له  
مغاليق فكره، ودفع إليه مقاليد نظمه ونثره.

ولما يتبوأ المتنبي من مكانة لدى الخوارزمي، وما لشعره وحكمه من ذبوع  
وقبول في نفوس الناس، نرى الخوارزمي يكثر من التناص مع شعره في سياقات  
مختلفة من رسائله، منها سالة له في التّعزية لأحد أصدقائه يقول: " والموثُ  
خطبُ ثقل حتى خفّ، وكثُرَ حتّى قلّ، وهان على الباقي، لما رآه بالماضي،  
وعلى المعزي لما رآه في المعزّي، ودخل الجميع تحت قول المتنبي:  
يُدفنُ بعضُنا بعضًا ويمشي أواخرُنا على هام الأوالي

(١) المصدر نفسه، ص ٦، والبيت في ديوان المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري، تحقيق: إبراهيم السقا  
وأخرا، ط ١، دار المعرفة، بيروت د.ت، ١/٢٣.

وشيخي أعرف بالله، وأقرأ لكتاب الله، وأروى لأخبار رسول الله، من أن يتأدب بغير أدب الله، ولا يسلم لقضاء الله"<sup>(١)</sup>.  
فقد استطاع الكاتب أن يطوع الشعر لمقصده في التعزية، والتخفيف من ألم صديقه ومصابه بمهارة الاستدعاء الموافق لسياق الغرض، وبجمال تعانق جنسي الأدب لتجلية المعنى وتأكيده، وإن كان الخوارزمي قد وافق مع المتنبي في رسالة التعزية هذه، فإننا نجده يحمل عليه في رسالة تعزية أخرى، حيث استخدم عنصر المقارنة بين تعزيتيه لأخت الوزير ابن عباد، وبين تعزية أبي الطيب المتنبي في أخت سيف الدولة، وأراد من خلال تناصّه مع المتنبي طرح قضيتين في التعزية بالنساء، فلا مجال لديه من ذكرهن وذكر ماثرهنّ في المجالس، ولا من وعظ الوزير وتذكيره وتنبيهه في هذا المقام كما فعل المتنبي، وأنّه لو أراد ذلك لأسعفته قريحته بالخواطر، يقول: "المصيبة التي قرعت صفاء الوزير في المتوفاة رزّى الله عملها، وحقق في المغفرة أملها... فإنّي أغار لجنة الوزير من ذكر النساء أولاً، وأتطير لنعمته من أن تجللها التعازي والمراثي ثانياً، وأنف له من أن أقيمه مقام من يوعظ وينبّه ثالثاً، وإلا فالقريحة بحمد الله تعالى متدفقة، والخواطر مجيبة، والشعر ليس بعازب، والشيطان ليس بغائب، والطريق الذي نهجه الوزير لنا في الأدب عامر، ومسلوك لا متروك، وقد كان أبو الطيّب عزى سيف الدولة (ت ٣٥٦هـ) عن أخت له، فقال:

يَعْلَمَنَّ حِينَ تُحْيَا حُسْنَ مَبْسِمِهَا وَلَيْسَ يَعْلَمُ إِلَّا اللَّهُ بِالشَّنَبِ

(١) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، مصدر سابق، ص ١٤٧، والبيت في ديوان المتنبي، شرح العكبري، ١٦٦/١.

ولو عزّاني إنسانٌ في أحتٍ لي بمثل هذا لألحقته بها، وضربتُ رقبتَه على قبرها، ولا مجال للهمّ والغمّ بين عزاء الأمير وبهائه"<sup>(١)</sup>، وقد وافق الخوارزمي في نقده للمتنبي أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، فعده من سوء الأدب بالأدب، حيث يسلم على حرم الملوك، ويذكر منهنّ ما يذكره المتغزل<sup>(٢)</sup>.

ونجد التناص الشعري لدى الخوارزمي يتنوّع بتنوّع أغراض الرّسالة، ومواقف الأصدقاء والكتّاب، من ذلك قوله في رسالة له إلى حاجب الوزير بن عبّاد حين انقطعت عنه كتبه: "ولا أنسى تلك الأيام الطّويلة القصيرة بصحبته، والليالي المظلمة القمرية بطلّته، ولا تفكر في صغر حجم المقام، وتقارب خطو تلك الأيام، إلا أنشدت:

لم أستتمّ عناقه للقائه حتى ابتدأت عناقه لوداعه

وإذا كان في قصّة الشعراء، وفي شريطة الوصافين والبلغاء، أنّ الوقت الطيّب قصير وإن لم يقصر، كما أنّ غيره كبير وإن لم يكبر، فعلى هذا القياس إن أيامنا قصيرة مرّتين، وقليلة من جهتين"<sup>(٣)</sup>.

لقد كان التّفاعل النصّي مع بيت لأبي الفتح محمود بن الحسين المعروف بكُشاجم (ت ٣٦٠هـ) في قصر الزيارة، وقد عدّه أبو منصور

(١) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، مصدر سابق، ص ٨٤.

(٢) ينظر: الثعالبي، أبو الطيب المتنبي وماله وما عليه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة

الحسين التجارية، القاهرة، ص ٨٧.

(٣) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، مصدر سابق، ص ٨٤.

الثعالبي(ت٤٢٩هـ) من أحسن محاسنه في خفة الزيارة<sup>(١)</sup>، وقد كان موافقاً للمعنى الذي أرادته الكاتب حيث أرادته استشهداً على قصر مدّة التلاقي بينهما، وجعل المقياس هو كلام الشعراء والبلغاء، بل نجده يردد هذا البيت في سياق الشوق، وسرعة الوداع في رسائل أخرى، ويصرح باسم الشاعر وكثرة إنشاده بيته الشعري الذي يوافق مقصده، كقوله لأبي سعد أحمد بن شبيب: "ما كان أقرب المسافة بين لقاء صاحب الجيش وبين فراقه، وما أكثر ما أنشدت بيت كُشاجم في وداعه وفراقه:

لم أستتمّ عناقه للقاءه حتى ابتدأت عناقه لوداعه

كأنّه كان ذلك الرّجل قائماً معنا، أو كأنّه قال هذا البيت لنا، ولقد كانت الأيّام بلقاء صاحب الجيش طويلة الوعد، قصيرة الرّفد، فإتّهام طلّتي بلقاءه سنين طويلة، ثم أسعفتني به ساعات قصار، فبينما أشكو مطلعها، إذ صرّْتُ أشكو بخلها، وبينما أنا استدرك عليها الماضي، إذ أصبحت اطلب إليها الباقي، وبينما أنشد:

أيا ليلة الوصل لا تنفدي ويا ليلة لبعْد لا تنفدي<sup>(٢)</sup>

غدوتُ أنشد:

(١) ينظر: أبو منصور الثعالبي، أحسن ما سمعت، ضبط حواشيه: خليل عمران المنصور، دار الكتب

العلميّة، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٢٤.

(٢) هذا البيت منسوب لابن أبي فنن. يُنظر: أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، شرح وضبط: أحمد

حسن بسج، ط ١، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٣٣٣.

هذا الذي قيل له أطيب ما كان في<sup>(١)</sup>

ولعمري إني موسر من الصبر، قوي بنية القلب والصدر<sup>(٢)</sup>.

إنّ المتأمل في هذا النص يجد الأصوات المتعددة تتفاعل لتؤدي غرض الكاتب، وتعبّر عن مكنونه، بل نراه نظرية الاندماج في التناص حقق غايته حين يتخيّل الكاتب الشّاعر كشاحم حاضرًا لقاءهم، وواصفًا حالهم، وهذا التناص بلغ غايته في التّحاور بين الجناس الأدبيّة، بحيث "تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النصّ الأصلي، وتُدعّم فيه ليتشكل نصّ جديدٌ واحدٌ متكامل"<sup>(٣)</sup>.

كما نجد تداعي التناص يبرز في رسائله في مقام التّعازي، فتتعدد الأصوات النثرية والشّعريّة لتصور حالة الفقد، وألم المصاب، وتتحّد وتتكامّل لتمثّل قوة التأثير في نفس المتلقّي، ولعلّ ذلك يبرز جليًّا في رسالته لرئيس بھرة يعزيه بآبن أخته وبنته، فتتحوّل الرّسالة إلى حوار بين النثر والشعر، كقوله: " فإنّ ستر العورات من الحسنات، ودفن البنات من المنكرات، ونحن في زمان إذا قدّم أحدنا فيه الحرمة، فقد استكمل النّعمة، وإذا زفّ كريمة إلى القبر، فقد بلغ أمنيته من الصّهر، وقال الأوّل:

---

(١) لم يعزّ لأحد، وقد ذكره الخوارزمي كذلك في الأمثال المولدة، ولم يعزه لشاعر. يُنظر: أبو بكر الخوارزمي، الأمثال المولدة، تحقيق: محمد حسين الأعرجي، ط٢، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص٣٢٢.

(٢) أبو بكر الخوارزمي، مصدر سابق، ص٧٤.

(٣) أحمد الزعبي، التناص نظريًا وتطبيقيًا، مرجع سابق، ص١٢.

وَلَمْ أَرَ نِعْمَةً سَمَلْتُ كَرِيماً كَنِعْمَةِ عَوْرَةٍ سُرْتُ بِقَبْرِ<sup>(١)</sup>

وقال الثاني:

تَهْوَى حَيَاتِي وَأَهْوَى مَوْتَهَا شَفَقًا وَالْمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَالٍ عَلَى الْحَرَمِ<sup>(٢)</sup>

وقال الثالث:

وَدَدْتُ بَنِيَّ وَدَدْتُ أَيْ وَضَعْتُ بُنْيَتِي فِي لَحْدِ قَبْرِ<sup>(٣)</sup>

وقال الرابع:

سَمِّيْتُهَا إِذْ وُلِدَتْ تَمُوتُ وَالْقَبْرُ صَهْرٌ ضَامِنٌ وَبَيْتٌ<sup>(٤)</sup>

وقد كنتُ على أن أفرد في معناها كتابًا إلى الشيخ ثم تطيرت له من تناسق التعزيتين، كما توجعتُ له من تواتر المصبيتين<sup>(٥)</sup>.

لقد أكرم الإسلام المرأة، وحفظ لها حقوقها، وجعل هبة البنات من النعم، كما صَوَّرَ القرآن الكريم حال أهل الجاهلية الأولى الذين يتوارون عن القوم من سوء ما بُشِّرُوا به من الإناث، قال الله سبحانه: وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ

(١) لم أجد قائله فيما عدت إليه من مظان مع كثرة الاستشهاد به.

(٢) نسبه أبو إسحاق القيروان لإسحاق بن خلف البهراني. ينظر: زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق:

يوسف علي الطويل، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ٤٣٢/١.

(٣) لم أجد قائله فيما عدت إليه من مظان مع كثرة الاستشهاد به في كتب الأدب.

(٤) لم أجد قائله فيما عدت إليه من مظان.

(٥) أبو بكر الخوارزمي، كتاب الرسائل، مصدر سابق، ص ٧٤.

وَجَهَّهُ مُسَوِّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ  
 أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ ۖ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ (١).

وقد استدعى الخوارزمي في تتابع بديع عددًا من التناصات الشعريّة تشمل كل الأحوال والأعراف المتوارثة لتعزية صديقه، وهذا التّوارد والاجتلاب أراد به التّخفيف من ألم المصاب، فنوع له خطابات التعزية مستعينًا بالخطاب الشعري وقوّة تأثيره بعدما فرغ من خطابه النثري الذي رأى حاجته إلى الاقتران بالشّعري؛ لقوة التعبير، وبلاغة التأثير.

كما لجأ أبو بكر الخوارزمي إلى التناص الشعري في ختام إحدى رسائله، وهو نوعٌ من أنواع حسن الختام الذي أجاد فيه الخوارزمي على نظير الشعراء في حسن المقطع في القصيدة، وقد فطن لذلك النقاد القدامى، وكان محل عنايتهم بحيث لا يقل عن المطلع في الجودة والإحكام، فكما أنّ المطلع مفتاح النصّ، فالمقطع قفله وختامه، بل قد يكون أخرى بالاهتمام؛ لأنّ "خاتمة الكلام أبقى في السّمع، وألصق بالنّفس؛ لقرب العهد بها؛ فإن حسّنت حسن، وإن قبحت قبح" (٢).

يقول الخوارزمي في ختام رسالة له إلى أبي الحسن علي بن داية: " وهذا التطويل كلّ ارتياد لعذرٍ أجده لسَيّدي، وإن رجلاً اعتذر عنه إلى قلبي، وأبرز

(١) سورة النحل، الآية رقم: ٥٨ و٥٩.

(٢) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، مرجع سابق، ٢١٧/١.

ذنبه في معرض ذنبي، لأعظم في عيني من كلّ عظيم، وأكرم على قلبي من كلّ كريم، وكأنه فيّ وفيه قيل:

إذا مرضنا أتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيكم ونعتذر<sup>(١)</sup>

وقد تكررت هذا التناصات الشعرية في خاتمة بعض رسائله، ويطوعها بكل اقتدار إلى موضوعه ومقصده على نحو قوله في خاتمة رسالة له إلى وزير خوارزم شاه لما نُكِب "أنت أيدك الله تعالى أغنى خوارزم يوم تصير أفقرهم، وأكبرهم ساعة تظنّ أصغرهم، وهو الوزير يوم يُعزل، والمصون ساعة يتبدل، والكبير بنفسه وإن انفرد عن غيره، والمستأنس بفضله وإن استوحش من دهره:

إنّ الأمير هو الذي يُضحى أميراً عند عزله

إنّ زال سلطان الولاية فهو في سلطان فضله<sup>(٢)</sup>

لقد أدخل الخوارزمي معنى البيتين في سياق الرسالة، وكأنهما جزءٌ منها لا ينقطع، وهذه من حذاقته في التحسين، وبراعته في الاختيار والتّضمين، وهو يكشف عما وصل إليه فنّ الترسل من البراعة والإحكام، وما بلغه تداخل الأجناس الأدبية من تنوّع والتحام " وهو تداخل متعدد المستويات، متشعب الأساليب؛ لأنّ وضع المتلفظ فيه يصبح مزدوجاً جامعاً بين الناثر ووضع

---

(١) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، مصدر سابق، ص ٢٦. والبيت منسوب للمؤثّل بن أميل بن أسيد الحاربي الكوفي، شاعر كوفي من مخضرمي شعراء الدولتين الأموية والعباسية، ومن نسبته إليه أبو منصور الثعالبي في التمثيل والمحاضرة، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ط ٢، الدار العربية للكتاب، بيروت، ١٩٨١م، ص ٩.

(٢) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، مصدر سابق، ص ٣٠. وقد تردد البيتان في بعض مصادر الأدب، ولم ينسبوا لشاعر.

الشاعر؛ ولأنّ الجنس الأدبي الذي ينتج من هذا التداخل يصبح جنسًا مولّدًا أو ممزوجةً<sup>(١)</sup>.

ونجد نزعة الكاتب إلى إغلاق الرسالة بهذا التناص يتكرر في مقام آخر ما يؤكد أنّ هذا التعانق بين الجنسين الأدبيين ليس غرضه التحسين فحسب، وإنّما كونه قوة ناظمة للمعاني لا سيما في خاتمة الرسالة، من ذلك قوله في ختام رسالة إلى حاجب الوزير بن عباد، وقد انقطعت كتبه: "الحمد لله الذي جعل الحاجب يضرب في المحاسن بالقدح المعلى، ويسمو فيها إلى الشرف الأعلى... ما أشرف الجود لولا الاقتار، وما أحمد مغبّة الصبر لولا فناء العمر، وما أطيب الدّنيا لو دامت واستقامت:

ما أعلم الناس أنّ الجود مكسبةٌ للحمد لكنّه يأتي على النّشب"<sup>(٢)</sup> وعلى هذا التّحو فإنّ التناصات الشعريّة في رسائل أبي بكر الخوارزمي لا تكاد تحصر في مواطن متفرقة في سياق مقاصد التّرسّل وأغراضه، وتستحق أن تفرد بدراسة مستقلة؛ لأنّ الخوارزمي بمقدرته الأدبية الفائقة، وطاقته الشّاعرية البارعة استطاع أن يوظّف الشّعْر توظيفًا بديعًا في خدمة نصوصه من جودة

---

(١) صالح بن رمضان، الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ٢١، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٧م، ص ٣٢٨.

(٢) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، مصدر سابق، ص ٤٠. والبيت منسوب إلى منصور النميري ت ١٩٢هـ، أحد شعراء العصر العباسي المحدثين. يُنظر: ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م، ١٧٩/٢.

الاستشهاد والتمثيل، والإقناع والتدليل، وما يمثله تداخل النصوص من جمال الصياغة، وجودة الأسلوب.

## ٢-١: التناسل بين الترسل والأمثال العربية

إنَّ تداخل الأجناس الأدبية سمة بديعة لعقد صلات التخاطب فيما بينها كما لحظنا في التناسل الأدبي بين الترسل والشعر في المقام الأول، ولكن سعة ثقافة الكُتّاب، ومقدرتهم الأدبية جعلت المترسلين يميلون إلى الحكم والأمثال والأقوال المأثورة في إنتاج خطاب الرسالة، ولذا يلحظ الباحثون أنَّه قد "تحوّل" التلفظ ذو الصبغة الحكمية إلى قاعدة من قواعد إنتاج خطاب الرسالة، وهي قاعدة يظهر من خلال استعمالها حرص الكتاب على إرجاع مختلف المعاني الأدبية إلى منظومة من القيم المشتركة، والمواضع المشتركة (Lieux communs) التي تمنح الخطاب طابعاً أخلاقياً، وتظهر فيه هيمنة الذات الكاتبة الجماعية"<sup>(١)</sup>. وإنَّ المتأمل في رسائل أبي بكر الخوارزمي يجد أنَّه وظّف الأمثال العربيّة، والأقوال البليغة في رسائله بشكل مكثّف؛ لتكون أداة من أدوات التّواصل، وقوة قوليّة لخطاب التّرسّل، يقول من رسالة إلى أبي الحسن الحكمي: "فأمّا الجاهل فإنّه إذا هجر لم يبق في القوس منزعاً، ولم يترك للصالح موضعاً، والحمد لله الذي وفقني في أثناء هذه الحالة حتى كبحت فرس الغرامة، وغمدتُ سيف الشكوى والملامة"<sup>(٢)</sup>.

(١) صالح بن رمضان، الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، مرجع سابق، ص ٥٤٢.

(٢) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، مصدر سابق، ص ٢٣.

لقد وظّف الكاتب المثل السائر " ما ترك في القوس منزعاً" (١) في سياق الإقناع بقبول العذر، إذ العاقل يعود إلى ما يرفو به الخلاف، فيقبل العذر، ويراجع الوصل، وأما الجاهل فلم يبق لذلك مكاناً، ولا للقول منزعاً، وهذا الاستخدام جعل لاعتذاره قوة قولية لتصوير حاله مع صديقه، وإقناعه بصدق وصله، وقد تكرر هذا التناص في قوله من رسالة له أخرى لما عادت الوزارة لابن عباد (٣٨٥هـ)، وعفا عن ندماء ابن العميد (٣٦٠هـ): "لولا أن أمورهم أفضت إلى رجل عليه من التوحيد والعدل مانع، ولديه من الحلم والحياء وسيلة وشافع، هذا وقد ولغوا في دمه، ورتعوا في لحمه، وخبوا واعتقوا في دمه، بل في شتمه، فلم يبقوا في القوس منزعاً، ولم يتركوا للصّالح موضعاً، فلما دفع الاقبال ربقتهم إليه، وصارت حياتهم وموتهم بين يديه، أسبل عليهم ستر العفو والمغفرة، واسبغ فيهم حكم الصحيح بعد المقدرة" (٢).

فقد كان هذا التوظيف في سياق الإشادة بقيم الوزير، وتصوير عدله وحلمه مع هؤلاء الندماء، وقد ألبسهم الخذلان ثيابه، فكان منهم البغي والعدوان، والحق والبهتان، وقد أسبغ عليهم الوزير بالصفّح، وقابلهم بقبول الصّالح، وهم لم يبقوا للقوس منزعاً، ولا للصّالح موضعاً.

وقد يعمد الخوارزمي في سياق الرسالة إلى تحوير الأمثال للدلالة على مضمونه، لما للأمثال من قوة ناظمة للإقناع، وقيمة أخلاقية مشتركة على نحو

(١) ينظر: أبو القاسم الزمخشري، أساس البلاغة، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ٣٧٣/٢.

(٢) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، مصدر سابق، ص ٨٧.

قوله: " وما زال توسط المجيب دليلاً على تقدّم الجواب، أم لأنّ إخوانه الذين استظرفهم بعدي، واعتاضهم مني، قد شغلوا يده عني، فما كنت أظنّ أنّه يحفظ لكلّ جديد لذّة، وينسى لكلّ عتيق حرمة"<sup>(١)</sup>.

إنّ التناص مع المثل السائر " لكل جديد لذّة، ولكل عتيق حرمة"<sup>(٢)</sup>، يأتي في شكل من أشكال العتاب للصديق الذي استبدل به غيره، وكأنّه يحفظ ويردد لكل جديد لذّة، ويقابله بالمثل الآخر الذي تناساه صديقه " لكل عتيق حرمة" ففرط في صداقته، ونقض عهد مودّته.

وقد تأتي الأمثال في سياق النصّ والإرشاد في رسائل الخوارزمي، فيصاغ هذا المعنى صياغة حكميّة تؤتي رسالتها بقوة ناطمة، ودلالة دقيقة، نجد مثل ذلك في رسالته لوكيل الوزير ابن عباد وقد وليّ سوق الطعام: " كتابي إليك وقد علم الله أنّ أمرك مستول على أفكاري، وشاغلي عن ساعات ليلي ونهاري... ولا تمر بك ساعة إلا وقد توفرت عليها بقسمها، ولا تؤخر عمل اليوم إلى الغد، ولا تحمل نفسك في شغل السبت إلى الأحد، فإنّ الأشغال إذا تزاومت أعمت الناظر، وشغلت القلب والخاطر"<sup>(٣)</sup>.

يعمد الكاتب إلى تقوية خطاب الرّسالة بهذا التناص لعلمه بأنّ المتلقّي يتقبّل هذه القوالب المتوارثة؛ لأنّها قوة من قوى الإقناع في سياق النصّ، لا

(١) المصدر نفسه، ص ٢٣.

(٢) ينظر: المفصل الضيّ، أمثال العرب، تحقيق: إحسان عباس، ط ٢، دار الرائد العربي، بيروت،

١٩٨٣م، ص ١٤١، وأبو بكر الخوارزمي، الأمثال المولّدة، مرجع سابق، ص ١١٧.

(٣) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، مصدر سابق، ص ٤٥.

سيما أنّه يدرك بأنّ المخاطب إن عجز عن الوفاء بما أوكل إليه لم يُعذر، وإن وقيّ به لم يُشكر، فأنت العبارة المثلية " لا تُؤخّر عَمَلَ الْيَوْمِ لَعَدِّ" (١) في سياق الرسالة، وكأنّها جزء منها؛ لتؤدّي المعنى المراد من النصّح والتوجيه، والحثّ على الإنجاز.

وقد يصرّح في مقام آخر باستخدام صيغ الحكم الأمثال، والعبارات الجاهزة؛ لتأكيد المعنى، وتقوية الخطاب على نحو قوله: " وقد كانت العربُ تزواج بين كلماتٍ تتمثل مبانيها، وتتكافأ مقاطعها ومبانيها، فتقول: العلة ذلّة، والوحدة وحشة، والغلب سلب، واللحظة لفظة، والهوى هوان، والأقارب عقارب، وأنا أقول: المرض حرض، والرمد كمد، والعلة قلّة، والقاعد مقعد" (٢).

إنّ هذه العبارات الجاهزة أتت في ختام رسالة كتبها لأبي القسم، وقد انهدمت دائره ونجا منها، وهي تقوم مع ما تتضمنه من قوة الخطاب "بتلخيص معانيها في صيغة حكمية عامّة تفحم المخاطب، وتضع رأي المتكلم في إطار الحقائق العامّة التي تتضمنها صيغة الحكمة" (٣).

وقد يأتي المثل في ختام الرسالة تلخيصاً للمضمون الذي بُنيت عليه الرسالة، وذلك بتحويله لمقصده، وإغلاق الرسالة بحقائق مشتركة ومتداولة بين الناس على نحو قوله: " على أني أظنّ العدو إذا ظلّته تلك الراية المنصورة يخطو خطوة

---

(١) ينظر: الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدّين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، ٥٥٧/٢.

(٢) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، مصدر سابق، ص ٧١.

(٣) صالح بن رمضان، الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، مرجع سابق، ص ٥٥١.

أولها جرجان، وآخرها خراسان، تقبلاً لأوليّه، وجرياً على وتيرة أبيه، فإنّه أعقل من أن يقذف أمه ويخالف أباه، ومن خالف والده فقد نفاه، سيهزم من رجل طالما هزم، وينهزم ابن رجل طالما انهزم، ومن أشبه أباه فما ظلم<sup>(١)</sup>.

إنّ هذا المثل العربي "من أشبه أباهُ فَمَا ظلم"<sup>(٢)</sup> يُضرب في تقارب الشّبه، فمن أشبه أباه فقد وضع الشّبه في موضعه، وإلا كان ظالمًا، وإن كان هذا الشّبه في هذا السّياق أتى على خلاف المألوف حيث صوّر به الكاتب انهزام المخاطب وضعفه، وأوجز ذلك كلّهُ في الختام حيث يشبه أباه في جنبه، فهو يجري على وتيرته، ويسير على خطاه، فإنّه طالما انهزم أمام قوّة الوزير وشجاعته، وفارس الميادين وبسالته، فقد كانت "يده تجيل قدحي الشجاعة والكرم، وتجمع بين السيّف والقلم، وتحذق آداب العرب والعجم" فالكاتب يجمع بين معنيين متقابلين هما أصالة وشجاعة الممدوح، وجبن وضعف المهجو، واستعمل المثل ليختتم به ويوجز هذا المعنى المتأصل فيه.

وقد يأتي التناص مع المثل العربي في ختام الرسالة؛ لينطق بحقيقة عامّة، وقيمة مشتركة يفيد منها المخاطب، ويؤمن بقبولها، والتسليم بها لا سيما في مقام المدح حيث يصور الممدوح بالتميز والتفرد عن غيره، ويستعين بالمثل السائر لتقوية هذا المعنى وتأكيدّه، على نحو قوله: "ولقد سلك الأمير من الكرم طريقاً يستوحش فيها لقلّة سالكيها، وعمر للمعروف داراً لا يستأنس بها لعدم ساكنها... أعانه الله على صعوبة الطريق، وقلة الرفيق، وأهمه صبراً يهون

(١) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، مصدر سابق، ص ٥٩.

(٢) ينظر: الميداني، مجمع الأمثال، مرجع سابق، ٢/٢٤٤.

عليه احتمال المغارم، ويقرب عليه مصافاة المكارم، فبالصبر تُنال العلى، وعند الصباح يحمد القوم السرى"<sup>(١)</sup>.

لقد استخدم الكاتب هذا المثل "في الصباح يحمد القوم السرى"<sup>(٢)</sup> في ختام الرسالة ليوجز به تفرّد الممدوح وتميزه، ويصور صبره وجلده حتى أطبق الجميع على ذكر محاسن قوله وفعله، وكرمه وجوده، فقد عمّر دارًا للمعروف، وسلك طريقًا للكرم لا يستطيع غيره أن يسلكها لولا صبره على مكابدة الأمور لما في عواقبها من المحامد.

كما نجد أبا بكر الخوارزمي (ت ٣٨٣هـ) يوجّه الأمثال ذات الدلالة الثابتة بمقدرته الفنية إلى معنى جديد في سياق الرسالة على نحو قوله لأبي علي البلعمي حين استبطن جوابه على أبيات بعث بها إليه: "قد حلت إلى حضرة الشيخ أبياتاً عاتبته بها، بل أعتبته فيها، وهي عروس كُسوُّها القوافي، وحليّتها المعاني... فإن كانت حظيت ورضيت فبالرفاء والبنين، مائة سنة على مئين، وإن كتمن الأخرى فقد يصبر الكريم على ولا يحبه، ولا يميل إليه قلبه، والعاقل إذا أبغض أنصف، وإذا أحبّ ألطف"<sup>(٣)</sup>.

(١) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، مصدر سابق، ص ١١٤.

(٢) ينظر: أبو عبيد القاسم بن سلام، كتاب الأمثال، تحقيق: عبد المجيد قطامش، ط ١، دار المأمون

للتراث، دمشق، ١٩٨٠م، ص ١٧٠.

(٣) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، مصدر سابق، ص ٩٤.

لقد كان التناص مع المثل القائل: " بالرِّفَاء والبنين" <sup>(١)</sup> الذي يضرب للاتفاق والهدوء والسكون، وهو مأخوذ من رفء الثوب إذا رُفِعَ بعضه إلى بعض، ولكن الكاتب هنا وجَّهه إلى معنى جديد يحمل معنى العتاب على تأخر الإجابة، وهو يشبه رسالته بالعروس المتوشحة بالقوافي، وجميل المعاني، ويأمل أن تحظى بالإيجاب والقبول، فيكون الرِّفَاء والموافقة، وحينها ستكون الإجابة منه على رسالته التي شبهها بالبنين في توالد المعاني، وإنجاب القوافي " وعلى كلِّ حال فإن وجد الشيخ حرّة فليسق إليَّ مهرها" في إشارة لعدم رده، واستبطاء جوابه.

وقد ينجح الكاتب إلى المثل حين يعجب بالمدح، فيستدعي من الأمثال ما يتناص به مع خطاب الرسالة؛ لإشراك العقل الجمعي في دعم رأيه، والاقتناع بخطابه، نجد مثل ذلك في قوله: " كتبتُ والولاية التي شرفت بالأمر ولم يشرف بها، وتسببت له ولم يتسبب لها، ... ولا زال الملك سليله ونتيجته، والعزّ صنيعته وخريجته، حتى يملك الأقاليم، ويفترش السرير العظيم، فيعطي القوس باريها، ويملك الزعامة من يليق بها ويحسن فيها" <sup>(٢)</sup>.

إنّ التناص مع المثل القائل: " أعط القوسَ باريها" <sup>(٣)</sup> يلخص مراد الكاتب، ويوجز رأيه، ويستدعي رأي الجماعة لقوّة التأثير من خلال الأمثال المتداولة بجدارة الأمير بالولاية، وأهليّته لها، وأنّه بما يمتلكه من حذاقة وشجاعة أهل لها،

(١) أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ط ١،

دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م، ٢٠٦/١.

(٢) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، مصدر سابق، ص ١٦٦.

(٣) ينظر: أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي، كتاب الأمثال، مرجع سابق، ص ٢٠٤.

ورسّخ هذا المعنى جمال التناص، ومهارة الكاتب في توظيفه حيث أتى موافقاً  
للسّياق الدلالي، والمحسّن البلاغي.

وعلى هذا النحو فقد برز التناص مع الأمثال العربية والعبارات الجاهزة في  
رسائل الخوارزمي بشكل مكثّف، وأتى متعدد الوظائف لا سيما في ختام  
الرسائل التي كان لها طابع بارز في قوة التأثير، وجمال التعبير، وتلخيص المعاني  
بهذه الصيغ المثلّية في إطار الحقائق العامّة التي تقنع المتلقي، وتنطق بالعقل  
الجمعي، وإنّ إكثار الكاتب من هذه التناصات يدل على سعة ثقافته، وقدرته  
الأدبية على الجمع بين الأجناس، فسيقت له ألفاظاً، وانقادت له المعاني،  
"فإذا أكثر صاحب هذه الصناعة من حفظ الأمثال السائغ استعمالها انقادت  
إليه معانيها، وسيقت إليه ألفاظها في وقت الاحتياج إلى نظائرها من الوقائع  
والأحوال، فأودعها في مكانها، واستشهد بها في موضعها، والطريق في استعمالها  
في النثر كما في حل الأشعار واستعمالها إلا أنّ الأمثال لا يجوز تبديل ألفاظها،  
ولا تغيير أوضاعها؛ لأنّها بذلك قد عُرُفت واشتهرت"<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا لحظنا بأنّ الأمثال العربيّة، والعبارات الجاهزة في رسائله، قد  
أضفت إلى أسلوبه قوة وإحكاماً، وتأثيراً وإقناعاً؛ لأنّه يضع الحقائق العامّة،  
والمسلّمات المتداولة من خلال هذه الحكم والأمثال في سياق إقناع المخاطب،  
وقوة التأثير فيه بما تتضمنه من دلالة الخطاب الجمعي الذي يدفع إلى القبول  
والتسليم.

---

(١) أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: يوسف الطويل، ط ١، دار

الفكر، دمشق، ١٩٨٧م، ١/٣٥٤.

## (٢) التناص الديني

تنوعت مصادر التناص الديني في رسائل أبي بكر الخوارزمي، وتعددت أشكالها، وآليات توظيفها في خطاب الرسالة، وهذه المتناصات الدينية تمثل المرجعية الفكرية والثقافية الثابتة لدى الكاتب من جهة، وجمال الأسلوب، وجودة الصياغة من جهة أخرى، فقد كان هذا التفاعل مع النصوص الدينية سمة بارزة تمنح النصوص ثراء دلاليًا ومعرفيًا، وبُعدًا إقناعيًا لقراءة النص الديني، وقوة أسلوبه، وقد عدّه النقاد ركناً من أركان الكتابة، وشرطاً من شرائط الصناعة التي ينبغي أن يعتني بها الكاتب والمترسلون، وألا تخلو رسائلهم من " معنى من معاني القرآن الكريم، والأخبار النبوية؛ فإنها معدن الفصاحة والبلاغة"<sup>(١)</sup>.

### ٢- ١: التناص مع القرآن الكريم

لقد أدرك الكاتب والمترسلون مدى قوة التأثير القرآني في النفوس، فاتخذوه أسلوباً للإقناع، ووسيلة من وسائل التأثير في المتلقين؛ لكونه الكلام الذي « لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ<sup>ط</sup> تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ »<sup>(٢)</sup> وتيقنوا بأنه يُكسب النص بهاء ورونقاً، ويمنحه حجة وإقناعاً، "فحجته كافية"

(١) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ١،

المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م، ٨٩/١.

(٢) سورة فصلت، الآية رقم: ٤٢.

هادية لا يحتاج مع وضوحها إلى بينة تعدوها، أو حجة تتلوها، وإنَّ الذهاب عنها، كالذهاب عن الضروريات، والتشكُّك في المشاهدات" (١).

إنَّ أبا بكر الخوارزمي كغيره من المترسِّلين اتخذ من القرآن الكريم مصدرًا للإلهام، ومنهلاً للقيم، وذلك لأنَّ "الآية الواحدة تقوم في بلوغ الغرض، وتوفية المقاصد ما لا تقوم به الكتب المطوَّلة، والأدلة القاطعة" (٢)، فأكثر من الاقتباسات القرآنية المباشرة، وغير المباشرة في سياقات مختلفة، فجنده يأتي في باب الاستشهاد والتدليل كثيرًا، كما يكون في سياقات نصية أخرى دون الإشارة إلى أنَّه من باب الاستشهاد، وحينئذ يكون موافقًا لسياق الرِّسالة الأسلوبية، ونظامها السَّجعي الذي يهيمن على رسائله.

ونجد مثل ذلك في قوله لأبي إسحاق الحاجب: "وأراد الله تعالى أن يرفع من حكمتك، ويقوم من قبور حذبتك، فينظر كيف تعملون ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾" (٣) فاتصلت بوليَّ نعمتك برجل لو اتصل به الأدبار لتقدم الإقبال، ولو خدمه النقص لفضل الكمال" وفي الرسالة ذاتها يأتي الاقتباس في سياق العتاب كقوله: "فلما جازيت النعمة بالكفران، ونسيت ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾" (٤) نظرت إليك الأيام شزرًا، وأبدلتك

(١) أبو بكر الباقلائي، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط ٣، دار المعارف،

القاهرة، ١٩٦٣م، ص ٣.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، مرجع سابق، ١/ ٢٣١.

(٣) سورة المائدة، الآية رقم: ٩٩.

(٤) سورة الرحمن، الآية رقم: ٦٠.

بالبسر عسرًا، فأصبحت تلك البوارق، وهي صواعق، واستحالت تلك المواهب، وهي مصائب" (١).

إنّ الكاتب قد اقتبس هاتين الآيتين في سياق عتابه لأبي إسحاق الحاجب لما نكبه الوزير بن عباد، فاختر من الآيات ما يعبر عن أسباب هذه النكبة التي لحقته، فقد كان قبل اتصاله بالوزير يصبح في إقلال حاجته، ويمسي في إدبار لقلّة ناصره، ولكنه قابل الفضل بالجحود، والإحسان بالإساءة، فتبدلت أحواله، وأظهر الله ما كان يكتمه ويضمّره، فنال جزاءه، ولقي مصيره، وهل جزاء المحسن إلا الإحسان، ومصافحة النعم بالشكر والعرفان.

وقد يعمد إلى الاقتباس القرآني في سياق التّعزية، وهو غرض تكثر فيه التناصات وتداخل النصوص لما يتضمنه من التسلية على المتلقي، وقوة التأثير، والحثّ على الصبر والتّسليم، لا سيّما في مقام الرسائل الإخوانيّة، نجد مثل ذلك في رسالة بعث بها إلى رئيس طوس يعزيه في وفاة شقيق له: " ثمّ تذكرت ما نزل بسّيدي من الوحشة لفقده، والغمة من بعده، والتحسر على قربيه ببعده... ثم رجعت إلى أدب الله تعالى فقلت: ﴿ إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾" (٢)، اللهم لا شكاية لقضائك، ولا استبطاء لجزائك، ولا كفران لنعمتك، ولا مناصبة لقدرتك" (٣).

(١) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، مصدر سابق، ص ٤٠٣.

(٢) سورة البقرة، الآية رقم: ١٥٦.

(٣) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، مصدر سابق، ص ١٦.

ويتكرر هذا التناص كذلك في مقام التعازي في رسالة أخرى مقترنة بالدعاء، ومعاني التسليم بالقضاء، والدعوة للصبر وحسن العزاء، على نحو قوله: " ثم تنجزت موعود الله تعالى بالصبر والعزاء، ثم بالتسليم للقضاء، وقلت: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ ﴾ رَاجِعُونَ<sup>(١)</sup> كما أمرت، وانتظرت الصلاة والرحمة كما وعدت"<sup>(٢)</sup>.

إنّ هذا التناص القرآني يتوافق مع حال المخاطب، ويبعث العاطفة الدينيّة، والإيمان بقضاء الله وقدره، والصبر والتّسليم بأمره، وقد اقترن هذا السياق بالدعاء المناسب للحال، وهو من أمارات الصّناعة المحكّمة التي أشار إليها النّقاد قديماً " وما يجب على الكاتب أن يتحرّى في الدعاء الألفاظ الرائقة، والمعاني اللائقة، ويتوخى من ذلك ما يناسب الحال، ويشاكل المعنى، ويوافق المخاطب"<sup>(٣)</sup>.

وقد يعمد الخوارزمي إلى الاقتباس من باب المبالغة في تصوير حاله، وتواضعه أمام المخاطب، فلم يجد بداً من الاستعانة بالاقتباس؛ لدقة التصوير، وبلاغة التأثير، يقول من رسالة كتبها جواباً لأبي محمد العلوي: " ذكر السيّد أنّه لا يرضى لمكاتبتني عفو كتابته، لا ينزل فيها على حكم بلاغته، وهذا كلام لولا أنّه جرى به بنائه، ونطق به لسانه، لقلت: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ

(١) سورة البقرة، الآية رقم: ١٥٦.

(٢) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، مصدر سابق، ص ١٦٦.

(٣) أبو القاسم الكلاعي، إحكام صناعة الكلام، تحقيق: محمد رضوان الدّاية، ط ١، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٦م، ص ٧٣.

وَتَنْشُقُّ الْأَرْضُ وَتَخْرُ الْجِبَالُ هَذَا ﴿١﴾ و﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ ﴿٢﴾  
 الكتابة -أيّد الله تعالى السيّد - صناعة مجانستي لها مجانسة النور للظلام،  
 ومناسيتي لها مناسبة الأوز للنعام، ولم أقرع بأبها، ولم أعلّق بأسبابها، ولم أعاشر  
 أربابها وأصحابها" (٣).

إنّ الخوارزمي لم يشير إلى اقتباسه القرآني، وإنّما أتى به ملتحمًا ببنية الرسالة  
 دون ترتيب للآيات، وإنّه وإن أشار إلى المعنى المقصود في السياق النثري وجد  
 نفسه محتاجًا لإثراء النصّ جماليًا ودلاليًا بالشاهد القرآني الموافق للمعنى؛ ليعبّر  
 عن مدى تعلّقه بالممدوح، وعن رغبته في تصوير بيانه وبلاغته التي لا تضاهي،  
 ولم يتأتّ له هذا المعنى إلا بالاستعانة بالاقتباس بما يحمله من توليد للمعنى،  
 وقوة التأثير في المتلقي.

ونجد الخوارزمي يجعل التفاعل النصّي مع القرآن الكريم في ختام رسالته؛  
 لإثراء الإبداع، وحسن الختام، وقوّة التأثير، بل إنّه يستعين به على جمال  
 الإغلاق، وعدم الإطالة في الرسالة، وقد اتخذ النقاد القدامى هذا التداخل  
 النصّي ركنًا من أركان الصناعة، حيث يقول ابن الأثير: "فما وجدت أعون  
 الأشياء عليها إلّا حلّ آيات القرآن الكريم والأخبار النبوية، وحلّ الأبيات  
 الشعرية" (٤) على نحو قول الخوارزمي في ختام رسالته لأحد تلاميذه فوّض إليه

(١) سورة مريم، الآية رقم: ٩٠.

(٢) سورة مريم، الآية رقم: ٨٩.

(٣) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، مصدر سابق، ص ١٦٦.

(٤) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، مرجع سابق، ٩٢/١.

أعماله، ولم يلق منه الوفاء " ما ظنك بقوم هم صيارفة أخلاق الرجال، وسماسة النقص والكمال، بل ما ظنك بقوم هم أمراء الكلام يقصرون طويله، ويخففون ثقيله، ويقصرون ممدوده، ولم لا أقول ما ظنك بقوم يتبعهم الغاؤون، وفي كل واد يهيمون، ويقولون ما لا يفعلون" (١).

إنّ المتأمل في هذا التناص يجد أن الخوارزمي داخل بين النصوص في ختام الرسالة، وهذا النوع من التناص الجزئي لم يكن مباشرًا، كما سيأتي بيانه في موضعه من هذا البحث، وإنما استعان بمدلول الآية القرآنية في التّهم بأولئك الأصدقاء الذين يقولون ما لا يفعلون، ووجه الشّاهد في سياق خطابه، هو الكشف عن أحوالهم، وتحلية مواقفهم، فهم قومٌ " إذا ذموا ثلموا، وإذا مدحوا سلبوا، وإذا رضوا رفعوا الوضع، وإذا غضبوا وضعوا الرفيع " كما أنّ الاقتباس في الختام نوع من أنواع جمال الصياغة، وحسن الختام، وهو ذو وظيفة تأكيدية للمعنى المقصود من الخطاب.

ونجد مثلاً آخر يأتي فيه التناص القرآني في خاتمة الرسالة في سياق الاعتذار من اختصار الرسالة، وعدم الإسهاب والإطالة، ويؤكد بأنّ الصغير ما صغر قدره، لا ما صغر حجمه، ودعم هذا التبرير من قصر رسالته بالتناص في الخاتمة حيث أتت الآية القرآنية خاتمة تقنع المخاطب بعظم مكانته، وسمو منزلته، وإنّه وإن صَغُر المكتوب، فقد أفاد، وجاوز المراد، حيث يقول: " أعتذر سيدي من صغر الكتاب واختصاره، فقد أغناه الله تعالى عن تكلفه من اعتذاره... وأسأل

(١) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، مصدر سابق، ص ١٢.

الله تعالى أن يجعل أخوتنا متصلة في الدنيا بأخوتنا يوم الدين، فإنَّ «الْأَخِلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ» ﴿٢٧﴾<sup>(١)</sup>.

ومن جمال التناص في الختام أن يأتي بالآية في مقطع الرسالة، لتزيد المعنى المقصود معنى، وتحكمه مبنى، وقد أشار إلى ذلك النقاد القدماء كقول أبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) في الصناعتين: "ثم يأتي بالمقطع فيزيد معنى آخر يزيد به وضوحًا وشرحًا، وتوكيدًا وحسنًا"<sup>(٢)</sup>، ومن ذلك قوله من رسالة إلى فقيه في تعهد مسجد "فإنَّ صيانة هذا المكان صيانة الدِّين، بل صيانة الإسلام والمسلمين، وكبت الكفر والكافرين، وما ظنك في موضع هو بيت من بيوت الله، ومظنة لقراءة وحي الله، تصف فيه الأقدام بين يدي الله، ويتميز فيه أولياء الله من أعداء الله، وهو من «يُيُوتِ أَذِنَ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ» ﴿٣﴾، وهو مسكن الأبرار، ومجلس من مجالس الأخيار... وإنما يوفى المحسن أجره بغير حساب، وتذكّر قول الله تعالى: «إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ» «الْآخِرِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) المصدر نفسه، ص ٦٤. والآية من سورة الزخرف، رقم: ٦٧.

(٢) أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي البجاوي، المكتبة

العصرية، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٣٨٠.

(٣) سورة النور، الآية رقم: ٣٦.

(٤) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، ص ١٦٣. والآية من سورة التوبة، الآية رقم: ١٨.

إنّ التناص في هذا النصّ متعدد الدلائل، فقد ورد في سياق مكانة المساجد في الإسلام، ورفعة من يتعهدها، ومن يقوم على صيانتها، وإنّ ذلك من دلائل الإيمان؛ لأنّها عنوان الدين، ومسكن المحسنين، كما أشار إلى جزاء هؤلاء المحسنين، وما لهم من أجر عظيم بتناس جزئي آخر من قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤَقِّى الصَّيْرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾<sup>(١)</sup> ثم ختم الرسالة بالتناص التام الذي يزيد هذا المعنى رسوخاً، وتأكيداً وجمالاً بحيث لا ينتظر المتلقي بعده إلى زيادة، ولا يتطلّع بعده إلى إقناع أو إضافة.

وقد كان الختام بالتناص القرآني في رسائل الخوارزمي ظاهرة تشير إلى شغفه بالأسلوب القرآني، وقوة تأثيره، وما يبعثه في النفوس من تقبل وإقناع، فجعله آخر ما يبقى في الأسماع في ختام سائله، وهي اقتباسات جزئية مطردة تمثّل ركناً أساسياً من أركان صناعته، تتنوع تبعاً لتنوع أغراضه، وسياقاتها المعنوية، ومن ذلك قوله من رسالة إلى رئيس دامغان<sup>(٢)</sup>: " وقد خرقت فيك حجاب المجاملة، ولبست لك ثوب المكاشفة، فإن أدبك ذلك فمؤدب العاقل إخوانه، ومرآته

(١) سورة الزمر، الآية رقم: ١٠.

(٢) دامغان: بلد كبير بين الريّ ونيسابور، وهو قصبة قومس، وهي مدينة كثيرة الفواكه، والرياح لا تنقطع بها ليلاً ولا نهاراً، وبها مقسم للماء كسرويّ عجيب، يخرج ماؤه من مغارة في الجبل ثم ينقسم إذا انحدر عنه على مائة وعشرين قسماً لمائة وعشرين رستاقاً لا يزيد قسم على صاحبه. يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط ٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ٤٤٣/٢.

زمانه، وسوط الفرس الجواد عنانه، وإن أبيت فأنا باخع نفسي ﴿عَلَىٰ أَثَرِهِمْ  
إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾<sup>(١)</sup>.

وفي سياق الهجاء يأتي التناص القرآني مصورًا لحال الكاتب وخيبة الأمل  
الذي يناط بالصديق، ما جعله يتجاوز العتاب إلى الهجاء، ويستدعي من  
الآيات القرآنية، وفضاءاتها الدلالية ما يصور سخطه وغضبه، وبثري بما خطابه  
وأسلوبه، يقول من رسالة كتبها إلى أبي الحسن البديهي الشَّاعر: " لست  
أعاتبك - عافاك الله تعالى - لأنَّ العتاب يصلح منك، أو يعمل فيك، أو  
لأنَّ جهلك جهل يعالج بالعدل، أو يداوى دواؤه بالقول، كلا - عافاك الله  
تعالى - جهل الناس عرض، وجهلك جسم لا يزول إلا بالفعل... ولا تشمت  
إبليس بنا، ولا تعطه مراده فينا ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ  
الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾<sup>(٢)</sup> لي - رحمك الله - حوائج فإن  
قضيتها كنت قد تسلفت شكري ورضاي، وإن رددتني عنها فقد رأيت أُنمذج  
سخطي وشكواي"<sup>(٣)</sup>.

إنَّ الخوارزمي يكتب لشاعر يُدرك وجوه الكلام، ودلالة الألفاظ؛ لذا كان  
خطاب الرسالة مختلفًا من حيث الطول فقد بلغت عدّة صفحات، ومن حيث  
الأسلوب والمحاورة حيث جنح إلى التفاعلات النصيّة من الآيات، وأقوال العلماء

(١) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، ص ١٨٦. والآية من سورة الكهف، الآية رقم: ٦.

(٢) سورة الإسراء، الآية رقم: ٣٧.

(٣) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، ص ٢٠٢.

والأدباء والفلاسفة، والانفتاح على أجناس من الخطاب السردى الذي يجلي به جهل المخاطب، ويكشف له حقيقته، ولكنه يؤكّد بأنّها ترد منه " على عين عمياء، وأذن صمّاء " لذا استعان بالكثير من الشواهد والنصوص المتداخلة. وعلى هذا النحو فقد كان التّناس القرائى سمة أسلوبية، وظاهرة فنية في رسائل أبي بكر الخوارزمي تختلف مقامات التّوظيف باختلاف السياق، وتنوع الأغراض، وقد أضفت على الصياغة نوعاً من الجمال والتجديد مع ما تنتجه من توليد للمعنى، وقوة في التأثير، وبما تحمله من قناعات مسلّمة لدى المتلقي، يستعين بها الكاتب في الخطاب الحجاجي للإقناع بمضمون الرسالة، أو في إغلاق المعاني في المقطع لما تنسم به من قوة ناشئة للمعنى توافق المقام، لذا كانت هذه التناصات ظاهرة أسلوبية في رسائله، ومتعددة مستويات الاستعمال، وآليات التوظيف، فمنها ما كانت صريحة تأتي فيها الآية في سياق المعنى كاملة دون الإشارة إلى أنّها نصّ قرآني؛ ليترك للمتلقّي قدرة التمييز بين تداخل هذه الأجناس، ويفاجئه باختلاف الأساليب، ومستويات الخطاب، وبل نجده أحياناً يمعن في الخفاء فيأتي الاقتباس غير مباشر بحيث يتداخل أسلوب الكاتب مع النصّ القرآني، ويتحد معه في نظام السجع، وهذا يتطلب من المتلقي دقة في التمييز، وثقافة جيدة لفهم أساليب القول، وتداخل الأجناس، وهو الأكثر استعمالاً في رسائله.

## ٢- ١: التناص مع الحديث النبوي

يعدّ الحديث النبوي الشريف من الروافد النصيّة التي كان له حضور ناطق بالأساليب البيانيّة، والقيم الأخلاقيّة في خطاب التّرسّل؛ ولكن المتأمل في رسائل أبي بكر الخوارزمي يجد أنّها أقلّ حضورًا من التناص القرآني، وقد كان توظيفه ضمنيًا يعتمد على تحويل صياغته ليوافق النّظام الأسلوبي للرسالة مع بقاء قوة التأثير، وبراعة الاستشهاد عامل أساسي في توليد المعاني، وتحديد الكتابة.

إنّ أوّل ما يمثّل هذا التناص ما ورد في مستهلّ رسالته لأحد تلاميذه، وقد فوّض إليه بعض أشغاله، فلم يقدّم بها حقّ القيام، يقول: "كتابي ولو استقبلت من أمري ما استدبرت، وقدمت من رأيي ما أخّرت، لما أمضى الفراق فينا حكمه، ولا أنفذ فينا سهمه" (١).

نجد الكاتب يجعل التناص مع الحديث النبويّ مدخلًا يفتح به النّص، ويشير به إلى حاله مع المخاطب من عدم الرضى والقبول، باستدعائه نصّ الحديث "إني لو استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي ولجعلتها عمرة" (٢) واصفًا به حاله في مستهلّ الرّسالة، والندم على تفويضه له، وخيبة أمله، فهو كما يقول من ذات الرّسالة "كالقاطع يده بيده، والفاجع نفسه بنفسه" لذا كان الاقتباس مدخلًا موافقًا لمضمون الرّسالة، وكاشفًا للمعنى المقصود.

(١) المصدر نفسه، ص ١٠.

(٢) يُنظر: سنن أبي داود، تحقيق: عزت عبيد الدعاس، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٣٨٩هـ،

ونجد مثلاً آخر يتخذ منه الخوارزمي شاهداً يقنع به أحد أصدقائه، ويبرر به عدم قبول هديته، حيث أهدى إليه صديقه جارية حسناء، ولكنه بعث بها مع شاب لا يؤمن جانبه، فأنكر عليه ذلك، وأقام عليه الحجّة بالاستدلال بالحديث النبوي لإدراكه بأنّه مُسلّم القبول على نحو قوله: "وصلت الجارية ورددتها؛ لأنّي رأيتُ موصلها شاباً، وإذا اجتمع الشّابان، فقد اجتمعت النّار والحلفاء، بل اجتمع الظّمآن والماء، وهذا ميدان لأبليس فيه مجال، وزاوية له فيها أفعال، وإنّ النساء لحم على وضم، وصيد في غير حرم، إلا أن تلاحظ بعين غيور، وتلازم بنفس يقظ حذور"<sup>(١)</sup>.

إنّ التّناص مع الحديث النبوي "النّساء لحم على وضم"<sup>(٢)</sup> في ختام الرّسالة يؤكّد به حجّته، ويبرر به موقفه، وينقل المتلقي إلى نص مألوف التّسليم، ومتيقّن القبول؛ لتحقيق كامل الإقناع من عدم قبول الهدية، وقد أخضع النّص للمعنى المقصود بما يمتلكه من قوة الاستشهاد، وبلاغة التأثير.

وقد يعمد الكاتب إلى إسناد النّص إلى النّبي ﷺ في سياق الاعتذار ليؤكّد به خطابه، ويبرر به حسن صنيعه، كما أنّه يضفي على أسلوبه الجمال البياني، والإعجاز الدلالي من تداخل الأجناس على نحو قوله: "وما أردت بما قلّته غير الشّفقة، ولا نطقت إلا بلسان المقّة، وإمّا اتبعتُ فيه السّنة، فقد كان رسول

(١) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، ص ٧٥.

(٢) ينظر: أبو محمد الزيلعي، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، تحقيق: عبدالله بن عبدالرحمن السعد، ط ١، دار ابن خزيمة، الرياض، ١٤١٤هـ، ٣/٣٣٧. وقال: حديث غريب مرفوعاً.

الله صلى الله تعالى عليه وسلّم يحب الفأل ويكره الطيرة، وهذه مزحة خفيفة، وإن كانت ثقيلة عليه، وظريفة وإن كانت سخيفة لديه، ومحبة إلى سامعها وإن كانت وإن كانت بغیضة إليه، وقد اعتذرتُ والعذر وإن قلّ، دواء كلّ ذنب وإن جلّ، والسّلام" (١).

يستعين الكاتب بالتّناص في ختام الرّسالة في مقام الاعتذار بما يحمله من جمال التّعبير، وبراعة التّأثير، وما يدركه من حسن التّقبل، وقوة التّسليم، لاسيما إذا كان الاعتذار عن كلام كان له بالغ التّأثير في المخاطب، فيحتاج الكاتب إلى دفع مظنة الغضب بالتداخل النصي ذي الصبغة الإقناعية، كالحديث النبوي الذي ورد في الختام "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ الْفَأَلَ الْحَسَنَ، وَيَكْرَهُ الطَّيْرَةَ" (٢).

كما أنّ الخوارزمي يعمد إلى صيغ الأدعية التي استعاذ منها رسول الله ﷺ في سياق العتاب السّاخر، وهو من التجديد في الكتابة بما يتضمنه هذا الاستعمال من تقوية الصّلة بين عبارات الدعاء وسياق الرسالة، وما يحمله من توليد للمعنى المقصود، يقول: "يا سوء القضاء، وجهد البلاء، ودرك الشقاء، يا شماتة الأعداء، وحسد الأقرباء، وطوارق الأرض والسّماء" (٣).

(١) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، ص ٨٩.

(٢) أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق: السيد أبو المعاطي النوري، ط ١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٨م، ٢٧٤/٣.

(٣) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، مصدر سابق، ص ٢٠٠.

وعلى هذا النحو، فقد كان التناص مع الأحاديث النبوية متنوع الأشكال، متعدد الوظائف، يكشف عن ثقافة الخوارزمي، وبراعة صنعته، وجمال أسلوبه من جهة، وقوة التأثير، وكمال الإقناع للمتلقي من جهة أخرى.

### ٣: التناص الفكري

إنَّ الثقافة الموسوعيّة التي عرف بها أبو بكر الخوارزمي طبعت رسائله بالغنى والتنوّع، ومنحتها فضاءً فكريًا وثقافيًا متعدد المصادر، ومتنوع الرؤى، إذ كانت لديه القدرة البالغة على التناغم بين مخزونه الفكري، والأفكار المتناصّة التي تتماهى مع أغراضه، وتتفاعل مع موضوعاته.

ولعلّ الفكر الديني يأتي في مقدّمة الأفكار المتناصّة مع خطاب الترسّل من خلال الاقتباسات المباشرة وغير المباشرة من القرآن والسنة النبويّة كما سبق، وكذلك الأسماء الدينيّة التي تتداعى في مواطن متفرّقة من رسائله، على نحو قوله: " وليس بيني وبينه بعد الخافقين، ولا سدّ ذي القرنين، ولا جبل قاف، ولا سورة الأعراف" (١).

ونجد تداعي الفكر الديني في سياق التّعزية المقترن بالدعاء، وهي سمةٌ تكثُر في غرض التّعزية لدى المترسّلين مقترنة بالتهوين والصّبر والاحتساب، على نحو قوله: " فإن تكن خلّقت أنثى لقد خلّقت كريمة غير أنثى العقل والحسب، فرحمها الله تعالى رحمة تلحقها بمریم وآسية في الأولين، وبخديجة وفاطمة في الآخرين، وبأُم درداء ورابعة في نساء الصّحابة رحمهم الله تعالى أجمعين" (٢).

(١) المصدر نفسه، ص ٧٤.

(٢) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، مصدر سابق، ص ٢٠.

وقد يجنح التناص في سياق التعازي إلى معاني الصبر والاحتساب، والتسليم بالقضاء والقدر، وسرد الألفاظ الإسلامية، والآيات القرآنية التي تحقق قوة التأثير في المخاطب، والتهوين عليه من ألم المصاب، وذلك بتذكيره بقراءة كتاب الله، ورواية سنة نبيه ﷺ على نحو قوله: "وشيخي أعرف بالله، وأقرأ لكتاب الله، وأروى لأخبار رسول الله من أن يتأدب بغير أدب الله، ولا يسلم لقضاء الله ... جعلنا الله تعالى ممن يتنجز بالصبر ما وعده من البشرى، والصلوات والرحمة والهدى، فإنه تعالى ذكره ذكر الصابرين، فقال: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُمْتَدُونَ﴾<sup>(١)</sup> وألهمنا العزاء عما استأثر به، والشكر على ما أخلف به، والسلام"<sup>(٢)</sup>.

ومن التناص الفكري ما نجده لدى الخوارزمي من تجسيده لأعلام الفكر والطب والفلسفة، لا سيما إذا اقترن ذلك لديه بالسُّخرية من المخاطب على نحو رسائله في هجاء أبي الحسن المعروف بالبديهي التي تعدّ من أطول رسائل ديوانه، وأكثرها توظيفاً لأشكال التناص، فمن التناص التاريخي قوله: "حتى كأنك جعلت من مائدة عيسى بن مريم غداءك، ومن كبش اسحق عشاءك، وحتى كأنك أمرت شداد بن عاد، ببناء أرم ذات العماد، التي لم يُخلق مثلها في البلاد، وحتى كأنّ خالد بن الوليد قاتل تحت رايّتك، وقتيبة بن مسلم فتح البلاد ببركة دعوتك... وحتى كأنك كشفت لبليموس الفلك حتى نظر إليه، ومثلت

(١) سورة البقرة، آية رقم: ١٥٧.

(٢) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، مصدر سابق، ص ١٤٧.

لجالينوس تركيب الجسد حتّى وقفَ عليه، وحتّى كأنّك أورثت بني أسد العيافة، وبني مدلج القيافة، وعلمت شقا وسطيحا الكهانة، وحتّى كأنّك علمت حاتم بن عبدالله السّخاء، والسموأل بن عادياء الوفاء، وقيس بن زهير المكر والدهاء، وإياس بن معاوية الفطنة والذكاء، وأخذ عنك سيفُ بن ذي يزن أخذ الثّأر، والإدراك بالأوتار"<sup>(١)</sup>.

إنّ المتأمل في هذا النص يجد الخوارزمي واسع الثقافة، حيثُ عرض من كلّ فن أعلامه، ومن كلّ علم رموزه إمعاناً في السخرية بالمخاطب، وتعريضاً بجهله، وذلك في حشده رموز هذه العلوم ودلالاتها في النيل من البديهي، وبيان جهله وضلاله، كما أنّ توظيف عنصر المقابلة بين هؤلاء الأعلام وبين المخاطب يدلّ على قلة شأنه، ودنو منزلته من جهة، والاعتداد بسعة ثقافة الكاتب، وإلمامه بالعلوم والمعارف التاريخية من جهة أخرى.

ويتابع الخوارزمي هذه التناصّات في الرسالة نفسها بقوله: "وكأنّ البحر يمدّ إذا أمرته، ويجزر إذا زجرته، وحتّى كأن كسرى أنوشروان صاحب نفقة اصطبلك، وغرود بن كنعان قهرمانك على ولدك وأهلك، وحتّى كأن تكريت محلّ دارك، والدرّة اليتيمة أخس سوارك، وحتّى كأن رستم بن دستان عجز عن مدّ قوسك، واسفنديار بن كرتاسب ضعف عن حمل سيفك وترسك"<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا التّحو نجد الخوارزمي يستعرض ثقافته الواسعة في التّنويع بين هذه التناصّات التاريخية لتصوير جهل المهجو والتقليل من شأنه، وبالمقابل فلن

(١) المصدر نفسه، ص ١٩٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٩٨.

يمكن الكاتب من توظيف التناسل الفكري بأبعاده المعرفية ما لم يكن ذا ثقافة واسعة بشتى العلوم والمعارف المتنوعة، ومقدرة بديعة في تطويع هذه الثقافات في سياق رسالته، وخدمة غرضه.

ومن التناسل الفكري الأدبي ما نجده في جواب رسالة له اقترن فيها المدح بالعتاب وصلت إليه من أحد الكتّاب، وقد برزت فيها مقدرة الفنية، وثقافته الأدبية، وتفننه بسرد أعلام الأدب، ومشاهير النظم والنثر أمام المخاطب؛ ليزر له قدرته الأسلوبية في العتاب إن أراد عتاباً، وفصاحته وإبداعه إن أراد ردّاً وجواباً، ولكنه أعرض عن ذلك لمكانة المخاطب، وعظم منزلته لديه، فكان جوابه في الرسالة يتماهى بين المدح والعتاب تبعاً لتذبذب المخاطب بين الوصل والإعراض، والانبساط والانقباض، يقول: " وكيف تساعدني بناني، على ما يخالفني فيه جناني، وكيف يطيعني بعضي فيما يعصيني فيه كلّي، ولو كنت أحمد بن يوسف في البلاغة، وعبد الحميد بن يحيى في اتساع الكتابة، وجعفر بن يحيى في الاختصار، وأبا الربيع في التوسع والإكثار، وأبا العيناء في العارضة، وأبا العتاهية في البديهة، وابن المعتز في التشبيهات، وأبا نواس في الخمرات والطرديات، والعتابي في المعاتبات، والنابعة في الاعتذارات، وصريع الغواني في الاستعارات، والفرزدق في الفخرات، وجريراً في المهاجة، وغلبت في المخاطبة صعصعة بن صولجان، وقمعت في الفصاحة خالد بن صفوان، ونطقت بيتيمة ابن المقفع مرتجلاً، وأتيت بعجوز آل رقية مبتدعاً، وبعذراء آل خارجة مقتضباً، وضرب بي المثل في المقامات لا بسحبان وائل، وبوهي بي في العي لا بياقل، وحفظت حفظ الشعبي، وحاضرت محاضرة ابن القرية النمري، وأبدعت إبداع

أبي تمام الطائي، ووعظت عظة الحسن البصري، وجادلت جدل النظام في الكلام، وصنفت تصنيف الجاحظ في الجد والهزل، وأريثت على إياس بن معاوية في الذهن والعقل، وبهرجت الأصمعي رواية، وزيفت أبا عبيدة حفظاً ودراية"<sup>(١)</sup>.

إنَّ الكاتب وظَفَ التَّنَاصُ الأدبيَّ في هذا النَّصِّ توظيفاً بديعاً حيثُ حقق من خلاله اعتداده بذاته، وكشف مدى ثقافته ومقدرته الأدبية التي صورها بأنَّها تفوق أبرز أئمة البلاغة والفصاحة، وأعلام الأدب والكتابة، وهو يؤكد بهذا الاستعراض الدقيق قدرته على الرَّدِّ، وإفحام الخصوم، وأنَّه لا يعجزه بيأنه، ولا تعييه درايته ودهاؤه، فهو أكثر إبداعاً وارتجالاً من مشاهير الشعراء، وجدلاً وتصنيفاً ومحاورة من مبدعي الكتاب، كما أنَّ التناصات مع هؤلاء الأعلام وفنوتهم الأدبية تكشف المهارة التقديَّة لدى الخوارزمي حيث جعل لكل فنِّ تقسيماته الدقيقة التي ذكر أبرز أعلامها، كرواية الأصمعي، وحفظ ودراية أبي عبيدة معمر بن المثنى، وهجاء جرير، وفخر الفرزدق، وعتاب العتابي، وبديهة أبي العتاهية ونحوهم ممن كان لهم سبق وتميز في جزئيات دقيقة من النقد والأدب في التاريخ.

ويتابع الخوارزمي في سياق اعتداده بذاته، وفخره بقدرته وإبداعه تناصه مع أعلام الفنون، ويرى بأنَّهم منه يتعلمون، وإليه يعودون، فيقول: " وأخذ عتي بظلميوس علم الهيئة، وأرسطاطاليس علم الفلسفة، وبلنياس باب الطلسم

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٨٣.

والحيلة، وقرأ عليّ سيويه نحو البصريين، والفراء نحو الكوفيين، واختلقت إلى الهند في تعليم الحساب، ودرس عليّ أبو عثمان المازني علم التصريف والإعراب، واقتبس مني الخليل عروض الشعر، وكان هاروت وماروت تلميذي في السّحر، وضرب على قالب خطي خط ابن مقلة، وتوارث الكتابة أهل بيتي كما توارثها بنو ثوبة، وأمليت على ابن الكلبي شجرو النسب، وعلى أبي عمرو بن العلاء أيام العرب، وأوتيت الحكمة وفصل الخطاب، وكنت الذي عنده علم من الكتاب، وعددت في الراسخين في العلم عدا، وقال لي موسى هل اتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا، ثم حملت بعد هذا كله على أن يمضي بي في عتاب الإخوان لساني، أو يجري فيه بناني، لقصر عن ذلك عناني، ولأرتبك فيه عقلي وبياني" (١).

إنّ أبا بكر الخوارزمي مع استعراضه الثقافي البديع، ورصده لكل الأعلام الأقدمين ذو مقدرة فائقة على تحيّر الألفاظ البليغة، وتطويعها لأسلوبه السّجعي الذي عرف به "إنّه الأسلوب الجديد، أسلوب الرسائل الشخصية عند الأستاذ الأديب أبي بكر الخوارزمي، الذي اشتهر بالبلاغة والبيان في عصره، لما كان يسوق في رسائله من مثل هذه العبارات المرصوفة، التي تدل على التصرف والمبالغة، كما تدلّ على ضرب من الإفراط في استخدام الجمل، والتراكيب المسجوعة، وأكبر الظن أنه كان يعتمد إلى ذلك عمداً، حتى يجمع لتلاميذه في رسائله جميع صور التعبير، التي يمكن أن يستخدموها في فكرة من الأفكار" (٢).

(١) المصدر نفسه، ص ١٨٤.

(٢) شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط ١٣، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص ٢٣٦.

وإنَّ المبالغة والتهويل في هذا النَّص هو نوع من التصنيع الذي عرف به الخوارزمي، واعتماده على الإشارات التاريخيّة، والتناصات الفكرية الكثيفة تكشف عن الثقافة الواسعة التي يعتمد عليها في ترسله لاسيما إذا كانت في مقام الفخر أو التعريض بالمخاطب، ولكنه قد يوقعه هذا الاجتلاب للعلوم والمعارف، وتراكم العبارات والتراكيب في الخروج عن الطّرق الطّبيعية في التعبير الفني<sup>(١)</sup>.

ومن التناص الفكري استعماله مصطلحات العلوم، وعبارات المؤلّفين على نحو قوله: "وقد قرأتُ على متعلم غير عالمٍ لا يدري، ولا يدري أنّه لا يدري، فراؤها زاء، وميمها هاء، وطاؤها ظاء... ومن آفة العلم خيانة الواقين، وتخلف المعلمين، كما إنّ من آفة الدين فسق المتكلمين، وجهل المتعبدین"<sup>(٢)</sup>، وعلى نحو قوله من رسالة أخرى إلى تلميذٍ له: "ثمّ رجعتُ إلى الحقائق فعلمتُ إنّ الإنسان ابن أمّه وأبيه، لا ابن أيّامه ولياليه، وإنّ قول النَّاس أبناء الدّهر لفظ مجازي، ومعنى اصطلاحه"<sup>(٣)</sup>.

فقد تضمن النَّص تناصًا معرفيًا مع بعض مصطلحات العلماء في تصنيف أحوال النَّاس، كقول الخليل بن أحمد "ورجل لا يدري ولا يدري أنّه لا يدري، فذلك جاهلٌ فارفضوه"<sup>(٤)</sup>، وكذلك تحويله مصطلحات التأليف السائدة لدى

(١) يُنظر: المرجع نفسه، ص ٢٣٦.

(٢) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، ص ١٢١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٥.

(٤) ابن قتيبة، عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، ٢ / ١٤٢.

المؤلفين كلفظ المجاز والاصطلاح ونحوهما إلى سياق أدبي فريد يريد به الثناء على نجابة تلميذه، وأنه ابن زمانه، وعالم دهره، إلا أنه بعد التأمل، والعودة للحقائق، فإنّ الزمان لا أبناء له، لولا ما تعارف عليه الناس مجازًا، أو تناقلوه اصطلاحًا. وبهذا فإنّ أبا بكر الخوارزمي كان على دراية بالعلوم والمعارف ومدلولاتها المعنويّة، وكان ذا ثقافة عميقة نلحظ أثرها في تطوير فنّ الترسل لديه، وإثرائه بالتفاعلات النصّية المختلفة، كما أضاف إلى رسائله عمقًا وثراء، وغنى وتنوعًا متعدد المصادر، ومتنوع المناهل، وهذه التعالقات النصّية بمستوياتها الدلاليّة والشكليّة منحت خطاب الرسالة تطورًا وإبداعًا ليس في مقام الأغراض والمقاصد فحسب، وإثما في الأساليب التعبيريّة، والخطابات الإقناعية والحجاجية، وإثراء الأجناس التي تتفاعل داخل النصّ، وتسهم في إنتاج خطاب الرسالة، وتوليد المعاني، والقيم المشتركة.

\*\*\*

### المبحث الثالث: تجليات التناص في رسائل أبي بكر الخوارزمي: الآليات

إنّ للتناص آليات وأصواتاً تتفاعل داخل الخطاب الأدبي بديناميكية (Dynamic) فاعلة يمارسها المبدع مع مختلف الفنون؛ لتكون متفاعلة مع بعضها، وقد كشف أعلام التناص عن بعض هذه الآليات التي تساعد الناقد على مقارنة النص الأدبي، وسبر أغواره، واستكناه خفاياه، فمنهم من جعلها داخل النص وخارجه، وآخرون جعلوا للنص أنماطاً تنفي النصوص المتناصّة نفياً كلياً، أو جزئياً، أو متوازياً كما رأّت جوليا كرسيفا، ومن خلال رسائل أبي بكر الخوارزمي سنقف على أبرز هذه الآليات التي تكشف عن عمق التفاعلات النصّية في خطاب الترسل لديه.

#### (١) الاقتباس

وهو ما يعرف لدى جوليا كرسيفا بالنفي المتوازي<sup>(١)</sup>، ولدى البلاغيين أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن، أو الحديث لا على أنه منه<sup>(٢)</sup>، ويأتي على أنماط وصور متعددة، من ذلك الاقتباس المباشر، حيث يأخذ الكاتب النصّ القرآني، أو الحديث النبوي، ويدرجه في الرسالة بطريقة صريحة، وقد كثر هذا النوع في رسائل الخوارزمي كما سبق في موضعه من هذا البحث على نحو قوله متناصاً مع آي القرآن الكريم: "وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ أَخَوْتَنَا مُتَّصِلَةً فِي الدُّنْيَا بِأَخَوْتَنَا يَوْمَ الدِّينِ، فَإِنَّ ﴿الْأَخِلَّاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا

(١) يُنظر: جوليا كرسيفا، علم النص، مرجع سابق، ص ٧٨.

(٢) ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: بهيج غزاوي، ط ٤، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٣٨١.

الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾<sup>(١)</sup>، فقد أخذ النص القرآني بشكل مباشر دون تحوير، ومثله كذلك الاقتباس من الحديث النبوي بطريقة صريحة، كقوله: "كتابي ولو استقبلت من أمري ما استدبرت، وقدمت من رأيي ما آخرت، لما أمضى الفراق فينا حكمه، ولا أنفذ فينا سهمه، ولا قمنا جميعاً، أو رحلنا معاً"<sup>(٢)</sup>، فقد اقتبس جزءاً من حديث النبي ﷺ بشكل مباشر، وإن لم يشر إلى أنه من الحديث النبوي "إني لو استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي ولجعلتها عمرة"<sup>(٣)</sup>، وقد تقدم هذا النوع من التناص الصريح الذي يأخذ فيه الكاتب النص دون تغيير في النص المقتبس على سبيل الاستشهاد والإدلال.

وقد يعتمد إلى الاقتباس بشكل غير مباشر، كقوله: "ولكن لن تتجاوز الطاقة ذرعها، ولن يكلف الله نفساً إلا وسعها"<sup>(٤)</sup>، فقد غير النص القرآني بما يوافق السياق، ويحقق المراد، وعلى نحو قوله من رسالة أخرى: "ولا تحاسب نفسك على دخلك وخرجك، فإنك بصدد أضعاف ذلك من الثواب، وإنما يوفى المحسن أجره بغير حساب"<sup>(٥)</sup>، فقد أشار دون تصريح إلى الآية القرآنية ﴿إِنَّمَا يُؤَوَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(٦)</sup> مع تغيير موافق لسياق

(١) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، ص ٦٤. والآية من سورة الزخرف، رقم: ٦٧.

(٢) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، ص ١٠.

(٣) يُنظر: سنن أبي داود، مرجع سابق، ١٠/١.

(٤) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، ص ٢٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٦٣.

(٦) سورة الزمر، الآية رقم: ١٠.

خطابه، وبيان مقصده، ومن ذلك قوله من رسالة إلى صاحب ديوان الخراج: "ولا أقلّ من أن يرضى بالجمان، إن لم يشتر بالأثمان، وأن يمسك بالمعروف، أو يسرح بإحسان، وإنّ درهماً يؤخذ مني لدرهم ثقيل الوضع على السلطان، قبيح الأحدث في البلدان"<sup>(١)</sup>، فالخوارزمي وظّف بنية جزئية من الآية القرآنية ﴿فَأِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنٍ﴾<sup>(٢)</sup> داخل خطابه مع بعض النفي لأجزاء منه، مع بقاء قوة وهيمنة الشاهد القرآني في الدلالة والتأثير.

ومن التناص الجزئي الذي يأخذ بعض كلمات الآية القرآنية ويوظفها لغرضه، ويطوعها لأسلوبه، قوله: "فأبى الله تعالى وله الحمد إلا أن يقع في البئر من حفر، وأن لا يحيق المكر السيئ إلا بمن مكر، وخرج الحاكم من غيابة تلك الأهوال، خروج المشرفي من الصّقال"<sup>(٣)</sup>، فإنّ الناظر يهيا إليه أنّه اقتبس الآية القرآنية اقتباساً كلياً، ولكنه يدرك بعد التأمل هذا التحوير الذي وظّفه الكاتب لموافقة نظام الرسالة السّجعي، ولخدمة غرضه المعنوي، وقد كان التناص الجزئي من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْقِقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾<sup>(٤)</sup> فقد اكسب النص رونقاً جمالياً وفنياً؛ لكونه النصّ المتفرد في إعجازه البلاغي، وتأثيره البياني.

وهذا التنوع في التوظيف الجزئي للآيات القرآنية في رسائل أبي بكر الخوارزمي يدلّ مع قوة الاستشهاد على تأثر المترسلين بلغة النصّ القرآني وبيانه،

(١) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، ص ٢٤.

(٢) سورة البقرة، الآية رقم: ٢٢٩.

(٣) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، ص ٤٤.

(٤) سورة فاطر، الآية رقم: ٤٣.

فلغة القرآن منهلّ عذب يرده المترسلون، وينهلون من ألفاظه وأساليبه صيغاً يُحكّمون بها أساليبيهم، وينسجون بها صناعة أغراضهم، نجد ذلك في قول الخوارزمي: "ولكن لن تتجاوز الطاقة ذرعها، ولن يكلف الله نفساً إلا وسعها، وما عندنا غير خلق لا يشتري بثمن، ولا يعارض بايعه بقبيح ولا حسن، وهو الدعاء استجاب الله في الحاكم صالحه، وأسبغ عليه منايحه"<sup>(١)</sup>.

إنّ هذا الاستدعاء أتى في سياق الشكر للحاكم، والاعتذار عن عدم قدرته على رد جميله، وبلوغ إحسانه إلا بالدعاء له، ولم يجد ما يقوي به مدلوله، ويكشف عن مقصده ومكنونه إلا باللجوء إلى الاقتباس الذي أتى جزئياً من القرآن الكريم بما يتضمّنه من قوة التأثير، وبلاغة التعبير، فعمد إلى التحوير الموافق لسياق خطاب الرسالة، وبنائها الأسلوبية.

وإنّ المتأمل في رسائل الخوارزمي يجد أنّه أكثر من الاقتباسات القرآنية المباشرة وغير المباشرة في رسائله، كما تنوعت آليات التوظيف من حيث الإشارة إلى الآية إشارة مباشرة أمّا من كلام الله تعالى، وكأنّه يريد بها قوة الاستشهاد، والاستعانة بقداسة القرآن على غرضه، وتأكيد موضوعه، كما يأتي الاقتباس الكلّي أحياناً دون الإشارة إلى أنّه من كلام الله، وكأنّه يترك للمتلقّي قدرة التمييز، ويستخدم معه عنصر المفاجأة بتنوع الأسلوب، وتداخل الأجناس، ونجده كثيراً ما يقوم بتغيير بعض كلمات الآيات لمراعاة حسن النظام السجعي، والتوازن الصوتي، مع المحافظة على قوة الدلالة، وبراعة التوظيف.

(١) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، ص ٢٢.

## (٢) التضمين

إنَّ من آليات التناص التي لها حضور بارز في رسائل أبي بكر الخوارزمي التَّضمين، وقد عرّفه البلاغيّون بأنّه تضمين شيء من شعر الغير مع التنبيه عليه إنْ لم يكن مشهورًا عند البلغاء<sup>(١)</sup>، وقد لا يقتصر المبدع على تضمين شيء من مشهور الشعر في كلامه، بل يتعداه إلى تضمين بعض الأقوال المنشورة، والحكم والأمثال المتداولة، ويعد ذلك من آليات التناص المضمّن، كقول ابن الأثير في تعريفه: "هو أن يضمّن الشّاعر شعره، والتّأثر نثره كلامًا آخر لغيره؛ قصدًا للاستعانة على تأكيد المعنى المقصود، ولو لم يذكر ذلك التّضمين لكان المعنى تامًّا"<sup>(٢)</sup>.

وقد تعدد آليات التضمين في رسائل الخوارزمي، وتنوعت مواقعها، وآليات توظيفها في رسائله، فنراه تارة يصرّح بذكر اسم الشّاعر، وتارة أخرى يكتفي بالتّضمين الشعري دون ذكر قائله، لا سيّما إذا كانت من الأبيات السّائرة التي ذاعت على ألسنة النّاس، وتارة يأتي بذكر القائل بعد الشّاهد لغرض التّأكيد والمقارنة، كقوله: "هذا وأنا أقول:

أخوك الذي إنّ أجرضتك مُلِمَّةً من الدّهر لم يبرح لها الدّهرُ واجما  
ولا أقول:

وليس أخوك بالذي إنّ تشعبت عليك أمورٌ ظلّ يلحاك لائما

(١) ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، مرجع سابق، ص ٣٨٣.

(٢) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، مرجع سابق، ٢ / ٣٢٦.

أصاب المرقش - أيّدك الله - في بيت الواجم، ولم يصب في بيت اللائم<sup>(١)</sup>، ومثل هذا النوع كثير في رسائله حيث يصدر التناص بذكر قائله أو يعقبه به، مع إيراد البيت الشعري أو الأبيات دون تحوير، وقد ورد شيء من ذلك في أشكال التناص الأدبي من هذا البحث.

وقد تكون آلية التّضمين إيراد بيت في سياق خطاب الرسالة دون إشارة لقائله، ولا أنّه من الشعر، إلا أنّه خلّصه من سياق النّظام السّجعي الذي انتظم الرّسالة بأكملها على نحو قوله: " بل حالي وحال الأحرار فيها، وأصبح أقوامٌ يقولون ما اشتهوا، وغاب أبو عمرو وغابت رواحله، وقد كنت آوي من الشيخ أيام مقامه بهذه الجنبّة إلى كنفٍ رحيب، وجناب خصيب"<sup>(٢)</sup>، فقد ضمّن البيت الشعري:

وَأَصْبَحَ أَقْوَامٌ يَقُولُونَ مَا اشْتَهَوْا وَغَابَ أَبُو عَمْرٍو وَغَابَتْ رَواحِلُهُ<sup>(٣)</sup>  
وقد يعمد إلى اجتزاء عجز بيت من مشهور الشعر دون أن يعزّيه لقائله، والاكتفاء بالإشارة إلى أنّه من الشعر، نجد مثل ذلك في قوله: " على أيّ أحمل الجمال على التّجمل، وأوثر البذل على التّبدّل، وأنشد شعراً: حنانيك بعض

(١) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، ص ٢-٣. والبيتان في ديوان المرقش الأصغر. ينظر: ديوان المرقشين، تحقيق: كارين صادر، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م، ص ١٠٠.

(٢) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، ص ١٣.

(٣) نسبه صاحب كتاب شرح نهج البلاغة لأبي القاسم المغربي ت ٤١٨هـ. يُنظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٥م، ١٤/٦.

الشَّرُّ أهون من بعض، وما أيسر دواء هذا الدَّاء لو طاوعتني نفسي العاصية،  
وتابعني رجلي الآية"<sup>(١)</sup>.

فقد كان التَّنَاصُ جزئياً حيث أخذ عجز بيت طرفة بن العبد<sup>(٢)</sup>، وضمَّنه  
خطاب الرِّسالة، لبيان حاله حين طلب منه حضور الديوان من غير رغبة،  
ولكنَّه رأى أنَّ حضوره أهون لديه من الاعتذار، فدخل الديوان مصانعاً، وآثر  
الحضور مُدَارِياً.

كما يأتي التَّضمين في افتتاح الرِّسالة في سياق العتاب؛ وهو من براعة  
الاستهلال حيثُ أشرك صديقه المعاتب في قضيتِّه، وأكَّد ذلك بالرَّأي الجمعي  
من خلال التَّضمين، فكلٌّ من تولَّى ولاية فلا بدَّ يوماً من التفريط في أوصل  
الصَّدَاقَة، واستبدال الوصل بالجفاء على نحو قوله:

"وكلَّ ولايةٍ لا بدَّ يوماً مغيِّرة الصديق على الصديق

قد كنتُ أنتظر مصداق هذا البيت من سيدي حتى حقق الله تعالى ظيِّي،  
ولو أكذَّبه كان أحبَّ إليَّ، وأوقع لديَّ، فسبحان من جعل حصَّتي من وفاء  
الإخوان منحوسة، وتجارتي فيما أعاملهم به ويعاملوني مركوسة"<sup>(٣)</sup>.

---

(١) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، ص ١٤.

(٢) يُنظر: ديوان طرفة بن العبد، شرح: مهدي محمد ناصر الدين، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت،  
٢٠٠٢م، ص ٥٣، والبيت:

أبا منذر أفنيَتْ فاستبقِ بعضنا حنانيك بعضُ الشَّرِّ أهونُ من بعضٍ

(٣) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، ص ١٤. والبيت منسوب لأبي زيد الطائي، ينظر: أبو حيان  
التوحيد، البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م،  
١٠١/١.

لقد كان التّضمين مدخلاً بليغاً افتتح به الكاتب النّص، وهو مطرد لدى المترسّلين عامّة، ولدى أبي بكر الخوارزمي على وجه الخصوص؛ لما فيه من براعة الاستهلال، وجمال الصياغة، وما يتضمنه من قوة التأثير في المتلقي باستدعائه القيم المشتركة، والرأي الجمعي في سياق الاستدلال والإقناع بالحجج المتوارثة. وكثيراً ما تأتي النصوص المضمّنة لدى الخوارزمي في درج الكلام لغرض الاستشهاد دون تغيير في ألفاظها ما عدا التحوير الفنّي للشاهد الشعري، وتوجيهه لغرض الرّسالة، وإثرائها بمادته الموروثة على نحو قوله: "وكلام الحبيب حبيب، وكلّ شيء من القريب قريب، قال جرير:

إنّ البليّة من تملّ كلامه فانقع فؤادك من حديث الوامق

وقال غيره:

وإذا كرهت فتى كرهت كلامه وإذا سمعت غناءه لم تطرب

أردت مكاتبة الرئيس ثمّ أشفقت على سمعه أن أملاه بالكلام الغث، وعلى ناظره أن أشغله بالخطّ الرّث"<sup>(١)</sup>.

ونجد الكاتب قد وظّف الشّواهد لغرضه السّاخر بالمخاطب بطريقة تختلف عن إirاده لتقوية مضمونه حيث نجدّه ينشئ حواراً بين عدد من الأصوات، ويقوم بإدارة تحويرها لمقام غرضه، وخدمة مقصده، بل نجدّه في نص آخر يعاتب الشّاعر الذي قال معنى الشّاهد الشعري في غير المخاطب لغرض السّخرية منه، فكيف يُعير غيره ما ينبغي أن يكون له من المدح والتّناء على نحو قوله: "إني

(١) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، ص ٤٢. ولم أجد قائل البيت الثاني فيما عدت إليه من مظان.

وفقدك فلا شيء أعزّ عليّ منه، ولا أحسن منه، ما سمعتُ قول علي بن جبلة  
في أبي دلف:

إنّما الدّنيا أبو دلفٍ بين باديهِ ومحتضرةٍ  
فإذا ولّى أبو دلفٍ ولّت الدّنيا على أثره  
إلا غضبتُ عنك عليه، واعتقدتُ أنّه سرق صنعتك، وأعار أبا دلفٍ  
مدحتك، ولا سمعتُ قوله:

إنّما الدّنيا حميد وأياديهِ الجسام  
فإذا ولّى حميد فعلى الدّنيا السّلام  
إلا تمنيتُ لو عرفتُ قبره فرجته، أو عرفتُ بيته فهدمته، ولا سمعتُ قول  
ليلى:

فنى كان أخياً من فتاةٍ حيّةٍ وأشجعَ من ليثٍ بحفّانٍ خادرٍ  
إلا قلتُ، فكيف لو رأث ليلى أخانا، فتعلم أين دعوها من دعوانا، ولا  
أنشدتُ قول ابن أبي العسلا في الرشيد:

أغنياً تحملُ الناقةُ أم تحملُ هرونا  
أم الشمسُ أم البدرُ أم الدّنيا أم الدّينا  
إلا رحمتك مما قطع عليك طريقَ استحقاقك، ومدح غيرك بمحاسن  
أخلاقك، وأما قول الطائي:

تسودُّ أفوامٌ وليسوا بسادةٍ بل السيّد المقدّم سلم بن نوفلٍ  
فلا شكّ أن الشيطان تكلم به على لسانه، حتّى أبرز وصفك في غير  
أوانه، ولو رآك علم أنّ سلم بن نوفل لا يسود وأنت حيٌّ، وأما قول زهير:

لو كنتُ من شيءٍ سوى بشرٍ كنت المنور ليلة البدر  
فإني والله أعجبُ منه كيف قاله في غيرك، ولم ترمه جهنم بشرارها، ولم  
ترجمه الملائكة بأحجارها، وأعجبُ منه قول من قال في معن بن زائدة:  
مسحتُ معدُّ وجهٍ معنٍ سابقًا لما جرى وجرى ذُورا الأحسابِ  
كيف يسبق غيرك في حلبة أنت في عدادها، وكيف يكون غيرك سابق  
جياها" (١).

إنَّ النصَّ من رسالة طويلة كتبها الخوارزمي لأبي الحسن البديهي الشَّاعر،  
وقد أجمعت اتجاهًا ساخرًا متخذةً من التناص الشعري أسلوبًا مضادًا للمخاطب  
الشَّاعر، فأنت الرسالة محملة بالتناصات الشعريَّة، وكأنَّ الخوارزمي مع توظيف  
هذه الأصوات لغرضه يتباهى بمقدرته الفنيَّة، وثقافته الأدبيَّة التي تفوق قدرة  
المخاطب الشَّاعر، وهذا يؤكِّد بأنَّ العلاقة الأدبيَّة بين المترسلين منحت الرسائل  
بُعْدًا أدبيًّا وفنيًّا آخر تتفاعل فيه الأجناس الأدبيَّة، وتتولَّد معه المعاني الجديدة،  
وتُحوَّل النَّصوص إلى مقاصد تخضع لإرادة المترسلين وخدمة موضوعاتهم.  
ومن آليات التناص المطَّردة إعادة بناء البيت المضمَّن وتحويله بما يتناسب  
مع سياق الخطاب، والعمل على مفاجأة المتلقي، وتخفيز ذاكرته الأدبيَّة لتلقي  
إعادة صناعة الموروث الأدبي في سياقات جديدة، نجد مثل ذلك في قوله: "  
فإلى أين المهرب من الفلك الدوار، ومن القدر الجبار، ومن خطر الليل الذي  
هو مدركي، وإنَّ خلْتُ أنَّ المنتأى عنه واسع" (٢).

(١) المصدر نفسه، ص ٢٠٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٥.

لقد كان التّناس غير مباشر حيثُ أعاد بناء بيت النّابعة الذبياني الشهير، والتّغيير في بعض ألفاظه بما يوافق خطابه الترسلي، وسياقه الفني والمعنوي مع المحافظة على بعض ألفاظ النصّ الغائب:

فإنّك كالليل الذي هو مُدركي وإن خِلْتُ أنّ المنتأى عنك واسع<sup>(١)</sup>  
ولم يقتصر التعديل وإعادة بناء الموروث الأدبي على الشّعر فحسب، وإنّما تعدّى ذلك إلى الأمثال العربيّة التي تلزم صياغة واحدة، وذلك بتحويلها وفق سياق الرّسالة مع المحافظة على بعض الألفاظ الدّالة على النصّ الغائب على نحو قوله: "ثم الحمد لله الذي جلى تلك الضبابه، وقشع تلك السحابة، وغسل عن وجهي وعن وجه أهل الحق تلك الكآبة"<sup>(٢)</sup>.

وهو يشير إلى المثل العربي القديم "سحابةٌ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقْشَعُ"<sup>(٣)</sup> الذي يُضرب لسرعة انقضاء الأشياء وزوالها، وقد تصرف في بناء المثل المضمّن تصرفاً يوافق نظام الرّسالة السّجعي، والبناء الأسلوبي مع المحافظ على الألفاظ الدالة على المثل العربي الذي يتبادر إلى ذهن المتلقي عند سماعه للنص.

ومن إعادة البناء والتحويل في الأمثال بما يوافق الخطاب، ويتناسب المقام قوله: "ولا زال الملك سليله ونتيجته، والعزّ صنيعته وخريجه، حتى يملك الأقاليم،

(١) ينظر: ديوان النابعة الذبياني، تحقيق: شرح عباس عبد الستار، ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت،

١٩٩٦م، ص ٥٦

(٢) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، ص ٤٥.

(٣) ينظر: الميداني، مجمع الأمثال، مرجع سابق، ١/٣٤٤.

ويفترض السرير العظيم، فيعطي القوس باربيها، ويملك الزعامة من يليق بها ويحسن فيها<sup>(١)</sup>.

فقد اتخذ من المثل السائر " أعط القوسَ باربيها"<sup>(٢)</sup> مادة بناء أسلوبية جديد مع بقاء التأثير الدلالي لقوة المثل التي يستدعي به الرأي الجمعي، والجمال الفني الذي يعانق خطاب الرسالة، فيزيد المعنى ثراء وعمقاً.

### (٣) الإحالة والتلميح

يدرك الكاتب وعي المتلقي وثقافته التي تمكنه من فهم خفايا النص وإيحائه، فيقوم بتوظيف بعض الكلمات والعبارات الجاهزة التي توحى بإشارات رمزية، أو إحالات مرجعية للحوادث التاريخية، والأحوال المعهودة، أو الأعلام البارزة في شتى الفنون والمعارف، وهذه الإحالة إذا وقعت "الموقع اللائق بها، فهي من أحسن شيء في الكلام، فليَتَذَكَّرَ ما مضى من الأمور التي يقل نظيرها في ما هي عليه من الأوصاف التي تميل إليها النفوس، أو تنقَر عنها، موقع عجيب من النفوس"<sup>(٣)</sup>.

ولذلك نجد أبا بكر الخوارزمي يتخذ الإحالة من آليات التناص التي تتكرر في رسائله على صور مختلفة، وتحمل أبعاداً دلالية يستدعي بها ذاكرة المتلقي، ويثير بها إحساسه تجاه تلك الرموز، ويربط بينها وبين سياقها الجديد الذي يعبر

(١) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، مصدر سابق، ص ١٦٦.

(٢) ينظر: أبو الفضل الميداني، مجمع الأمثال، مرجع سابق، ١٩/٢.

(٣) حازم القرطاجني، منهج البلاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، ط ٣، الدار

العربية للكتاب، تونس، ٢٠٠٨م، ص ١٦٨.

عنه خطاب الرسالة نجد مثل ذلك في سرده لشخصيات تاريخية ترتبط في ذهن المتلقي بأحداث وأخبار تميل إليها النفوس كقوله: " وجلسْتُ من الدواوين بين آل الخراج وآل بويه، ومن بني الخصيب وبني مقلة... وحشرت من الآخرة ابن المقفع البصري، وسهل بن هارون الفارسي، وابن عبدان المصري، والحسن بن وهب الحارثي، وأحمد بن يوسف المأموني، ووضعت عن يميني عهد أزدشير بن بابكان، وعن يساري كتاب التبين والبيان"<sup>(١)</sup>.

فإنَّ الخوارزمي تمكن من نقل هذه الأعلام من فضاءاتها الثقافية، وعوالمها التاريخية إلى سياقات جديدة؛ ليعث في ذهن المتلقي قدرته ومكانته التي تفوق تلك الرموز، وما تحمله من محاسن وفنون.

ونجد هذه الإحالة كذلك في قوله: " ولو أهديثُ إليه تاج كسرى، وخراج الدنيا، وخاتم سليمان، وذخيرة الهرمزان، وصدقة البصرة، وجوهر الشمصرة، وكسوة الكعبة، مع الدرة اليتيمة، مع جواهر الخلافة، نعم ولو أتحفته بمال قارون الإسرائيلي، وكنز النطف بن حبر التميمي، وملك عمرو بن حريث المخزومي"<sup>(٢)</sup>.

ويواصل هذه الإحالات المرجعية، والإسقاطات التاريخية التي تثري النص، وتكثف المعنى، فيقول في سياق المدح، وأنه لا يستطيع أن يبلغ قدر ممدوحه، فيقول: " ولو قلت فيه ما قال حسان بن ثابت في آل جفنة، ومدحته بما مدح به زهير هرم بن سنان بن أبي حارثة، وشهدت له بما شهدت به الخنساء

---

(١) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، مصدر سابق، ص ٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٧.

لأخويها صخر ومعاوية، وصنفت فيه ما صنّفه الجاحظ في محاسن أحمد بن أبي داود الإيادي" (١).

فقد سرد مشاهير أعلام الأدب الذين عرفوا بالفصاحة والبيان؛ ليؤكّد علو الممدوح، وسمو منزلته، وأنّه لن يبلغ مدحه وإن ملك بلاغة هؤلاء الأعلام عبر العصور، وعلى الرغم من تعدد الشخصيات المستدعاة، وتنوع فنونهم إلا أنّ النصّ محكم البناء، ومترايط الأجزاء.

و قد يأتي هذا التعدد والاجتلاب في سياق عتاب الأصدقاء لتأخر جوابهم، فيقترن بالمبالغة والتهويل، حتى أنّه يظنّ أنّ أحد الصعاليك قد سطا على المكتوب ونهبه، ثم ما يلبث أن يستدعي مشاهير صعاليك العرب في تتابع بديع، ونسقٍ بليغ، كقوله: "وليت شعري كيف سلّط على كتبنا حتى اقتطعها دوننا سليك بن السلّة السعدي، وأوفى بن مضر المازني، وعمر بن بدافة الهمداني، والشنفرى الأزدي، وتأبط شرّاً الفهمي، والسمهري العلّكي، ومالك بن الريب المزني، وشطاط وبرجان وكعب بن حدر، ومالك بن خزيم وعمر الكلب الهذلي، وجحدر البكري، والمنتشر بن وهيب الباهلي، وأبو النشناس الحنظلي، والقتال الكلابي، وأبو حردبة والخطيم التميمي... هؤلاء لصوص العرب وصعاليكها الذين كانوا يسلبون الناس سلّباً، ويأخذون كلّ سفينة غصباً" (٢).

(١) المصدر نفسه، ص ٩٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٧.

لقد أحال في هذا النص لكل لصوص العرب ظنيّة سرقة كتاب صديقه الذي تأخر عليه جوابه، وهو عتاب مقترن بالسخرية، فكانت المبالغة في الاستقصاء لتلك الشخصيات التي قد ينوب عن استعراضها إشارة يسيرة لولا ما بينهما من صداقة تتسع لذلك، فنجدّه يعزو هذا التأخّر إلى هؤلاء الصّعاليك مبالغة وتهويلًا وإمعانًا في إحراج صديقه، ويؤكد ذلك بقوله من ذات الرسالة: "وأما بعد اليوم إذا كتبتُ إلى سيدي كتابًا قرأتُ عليه المعوذتين، وعلقت في جيده تيمنتين" كما أنّه يلمح إلى الآية الكريم ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾<sup>(١)</sup> للمبالغة في عتاب الصّديق، وهذا الاتجاه الذي يقتن في عتاب بالأسلوب الساخر مطرد لدى الكثير من الكتّاب، ولعلّ مرده الشوق بينهما، فتأتي هذه الرسائل محمّلة بالمعاني الجديدة، ومكتملة العناصر الفنيّة.

وقد يحيل إلى قول مأثور في سياق الاعتزاز بالنّصر، والصبر والثبات على الحق فيقول: "ومع اليوم غد، وبعد السّبت أحد، قال عمار بن ياسر رضي الله عنه يوم صفين: لو ضربونا حتى نبلغّ سعفات هجر لعلمنا أنّا على الحق، وأنّهم على الباطل"<sup>(٢)</sup>، فهو يستدعي من التناصات ما يوافق غرضه، ويقوي موضوعه، وهو بهذه الإحالة ينقل المتلقي إلى فضاء تاريخيّ بكلّ مضامينه المعرفيّة، ثم يعود به إلى الغرض ذاته بقناعة محمّلة بالأدلة والحجج المسلّمة.

(١) سورة الكهف، الآية رقم: ٧٩.

(٢) أبو بكر الخوارزمي، الرسائل، مصدر سابق، ص ١٣٥. وقد ورد قول عمار رضي الله عنه في تاريخ الرسل والملوك، للطبري، ط ٢، دار التراث، بيروت، ١٣٨٧هـ، ٣٩/٥.

## الخاتمة

لقد كان هذا البحث محاولة لدراسة تحليلات التناص في رسائل أبي بكر الخوارزمي دراسة تقف على أهم أشكال التناص المتفاعلة في رسائله، وأبرز آليات توظيف هذه الأشكال التي تعددت صورها، وتنوعت سماتها الفنية، والكشف عن أهم الظواهر الأسلوبية التي تزخر بها رسائله، والتي كان لها الأثر في تطوير النثر العربي، وتوليد المعاني من خلال تداخل النصوص، وتعاقد الأجناس الأدبية من جهة، وكافة النصوص المتفاعلة مع الخطاب الترسلّي من جهة أخرى.

وقد بدأ البحث في سياق الإطار النظري بتمهيد يتضمّن لمحة موجزة عن أبي بكر الخوارزمي ومكانته الأدبية بين كتاب القرن الرابع الهجري، وقيمة رسائله الفنية التي كان لها طابع خاص من حيث البناء الفني، والتنوع الأسلوبي، كما تناول التمهيد مفهوم التناص لدى النقاد العرب قديماً، وتتبع مفاهيمه ومصطلحاته لديهم، كمصطلح السرقات الشعرية، والمعارضات الأدبية التي تعددت مدلولاتها عند كثير من النقاد، كالاقتلاب والإغارة لدى ابن سلام الجمحي، والأخذ والإغارة عند الجاحظ، والاتباع والأخذ عند ابن قتيبة، ونحوها كالاضطراب، والاحتلاب، والانتحال، والمرافدة، والاستلحاق، وما تبعها من دراسات نقدية كموازنة الأمدي بين الطائيين، ومفاضلة الجرجاني بين المتنبي وخصومه في الوساطة ونحوها، والتي كانت نواة للدراسات الحديثة التي بلغت شأواً بعيداً في دراسة النصوص، وتداخل الأجناس في الدراسات الحديثة فيما بعد.

وقد أشار البحث إلى تنازع المصطلح بين النقاد حديثاً بدءاً من رائدة هذا المصطلح التي ترى أنّ التناصية تحويل التعبيرات السابقة أو المتزامنة إلى أساليب

جديدة، وأنَّ كلَّ نصٍّ يتشكَّل من نصوصٍ عديدة، ويعدّ خلاصة لها، ثم ما لبثت أن فضلت عليه مصطلحًا آخر هو المناقلة، أو التحويل Transposition بعد أن رأت شيوعه لدى طائفةٍ من النقاد أمثال تودوروف، وريفاتير، وجيرار جينيت، ومشيل ونحوم، والتنازع بين مترجمي المصطلح بين النقاد العرب الذين تناولوه بالبحث والإثراء وتوثيق الصّلة بين الدّراسات النّقديّة القديمة، والمصطلحات الحديثة.

كما وقف البحثُ على تحليلات التّناس في رسائل أبي بكر الخوارزمي، وأهمّ ظواهره الأسلوبية، وسماته الفنية، إذ يلحظ اعتماده على التّفاعلات النّصية المتكررة في أغلب رسائله، وكيف تمكّن بقدرته الأدبية من نسج رسائله بأنواع الثقافات العلمية والدلالات اللغوية، والمعارف الدينية والفكرية والطبية وغيرها، وتوظيف هذه الأشكال التراثية بمهارته الإبداعية، ومقدرته الفنية، ويتصدر هذه التعالق النّصي التّناس الأدبي، حيثُ يتجلّى في عدّة أشكال أبرزها التّناس الشعري نظرًا إلى أهميّة الشعر العربي، فهو ديوان العرب، ومستودع علومها، وحافظ آدابها وأنسابها، وقد تفنن الخوارزمي في هذا التّوظيف، لكونه شاعرًا مجيدًا يدرك جماليات الشعر وفنونه، ولما يتسم به من ثقافة واسعة، وذاكرة أدبيّة حافظة جعلته يلوّن نصوصه النثرية بألوان من النّصوص الشعريّة التي تتوافق مع مقاصده وغاياته، ونجده يعزو تارة الأبيات لقائليها في أغلب التّناسات يتصدرها التّناس مع أبي الطيب المتنبي، وتارة أخرى يذكر البيت دون نسبته لقائله نظرًا إلى شهرته وذيوعه، أو لعلّه يريد مفاجأة المتلقي بالمعنى المراد، واهتمامه به، فهو يتنوع بتنوّع أغراض الرسالة، ومواقف الأصدقاء والكتّاب،

وقد أتى التناص الشعري لديه مقترناً بأغراض الرّسالة كالعتاب والاعتذار، والتعازي والتهادي، والفخر والمدح.

ومن أشكال التناص الشعري التي كان لها أثر بارز في تطوير فن الترسّل لدى الكتاب عامة، ولدى الخوارزمي خاصة هو افتتاح الرسائل بتناص شعري يستدعي به إحساس المخاطب، ويستهل به موضوعه، كما أنّه يعتمد على التناص كذلك في خاتمة بعض رسائله، وهو نوعٌ من أنواع حسن الختام الذي أجاد فيه الخوارزمي على نظير الشعراء في حسن المقطع في القصيدة، وقد فطن لذلك النقاد القدامى، وكان محل عنايتهم بحيث لا يقل عن المطلع في الجودة والإحكام، فكما أنّ المطلع مفتاح النص، فالمقطع قفله وختامه.

كما وقف البحث على نوعٍ آخر من أشكال التناص الأدبي وهو توظيف الأمثال العربيّة، والأقوال والعبارات البليغة الجاهزة بشكل مكثّف في سياق الإقناع بقبول الاعتذار، والنصح والإرشاد، وتأكيد المعنى، وقوة الدلالة، كما تأتي في ختام الرّسالة لتلخيص المضمون، وإحدى الوسائل المستخدمة لإغلاق الرسالة، وقوة التأثير في المخاطب.

وكشف البحث عن التّناسّ الديني بنوعيه الأكثر وروداً في رسائل أبي بكر الخوارزمي، وقد تصدر هذا النوع من التناص مع القرآن الكريم؛ لقوة تأثير النصّ القرآني في النفوس نظراً إلى قداسته، والتّسليم بقبوله وإقناعه، كما يأتي في رسائله من باب الاستشهاد والتدليل على القضايا الواردة بأساليب مباشرة، وغير مباشرة، ويتصدر هذه الأغراض التعزية والحثّ على الصبر والتسليم بقضاء الله تعالى في النّوائب والملمات، ويأتي في ختام الرّسالة لحسن إغلاق الرسالة، أو

الاستعانة به في عدم الإطالة، والنوع الآخر التناص مع الحديث النبوي، وهو قليل مقارنة بالاقتباس القرآني متعدد الدلائل، ويتجلى ذلك في براعة الاستهلال في مقدّمة الرسالة، والتأكيد وقوة التأثير في الخاتمة.

كما وقف البحث على تحليلات التناص الفكري الذي طبعت به رسائل الخوارزمي نظرًا إلى ثقافته الواسعة، وكان الفكري الديني في مقدمة الأفكار التي لها حضور بارز في رسائله، ليس في الاقتباسات المباشرة وغير المباشرة فحسب، وإنما في سرده الأسماء الدينية، والصور القرآنية، والأدعية النبوية، والأقوال والوقائع الماثورة التي تتردد في رسائله، ومن جهة أخرى نلاحظ نوعًا من التناص الفكري والأدبي من خلال سرده لأعلام الطب والفلسفة، ومشاهير الأدب والشعر، لاسيما في ثنائية السخرية بالمخاطب، والاعتداد بالذات.

كما تناول البحث آليات توظيف التناص، وكان من أبرزها حضورًا في رسائله الاقتباسات الصريحة، أو ما يسمى بالنفي المتوازي، وغير الصريحة، أو الجزئية، وكذلك التضمين، والإحالة والتلميح متعددة الصور، ومستويات التوظيف.

وبعد فإني آمل أن أكون قد وفّقت في دراسة تحليلات التناص في رسائل الخوارزمي، والوقوف على أبرز أشكاله وآلياته، وأنا على يقين بأنّ هذه الرسائل تزخر بمادّة بحثية جديدة بالدراسة من حيث البناء الفني، والوظائف التداولية، والظواهر الأسلوبية المعرفية التي تضيف للمكتبة الأدبية قائمة من الأبحاث والدراسات القيّمة.

## قائمة المصادر والمراجع

### المصادر:

- الخوارزمي، أبو بكر محمد بن العباس ( ١٢٧٩هـ ) الرسائل، تصحيح: محمد قطة العدوي، ط ١، مطبعة الجوائب، القسطنطينية.

### المراجع:

- الآمدي، الحسن بن بشر ( ١٩٦١م ) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق: أحمد صقر، ط ١، دار المعارف، القاهرة.
- ابن الأثير، ضياء الدين ( ١٩٩٥م ) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ١، المكتبة العصرية، بيروت.
- باختين، ميخائيل ( ١٩٨٧م ) الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، ط ١، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة.
- الباقلائي، أبو بكر ( ١٩٦٣م ) إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط ٣، دار المعارف، القاهرة.
- البقاعي، محمد خير ( ٢٠١٣م ) آفاق التناسية، المفهوم والمنظور، ط ١، جداول، الكويت.
- بنيس، محمد ( ١٩٩٠م ) الشعر المعاصر، ط ١، دار طوبقال، المغرب.
- التبريزي، الخطيب ( ١٩٩٤م ) شرح ديوان أبي تمام، تحقيق: راجي الأسمر، ط ٢، دار الكتاب العربي، بيروت.
- التوحيدي، أبو حيان ( ١٩٨٨م ) البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، ط ١، دار صادر، بيروت.
- الثعالبي، أبو منصور ( ٢٠٠٠م ) أحسن ما سمعت، ضبط حواشيه: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلميّة، بيروت.
- الثعالبي، أبو منصور ( ١٩٨١م ) التمثيل والمحاضرة، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، ط ٢، الدار العربيّة للكتاب، بيروت.
- الثعالبي، أبو منصور ( د.ت ) أبو الطيب المتنبي وماله وما عليه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الحسين التجارية، القاهرة.
- الثعالبي، أبو منصور ( ١٩٨٢م ) يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر، تحقيق: محمد مفيد قميحة، ط ١، دار الكتب العلميّة، بيروت.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (١٩٨٨م) البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط٧، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (١٩٩٦م) الحيوان، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت.
- الجمحي، ابن سلام ( د.ت) طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاکر، دار المدني، جدة.
- الحاقمي، محمد بن الحسن (١٩٧٩م) حلية المحاضرة في صناعة الشعر، تحقيق: جعفر الكنايني، دار الرشيد، بغداد.
- ابن أبي الحديد ( ١٩٦٥م) شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- ابن حمدون، محمد بن الحسن (١٩٩٦م) التذكرة الحمدونية، ط١، دار صادر، بيروت
- الحموي، ياقوت ( ١٩٩٣م) معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- الحموي، ياقوت (١٩٩٥م) معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت.
- ابن حنبل، أحمد بن محمد ( ١٩٩٨م) المسند، تحقيق: السيد أبو المعاطي النوري، ط١، عالم الكتب، بيروت.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد ( ١٩٧١م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق، إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت.
- الخوارزمي، أبو بكر محمد بن العباس ( ٢٠٠٣م) الأمثال المولدة، تحقيق: محمد حسين الأعرجي، ط٢، الجمع الثقافي، أبو ظبي.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث (١٣٨٩هـ) السنن، تحقيق: عزت عبيد الدعاس، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الذبياني، النابغة (١٩٩٦م) الديوان، تحقيق: شرح عباس عبدالستار، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن رمضان، صالح ( ٢٠٠٧م) الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النشر العربي القديم، ٢١، دار الفارابي، بيروت.
- الزعبي، أحمد (٢٠٠٠م) التناص نظرياً وتطبيقياً، ط٢، مؤسسة عمون للنشر، عمّان.
- الزمخشري، أبو القاسم ( ١٩٩٨م) أساس البلاغة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الزمخشري، أبو القاسم الزمخشري (١٤١٤هـ) الكشف، تحقيق: عبدالله بن عبدالرحمن السعد، ط١، دار ابن خزيمة، الرياض.
- ابن سلام، أبو عبيد (١٩٨٠) كتاب الأمثال، تحقيق: عبدالمجيد قطامش، ط١، دار المأمون للتراث، دمشق.
- السيوطي، جلال الدين (د.ت) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان.
- الضبي، المفضل بن محمد (١٩٨٣م) أمثال العرب، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت.
- ضيف، شوقي (د.ت) الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط١٣، دار المعارف، القاهرة.
- الطبري، محمد بن جرير (١٣٨٧هـ) تاريخ الرسل والملوك، ط٢، دار التراث، بيروت.
- عبد الرحمن، طه (٢٠٠٧م) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط٣، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
- ابن العبد، طرفة (٢٠٠٢م) الديوان، شرح: مهدي محمد ناصر الدين، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت.
- عزام، محمد (٢٠٠١م) النص الغائب تجليات التناس في الشعر العربي، من مشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
- العسكري، أبو هلال (١٩٨٧م) جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ط١، دار الجليل، بيروت.
- العسكري، أبو هلال (١٩٩٤م) ديوان المعاني، شرح وضبط: أحمد حسن بسج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
- العسكري، أبو هلال (١٩٨٦م) الصناعتين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت.
- علوش، سعيد (١٩٨٥م) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- الغدامي، عبدالله (١٩٩٢) ثقافة الأسئلة (مقالات في النقد والنظرية) ط٢، النادي الأدبي الثقافي، جدة.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (١٩٨١م) تأويل مشكل القرآن، شرحه: السيد أحمد صقر، ط٣، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (١٤١٨هـ) الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (١٤١٨هـ) عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت.
- القرطاجي، حازم (٢٠٠٨م) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، ط٣، الدار العربية للكتاب، تونس.
- القزويني، الخطيب محمد بن عبد الرحمن (١٩٩٨م) الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: بهيج غزاوي، ط٤، دار إحياء العلوم، بيروت.
- القلقشندي، أحمد بن علي (١٩٨٧م) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: يوسف الطويل، ط١، دار الفكر، دمشق.
- القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (١٩٩٧م) زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: يوسف علي الطويل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
- القيرواني، ابن رشيقي (١٩٨١م) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الجيل، بيروت.
- كريستيفا، جوليا (١٩٩٧م) علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، ط٢، دار طوبقال، المغرب.
- الكلاعي، أبو القاسم (١٩٦٦م) إحكام صناعة الكلام، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط١، دار الثقافة، بيروت.
- المتنبي، أحمد بن الحسين (د.ت) الديوان، شرح أبي البقاء العكبري، تحقيق: إبراهيم السقا وآخران، ط١، دار المعرفة، بيروت.
- عبد الباسط مراشدة (٢٠٠٦م) التناص في الشعر العربي الحديث (السياب ودنقل ودرويش أنموذجاً) ط١، دار ورد للنشر والتوزيع، عمان.
- المرزباني، محمد بن عمران (١٩٣٧م) الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، أخرجه: محي الدين عبد الحميد، ط٢، مطبعة السلفية.
- المرقش الأكبر، ولأصغر (١٩٩٨م) ديوان المرقشين، تحقيق: كارين صادر، ط١، دار صادر، بيروت.
- مفتاح، محمد (١٩٩٢م) تحليل الخطاب الشعري، استراتيجيّة التناص، ط٣، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
- مفيد، نجم (١٩٩٧م) التناص ومفهوم التحويل من شعر محمد عمران، موقف الأدب، العدد (٣١٩).

- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد (د.ت) مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.
- يقطين، سعيد (١٩٨٩م) انفتاح النص الروائي، ط٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

\*\*\*



جماليات التشكل في السيرة الذاتية  
كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ نموذجًا

د. وئام محمد سيد أحمد أنس  
قسم اللغة العربية – كلية الآداب  
جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل





## جماليات التشكل في السيرة الذاتية كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ نموذجًا

د. وئام محمد سيد أحمد أنس

قسم اللغة العربية – كلية الآداب  
جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل

تاريخ قبول البحث: ٨ / ٨ / ١٤٤٢ هـ

تاريخ تقديم البحث: ١ / ١ / ١٤٤٢ هـ

### ملخص الدراسة:

ترجع أهمية هذه الدراسة، إلى محاولتها إعادة قراءة كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ، من خلال رؤية معاصرة، تركز النظر على فن السيرة الذاتية في الكتاب، وتنطلق من فرضية مختلة اللغة فيه للمتلقي وإيهامه بأنها بسلاستها لدرجة تصل إلى حد السطحية، لكن البحث في شخصية المؤلف والمدونة يثبت عكس ذلك؛ ولذا اختارت الدراسة أبرز الآليات الفنية التي اشتغلت من خلالها نصوص السيرة الذاتية، وهي محاور ثلاثة: جهاز العنونة وتمثل في وظيفتين إحداهما تأويلية والأخرى تعيينية، وخطاب الوصف من خلال علاقته بالسرد وتوازيه مع الحدث ودورانه مع أنساق الحوار واتخاذ أداة من أدوات الحجاج وكذلك البعد اللغوي، وتحليلات "الأنا" في العلاقة الثلاثية بين المؤلف والبطل والراوي من خلال التفاصيل والاستطراد والضمائر ثم رؤيتها تجاه مفردات الكون والحياة.

الكلمات المفتاحية: الوصف - السرد - الأنا - الرؤية



**The aesthetics of the pose in the biography  
Account book for Osama bin Munqith model**

**Dr. Weam Mohamed Saied Ahmed Anas**


Department of Arabic Language. - Faculty of ARTS

IMAM ABDULRAHMAN BIN FAISAL University

**Abstract:**

The importance of this study is due to its attempt to re-read Osama bin Munqeth's book of consideration; through a contemporary vision. Focusing on the art of the autobiography in the book. Proceeding from the premise of misleading the language in it to the recipient and deceiving him that it is smooth to the point of being superficial. However, the research on the author's personality code proves otherwise. Therefore, the study chose the most prominent technical mechanisms through which the texts of the biography worked. They are three axes: the addressing device, which is represented in two functions, one interpretative and the other designative, and the description discourse through its relationship to the narration and its parallel with the event and its rotation with the dialogue patterns and its use as a tool for pilgrims, as well as the linguistic dimension. And the manifestations of the "I" in the tripartite relationship between the author, the hero and the narrator through details, digressions and pronouns, and then their visions towards the vocabulary of the universe and life.

**key words:** Description - Narration - Ego – Vision



## مقدمة:

ليست السيرة الذاتية فناً طارئاً أو محدثاً، وإنما متجذر في أعماق التاريخ، متعلق بمدى الحاجة والرغبة في البوح، وتبرز أهميتها ليس فقط لكتابة معالم حياة الذات، وتاريخيتها، ولا كوثيقة تسطر مآثرها وتحكي مفاخرها سواء بفرديتها أم بجماعيتها، وإنما كذلك لرصد رؤيتها لمفردات الحياة والكون، وإبراز مكنوناتها تجاه الكائنات والأشياء، رغبة في تسطير المثل، ورسم القدوة. اخترت أن أخوض غمار هذا البحث لعدة أسباب، أولاً: القيمة الأدبية لكتاب الاعتبار بوصفه مصدرًا من مصادر التراث العربي، يحوي موضوعات متنوعة، ويعالجها من زوايا متعددة. وثانيًا: اللغة التي كتب بها الكتاب في رصانتها، ودقة تعبيرها، وثالثًا: لم أجد دراسة ضمن الدراسات التي تناولت الكتاب بالبحث، ركزت على الجانب الجمالي، عدا التي عالجته معالجة سردية بحتة، مثل: المكونات السردية في السيرة الذاتية: كتاب الاعتبار نموذجًا، وقد ركزت على جوانب عدة، أبرزها: السارد- المسرود (المحكى)- المسرود له- الزمن السردى- تقنيات السرد<sup>(١)</sup>.

أما الدراسات الأخرى، فمن أبرزها: استراتيجيات الاعتبار في السيرة الذاتية "كتاب الاعتبار" لابن منقذ أنموذجًا، وقد قسمت الدراسة الاعتبار

---

(١) يُنظر الغزالي: عبد الله محمد عيسى، المكونات السردية في السيرة الذاتية: كتاب الاعتبار نموذجًا: ص ٩٩: ١٤٠، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت- مجلس النشر العلمي، الكويت مجلد ٢٥، عدد ٩٧، ٢٠٠٧.

إلى نوعين: مباشر، وغير مباشر، ثم أبرزت استراتيجيات كل نوع منهما، فالأول يستند على استراتيجيتي الإحضار، والتبصر، والثاني على التمثيل، والتوجيه، والمحاكاة<sup>(١)</sup>. وكذلك: البنية التركيبية للغة السيرة الذاتية بين أسامة بن منقذ وابن خلدون، فُسمت الرسالة إلى خمسة فصول: الأول بعنوان (الخصائص البنائية للغة السيرة الذاتية)، والثاني (طاقة الزمن والمكان السيري)، وفي الثالث الرابع تمت دراسة (الجملة الخبرية عند أسامة بن منقذ وابن خلدون)، وفي الخامس (الجملة الإنشائية عند كل منهما). وقد نحت الرسالة منحى لغويًا نحويًا في دراسة السيرة الذاتية بين العلمين<sup>(٢)</sup>.

تهدف الدراسة إلى إبراز أهم مرتكزات السيرة الذاتية في كتاب الاعتبار، واكتشاف أهم السمات الفنية التي تشكلت منها السيرة الذاتية، وكذلك الروافد الجمالية التي أمدت تلك السمات، وأسهمت في كتابة الذات واستجلاء مقوماتها.

وقد استعانت الدراسة بالمنهج الجمالي بشكل أساسي، لاستجلاء عناصر الجمال الفني لخطاب السيرة الذاتية في كتاب "الاعتبار"، وهو أحد المناهج

---

(١) يُنظر التمراري: استراتيجيات الاعتبار في السيرة الذاتية "كتاب الاعتبار" لابن منقذ أنموذجاً، ص ٨٠:٧٠، مجلة أنساق، المجلد ٢، العدد ١، فبراير ٢٠١٨م.

(٢) يُنظر عبد الله: البنية التركيبية للغة السيرة الذاتية بين أسامة بن منقذ وابن خلدون: ص ٢:١، رسالة دكتوراة، مجلة جسور، د. ت.

التي تتميز بالجمع بين العلمية والتذوق، وسيقوم المنهج باستكشاف ظواهر النص وخصوصياته، ودلالاته، وذلك من خلال مستويات التحليل الجمالي المختلفة، فقيمة النص من خلال المنهج الجمالي تقوم على إبراز ما فيه من خصوصيات لغوية جمالية تخصب العمل الأدبي بطاقة عالية من الحيوية والتفاعل.

وقد قدم المنهج الجمالي فائدة كبيرة للنصوص العربية الأدبية القديمة، وذلكم أن النصوص الأدبية القديمة مقيدة بقيود وأطر ليس من السهل تجاوزها والتعدي عليها، وهذه القيود تجعلها مقيدة بأفاق مرسومة مسبقاً، وتبعدها عن مسيرة الحياة وتطورها، والمنهج الجمالي يساعد هذه النصوص على منحها حياة جديدة مواكبة لتطورات الحياة، وفي هذا إثبات حيوية هذه النصوص وفعاليتها، وعدم جمودها <sup>(١)</sup>. وذلك مع الاستعانة ببعض المناهج الأخرى، مثل: المنهج التاريخي، والاجتماعي، والنفسي، والإحصائي، والعلاماتي، لإضاءة النص، وفك رموزه.

ستكون هذه الدراسة على ثلاثة محاور، يسبقهما تمهيد (مفهوم السيرة الذاتية- أسامة بن منقذ)، المحور الأول: اشتغال العنوان، والثاني: خطاب الوصف، والثالث: تحليلات "الأنا".

\*\*\*

---

(١) يُنظر كفاي: دالية ابن اللبانة الأندلسي في ضوء منهج النقد الجمالي: ص ٨٦: ٨٣، مجلة التجديد، مجلد ١٦، العدد ٣١، ٢٠١٢م.

## تمهيد:

السيرة: الطريقة، وسار بهم سيرة حسنة، والسيرة: الهيئة، وفي التنزيل العزيز: "سنعيدها سيرتها الأولى". وسير سيرة: حدث أحاديث الأوائل<sup>(١)</sup>. والحقيقة أنه "ليس هناك تعريف واحد متفق عليه لجنس السيرة الذاتية. وعلى الرغم من ذلك، فيندر أن نجد دراسة واحدة حول هذا الموضوع، لا تتطرق - بطريقة أو بأخرى - لمسألة التعريف"<sup>(٢)</sup>. لكنه يمكننا القول إنه إذا "كانت السيرة الإنسانية في تعريفها الشائع، هي ذلك النوع الأدبي الذي يتناول بالتعريف حياة إنسان ما، تعريفًا يطول أو يقصر؛ فإن جانبًا كبيرًا من جوانب الحياة في هذه السيرة يقوم على التفكير والتأمل من جهة، والسلوك والعمل من جهة أخرى، ولكنها - إلى جانب هذا وذاك - فن أدبي جوهره التواصل اللغوي"<sup>(٣)</sup>. يجمع كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ بين شكلين من أشكال السيرة الذاتية، وهما: الذكريات والمذكرات. ولا شك أن هناك بعض الفروق بينهما، من أهمها ما يأتي:

١. "من حيث التواصل والانقطاع: المذكرات تسجيل متصل ومتواصل لما جرى لكايتها وما قام به أو شهدته في فترة زمنية يحددها هو. أما الذكريات

---

(١) ابن منظور: لسان العرب: مادة "سير".

(٢) الغامدي: كتابة الذات دراسات في السيرة الذاتية: ص ١١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط ١، ٢٠١٣م.

(٣) شرف: أدب السيرة الذاتية، ص ٢، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، مصر، ١٩٩٢م.

فليس من الضروري أن تأتي متصلة متواصلة. فقد يختار الكاتب أحداثاً معينة يتوقف عندها عارضاً ومحللاً، ويتجاوز أحداثاً أخرى. أي إن نصيب الذكريات من الانتقائية هو أكبر بكثير من نصيب المذكرات التي تكون أقرب إلى طبيعتها كلما ابتعدت عن الانتقائية.

٢. من حيث التسلسل الزمني: في المذكرات يكون التسجيل دقيقاً في تسلسله الزمني، ولا يجوز للكاتب أن يثب من فترة إلى أخرى أو من حدث إلى حدث كاسراً حدود الزمن. أما الذكريات فقد تدفع كاتبها إلى التداعي الخارج عن الأطر الزمنية، فتثير إحداها الأخرى دون ترابط زمني.

٣. في المذكرات يتضاءل دول البعد الشخصي، ولا يُغفل حدث هام من الناحية التاريخية لأنه يفتقد ذلك البعد، أما في الذكريات فإن البعد الشخصي يتسامق ويكبر أثره. فالكاتب قد يغفل بعض الأمور لأنها ليست متأصلة في ذاكرته بسبب ضعف ارتباطها بوجدانه وعاطفته، أي إنها ليست ذات عمق شخصي<sup>(١)</sup>.

ربما يتضح لنا من خلال هذه التفرقة أنها تدور على الجانب الذاتي، الذي يبرز بشكل ملحوظ في جانب الذكريات ويتضاءل في جانب المذكرات. ولذا رأى جبور عبد النور أن المذكرات "سرد كتابي لأحداث جرت خلال حياة المؤلف وكان له فيها دور، وتختلف عن السيرة الذاتية بأنها تخص العصر وشؤونه بعناية

---

(١) مسوح: أعمال ندوة "فن السيرة الذاتية"، ص ٣٤، دار المدى، دمشق، ٢٠٠٧م.

كبرى، فتشير إلى جميع الأحداث التاريخية التي اشترك فيها المؤلف فيها أو شهدها، أو سمع عنها من معاصريه، وأثرت في مجرى حياته<sup>(١)</sup>.  
ولعلنا نكتفي بالشروط التي وضعها فيليب لوجون (Philippe Lejeune)،  
لإدراج أي كتابة نثرية ضمن جنس السيرة الذاتية، وأبرزها ما يلي:  
الأول: يحدد هذا الشرط شكل الكلام، فيجب أن تكون السيرة الذاتية  
قصة نثرية.

الثاني: يتعلق بموضوع السيرة الذاتية، وهو حياة الفرد وتاريخ شخصيته.  
الثالث: التطابق بين الكاتب والراوي.  
الرابع: التطابق بين الراوي والشخصية الرئيسة في السيرة، أو ما يُعرف  
بالميثاق السير ذاتي، ويقضي كذلك بوجوب التزام الراوي بالمنظور الارتجاعي.  
ويمكن استنادًا إلى هذه الشروط، أن ندرج كتاب الاعتبار ضمن جنس  
السيرة الذاتية، فقد استجاب للشروط التي وضعها فيليب لوجون (Philippe  
Lejeune)، فنحن نقدر أن أسامة بن منقذ قد نقل حياته وتاريخه الشخصي  
من خلال تاريخ مجتمعه لسبيين:  
يتصل أولهما بكونه آخذ بأسباب ثقافة تخص الذات الإلهية بالوحدانية  
والتفرد، وتقدم مفهوم الجماعة على الفردانية. ويتمثل السبب الثاني في أنه قد

---

(١) عبد النور: المعجم الأدبي، ص ٢٤٦، دار العلم للملايين، ط ٢، بيروت، ١٩٨٤م.

جعل من تاريخ الجماعة التي عاش معها مرقاة لتأديب ذاته، وحملها على الاعتبار<sup>(١)</sup>.

فمن هو أسامة بن منقذ؟

بنو منقذ من كنانة، ينتهون بنسبهم إلى يعرب بن قحطان، أسرة كبيرة كانت لها أملاك في حماة وحلب. نشأ مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة في رعاية أبيه مجد الدين مرشد، وعمه عز الدين سلطان، فدرس اللغة والنحو والأدب دراسة مستفيضة على بعض شيوخ زمانه، وقرأ الشعر وحفظ قدرًا كبيرًا، ووعى القرآن وتفسيره والحديث كتبه، واطلع على التاريخ والسير، وعلمه أبوه النجوم ومواقعها، وتمرس بأساليب القتال والصيد، وكان على حظ من حدة الذهن، وروعة البديهة، وشجاعة القلب، وخفة الحركة، غادر موطنه (قلعة شيزر) حينًا إلى الموصل، ملتحمًا بنور الدين محمود، ثم لما مات أبوه غادرها مكرهًا إلى دمشق (٥٣٢هـ) - وكانت تحت الأتابكة البوريين - فأقام فيها فترة، نعم فيها بحكم معين الدين أنر وزيرهم على دمشق.

ثم اقتضت الحال بعدها أن يرحل إلى مصر (٥٤٠هـ) أيام الحافظ لدين الله الفاطمي، فشهد الأحداث الدامية فيها، وظل بها تسع سنوات، ثم غادرها إلى دمشق حيث حكم النوريين. نجا هو وولده بعد ذلك من زلزال عنيف هدم أركان قلعة شيزر (٥٥٢هـ)، قام ببعض الأسفار إلى أرمينية

---

(١) يُنظر التماوي: استراتيجيات الاعتبار في السيرة الذاتية "كتاب الاعتبار" لابن منقذ أنموذجا: ص ٧٢.

وملطية، ثم ظل فترة بحصن كيفا على نهر دجلة، عكف فيها على الكتابة والتأليف، ثم استدعاه السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي (٥٧٠هـ) إلى دمشق، فرعاه وأقطعته ضيعة في المعرة، وأخذ يستشيريه في أمره، ويكتب إليه بأخباره حين يخرج لقتال الإفرنج، وظل بها يلقي الدروس في مدارسها حتى توفي (٥٨٤هـ)، بعد أن من الله عليه فشهد تحرير بيت المقدس (٥٨٣هـ)<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

---

(١) يُنظر ابن منقذ: كتاب الاعتبار: ص ١١:١٨، ت/ عبد الكريم الأشر، المكتب الإسلامي، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٣م.

## مدخل:

تبدو اللغة في كتاب "الاعتبار" لأول وهلة كأنها تسجيل مباشر لحياة أسامة بن منقذ والوقائع التي مر بها، أو كرصـد تلقائي قُصد به مجرد حفظ مخزون الذات للافتخار به أو توصيله إلى المتلقي. وربما يكون السبب في هذا التوهم ما نجده من غلبة السلاسة والانسيابية في التعبير وبالتالي وضوح المعنى رغم البعد الزمني بين عصرنا وعصر كتابة هذا المؤلف، الذي قد يصل أحياناً إلى التساهل في قواعد اللغة:

المستوى الصرفي: هملوا خيلهم. (الأصل لزوم الفعل: هملت الإبل).

المستوى النحوي: واكثرى بغل رجل نصراي. (يفترض النصب في بغل كمفعول به مقدم).

مستوى الفصحى: ألفاظ عامية، مثل: العملة - أيش أنتم - شلته - الأولية (الأولى)، ضُمان (بالجمع بدل التثنية)<sup>(٢)</sup>.

لكن هل الأمر كما يبدو عليه في الكتاب؟ من أن لغته ساذجة مسالمة تكتفي بالقيام بما أسند إليها من وظيفة تقليدية وهي أن تكون ناقلة أو تشف بوضوح عما وراءها من دلالات؟  
كي نجيب عن هذا السؤال سنخوض فيما يأتي:

---

(٢) انظر السابق: ص ٦٢، ٦٥، ٦٨، ١٥٤، ١٧١، ١٨٦

## أولاً: اشتغال العنونة:

اعتنت الدراسات الأدبية والنقدية بـ " العنوان " كواجهة النص ومفتاحه والبال على فضاءاته، وتشكل العنوان كمكون من مكونات النص بوصفه جزءاً حيويًا من عتباته، بل لا نبالغ إذا عددناه أهمها وأبرزها، ويُعدُّ كتاب عتبات (seuils) " بمثابة المصدر الحقيقي والرئيس في علم العنونة بمفهومه العلمي، حيث عدَّ جنيت (Genette) العنوان أهم عناصر النص الموازي (paratexte) " (١) .

وظيفة تأويلية:

عنون الكتاب بـ " كتاب الاعتبار لأسماء بن منقذ الكناني الشيرزي " حسب النسخة التي دققها عبد الكريم الأشتري (ابن منقذ، ٢٠٠٣)، وفي النسخة التي حررها فيليب حتى، جاء العنوان كالأتي: كتاب الاعتبار لأسماء بن منقذ

هو مؤيد الدولة أبو مظفر أسماء بن مرشد الكناني الشيرزي  
(ابن منقذ، د. ت)

---

(١) رحيم: العنوان في النص الإبداعي، أهميته وأنواعه: ص٣، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العددان الأول والثاني، جامعة محمد خيضر، بسكرة- جافني، جوان ٢٠٠٨م.

ولو بحثنا عن لفظ الاعتبار في لسان العرب لوجدنا المادة "عبر": عَبَرَ  
الرؤيا يعبرُها عَبْرًا وعِبَارَةً وعبرها: فسرّها وأخبر بما يؤول إليه أمرها، والعابر  
الذي ينظر في الكتاب فيعبرُه أي يعتبر بعضه ببعض حتى يقع فهمه عليه.  
وعَبَرَ الكتاب يعبرُه عَبْرًا: تدبره في نفسه ولم يرفع صوته بقراءته. والعبرة:  
العجب، واعتبر منه: تعجب<sup>(١)</sup>.

وهكذا يدور المعنى المعجمي في الأغلب على ثلاث دلالات: التأويل -  
الاعتاظ - التعجب، وإن كانت القراءة المتداولة للعنوان وكذلك ظاهر الدلالة  
يرجحان الدلالة الثانية/ الاعتاظ. فعلى مستوى التصريح بخطة الدراسة يقول  
يسري التمرائي: "ينصرف المحور الأول إلى النظر في مقصد الاعتبار من  
وجهة نظر الكاتب من جهة كونه المعنيّ المباشر بهذا المقصد، ويتصل المحور  
الثاني بمقصد الاعتبار الموجه إلى القارئ من جهة كونه معنيًا من الدرجة  
الثانية بهذا المقصد... وسنبحث في الاستراتيجيات التي أجراها ابن منقذ  
لحمل القارئ على الاعتبار مما ورد في الكتاب"<sup>(٢)</sup>. لكنني أرجح الدلالة  
الثالثة/ التعجب كدلالة مركزية للعنوان ولا مانع من ردها بالأولى والثانية،  
يدعمني في ذلك البنية الداخلية للعنوان.

---

(١) ابن منظور: لسان العرب: مادة "عبر".

(٢) التمرائي: استراتيجيات الاعتبار في السيرة الذاتية "كتاب الاعتبار" لابن منقذ أمودجا: ص

نلاحظ اتفاق النسختين في الجزء الأول من العبارة: "كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ". وسواء كان المؤلف هو من اختار الصيغة النهائية للعنوان أو أملاها لأحد الكتاب، أو تصرف فيها من كتب عنه، ففي اعتقادي أنها في كل الأحوال رؤية المؤلف، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا اختار أن يصدر العنوان بهذه الصيغة من الاسم رغم وجود عديد من الألقاب/الكناني- الشيزري- مؤيد الدولة، بالإضافة إلى لقبه/ أبو مظفر، ولماذا اختار لقب العائلة "منقذ" ولم يختار الأب المباشر "مرشد" أو ما بعده؟

فقد ورد في صفحة المؤلف:

ابن منقذ (٤٨٨ - ٥٨٤ هـ = ١٠٩٥ - ١١٨٨ م) أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري، أبو المظفر، مؤيد الدولة.

واسم "أسامة" في لسان العرب: من أسماء الأسد. قال زهير يمدح هرم بن سنان:

ولأنت أشجع من أسامة، إذ دُعيتْ نزال ولج في الذعر<sup>(١)</sup>.  
ولا نحتاج لذكر الدلالات التي يوحي بها "الأسد" ويكفي ما يوحي به من سمات القوة والشراسة والشجاعة والقدرة على الهجوم. فإذا أضيفت إليها لفظة "منقذ" صار أسامة البطل المرتجى لكل نازلة، والفتى المشار إليه بالبنان، الذي يجمع سمات الجسارة والمبادرة والتضحية؛ ولذا فمن الطبيعي أن يدعو

(١) ابن منظور: لسان العرب: مادة "أسم".

المؤلف المتلقي للتعجب من هذه السمات البطولية وذاك النموذج المتفرد،  
وليس التعجب هنا من العجب أو الاغترار بقدر ما هو التفات إلى الذات  
وإحالة عليها فهي حالة من حالات الانسجام معها والأنس بتاريخها  
وإنتاجها للقيم.

## وظيفة تعيينية:

وهي وظيفة "يعمد عن طريقها العنوان إلى تعيين النص المعنون، وتحديد محتواه"<sup>(١)</sup>. ويمثل العنوان هنا أول دالٍ من دوال النص، يشير إلى الدلالات الكامنة في سياقاته محتزلاً له ولتفاعلات مكوناته الداخلية والخارجية. إنه إذا تمعنا في متن المدونة فيكفي مطالعة العناوين التي تتعاضد مع تلك الدلالات، من أمثال ما يأتي:

أسامة يحارب في صف ابن السلار (٥٩) - أسامة ينقذ أحد السودان  
(٦١) - أسامة يحسن إلى عمال الجفر (٦٤) - أسامة في عسكر الشام  
يُدَيُون (يسجل في ديوان العسكر) أسماء ثمانمائة فارس ويأخذهم للإغارة على  
الإفرنج (٦٨) - أسامة وفرسانه في البتراء (٦٩) - وصول أسامه وفرسانه إلى  
عسقلان ومواجهتهم للإفرنج (٧٠) - أسامه ورجاله يقاتلون الإفرنج في بيت  
جبريل (٧١) - هجوم أسامه ورجاله على بلدة يُبْنِي البحرية (٧٢) - أسامة  
يشفي أحد جرحى الموقعة بالفصاد (٩٤) - ابن عم أسامة تكتب له النجاة  
على يد أسامة (١٧٠) - أسامة يركب في بعض المعارك حصانين من هذا  
النوع الصبور (١٧٨).

---

(١) مختاري: خطاب العنوان في القصيدة الجزائرية المعاصرة - مقارنة سيميائية: ص ٢١٩، رسالة ماجستير، وهران، الجزائر، ٢٠١١م - ٢٠١٢م.

وهكذا كثير من الأمثلة التي تستعصي على الحصر، بالإضافة إلى أخباره مع الحية والأسد، مثل:  
أسامة يقبل على الحية فلا ينهأ أبوه (١٨٤) - أسامة يقبل على الأسد  
فينهأ أبوه (١٨٥) ...

إنه "إذا كانت السيرة الذاتية في أيسر تعريفاتها، هي كتابة شخص عن حياته بشكل فني، فإن أسامة بن منقذ استطاع في "كتاب الاعتبار" أن يكتب عن نفسه، أو يحقق متعة السرد، بالنظر إلى النفس من الداخل، في تجاربه مع الآخر، حبيباً أو عدواً. ولقد كان أسامة محباً لنفسه، فخوراً بها، في مختلف مراحل حياته"<sup>(١)</sup>.

ولعل متابعة بني العناوين الداخلية للكتاب تثبت تلك الفرضية التي تقدمت، فالبدء باسم المؤلف/ أسامة أولاً يرحح بتمركز الذات وتصدرها الأحداث، وإذا أفلتت جملة من تسلط هذه الذات فنجدها مضافة إلى الاسم قبلها/ هجوم أسامة - ابن عم أسامة - وصول أسامة. فالذات تروم أن تكون المرجعية الأولى للأفعال، على تنوعها: يحارب - ينقذ - يحسن - يديون - يشفي - يركب. أما الأسماء فقد أحييت بدورها هي الأخرى على الذات: أسامة وفرسانه - أسامة ورجاله.

---

(١) الغزالي: عبد الله محمد عيسى، المكونات السردية في السيرة الذاتية: كتاب الاعتبار نموذجاً: ص

ولعل تنوع الأفعال المسندة إلى الذات تشير إلى إمكاناتها ومرونتها، وامتلاكها زمام الأمور، وتجيّب في الوقت نفسه عن السؤال الذي نفترض أنه يشغل ذهن المتلقي، وهو: كيف تسنى للذات أن تعقد كل تلك العلاقات على اختلاف كنهها وتفاوت درجات البساطة والتعقيد وفي ظل تعددية الفضاءات والأزمنة داخل الكتاب؟

"لقد شكلت وطأة الزمن لدى أسامة بن منقذ الأزمة الكبرى والصراع الحقيقي، الذي تجلّت آثاره بشكل مباشر بفقده أهم الآثار لديه التي طالما تغنى بها وهي الفروسية، فقد شكل موت الفارس في نفس ابن منقذ، وتحول الزمان به من فارس يجوب البلدان ويشق غبار المعارك إلى عجوز لا حول له ولا قوة، عاكفًا منفردًا في حصن (كيفًا) بعيدًا عن المشاركة والتفاعل مع الأحداث السياسية - أزمة كبيرة، تجلّت آثارها النفسية بما سطره بكتابه من مواقف تدل بشكل جلي على مقدار الحزن الذي آل إليه"<sup>(١)</sup>.

على أن هذا كله لا ينفي احتمالية، أن تكون العناوين الواردة في سيرة أسامة ليست أصلية وإنما هي من وضع المحقق، فرمّا تغلب عليها الوظيفة التأويلية.

\*\*\*

---

(١) السقرات، براءة محمود، كتاب "الاعتبار" لأسامة بن منقذ دراسة تحليلية: ص ٢٠، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، الأردن، ٢٠١١م.

## ثانيًا: خطاب الوصف

الوصف هو الخطاب الذي يسم كل ما هو موجود، فيعطيه تميزه الخاص وتفرد داخل نسق الموجودات المشابهة له أو المختلفة عنه<sup>(١)</sup>. فللصفات تلاوين ومراتب ودرجات، تتراوح من تلك المكتسبة حدًا أقصى من الموضوعية، إلى تلك المشحونة بأعلى مقادير الذاتية، فعندما يصدر المتكلم ملفوظًا متضمنًا مُسندات، فهو يبني "عوالم ذهنية ذرية" أهلة بالأشياء، معبرة عن كيفيات حضورها، وعلاقات بعضها ببعض، ووجوه تشكلها بحسب تجربة المستعمل لها، وعلاقته بالمحيط وأشياءه<sup>(٢)</sup>.

ربما يبدو الوصف في كتاب الاعتبار محايدًا ينحو منحى عمليًا، لكنه عند التمعن نجده قد جاء مطبوعًا بطابع العصر والبيئة والذات، لاسيما وقد شهدت هذه الحقبة (٤٨٨هـ - ٥٨٤هـ) أحداثًا متقلبة ومضطربة وحروبًا طاحنة، أبرزها الحروب الصليبية، ونفهم من مذكرات أسامة بن منقذ أن أكثر عيشه كان في الصحراء حيث عُدت شاهدة على تنقلاته وأسفاره ومغامراته، ولعل ما وُسمت به الذات من سمات القوة والشجاعة والطموح، أهلها لأن تُعد ضمن المحاربين المحترفين مع الإخلاص والاحتساب عند الله سبحانه، كل

---

(١) محفوظ، عبد اللطيف: وظيفة الوصف في الرواية: ص ١٣، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، الجزائر، ط ١، ٢٠٠٩م.

(٢) العجمي، محمد الناصر: الخطاب الوصفي في الأدب العربي القديم، الشعر الجاهلي نموذجًا: ص ١٥٩، مركز النشر الجامعي، منشورات سعيّدان، تونس، ٢٠٠٣م.

ذلك يعضد ما نخض الوصف به من وظائف، وما تشكل عليه من هيئات تعددت وتلونت حسب مقاصد الذات والسياقات المصاحبة للخطاب.

١ - علاقة الوصف بالسرد:

#### ١-١ السرد/ الوصف

"كلما هم السارد بتقديم شخصية جديدة أو مكان جديد- سيكون مجرى لسلسلة من الأحداث- إلا وفسح السرد المجال أمام العملية الوصفية؛ لأنه لا بد من تقديم المظهر الخارجي للشخصية، ومحددات المكان وأبعاده، وسمات الأشياء القابعة داخله أو حوله، وهي عملية تُسبق عادة بتمهيد يضطلع به السرد؛ لتهيئ القارئ لتلقي الوصف، ولفسح المجال أمام الوصف الذي يعلن عن نفسه، وبذلك يكون الوصف منتمياً للسرد وموجهاً من طرفه"<sup>(١)</sup>.

فإنه لما أراد الملك العادل سيف الدين علي بن السلار إرسال أسامة بمال إلى الملك العادل نور الدين محمود لينازل الفرنج في طبرية ليشغلهم عنه، أخبر أسامة عن ذلك فقال: "ودَفَعَ إلي ستة آلاف دينار مصرية، وحمل ثياب ديبقي (قماش ديبقي نسبة إلى مقاطعة في دمياط)، وسقلاطون (ثياب كتان موشاة، اشتهرت بغداد بصنعها)، ومُسنجب (فرو يتخذ من جلود

---

(١) محفوظ، عبد اللطيف: وظيفة الوصف في الرواية: ص ٤٧.

السنباج)، ودمياطي (شهرت دمياط - في العصر الفاطمي - بصناعة الأقمشة الحريرية والكتانية، وعمائم<sup>(٢)</sup>).

لعل ما يجمع بين صفات الثياب هذه - فوق غرابتها- ما توحى به من ترف وزينة يغريان القارئ ويشيران إلى ما تتمتع به من نفاستها، وبالتالي ارتفاع سعرها، ومن ثم رفيع المنزلة التي يتمتع بها أسامة لدى الملك العادل، وكذا مدى أهمية المهمة المنوطة بحاملها.

فإذا أضفنا إلى ذلك صفات فرقة من العرب قابلهم أثناء سيره في الطريق؛ حيث سألهم: "إيش أنتم؟ قالوا: نحن من بني أبي" (وبنو أبي فرقة من العرب من طيى، لا يأكلون إلا الميتة. ويقولون: "نحن خير العرب، ما فينا مجذوم ولا أبرص ولا زمن ولا أعمى!". وإذا نزل بهم الضيف ذبحوا له وأطعموه من غير طعامهم). إلى نهاية الحوار الذي يتبين فيه لأسامة أنهم لم يحصلوا على الزاد منذ فترة طويلة، وأن طعامهم الرمة والعظام البالية<sup>(١)</sup>.

تبين لنا السبب في سلوك أسامة في نهاية الحكاية ورد فعله تجاه هؤلاء القوم؛ حيث يقول:

---

(٢) ابن منقذ: كتاب الاعتبار: ص ٦٣.

(١) يُنظر السابق: ص ٦٥.

"فوقفتُ حتى جاءت الجمال، وأعطيتهم من الزاد الذي كان معنا، وقطعتُ فوطه كانت على رأسي أعطيتها للمرأتين، فكادت عقولهم تنزل من فرحهم بالزاد" (٢).

ربما يمكننا الزعم بأن الأحداث السردية الأخيرة المتمثلة في الأفعال: فوقفتُ - جاءت - أعطيتهم - قطعْتُ - أعطيتها - فكادت - تنزل هي التي وجهت الوصف في المقطعين الأول والثاني.

فالأوصاف في المقطع الأول جاءت طابعها الإغراء، والرفاهية، والتفصيل، والتعدد، لتعكس مدى تضحية أسامة، ونفسه المعطاءة، بل لا نفرط في القول إذا أضفنا سمة الإيثار.

أما المقطع الثاني فهو مركب من مقطعين دلاليين: الأول (سمات إيجابية) الأصل والشرف + الكرم ~~السلامة~~ من العيوب.

فمن جهة هم من أشرف القبائل (طيئ) وتقتضي هذه المرجعية امتلاك الأفراد المنتمين لها السمات الأخلاقية التي كانت ومازالت محل فخر عند العرب، ومنها الكرم، ومن جهة أخرى فهم سالمون من كل المعاييب الخلقية (ولذا ربما جاز لنا أن نجعل هذه الوحدة مستقلة، أو مترتبة على المرجعية إذا اعتبرنا أنها أمراض وراثية).

والثاني (سمات سلبية لاإرادية) الفقر (قيمة غائبة) ~~أكل~~ الميتة (قيمة حاضرة)

---

(٢) السابق: ص ٦٦.

لعل ذلك ما حدا بالبطل/ المؤلف أن يرى استحقاقية هؤلاء القوم للحصول على بعض ممتلكاته، رغم حاجته إليها وطول الطريق، فمجموع هذه القيم قد نتج عنه هذا السلوك المنطقي من الذات الكاتبة. وكأننا هنا بصدد تبادل للأدوار، أو إجراء عملية عكسية، فكأن الوصف هو من قام بتوجيه السرد، ولعل هذا الحوار المتبادل بين الطرفين: الوصف/ السرد، السرد/ الوصف، فوق إثرائه للنص وما يتولد عنه من اكتناز دلالي، يسهم في تعزيد المضمون، وتقوية الدلالة؛ ومن ثم إقناع القارئ.

ومثل ذلك ما ورد في الكتاب تحت عنوان "أسامة وفرسانه في البتراء": "وسير معي نور الدين الأمير عين الدولة الياروقي في ثلاثين فارساً، فاجتزأت في طريقي بالكهف والرقيم فنزلت فيه، ودخلت صليت في المسجد، ولم أدخل في ذلك المضيق الذي فيه، فجاء أمير من الأتراك الذين كانوا معي يُقال له: برشك، يريد الدخول في ذلك الشق الضيق. قلتُ أي شيء تعملُ في هذا؟ صل (برا) قال لا إله إلا الله، أنا... حرام إذن حتى لا أدخل في ذلك الشق الضيق! قلتُ أي شيء تقول؟ قال هذا الموضع لا يدخل فيه ولد زنا - ما يستطيع الدخول. فأوجب قوله أن قمْتُ دخلْتُ في ذلك الموضع صليتُ وخرجتُ وأنا- الله يعلم - ما أصدق أكثر ما قاله، وجاء أكثر العسكر فدخلوا وصلوا. ومعني في الجند بُراق الزُبيدي معه عبد له أسود دَين كثير الصلاة، أدق ما يكون من الرجال وأذبحهم. فجاء إلى ذلك الموضع، وحرص

بكل حرص على الدخول، فما قدر يدخل، فبكى المسكين وتوجع وتحسر، وعاد بعد الغلبة عن الدخول" (١).

فوصف العبد في المقطع الأخير، قد برر له تلك الأحداث في المقطع الأول، التي تدور حول ادعاء أحد الأشخاص المصاحبين لأسامة أن موضع الكهف لا يدخله ولد الزنا؛ ومن ثم لم يصدق ذلك أسامه وأنكره عقلياً، فجاء الوصف موازياً للأحداث، فهذا العبد متدين ومكثر من الطاعة والعبادة ومنها الصلاة، ورغم ذلك لم يستطع الدخول، وبذلك تكون الأحداث مسوغة للوصف، ويصبح الوصف مسوغاً للأحداث.

ويتحقق الوصف - الحدث حين يصبح الوصف وحده، مضطلعاً بمهمة سرد أحداث مخبوءة ومتسربة عبر سراديب الجمل الوصفية (١).

" فصعد رجل من الأتراك، ونحن نراه، ومشى والبلاء يأخذه، إلى أن دنا من البرج وضرب الذي عليه بقارورة نفط، فرأيته كالشهاب على تلك الحجارة البُهم، وقد رموا نفوسهم إلى الأرض خوفاً من الحريق، ثم عاد. وطلع آخر يمشي على البدن ومعه سيف وترس، فخرج عليه من البرج، الذي في بابه الفارس، رجل منهم عليه زرديتان، ويده قنطارية، وما معه ترس، فلقيه التركي وفي يده سيفه، فطعنه الإفرنجي... " (٢).

(١) ابن منقذ: كتاب الاعتبار: ص ٦٩.

(١) محفوظ، عبد اللطيف: وظيفة الوصف في الرواية: ص ٥٩.

(٢) ابن منقذ: كتاب الاعتبار: ص ١٤٨.

لعل جمال الوصف يكمن في إقامة ذات الكاتب توازيًا بين وحداته من جهة، ووحدات السرد من جهة أخرى. فتصوير دفع الجندي من فوق البرج ووقوعه في الهواء أرضًا يوازي سقوط الشهاب من السماء، فإذا أضفنا إلى ذلك كون الشهاب نارًا ومن ثم الضوء وكذا قوة السقوط تمثل لنا المشهد بقوة ووضوح. ولا شك أن وصف الحجارة بالبهيم (القائمة السواد) قد مثل لنا مدى صعوبة السقوط ومن ثم فداحة المشهد. ولذا نجد في المقابل رد فعل البقية "رموا نفوسهم إلى الأرض خوفًا من الحريق" وكأن الوصف لا يصنع توازيا على مستوى فعل الحدث فقط، إنما على مستوى ردود الأفعال أيضًا.

ربما استدعت هذه الفداحة المشهد التالي "يمشي على البدن" وما يوحي به من توجس وحرص شديد على الاختفاء والسكون والترص، ومن ثم من مكملاته الوصف الذي يليه "ومعه سيف وترس". وقد تناسب مع ذلك استدعاء القيمة العددية بالزيادة في الدروع "زرديتان" ثم المكملات لتكتمل الصورة.

ومثل ذلك، قول أسامة: "وانقطعت يوما عن أصحابي وتحتي حصان أبيض هو أردأ خيلي، شدة الركابي ولا يدري ما يجري، وما معي من السلاح غير سيفي، فحمل عليَّ العرب فلم أجد ما أدفعهم به، ولا ينجيني منهم حصاني، وقد وصلتني رماحهم. قلت: أثب عن الحصان وأجذب سيفي أدفعهم، فجمعت نفسي لأثب فتنزع الحصان، فوقعت على الحجارة وأرض خشنة، فانقطعت قطعة من جلدة رأسي و(دخت) حتى ما بقيت أدري بما أنا فيه، فوقف عليَّ منهم قومٌ وأنا جالس مكشوف الرأس غائب الدهن

وسيفي مرمي بجهازه، فضربني واحد منهم ضربتين بالسيف وقال: هات الوزن وأنا لا أدري ما يقول، ثم أخذوا حصاني وسيفي" (١).

فالوصف سواء المفرد أو الجملة في بداية المقطع، قد قام بتوجيه الأحداث، فجاء بمثابة المهاد للمتلقي، وإفساح المجال لعقله أن يتخيل الحدث. فرداءة فرسه كانت سيئاً ومسوغاً لكل ما تعرض له من بلاء من وقوع على الأرض، وغياب الذهن عن الوعي، والتفاف أعدائه حوله، ثم ضربه بالسيف ضربتين، وسلب فرسه وسيفه. وقد أسهم كل من: صيغة أفعل للتفضيل "أردأ"، والجناس بين يدري ويجري، في إقامة التبرير واتساق البنية السببية في المقطع.

"إنه حين يكون الوصف معبراً عن الحدث، فإنه يصبح اقتصاداً لغوياً؛ ومن ثمة فإنه يجعل زمن السرد أكثر من سرعة من زمن الكتابة" (١). فليس الوصف هنا مجرد أداة من أدوات السرد، بقدر تلبيه به وكأنه نظيره أو يمتلك آلياته، ما يؤهله ليحل محله، ويقوم مقامه.

#### ١ - ٢ مسوغات حجاجية

تلجأ الذات إلى الحجاج في حال تعرضها لموقف يعوزها إلى الدفاع عن رأيها، أو تحسين موقفها أمام القارئ، محاولة تعزيز تموضعها وتعظيمه من خلال آليات تنتظم الخطاب.

(١) ابن منقذ: كتاب الاعتبار: ص ٨٤.

(١) محفوظ، عبد اللطيف: وظيفة الوصف في الرواية: ص ٦٣.

وعند النظرة المتعمقة لكتاب الاعتبار، فسنجد أن من أبرز آليات الحجاج الوصف، ربما بوصفه تقنية تؤدي وظيفة - حتى وإن كان على المستوى الشكلي - موضوعية، تزيل شبهة التحيز أو الانتقاء الذاتي للمواقف، وتحقق نجاعة الإقناع لدى القارئ.

"وركب وسرنا إليهم، فلحقناهم في وادي حلبون، وهو واد ضيق: لعل ما بين الجبلين خمسة أذرع، والجبال من جانبيه وعرة رفيعة، وطريقه ضيقة، إنما يمشي فيها فارس خلف فارس، وهم في سبعين رجلاً بالقسي والنشاب!"<sup>(٢)</sup>.

مكان المهمة: دمشق. الزمن: ما بين عامي ٥٣٣: ٥٣٩ هـ.

الدافع: سرقة الحرامية (هكذا ترد بالعامية في الكتاب) لقافلة الأمير معين

الدين.

الهدف: استخلاص القافلة من أيدي (الحرامية).

ينتهج المؤلف استراتيجية الوصف الدائري بطريقة منتظمة، من الداخل

إلى الخارج، ومن النقطة الضيقة التي تتسع شيئاً فشيئاً بطريقة متدرجة:

ما بين الجبلين خمسة أذرع الجبل من جانبيه وعرة رفيعة طريقه ضيقة

إن استخدام الوحدة القياسية المحددة = خمسة أذرع، بين الجبلين تعكس

قصر المسافة بين الجبلين، ومن ثم لنا أن نتخيل كيف يمر جيش أو كتيبة من

تلك المسافة؟!

---

(٢) ابن منقذ: كتاب الاعتبار: ص ٢٤٧.

وإذا أضفنا صفة الوعورة للجبال والرفعة؛ تبين لنا مدى صعوبة المكان، وعدم جاهزيته لجريان المعارك، ومن ثم مدى المعاناة التي سيجدها أي جيش يحارب فيه.

وتأتي الصفة الأخيرة وهي ضيق الطرق في الوادي بصفة عامة؛ لتؤكد كل التوابع السابقة من جهة، ولتقضي على تعلق القارئ بأي خيط - ولو رقيقاً - يوحى بالسهولة أو يفتح الطريق للتهوين من مشقة المهمة. ثم تأتي التفاصيل الحية وهي الجزء الأهم في رؤية المؤلف، الذي يشغل فكره بصفته محارب:

"يمشي فيها فارس خلف فارس، وهم في سبعين رجلاً بالقسي والنشاب" وكأنها إثبات لادعائه السابق/ ضيق المكان ووعورته، من خلال التصوير البصري، الذي أسهم في رسمه فعل المضارعة "يمشي" وهو يفيد بتحدد الحدث واستمراريته، فيتوازى بذلك مع تكرار لفظ "فارس" + الظرف "خلف"، وكأن أمامنا خط عمودي يلتزم العسكر بالسير عليه، مما يوحى بدقة تنظيم خصم أسامة ومن معه (لاسيما إذا أضفنا تسليحهم بالقسي والنشاب)، وفي الوقت ذاته صعوبة الاشتباك معهم في هذا المكان.

إن الذات تروم إثبات تفرداها في مهنتها الأثيرة؛ ولذا تقدم المسوغات لاعتماد هذا التفرد وإقراره لدى القارئ، وتأتي هذه المسوغات بمثابة المقدمات المنطقية، التي تتطلب تفاعل المتلقي معها، واستنتاج الدلالات الكامنة وراءها.

"إن الحجاج - كما أفهمه- يعتبر المخاطب لا بوصفه شيئاً يتصرف فيه المرء، وإنما هو المعادل الموضوعي له الذي يحمله على مشاركته في الرؤية، والعمل على التأثير فيه هو السعي إلى تغيير مختلف التمثلات، التي تُنسب إليه بإبراز بعض مظاهر الأشياء، وإخفاء بعضها الآخر، واقتراح مظاهر جديدة، وذلك بواسطة ترسيمية ملائمة"<sup>(١)</sup>.

ولعل ما يؤكد زعمنا نجاح أسامة في مهمته: "فحملتُ عليهم وحدي، لضيق المكان، فانهمزوا"<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك روايته للمهمة التي ندبه إليها عمه بإيعاز من شهاب الدين محمود، فيقول: "اجتمع عسكرينا وعسكريه، وأنا على عسكر شيزر وهو في عسكريه، وسرنا إلى أفامية فلقينا فارسهم وراجلهم في الخراب الذي لها، وهو مكان لا تتصرف فيه الخيل من الحجارة والأعمدة وأصول الحيطان الخراب، فعجزنا عن قلعهم من ذلك المكان، فقال لي رجل من جندنا: تريد تكسرهم؟ قلت: نعم، قال اقصد بنا باب الحصن، قلت سيروا، وندم القائل، وعلم أنهم يدسوننا ويجوزون إلى حصنهم، فأراد أن يردني عن ذلك، فأبيت وقصدت الباب. فساعة ما رأنا الفرنج قاصدين الباب، عاد إلينا فارسهم وراجلهم فداسوننا وجازوا".

---

(١) شارودو، ومنغنو: معجم تحليل الخطاب: ص ٦٩، ت/ عبد القادر المهيري، وحمادي

صمود، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، سلسلة اللسان، تونس، ٢٠٠٨.

(١) ابن منقذ: كتاب الاعتبار: ص ٢٤٨.

فالذات تروم تبرير الهزيمة التي تعرضوا لها في هذه الموقعة؛ ولذا وجدناها تحتج لذلك من خلال وصف المكان الذي دار على: إشغال المكان بالحجارة والأعمدة وأصول الحيطان؛ ومن ثم وعورة الطريق، بل انعدام صلاحيته للقتال الحر؛ مما ترتب عليه إلحاق العدو الهزيمة بأسامة ومن معه.

وكانت النتيجة في نهاية الرواية، موت شهاب الدين محمود، حيث "جاء سهم من الحصن فضربه في جانب عظم زنده، فما دخل في جانب عظم زنده مقدار طول شعيرة... فركب المغرب وسار حماه فأقام الغد وبعد الغد ثم اسودت يده وغاب عنه رشده ومات"<sup>(١)</sup>.

## ٢- دوائر الأنساق: الوصف/ الحوار:

"الحوار قرين الوصف من ناحية التوظيف الزمني، حيث إنه يبطئ وتيرة السرد، ويقارب بين زمن الحكاية وزمن القص الآني. أما عن علاقة الوصف بالحوار فهي علاقة بنائية، يتحكم في رسمها المؤلف، خاصة أن الحوار والوصف لا يتداخلان كما "الوصف والسرد"؛ لأن الحوار يمتلك طبيعة تميزه عن مستويات اللغة الأخرى"<sup>(٢)</sup>.

لا يقل الدور الذي يقوم به الوصف عما يقوم به الحوار، في تحديد معالم الشخصيات ورسم ملامحها، وتوزيع الأدوار المنوطة بها، وتفعيل الوظيفة

---

(١) ابن منقذ: كتاب الاعتبار: ص ١١١.

(٢) الشمالي: الوصف في الخطاب الروائي وأبعاده التقنية "زياد قاسم نموذجًا": ص ٦، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٣٣، العدد، ٢٠٠٦ م.

التأويلية لأنساق الدوائر التي تحتلها كل شخصية. ويشغل الوصف في المقاطع الحوارية كمهاد لتفاعل المتلقي، واستنتاجه لما وراء السياقات من دلالات تعضد جهاز التتبع عنده لبنية الحوار.

"ومن الملاحظ أن أسامة يعتمد في كتابه بشكل كبير على الحوار، وأكثر الحوار الذي يرد عنده هو حوار مع أشخاص آخرين، أما الحوار مع الذات فإنه يرد في مواضع قليلة"<sup>(١)</sup>.

يقول أسامة بن منقذ: "وأصبح والده عباس، دخل القاهرة وجلس في دار الوزارة، وخلع عليه الظافر وفوض إليه الأمر، وابنه نصر مخالطه ومعاشره، وأبوه عباس كاره لذلك، مستوحش من ابنه، لعلمه بمذهب القوم في ضربهم بعض الناس ببعض حتى ينفوهم ويجوزوا كل ما لهم حتى يتفانوا، فأحضراني ليلةً وهما في خلوة يتعاتبان، وعباس يردد عليه الكلام، وابنه مطرق، كأنه نمر، يرد عليه كلمة بعد كلمة، يشنط منها عباس، ويزيد في لومه وتأنيبه، فقلتُ لعباس: يا مولاي الأفضل! كم تلوم مولاي ناصر الدين وتوبخه وهو ساكت، اجعل الملامة لي، فأنا معه في كل ما يعمل، ما أتبرأ من خطئه ولا صوابه. أي شيء هو ذنبه؟ ما أساء إلى أحد من أصحابك، ولا فرط في شيء من

---

(١) شاكر، تهاني عبد الفتاح: السيرة الذاتية في الأدب العربي: فدوى طوقان وجبرا إبراهيم جبرا وإحسان عباس نموذجًا، ص ٥٧، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، بيروت، ٢٠٠٢م.

مالك، ولا قدح في دولتك، خاطر بنفسه حتى نلت هذه المنزلة، فما يستوجب منك اللائمة، فأمسك عنه والده، ورعى لي ابنه ذلك" (٢).

تسير علاقة الوصف بالحوار على عدة أنساق تندرج ضمن أشخاص ثلاثة: الأول: الابن الثاني: الوالد، الثالث: أسامة بن منقذ.

#### أنساق علاقة الوصف بالحوار

م	الابن (المسألة)	الوالد (العدوانية)	أسامة (الوساطة)
١	مخالط أباه ومعاشره	كاره لذلك	-
٢	-	مستوحش	-
٣	يعاتب أباه	يعاتب ابنه	-
٤	مُطرق كأنه غمر	يردد الكلام على ابنه	-
٥	يرد على أباه كلمة بعد كلمة	يشتاظ منها عباس	-
٦	وهو ساكت	يزيد في لوم ابنه وتأنيبه	-
٧	-	-	الملامة لي
٨	-	-	فأنا معه في كل ما يعمله
٩	-	-	ما أتبرأ من خطئه ولا صوابه
١٠	ما أساء إلى أحد من أصحابك	-	-
١١	ولا فرط في شيء من مالك	-	-
١٢	ولا قدح في دولتك	-	-
١٣	خاطر بنفسه حتى نلت هذه المنزلة	-	-

تتحرك هذه الأنساق في دوائر متضادة بين الابن من جهة، والوالد من جهة أخرى، بالإضافة إلى الدائرة الثالثة/ أسامة، التي تتأرجح بين الدائرتين.

نلاحظ أن نسق العدوانية يتخذ التدرج التصاعدي، بينما يتخذ نسق المسألة التدرج التنازلي. ولو تتبعنا الأول من رقم (١) سنجد البداية مع مجرد

(٢) ابن منقذ: كتاب الاعتبار: ص ٧٤.

الشعور القلبي (الكره)، في مقابل الاختلاط والعشرة، ثم يتقدم خطوة أعلى (الوحشة) وكأنه بمثابة الترجمة العملية لشعور الكره، في مقابل لا شيء من الابن، ثم يترجم إلى (العتاب) عند الاثنين الابن والوالد، وهو أولى مراحل المواجهة وإخراج مكان من الشعور، ثم يتصاعد من خلال التكرار (التريد)، في مقابل الإطراق، ثم تتدرج إلى درجة عالية من الغضب (يشتات) وفي لسان العرب "شاط الشيء شَيْطًا وشَيْطًا وشَيْطُوطَةً: احترق"<sup>(١)</sup>. في مقابل (الرد) وهو شكل من أشكال الموضوعية والدفاع المهادئ عن النفس، حتى نبغ الذروة هنا وهناك، حيث زيادة التأنيب والتبكي عند الوالد، والصمت التام عند الابن.

ويأتي تأرجح دائرة الوساطة من جهة، من خلال استمالة الوالد بتوظيف إمكانات اللغة، فارتكز على النداء بـ "يا" وباء المتكلم "مولاي" للتقريب، واختيار أنسب أسمائه "الأفضل" على صيغة أفعال للتفضيل. واستخدم "كم" الخبرية لتفيد تعدد المرات لعله يرجع إلى نفسه فيراجعها، ثم الصياغة المكونة من أداة الأمر "اجعل + الملامة + لي" بالإضافة إلى العبارة التي تلتها فأكدت حملتها الدلالية التي أفادت تحمله تبعات الأمر برمته، وإلقائها - في الوقت نفسه - من فوق كاهل ابنه، وقد زاد هذا التأكيد من خلال النفي بـ "ما" + "لا"، وكذلك الاستفهام "أي".

---

(١) ابن منظور: لسان العرب: مادة "شيط".

ومن جهة أخرى، من خلال تبرئة الابن، بل وإرجاع الفضل له - بعد الله سبحانه - في تبوئه تلك المنزلة الرفيعة؛ وذلك عبر فضائين: الأول: تحمل تبعات الأمر برمته، باستخدام ضمائر المتكلم العائدة على الذات: "لي- فأنا- أتبراً" التي جاءت ضمن سياقات متنوعة في النوع (ياء المتكلم- الضمير المنفصل- الضمير المستتر)، والصياغة (الإثبات في التحمل الكامل: الملامة لي- إثبات الشراكة مع الابن: فأنا معه في كل ما يعمل- نفي شبهة التهرب من المسؤولية: ما أتبراً من خطئه ولا صوابه).

والثاني: الدفاع عن الابن، ونسبة التضحية إليه في تثبيت أركان رتبة أبيه/ الوزير، وذلك نجده في الأرقام من ١٣: ١٠ من خلال التدرج في النفي (ما: نفي الماضي- لا: نفي الماضي والحاضر)، ثم الإثبات من خلال الفعل الماضي الذي بدا الأمر معه كأنه من المسلمات (خاطر بنفسه حتى نلت هذه المنزلة).

إن الحوار "يؤدي دوراً كبيراً في البناء العام للنص السردى، إذ يساعد على إبراز الشخصيات ووعيها، وتطوير الحدث وتوضيح جوانب من الصراع، ففي المشهد الحوارى يتكلم الكاتب السارد بنفسه ليفصح عن شخصيته، ويدلي بأفكاره عن طريق الحوار مع شخصيات أخرى مشاركة، فضلاً عن إبطاء السرد والتريث في الأحداث"<sup>(١)</sup>.

---

(١) أسود: الحركة الزمنية في سيرة صلاح نيازي الذاتية: ص ٥٨، مجلة آداب الفراهيدي، العدد (٣٢)، ٢٠١٧م.

### ٣- البعد اللغوي:

اللغة بشكل عام في كتاب الاعتبار "تتجه سرديًا إلى بناء مشهدي، وذلك لا بد منه؛ لأن لغة السرد السيري لغة تعتمد على الاختيار والتكثيف، وهذا الاعتماد يتجه ضرورة نحو بناء مهندس، وهذا ما رأيناه عند أسامة الذي تنوعت لغته السيرية بين مشهد الحرب ومشهد الرحلة الصيد والمشهد الأدبي"<sup>(١)</sup>.

ويشتغل البعد اللغوي للوصف في كتاب الاعتبار، عبر وظيفتين، الأولى: تزيينية، والثانية تفسيرية.

### ٣-١ وظيفة تزيينية

وهي "موروثة عن البلاغة التقليدية التي كانت تصنف الوصف ضمن زخرف الخطاب، أي كصورة أسلوبية، وتعتبره تأسيسًا على ذلك، مجرد وقفة أو استراحة للسرد، وليس له سوى دور جمالي خالص"<sup>(٢)</sup>. يقول أسامة: "وكان معي مملوك صغير يجر فرسًا لي دهماء (السوداء أو الدكناء)، مجنوبة (سهلة الانقياد)، وتحتة بغلة مليحة سروجية، وعليها مركوب ثقيل من فضة"<sup>(٣)</sup>.

---

(١) عبد الله، لؤي حاتم: البنية التركيبية للغة السيرة الذاتية بين أسامة بن منقذ وابن خلدون: ص ٢.

(٢) الشمالي: الوصف في الخطاب الروائي وأبعاده التقنية "زياد قاسم نموذجًا": ص ٤.

(٣) ابن منقذ: كتاب الاعتبار: ص ١٠٤

يأتي هذا الوصف في سياق نهب الفرنج لزرع حصن شيزر (موطن أسامة)؛ ومن ثم تحرك أسامة بصحبة عمه أبي العساكر لقتالهم في أفامية، وهناك يروي أسامة عن إحدى أبرز مغامراته الحربية - رغم أنه ما زال غراً في القتال - حيث حمل على أعدائه فأعمل فيهم الرمي والطعن والقتل.

يتمثل البعد التزييني في اختيارات الذات اللغوية، التي تبرز كفاءتها وإمكاناتها في امتلاك ناصية الخطاب، وذلك يبدو لنا في اختيار صفات الفرس: "دهماء - مجنوبة"، والبغلة: "مليحة - سروجية - عليها مركوب ثقيل من فضة".  
دهماء:

في اللسان: الدهمة: السواد، والأدهم: الأسود، يكون في الخيل والإبل وغيرهما. والعرب تقول: ملوك الخيل دُهمها. وحديقة دهماء مدهامة: خضراء تضربُ إلى السواد من نعمتها وريها. وفي التنزيل العزيز "مدهامتان" أي سوداوان من شدة الخضرة من الري<sup>(١)</sup>.

مجنوبة:

وفرس طوع الجنب بكسر الجيم، وطوَعُ الجنب، إذا كان سلس القياد<sup>(٢)</sup>.

مليحة:

والملاح: الحُسن من الملاحه، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ أتى بكبشين أملحين فذبحهما.

(١) ابن منظور: لسان العرب: مادة "دَهَم".

(٢) ابن منظور: لسان العرب: مادة "جنب".

الأمّ ملح الذي فيه بياض وسواد، ويكون البياض أكثر. وأمّ ملح البعير إذا حمل الشحم، ومُملح فهو مملوح إذا سمن<sup>(٣)</sup>.

سروجية:

سرج: السرج: رحل الدابة، والسراج: المصباح الزاهر<sup>(١)</sup>. هذا بالإضافة إلى ما ورد في الكتاب من تعريف للكلمة بأنها (نسبة إلى سروج إلى الشمال الشرقي من منبج قرب حران)، ولعل ذلك فيه إشارة إلى تميزها أو أصلاتها. لعل الذات هنا تروم أن تعكس تفرد الفرس، بما يمتلكه من صفات نادرة ما تجتمع في فرس أخرى؛ ومن ثم فلا يستحقه أي فارس، إلا فارسًا متفردًا مثله في الصفات القتالية: من قوة، وشجاعة، وإقدام، وتضحية. فهو إذن وصف وإن كان للفرس، فهو يعود— في الوقت نفسه— على الذات. ويقول كذلك: "ودخل تحت فرس شقراء تحته، عُشراء (لم يمض على حملها عشرة أشهر)، مُحجلة (في قوائمها بياض)، شعلاء (ذات بياض في الذنب، وفي ناحية من الناصية)"<sup>(٢)</sup>.

ويأتي هذا الوصف في سياق مطاردة أخيه للخنزير، وطعنه إياه حتى إن قنطارته (قناة الرمح وتُطلق على الرمح كله) انكسرت، حتى دخل تحت فرسه

(٣) السابق: مادة "ملح".

(١) السابق: مادة "سرج".

(٢) السابق: مادة "شعل".

فانفسخت رجلي الفرس، وأما أخوه فانكسرت إصبعه الخنصر وانكسر خاتمه.

إنه بالإضافة إلى وجه الزينة المشترك مع النموذج السابق، المتمثل في الخيارات اللغوية، ونجده هنا في وصف الفرس:

شقراء:

الأشقر من الدواب: الأحمر في مُعَرَّة حمرة صافية، والعرب تقول: أكرم الخيل وذوات الخير منها شُقْرُها. وهي في الإنسان حُمْرٌ صافية، وبشرته مائلة إلى البياض<sup>(١)</sup>.

عُشراء: لم يمض على حملها عشرة أشهر.  
مُحجلة: في قوائمها بياض.

شعلاء: ذات بياض في الذنب، وفي ناحية من الناصية.

نلاحظ التوازن الإيقاعي بين الوحدات: شقراء - عشراء - شعلاء، إضافة إلى ما بينها من سجع.

٣-٢ وظيفة تفسيرية

وفيه تعول ذات المؤلف على ما يتسم به الوصف من خواص دلالية، سواء كانت مباشرة أو رمزية، ومن ثم تقوم بتوجيهه نحو خدمة النص، بتفسير جزئياته وإطاره العام.

---

(١) السابق: مادة "شقر".

يقول أسامة: "كنا نصيد ونعود ننزل على بوشمير نهر صغير بالقرب من الحصن وننفذ نحضر صيادي السمك فنرى منهم العجب، فيهم من معه قصبة في رأسها حربة لها جبة (ما يدخل من السنان في الرمح) مثل الخشوت (مفردا الخشت وهي الحربة)، ولها في الجبة ثلاثة شعب حديد طول كل جعبة ذراع. وفي رأس القصبة خيط طويل مشدود إلى يده يقف على جرف النهر وهو ضيق المدى ويصر السمكة فيزرقها في تلك التي فيها الحديد فما يخطئها، ثم يجذبها بذلك الخيط فتطلع والسمكة فيها، وآخر من الصيادين معه عود قدر قبضه فيه شوك وفي طرفه الآخر خيط مشدود إلى يده، ينزل يسبح في الماء يبصر السمكة يخطفها بتلك الشوكة ويخليها فيها ويطلع ويجذبه بذلك الخيط يطلع الشوكة والسمكة، وآخر ينزل ويسبح ويُمِر يده تحت الشجر في الشطوط من الصفصاف على السمكة، حتى يُدخل أصابعه في خواشيم السمكة، وهي لا تتحرك ولا تنفر ويأخذها ويطلع، فكانت تكون فرجتنا عليهم كفرجتنا على صيد البزاة"<sup>(١)</sup>.

بعد قراءة النص تستوقفنا ملاحظات عدة، أبرزها ما يلي:

- تطغى على لغة النص المباشرة، ما عدا التشبيهين: "جبة مثل الخشوت"، "تكون فرجتنا (لفظة عامية) عليهم كفرجتنا على صيد البزاة".
- تتسم الوحدات بالدقة والانضباط والاقتصاد في الدلالة؛ ومن ثم مجانية التعبيرات الفضفاضة والترهل الإنشائي، وذلك نراه في "حربة - جبة -

(١) ابن منقذ: كتاب الاعتبار: ص ٣٣٠.

الخشوت - شعب - ذراع - القصة - الخيط - شوك - الشطوط -  
الصفصاف - خواشيم - البزاة".

— التفصيل في الوصف، خارجيًا وداخليًا؛ فالأول يبدو لنا في تقسيم المشهد إلى ثلاثة مشاهد

فيهم من معه قصة...، وآخر من الصيادين...، وآخر ينزل ويسبح...". وأما الثاني ففي التعمق داخل كل وسيلة للصيد من الوسائل الثلاث، ويغلب عليها الوصف التنازلي الارتدادي من الأكبر إلى الأصغر فالأصغر، فالقصة وهي لا بد أن تكون طويلة، في رأسها حربة، والحربة لها جبة أصغر منها، وهي بدورها تتفرع إلى ثلاث شعب حديد. ثم يرتد من رأس القصة خيط طويل مشدود إلى يده. وأما الصياد الثاني فمعه عود ليس طويلًا، لكنه ضخم قد القبضة، ينتهي بنصل ليسهل غرسه في السمكة، ويرتد منه أيضًا خيط، وأما الصياد الثالث فآلته هي يده بداية من ذراعه (وهو طويل) وانتهاء بأصبعه (وهو أقصر).

— اتسم الوصف بالموضوعية، عدا الافتتاحية "تحضر صيادي السمك فترى منهم العجب"، والختام "فكانت تكون فرجتنا عليهم كفرجتنا على صيد البزاة"، وهما بمثابة التقديم والتعليق الانطباعي ربما يكون الغرض منه تأكيد الحضور الذاتي في المشهد من بدايته إلى نهايته.

ومن أمثلة ذلك قوله في الخيل: "وعلى ذكر الخيل: ففيها الصبور كالرجال، وفيها الحَوَّارُ..."<sup>(١)</sup>.

وقوله: "وأخرجتُ السكين فتقته عند صدره، وأظهرت جانب الزرديتين، وكان فيه زردية إفرنجية إلى ذيله وفوقها أخرى إلى وسطه. على كل زردية البطائن واللبد واللاسين ووبر الأرنب. فالتفت إلى غلام له كلمه بالتركي، ولا أدري ما يقول. فأحضر بين يديه حصاناً كميئاً كان أعطاه إياه أتابك في تلك الأيام، كالصخرة الصماء قُدت من قُنة الجبل"<sup>(٢)</sup>.

وقد استخدم في النموذج الأول التشخيص "الصبور - الحَوَّارُ"، بالإضافة إلى التشبيه "كالرجال".

وفي النموذج الثاني خلط بين المباشرة في الوصف "إفرنجية - أخرى - كميئاً" وبين الصورة الفنية "كالصخرة الصماء قُدت من قُنة الجبل" ليصف قوة الفرس وسرعته.

ويبدو لنا أن غرض الكاتب الرئيس هو التفسير؛ ولذا لا يألو جهداً في توضيف الآليات التي من شأنها أن تجلّو سمات الموصوف، حتى وإن اختلفت أو تعددت.

---

(١) ابن منقذ: كتاب الاعتبار: ص ١٧٧.

(٢) ابن منقذ: كتاب الاعتبار: ص ١٨١.

### ثالثاً: تجليات "الأنا":

#### ١ - الأنا بين الراوي والبطل

"قد كان لمباحث جينيت (Genette) أثر مهم في التفريق بين الكاتب والراوي والشخصية، وتعهدت الدراسات التي اهتمت بالسيرة الذاتية بوظيفة تمييز الكاتب من الراوي والبطل، وحددت العلاقات بينهم"<sup>(١)</sup>.

لعلنا نضرب مثلاً بإحدى الأحداث التي كان فيها أسامة راوياً وبطلاً، التي جاءت بعنوان: "أسامة يعود إلى الشام في مهمة رسمية":

#### ١-١ التفاصيل: (٢)

لا حظنا في المشاهد التي يكون فيها "الأنا" راوياً وبطلاً في الوقت نفسه، حرصاً على تفصيل الحدث تفصيلاً دقيقاً؛ ولذا نجد مثل الحدث أعلاه يتفرع إلى ما يأتي:

وكان الإفرنج - خذلهم الله - قد شرعوا في عمارة غزة ليحاصروا عسقلان.

قلت: "يا مولاي، فإن اعتذر أو كان له من الأشغال ما يعوقه أي شيء تأمرني؟"

ودفع إلي ستة آلاف دينار مصرية، وحمل جمل ثياب...

---

(١) جعفرية: في الذاتية "عنتره نموذجاً": ص ١٦٤، الدار التونسية للكاتب، تونس، ٢٠١٣ م.

(٢) ابن منقذ: كتاب الاعتبار: ص ٦٣: ٦٦.

فأمرتُ اثنين من الأدلاء ركبا مهرين وسارا قدامنا إلى الجفر. فما لبثا أن عادا والمهاري تطير. فوقفتُ وجمعتُ الجمال التي عليها ثقلي ورفاقا من السفارة كانوا معي وردتهم إلى الغرب.

ندبتُ ستة فوارس من مماليكى وقلتُ: "تقدمونا، وأنا في إثركم" فساروا يركضون.

فعاد إلي واحد منهم وقال: "ما على الجفر أحد، ولعلمهم أبصروا عرباناً، فلما وصلتُ الجفر، وفيه مياه وعشب وشجر، فقام من ذلك العشب رجل عليه ثوب أسود فأخذناه، وتفرق أصحابي فأخذوا رجلاً آخر وامرأتين وصبياناً. فجاءتُ امرأةً منهن مسكتُ ثوبي وقالت "يا شيخى أنا في حسبك. قلتُ "أنت آمنة مالك ؟" ...

فجمعتهم ورأيتُ بهم من الضر أمراً عظيماً. فوقفتُ حتى جاء الجمال، وأعطيتهم من الزاد الذي كان معنا. قطعْتُ فوطة كانت على رأسي أعطيتها للمرأتين، فكادت عقولهم تزول من فرحهم بالزاد.

قلتُ: لا تقيموا ها هنا يسبوكم الإفرنج. حتى نهاية القصة: "فرجع الإفرنج حملوا على أولئك فقتلوا منهم نفرًا فانهمزت الرجالة الذين رددتهم فما رجعوا ورموا تراسهم. ولقينا الإفرنج فرددناهم ومضوا عائدين إلى بلادهم وهي قريه من عسقلان. وعاد الذين انهزموا من الرجالة يتلاومون، وقالوا: كان ابن منقذ أخبر منا، قال لنا ارجعوا ما فعلنا حتى انهزمنا وافتضحنا".

ربما يرجع السبب في سرد الذات لتلك التفاصيل؛ إلى طبيعة الجنس الأدبي الذي تكتب من خلاله كوعاء أشبه ما يكون بالملذرات أو باليوميات، التي تقوم على تدوين كل الأحداث، سواء كانت محورية أم فرعية، طويلة أم قصيرة، لكن ما يبدو أن السبب الرئيس في سرد تلك التفاصيل هو رغبة الذات في إطلاع المتلقي على كل ما من شأنه أن يبرز إنجازاتها ونجاحاتها في الحياة، وإذا عرفنا أن حياة أسامة جلها كانت وسط المعارك، وفي خضم جهاد الصليبيين وأعداء الدولة الإسلامية، تأكد لنا ضرورة سرد الأحداث بتفاصيلها الدقيقة، من جهة كمحاولة لإعادة اكتشاف الذات - لا سيما إذا عرفنا أن هذه السيرة كتبها أسامة بعد تجاوز التسعين من عمره - وكتابتها من جديد، ومن جهة أخرى إشراك المتلقي في إعادة بناء الحدث من منظور رؤيته العصرية، بصورة أشمل وأعمق بحيث تكون قابلة لإنتاج دلالات جديدة. كل ذلك لا شك قد أسهم في إبراز تاريخية "الأنا" وبلورة معالمها النصية في الخطاب.

ومن مظاهر هذه التفاصيل، الاستطراد<sup>(١)</sup>، وهو الانتقال من موضوع إلى آخر، ثم العودة إلى الموضوع الأول، وهي سمة ظاهرة في سائر كتب الجاحظ، ويبدو أن الجاحظ كان يتقصد هذا الأسلوب لإبعاد الملل عن نفس القارئ<sup>(٢)</sup>.

(١) يُنظر ابن منقذ: كتاب الاعتبار: ص ٦٦: ص ٦٨.

(٢) يُنظر التميمي: الأدب العربي عبر العصور: ص ٣٤٤، دار الساقى، ط ١، ٢٠١٥ م.

"من ذكريات الطريق فطنة ودليل"

"من ذكريات الطريق أيضًا: هرب أحد البغال بخرج الدنانير"

والاستطرد هنا يُعد من النوع السردى الذي يؤثر التفرّيع على الحدث؛  
رغبة في استحضار الحكم، أو استرجاع الأحداث المفاجئة أو الطريفة.

أما الأول فيدور على سير الجمال في الصحراء أشتاتًا، مما اضطر أسامة  
إلى أن يطلب من رفقاته الانتشار للبحث عنها: "فوقفتُ على رفعة من  
الأرض، وقلتُ للغلمان: تفرّقوا في طلب الجمال وعودوا إليّ، فأنا ما أزول  
مكاني"، ومن ثم تاه بعضهم عن بعض، حتى ألهم الله أحد الأدلاء وأخرج  
قداحة وجعل يقدح والشرار يتطاير من الزند هنا وهناك حتى رآهم أسامة  
ومن معه؛ وبذلك التأم شملهم بعد أن أشرفوا على الهلاك.

وأما الثانى فيسترجع فيه أسامة أمر الملك العادل بألا يُعلم الأدلاء بما معه  
من المال؛ ولذا يحرص على وضعه داخل حُرَج، ثم يضعه فوق البغل ويسلمه  
لأحد الغلمان، وكان من حرصه أن يجعل المال تحت البسط أثناء نومه، حتى  
إذا وضعه على البغل في إحدى الليالي، إذا به يجري بما فوقه من الخرج، فيأمر  
أسامة الغلمان بتتبعه فلم يتمكنوا من اللحاق به، لكنه قد أسقط الخرج من  
قوة عدوه، فجاءوا به وسلموه لأسامة فقال: "الخرَج كنتُ أطلب، والبغل  
أهون مفقود"، وإذا بالبغل يعود فيعلق أسامة: "فكأنه ما كان قصده إلا  
تضييع أربعة آلاف دينار".

من أبرز الملاحظات على الاستطرد في المثالين السابقين، ما يأتي:

— في المثالين انتقال من فضاء إلى فضاء آخر:

المكان: (رفعة من الأرض - البرية - النوء / تيه بني إسرائيل - المنزل).

"وهذا النسق من الانتقال إلى مكان آخر عبر الاستطارد هو ما ينتج في فضاء السرد مكانا جديدا مفارقا ومباينا للمكان الذي تدور فيه أحداث القصة، ومن هنا يكون الاستطارد باعثا على تحريك مخيلة القارئ باتجاه جديد وبمسافة شاسعة ويمثل في الوقت نفسه ابتعادا عن الخط الدرامي للقصة فيكون القارئ معلقا بالعودة مرة أخرى مع انتهاء هذا الاستطارد"<sup>(١)</sup>.

— "كما لا يمكن إغفال القيمة الجمالية المرتقنة بالمعرفة في ذاتها فإذا كانت الحكاية بشكلها الدرامي والحركي وما تمثله من صراع أو تختزل من تجربة ممتعة ومشوقة فإن المعلوماتية التي تضيفها هذه الاستطاردات المعرفية هي بذاتها مهمة للقارئ الذي لا يقنع بمجرد الحكاية أو بفكرة التسلية ويريد حركة أو تطوفا في العالم ينقله إلى حقل جديد أو مسألة معينة أو موضوع معين يضيف إليه جديدا"<sup>(١)</sup>. فحتى وإن كانت المعارف التي قدمها لنا الاستطاردان ضئيلة أو ضحلة بالمعايير العصرية، وربما كانت تعني للعصر الذي قيلت فيه شيئا ذا بال، ففي النص الأول نلمح بعض الإشارات، مثل: السير على النوء (نجم يميل إلى الغروب، وبطلع من المشرق نجم يقابله) عند التيه في الصحراء- بعض الحلول الأخرى مثل: استخدام

(١) شوشة: صياد النسيم: جماليات الاستطارد المعرفية: موقع أنطولوجيا السرد العربي، (الفقرة

الأولى)، ٢٠١٨/١٧/٢، ٦٧٠٢، <http://alantologia.com/blogs>

(١) السابق (الفقرة الأولى).

النار وتطايير الشرار مما يتيح الرؤية للآخرين بوضوح. وفي النص الثاني تقابلنا كذلك المعارف مثل المتعلقة بالمعالم "تیه بنی اسرائیل (طور سیناء)"، وكذا تشبيه جري البغل في سرعته بالحمار الوحشي، مما يمد القارئ بصورة لطبيعة البغل والحمار الوحشي معًا.

— أمدنا النصان بعدد من المفردات ربما بعضها قليل الاستعمال في اللغة، وبعضها الآخر خاص بعصر المؤلف، مثل: جُرّیة (تصغير جرو) - سروجي (نسبة إلى مدينة سروج، من نواحي منبج) - مجنوب (سهل الانقياد) - سرفسار (كلمة فارسية تعني العنان) - طوالة (في اللغة مكان لوضع طعام الخيل والبغال، لكن أسامة لا يستخدمها بهذا المعنى، لكن يستخدمها بمعنى الحبال التي تُشد بها الخيل لترعى).

— يغلب على النصين سمة الانتقائية، نستنتج ذلك من العنوان "من ذكريات الطريق"، وكذا من كلام أسامة في بدايتهما "ومن طريف ما جرى لي بالطريق"، "ومما جرى لي في تلك الطريق".

وهذا يدل من جهة على وجود أحداث أخرى فرعية حدثت لأسامة في طريقه، ومن جهة أخرى على خضوع الأحداث لاختبارات خطائية من قبل الذات ومن ثم توافر القصدية لتكريس تلك السمات التي أسلفنا ذكرها لتصير بمثابة العلامات التي تشير إلى وجودها، ومن ثم تهيئ مناخًا يبرر بروز "الأنا" داخل النص.

## ١-٢ الضمير:

تعد العناية بالضمير في مختلف الدراسات اهتماما يتوزع في إطار توجهات عديدة، منها ما يتعلق بتحديد الشخص المتحدث؛ لأن تحديد هذا النوع من الضمير وثيق الصلة بالمنظور الذي ينطلق من خلاله، ووثيق الصلة بطبيعة الحكم الذي يصدره، سواء كان حكما ذاتيا (في إطار نسق الذات)، أو موضوعيا (في إطار الغياب)، أو بينه وبين غيره (في استخدام المخاطب). كما أن تحديد الضمير له دوره الفاعل في بيان الكيفية التي يبني بها النص، وتأتي وظيفته في النصوص الأدبية مرتبطة في الأساس بمجزئية التواصل المفترض بين المبدع والمتلقي.

فاختيار ضمير بعينه شيء ضروري لعملية التواصل؛ لأنه يحدد تنظيم الخطاب الذي يحيل إلى مجموعة من الدلالات الخاصة<sup>(١)</sup>. وعند القيام بإحصاء الضمائر سواء كانت متعلقة بأفعال، أو وردت منفصلة في تلك الحادثة، وجدناها على النحو الآتي:

### الضمائر

الضمائر	المتكلم	الغائب	المخاطب
العدد	٧٦	٧٠	٢٢

(١) يُنظر دريم: فاعلية الضمير في إنتاج الدلالة - دراسة أسلوبية في قصيدة أنشودة المطر لبدر شاكر السياب: ص ٣٠، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم الآداب واللغات، العدد ٢٠، جوان ٢٠١٨.

إن هذا الإحصاء يعكس غلبة الضمائر التي تحيل إلى الذات: أنا- نحن، ومن ثم يثبت محورية الـ "أنا" وسط دائرة الخطاب التي تُعد الضمائر من أبرز محركاتها، وأكثرها فاعلية في النص؛ إذ تُحيل القارئ إلى الدور الحيوي الذي تقوم به "الأنا"، لاسيما في الأحداث التي يُسند إليها دور البطولة والرواية- كما رأينا في المثال السابق- وقد لفتنا في هذه الأحداث تمثيل "الأنا" قطب رحى تدور حوله الأحداث الفرعية، وتُسند إليه المهمات الرئيسة، وكذا توزيع الأدوار على الشخصيات.

ويكفي أن نطالع أحداثاً أخرى في الكتاب، كان فيها أسامة راوياً فقط وليس بطلاً، لنرى خلوها من تلك السمات النصية السالفة الذكر، مثل:

ابن السلار يقتله حفيد امرأته، بالاتفاق مع الظافر<sup>(٢)</sup>.

بواب المجلس يموت من الخوف (أربعة سطور)<sup>(٣)</sup>.

أسامة يعود فيسترجع ذكرى نكبة وزير آخر من وزراء الحافظ الفاطمي: الأفضل بن ولحشي<sup>(٤)</sup>.

---

(٢) يُنظر ابن منقذ: كتاب الاعتبار: ص ٧٣.

(٣) يُنظر السابق: ص ٧٨.

(٤) يُنظر السابق: ص ٨٩.

#### ٤ - رؤية الأنا

إن القارئ بالإضافة إلى تنقيبه في "السيرة الذاتية" عن أحداث تاريخية لا يعرفها، فإنه كذلك يود التعرف على موقف كاتبها من هذه الأحداث بالذات، وكأنه يبحث عن زمنية أخرى تصنعها الذات، أو عن زمنية تتعلق بالتفاصيل وحدها<sup>(١)</sup>. فكتاب السيرة ليس مؤرخًا فقط، جل همه تدوين الأحداث والتواريخ وأبرز أعمال الشخصيات، إنما يروم أيضًا من خلال الانخراط في الكتابة، أن يعكس فكره ومن ثم يعي ذاته ويبرز "أناه".

فقد كان أسامة مغرمًا بكتابة اسمه أو تقييد بعض خواطره في الأمكنة التي ينزل فيها، على نحو ما يفعل بعض السياح في العهد الحاضر، من ذلك ما كتبه على حائط دار سكنها بالموصل، حيث لم تطب له الإقامة، فقال:  
دارٌ سكنتُ بها كرهًا وما سكنتُ رُوحِي إلى شجن فيها ولا سَكُن  
والقبرُ أَسْتُرُ لي منها وأَجْمَلُ بي إن صَدِنِي الدهرُ عن عودِي إلى وَطَنِي<sup>(٢)</sup>  
فهذا الخبر يحمل في طياته الوجهين: وجه الحرص على التأريخ بما يشبه اليوميات أو المذكرات الشخصية، والوجه الثاني هو رؤية الذات إلى هذه الدار؛ ومن ثم المقارنة بينها وبين القبر، وإن كانت في الحقيقة مقارنة بين

---

(١) يُنظر بنكراد(بتصرف): حقائق التاريخ وممكنات الهوية السردية: ص ١٣، مجلة علامات، المغرب، العدد ٣٨، ٢٠١٢م.

(٢) يُنظر حسن: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى: ص ٧٧، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٣م.

الدنيا والآخرة، حتى يخلص إلى إثارة الآخرة على الدنيا، من خلال تكرار صيغة أفعل للتفضيل "أستر - أجمل".

٢-١ رؤية عامة:

من الوهلة الأولى أثناء قراءة الكتاب، يتبدى لنا أن رؤية "الأنا" تنطلق من المنبع الصافي للدين الإسلامي، الذي طبع كثيراً من ألوان الأدب في تلك الحقبة، فهو رافد محوري طبع جُلّ الرؤى التي انتسبت إلى "الأنا" في هذا الكتاب. وقد اشتغل هذا الرافد من خلال وسائل عدة، أهمها:

التربية: حيث تربية النشء تربية إسلامية، من خلال تحفيظ القرآن الكريم، وتدريس علوم الشريعة الإسلامية من: تفسير، وفقه، وحديث شريف...

الثقافة: وأعني بها الطابع العام للعصر، والسلوك السائد للمجتمع حكام ومحكومين، فالعالم الإسلامي - حتى بعد ضعف الخلافة العباسية - بقي يستظل بمظلة الشريعة الإسلامية، ويُحكم بسلطان الدين على الأقوال والأفعال في الأعم الأغلب.

الأعلام: نخبرنا أسامة من خلال سرده لحوادث عصره، بمعايشته لأبرز أعلامه من السلاجقة، مثل: صلاح الدين الغساني صاحب حماة، ومن الفاطميين، مثل: الخليفان الحافظ لدين الله والظافر، والوزراء الأفضل بن أمير الجيوش، وعلي بن السلال، وعباس بن باديس، ومن الزنكيين: عماد الدين زنكي، وابنه نور الدين محمود، ومن الأيوبيين: أسد الدين شيركوه، وابن أخيه السلطان الناصر صلاح الدين.

هذا بالإضافة إلى أعلام الفرنجة، مثل: فُلك بن فلك (Fulk V) وقد تُوج ملكًا على بيت القدس سنة ٥٢٦هـ، ودنكري (Tancred) وهو أول أصحاب أنطاكية، وتذكره بعض التواريخ العربية باسم طنكري، وبدرهوا (Pedrovant) فارس صليبي معاصر لأسامة، وروجار (Roger) ويسمونه في تواريخ العصور: سرجال أو روجيل، وهو ابن أخت تنكرد، وبغدوين البرونس (Prince) وهو بالدوين الثاني (Baldwin II) ملك بيت المقدس<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن أسامة قد تأثر بمؤلاء الأعلام، سواء منهم من طالت خدمته لهم، أو من اقتصر تعامله معهم على أداء أدوار بعينها ولاسيما الفاطميين. وقد تنوعت ألوان هذا التأثير وتفاوتت مقاديره؛ فمنهم من تعلم منه مكر السياسة وأخذ الحيلة والحذر، ومنهم من تعلم منه خدعة الحرب، ومنهم من تأثر بورعه وتقواه، ومنهم من اجتمعت لديه كل هذه الخصال فنهل منها، لاسيما نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي.

## ٢-٢ معالم الرؤية:

تحدد هوية "الأنا" من خلال موقعها داخل مركز العالم والخطاب، ومن أبرز محددات هذه الهوية وأهمها على الإطلاق، تلك التصورات التي تنتهجها وتبناها وتشير إليها.

وقد جاءت هذه الرؤى في كتاب "الاعتبار"، ما بين: حرية، وسياسية، وأخرى تخص المرأة، والأنا والآخر، وطباع الحيوان.

(١) يُنظر الصفحات ١٣٦، ١٣٩، ٢٠٣.

حربية:

١- "وسرنا حتى وصلنا بلد دمشق بمن سلم من الإفرنج وبني فheid يوم الجمعة خامس ربيع الآخر من السنة، وكانت السلامة من تلك الطريق من دلائل قدرة الله عز وجل وحسن

دفاعه" (١).

٢- (أسرة أسامة بيد الإفرنج) "فهذه نكبات تزعزع الجبال وتفني الأموال، والله سبحانه يعوض برحمته ويختم بلطفه ومغفرته. وتلك وقعات كبار شاهدها مضافة إلى نكبات نكبتها سلمت فيها النفس لتوقيت الآجال وأُجحفت بملاك المال" (٢).

٣- (بعد هزيمتهم لثمانية، هزَمَهُمْ رجلٌ واحد) "ومع هذا فلا يثق إنسانٌ بشجاعته، ولا يُعجب بإقدامه" (٣).

٤- (رجل واحد يستولي على حصن) "والرجال إذا قووا نفوسهم على شيء فعلوه!" (٤).

٥- (معارضته لابن المنيرة في أن العقل لا يحضر أثناء القتال) "وكان رحمه الله بالعلم أخبر مما هو بالحرب، فإن العقل هو الذي يحمل على الإقدام على

---

(١) ابن منقذ: كتاب الاعتبار: ص ٨٧.

(٢) السابق: ص ٩٧.

(٣) السابق: ص ١٢٥.

(٤) السابق: ص ١٥٤.

السيوف والرماح والسهام أنفة من موقف الجبان وسوء الأحداث، ودليل ذلك أن الشجاع يلحقه الزمعة والرعدة وتغير اللون قبل دخوله في الحرب؛ لما يفكر فيه وتحدث به نفسه مما يريد عمله ويباشره من الخطر، والنفوس ترتاع لذلك وتكرهه، فإذا دخل في الحرب وخاض غمارها ذهب عنه ذلك الزمعة والرعدة وتغير اللون. وكل أمر لا يحضره العقل يظهر فيه الخطأ والزلل" (١).

٦- "النصر في الحرب من عند الله تبارك وتعالى، لا بترتيب وتدبير، ولا بكثرة نفير ولا نصير" (٢).

٧- "وقد يكون الترهيب في بعض الأوقات، نافعا في الحرب" (٣).

٨- "لو صفت القلوب من كدر الذنوب، وفوضت إلى عالم الغيوم، علمت أن ركوب أخطار الحروب، لا ينقص مدّة الأجل المكتوب" (٤). "ففي بقائي أوضح معتبر" (٥).

٩- "وأنا القائل بمصر أدم من العيش الراحة والدعة وما كان أعجل تقضيه وأسرعه:

---

(١) السابق: ص ١٦٢.

(٢) السابق: ص ٢٣٩.

(٣) السابق: ص ٢٤٣.

(٤) السابق: ص ٢٥٩.

(٥) السابق: ص ٢٦١.

وما الرفاهة من رأيي ولا أربي ولا التنعم من شأني ولا شغلي  
ولست أرضى بلوغ المجد في رفه ولا العلى دون حطم البيض والأسل<sup>(٦)</sup>  
المرجعية الدينية هي الغالبة على هذه الرؤى، وقد تبدى ذلك من خلال  
الإيمان بقدرة الله، وتسليم الأمر إليه، والتحلي بالصبر، والتوكل على الله والثقة  
به في كل شيء، لا سيما في مواطن القتال.

ليس القتال بكثرة العدة ولا العتاد، إنما بتفويض الأمر إلى الله أولاً، ثم  
الأخذ بالأسباب ثانياً، وأهمها: مراعاة إحداث توازن بين العقل من جهة  
والشعور من جهة أخرى، وتبني الاعتدال، والتواضع، وتقدير الأمور، واعتماد  
الواقع والمشاهدات مصدرًا أوليًا من مصادر المعرفة والحكمة، ولا شك أن  
المال يحتل مرتبة متقدمة، والدليل على ذلك التكرار "الأموال - المال"، وإثارة  
الحياة العسكرية بكل مفرداتها (الخشونة - شظف العيش - الشدة - التدريب -  
القتال) على الترف ونعومة العيش. ولذا لما طعن أسامة في السن وبلغ  
السبعين، وأحس بألم في رجله منعه من ركوب الخيل، وجدناه يقول:

رَجُلَايَ وَالسَّبْعُونَ قَدْ أَوْهَنْتُ قَوَايَ عَنْ سَعْيِي إِلَى الْحَرْبِ  
وَكُنْتُ إِنْ ثَوَّبَ دَاعِي الْوَغْيِ لَبَيْتَهُ بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ  
أَشَقُّ بِالسَّيْفِ دَجَى نَقْعِهَا شَقُّ الدِّيَاجِي مُرْسَلُ الشُّهُبِ  
أُنَازِلُ الْأَقْرَانَ يُرِيدُهُمْ ——— مِنْ قَبْلِ ضَرْبِي هَامَهُمْ رُعْبِي<sup>(١)</sup>

(٦) السابق: ص ٢٥٩.

فتحسر الذات ليس بسبب الكبر في حد ذاته، إنما ما ترتب عليه من ضعف جسدي حال بينها وبين القتال؛ ولذا تلجأ إلى الارتداد إلى الخلف حيث الذاكرة، وأبرزها سرعة تلبية النفير إلى الجهاد، وكذا الشجاعة في القتال التي تبدت من خلال الصورة في البيتين الثالث والرابع، حيث يشق أسامة بسيفه ظلمة غبار الحرب في سرعة وقوة وخفة مثلما تشق الشهب ظلمة الليل حيث يسلطها الله عز وجل بقدرته على الشياطين في سرعة وقوة. وفي مقارعة الأبطال في ميدان المعركة نراه مبادراً "أنازل"، وتبدو المفارقة هنا في بيان سبب هلاك أعدائه الرئيس، وهو هلعهم من مجرد رؤيته، وقد سبقه المتنبي في هذا المعنى، إذ يقول من ميميته الشهيرة في وصف سيف الدولة:

قد نابَ عنكَ شديدُ الخوف، واصطنعتْ لك المهابةُ ما لا تصنعُ البُهُمُ<sup>(١)</sup>  
سياسية:

- ١- "تنازع عباس وابن رزيك على أسامة) فكأن الشياطين وسوست لعباس بذلك، أو توهمه؛ لما يعلمه بيني وبين ابن رزيك من المودة"<sup>(٢)</sup>.
- ٢- "ترجيح أسامة لرأي غلام عباس على مولاه، من ضرورة التجهيز لقتال ابن رزيك، بدلاً من السفر إلى الشام) وكان الصواب معه"<sup>(٣)</sup>.

---

(١) ابن منقذ: ديوان أسامة بن منقذ، ت/ أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، ص ٢٥٨، عالم الكتب، ط ٢، بيروت، ١٩٨٣ م.

(١) المتنبي: ديوان المتنبي، ص ٣٣١، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣ م.

(٢) السابق: ص ٨١.

٣- "ولولا نفاذ المشيئة في عباس وابنه، وعواقب البغي وكفر النعمة، كان اتعظ بما جرى قبله للأفضل بن رضوان الوَلَحْشِي رحمه الله" (٤).

٤- "(بالعقل تعمر البلاد- بالعقل تحفظ البلاد عمرانها- صاحب بدليس يحفظ عمران بلده بالعقل- صاحب قلعة جعبر يحسن السياسة/ ضمنية)" (١).

لعلنا نلمح فيما سبق سمة بارزة، وهي الوعي بقيمة التحالفات السياسية، وذلك من خلال استقراء شخصية أسامة، ومعالجته لكافة الأمور الحياتية، فيبدو لنا شخصية متزنة، تحكم العقل دائماً، ومن ثم نجده في تعامله مع الساسة وحتى مع الخصوم متسماً بالروية والحكمة لا التسرع والهمجية؛ ومن ثم ترجيح التعقل والسلم في العلاقات السياسية (الدبلوماسية)، سواء كانت محلية أو دولية.

وقد عكست النماذج السابقة سعة الصدر وتقبل الآخر، وقد اتضح ذلك من خلال بعد نظر "الأنا" في معالجة الانتماءات الحزبية، ومحاولة استمالة الخصوم، والإنصات للصديق والعدو، وإسناد الدور المركزي للاعتبار في اتخاذ القرار المناسب للمرحلة؛ ولذا لا نتعجب إذا وجدناه في حواراته وجداله وآرائه- في الكتاب- يتسم بالموضوعية في الطرح السياسي؛ مما يدل

---

(٣) السابق: ص ٨٢.

(٤) ابن منقذ: كتاب الاعتبار: ص ٨٩.

(١) السابق: ص ١٦٤ : ١٦٨.

على تحلي شخصيته بالانفتاح ومحاولة الإفادة من كل الآراء، وعدم الاكتفاء والانكفاء على ذاته.  
المرأة: (٢)

١ - "كل ذلك وأمة عجوز يقال لها بركة مملوكة لرجل كردي من أصحابنا يقال له علي بن محبوب واقفه بين الخيل على شط النهر وفي يدها شربة تسقي بها وتسقي الناس، وأكثر أصحابنا الذين كانوا على الشرف لما رأوا الإفرنج مقبلين في ذلك الجمع اندفعوا نحو المدينة وتلك الشيطانة واقفة لا يرونها ذلك الأمر العظيم".

٢ - (يتحدث أسامة عن ابن عمه سنان الدولة في لقائه بمقدم الإسماعيلية): "وُلِدْتُ أنا وهو في يوم واحد... إلا أنه ما باشر الحرب ذلك اليوم وأنا كنت قطبها. فأراد علوان اصطناعها. فقال له ارجع إلى بيتك احمل منه ما تقدر عليه ورح لا تُقتل، فالحصن قد ملكناه. فرجع إلى الدار وقال: من كان له شيء يعطيني إياه، يقول ذلك لعمته ونساء عمه، فكل منهم أعطاه شيئاً، فهو في ذلك إذا إنسان وقد دخل الدار عليه زردية وخوذة ومعه سيف وترس. فلما رآه أيقن بالموت، فوضع الخوذة وإذا هي أم ابن عمه ليث الدولة يحیی رحمه الله. فقالت أي شيء تريد تعمل؟ قال آخذ ما قدرتُ عليه، وأنزل من الحصن بجبل وأعيش بالدنيا. قالت بئس ما تفعل، تخلي بنات عمك وأهلك للحلاجين وتروح؟ أي عيش يكون عيشك إذا افتضحت في

---

(٢) يُنظر السابق: ص ٢٠٧ : ٢١٨.

أهلك انهزمت عنهم؟ اخرج قاتل عن أهلك حتى تقتل بهم، فعل الله بك وفعل. ومنعته رحمها الله من الهرب، وكان من الفرسان المعدودين بعد ذلك".

٣- "وجئتُ إلى داري أطلبُ شيئاً من سلاحي ما وجدتُ إلى جهازات السيوف وعيَب الكراغندات. قلتُ يا أمي أين سلاحي؟ قالت يا بني أعطيت السلاح لمن يقاتل عنا، وما ظننتك سالماً! قلتُ وأختي أي شيء تعمل هاهنا؟ قالت يا بني أجلستها على الروشن وجلست براً منها. إذا رأيت الباطنية وصلوا إلينا دفعُتها رميتها إلى الوادي فأراها قد ماتت، ولا أراها مع الفلاحين والحلاجين مأسورة، فشكرُتها على ذلك وشكرُتها الأختُ وجزُتها خيراً، فهذه النخوة أشد من نخوات الرجال".

٤- (امرأة مسلمة تقتل زوجها لخيانته للمسلمين) "فكان ينهض بالإفرنج إلى المسلمين يغنمهم ويبالغ في أذى المسلمين وأخذ ما لهم وسفك دمهم حتى قطع سبل المسافرين ... واجتمعتُ هي وهو على زوجها علي بن أبي الريداء قتلاه واحتملا بجميع ما لها. وأصبحت عندنا في شيزر، وقالت غضبتُ للمسلمين مما كان يفعل بهم هذا الكافر، فأرحتُ الناس من هذا الشيطان، ورعيناً لها ما فعلتُ وكانت عندنا في الكرامة والاحترام".

لعل الإقرار بأهمية المرأة، وفعاليتها في المجتمع، يؤكد ما استنتجناه سابقاً من امتلاك ذات المؤلف لعقلية مستنيرة، وفطنة واعية، وهي رؤية نابعة من توجه العصر توجهاً دينياً، ما زال ملتزماً ومتعلقاً بتعاليم الشريعة الإسلامية، وفي الوقت نفسه صادر عن طبيعة العصر وحيثياته، فالأمة منشغلة باحتلال الصليبيين لبيت المقدس، ولذا فهناك محاولات في أماكن شتى للتعبئة، ومحاول

توحيد الصفوف، والاجتهاد في رأب الصدع؛ ولذا لا نستغرب مما تفعله المرأة وما جاء في السياقات السابقة، فهو يدل على حرص المرأة على مشاركة الرجل وأن تقوم بدور إيجابي يخدم القضية العامة التي تشغل المسلمين آنذاك. إن دور المرأة هنا لا يتنافر مع دور الرجل، ولا تتعارض مصلحتها مع مصلحته، إنما يأتي مكملًا لدور الرجل في المجتمع. ولا أدل على الاعتراف بذلك من مدح الكاتب لهذه المواقف، وما تعكسه من صفات، وربما نستنتج أيضًا اختلاف معايير الأنوثة تأثرًا بظروف البيئة والعصر، وهذا يتضح من طبيعة الوظيفة التي قامت بها المرأة، ومشاركاتها في الأحداث، وكأن السمات التي عكستها تلك الوظيفة صارت منخرطة ضمن معايير الأنوثة في هذا العصر، وأبرزها الجرأة، والقوة، والنخوة، والمروءة، والإخلاص.

الأنا والآخر:

عقولهم:

"ورأيت واحدًا منهم، جاء إلى الأمير مُعين الدين - رحمه الله - وهو في الصخرة، فقال: "تريد تبصر الله صغيراً؟" قال: نعم! فمشى بين أيدينا حتى أَرانا صورة مريم، والمسيح - عليه السلام - صغير في حجرها! فقال: هذا الله صغير! تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً!"<sup>(١)</sup>.

أخلاقهم:

(١) ابن منقذ: كتاب الاعتبار: ص ٢٢٤.

١ - الجفاء: "فكل من هو قريب العهد ببلاد الإفرنج أجفى أخلاقاً من الذين قد تبدلوا وعاشروا المسلمين" (٢).

٢ - نخوة رجالهم: "ليس عندهم شيء من النخوة والغيرة، يكون الرجل منهم يمشي هو وامراته يلقيه رجل آخر يأخذ المرأة ويعتزل بها ويتحدث معها، والزوج واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث، فإذا طولت عليه خلاها مع المتحدث ومضى" (١).

٣ - خيانة العهد: "ملك الإفرنج دنكري لا يحفظ عهده؛ فبعد تأمينه للفراس المسلم حسنون، يأمر بتعذيبه واقتلاع عينه اليمنى" (٢).  
قتالهم:

— الشجاعة والقتال: "إذا خبر الإنسان أمور الإفرنج سبى الله تعالى وقده ورأى بهائم فيهم فضيلة الشجاعة والقتال ولا غير" (٣).  
طبهم:

١ - من عجيب طبهم/ إيجابي: "فرمحه حصان في ساقه، فعملت عليه رجله، وفتحت في أربعة عشر موضعاً، والخراج كلما ختم في موضع، فتح موضعاً - وأنا أدعو بهلاكه - فجاءه طبيب إفرنجي، فأزال عنه تلك

---

(٢) السابق: ص ٢٢٣.

(١) السابق: ص ٢٢٦: ٢٣٢.

(٢) السابق: ص ١٣٦: ١٣٨.

(٣) السابق: ص ١٣٥.

المراهم، وجعل يغسلها بالخل الحاذق، فختمت تلك الجراح وبرأ، وقام مثل الشيطان!"<sup>(٤)</sup>.

٢- من عجيب طبهم/ سلمي: "حضر الفارس والفأس - وأنا حاضر - فحط ساقه على قرمة خشب وقال للفارس اضرب رجله بالفأس ضربة واحدةً اقطعها، فضربه - وأنا أراه - ضربةً واحدةً ما انقطعت، ضربه ضربة ثانية فسال مخ الساق، ومات من ساعته"<sup>[١]</sup>.

تجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن لـ"الأنا" أنواع، أبرزها ما يلي:

— الأنا المتعالية:

وهي الأنا العظيمة المتعالية، وأهم ما يميزها الصراع المستمر مع الآخر، وهذا من أجل إثبات وتحقيق كيانها، ووجودها، فهي تتمتع بقدرات وإمكانات عالية... تجعلها تتعالى عن واقعها الاجتماعي.

— الأنا الصدمية:

هي أنا تتعارض وتصارع وتتناقض بما تحمله من طموحات وأفكار وآمال مع الآخر، مما يؤدي إلى نشوء علاقة صدمية بينهما.

— الأنا المتماهية:

هذا النوع من الأنا/ الذات تعاني من نقص في جانب ما في شخصيتها، وتبحث عما يعوض ويكمل لها هذا النقص<sup>[٢]</sup>.

ويمكن تحديد دلالات الآخر من خلال سياقين رئيسين:

---

(٤) السابق: ص ٢٢١.

معرفي:

وعلى ضوءه يبدو الآخر مفهوماً تكوينياً أساسياً للهوية، أي للذات وهي تحدد هويتها، فلا هوية بدون آخر.

قيمي أخلاقي:

يكتسب الآخر من خلاله قيمة، أو موقعاً في سلم تراتبي يكون من خلاله مقبولاً أو مرفوضاً، طيباً أو سيئاً<sup>[١]</sup>.

من خلال قراءتنا لسياقات الأنا/ الآخر عبر الكتاب، يمكننا تحديد نوعية "الأنا" فهي أقرب ما تكون إلى النوعين الأول/ المتعالية، والثاني/ الصدامية، فلديها اعتقاد بأنها الأصح عقيدة، والأعمق فكراً، والأحسن خلقاً، والأقوى عسكرياً، في مقابل "الآخر" الذي يسهم في اكتمال وعي "الأنا" بماهيتها وما تملكه من طاقات وإمكانات؛ ولذا نجد تقييماً مستمراً من الأنا عبر تفاوضها النصي من خلال إعادة اكتشاف ذاتها في مقابل الآخر.

والآخر/ المحتل من الصليبيين في رؤية الأنا ذو عقيدة منحرفة عن الصواب، ويبدو هذا من خلال اللعن المتكرر منها للآخر، كلما روت عنه أو جاء اسمه عرضاً، وكذا من خلال الدعاء عليه وتمني موته.

والأنا تنتقص الآخر فكراً من خلال روايتها عن تفوقها عليه عسكرياً في ميادين القتال، وتقديرها للأمور، ودرجة إتقانها للمهن التي تمتنها، مثل: الطب، وكذا بعض السلوكيات والتصورات الغربية.

وهو في ميزان الأخلاق - في الأعم الأغلب - يتسم بقساوة القلب، وغلظ الطبع، وبالغدر والخيانة، وانعدام الغيرة والنخوة، والروايات والأخبار التي

تسوقها كثيرة ومبثوثة بين دفتي الكتاب، إلا ما ندر من أخبار تنصف الآخر، مثل: عدالتهم في الحكم، إظهار التسامح وقت السلم.

والأنا لا تجد فضيلة للآخر سوى الجساسة واحتراف القتال، والأمر في الميدان سجل بين الطرفين، مع إبراز التفوق للأنا في مجموع الأخبار. وهي لا تفتأ تذكر المتلقي بمرجعية هذا النصر وذلك التفوق، وهو ترتيب الله عز وجل وتوفيقه، وسبب ذلك الاستعانة به سبحانه والتوكل عليه.

وأما المهن فمن الطبيعي أن يوجد فيها المجيد والمخفق، والمتقن والمهمل، والتميز والمؤدي، وأبرز مثال لذلك "الطب". وتجدد الإشارة في هذا السياق إلى أن الآخر/ الغرب الصليبي، لم يكن في ذلك ذا حضارة متقدمة مثل ما هو عليه في وقتنا الحاضر؛ ولذا فتعجب "الأنا" من طب "الآخر" موجهة لإمكانات الأطباء، ومقدار علمهم وخبرتهم المهنية.

\*\*\*

## طباع الحيوانات:

الخيول:

"وعلى ذكر الخيل ففيها الصبور كالرجال وفيها الخوار، فمن ذلك أنه كان في جندنا رجل كردي يقال له كامل المشطوب في الشجاعة... فطعن الإفرنجي حصانه في موضع القلادة فمالت رقبته من شدة الطعن وخرجت القنطارية من أصل رقبة الحصان فضربت فخذ كامل المشطوب وخرجت من الجانب الآخر، وما تزعزع الحصان من تلك الطعنة ولا فارسه" [١].

"وأما خورها وضعفها على الجراح فإن عسكر دمشق نزل على حماة وأنا بها... فضربت حصاني نشابةً في ساقه خمشته فوقع بي وقام ووقع وأنا أضربه... [٢].

الأسود: [٣]

قاتلتُ السباع في عدة مواقف لا أحصيها، وقتلتُ عدةً منها، ما شركني في قتلها أحد سوى ما شاركني فيه غيري، حتى خبرتُ منها وعرفتُ من قتلها ما لم يعرفه غيري:

١- فمن ذلك أن الأسد مثل سواه من البهائم يخاف ابن آدم ويهرب منه وفيه غفلة وبله ما لم يجرح فحينئذ هو الأسد...

٢- وإذا خرج من غاب أو أجمه، وحمل على الخيل، فلا بد له من الرجوع إلى الأجمة التي خرج منها، ولو أن النيران في طريقه، وكنت أنا قد عرفت هذا بالتجربة.

النمور:

١- "أما النمور فقتالها أصعب من قتال الأسد لحفتها وبُعد وثبتها، وهي تدخل في المغارات والمجاحر كما تدخل الضباع" [٤].

٢- "والنمر لا يكاد يألف بالناس، ولا يستأنس بهم" [٢].

إن الغالب على اهتمام "الأنا" من الحيوانات من جهة ما يرتبط بآليات القتال/ الخيل، ومن جهة أخرى ما يتعلق بالقوة والشراسة والسيطرة/ الأسد- النمر. وهذا يدل على ارتباط رؤية "الأنا" للحيوان بالمعيار الإنساني وبالتجربة الإنسانية، فتركيزها على ما يتسق مع طبيعتها وما تميل إليه وما تربت عليه، وهذا يتضح في تصويرها لنوعية بعينها من الحيوانات، ثم رصدها لسماتها التي ربما تتقاطع مع السمات الإنسانية، لا سيما التي ترجحها وتجيدها. هذا بالإضافة إلى أن عالم الحيوان يُعد مرتعًا خصيصًا لمشاهدات "الأنا" وتأملاتها، وكذلك وجود هذه الحيوانات بكثرة في بيئة "الأنا"، ومن ثمة تمرسها في التعامل معها.

وقد لفتنا استخدام الفعل الماضي عند تقرير أمر أو ما يشبه الحكمة أو القاعدة، مثل ماورد في الجوانب: الحربي [١] ، والسياسي والمرأة [٢] . وارتكز الكاتب على الصورة عند الحاجة إلى تضخيم الحدث، سواء الاستعارة: "نكبات ترزعزع الجبال وتفني الأموال"، "وتلك الشيطانة واقفة" أو التشبيه: "فكان الشياطين وسوست لعباس بذلك".

تبدو "الأنا" في مواقفها عبر الكتاب حجاجية، تنافح عن آرائها ومواقفها التي تبنتها، فبالرغم من أن ما كتبه ثابت وموثق في كتب التاريخ، فإنها بهذه الكتابة بعد انقضاء الأحداث التي عاشتها، كأنها تعيد صياغة ذاتها من جديد؛ ولذا فهي في حاجة إلى تقديم أدلة تكون بمثابة الوثيقة الرسمية التي

تبرر وجودها، وتبرز كيائها. ولذا تكثر المؤكدات بـ "إن"، وأدوات النفي المتعددة بـ "لا" و "ما" و "ليس".

وجاء الشرط أداة محورية، وهو "وسيلة تعبير في اللغة تقوم على وجود مقدمات تؤدي إلى نتيجة، وتكاد تكون منطقاً عاماً في جميع اللغات البشرية"<sup>[١]</sup>.

"والرجال إذا قووا نفوسهم على شيء فعلوه!" تستخدم "إذا" في أساليب الشرط المعبرة عن الأحداث أو الحالات الممكنة التحقيق، وتحقق تلك الأحداث أو الحالات يكون مؤكداً، لكن زمن التحقيق بعيد أو غير مؤكد<sup>[٢]</sup>. ولا شك أن استخدام هذه الأداة تعكس موقف الأنا المتفائلة ورؤيتها للحياة.

"ولولا نفاذ المشيئة... كان اتعظ". وتأتي "لولا" للتعبير عن الظروف غير المتحققة، أو المنافية للحقيقة<sup>[٣]</sup>. وتعكس الأداة موقف "الأنا" السياسي وانعدام الولاء للوزير عباس وابنه.

## الخاتمة

وهكذا رأينا كيف تشكلت سيرة أسامة بن منقذ، عبر كتاب الاعتبار، من خلال: اشتغال العنوان، وخطاب الوصف، وتجليات "الأنا"، ومن ثم تبدت رؤى الذات ومواقفها، وتمكنت من إعادة صياغة ذاتها صياغة متأنية، متسقة مع زمنية الكتابة، في محاولة منها لتسليط الرؤية باقتراب يحقق التعمق، واكتشاف مكامن التفوق والإخفاق.

وقد انتهت الدراسة إلى ما يلي:

لعنوان الكتاب وظيفة تأويلية، تشير إلى دلالة التعجب، وليس التعجب هنا من العجب أو الاغترار بقدر ما هو التفات إلى الذات وإحالة عليها فهي حالة من حالات الانسجام معها والأنس بتاريخها وإنتاجها للقيم.

وقد رجح متابعة بنى العناوين الداخلية للكتاب، مثل: البدء باسم المؤلف/ أسامة أولاً، أو إضافة اسم إليه، تركز الذات وتصدرها الأحداث، وأشار تنوع الأفعال المسندة إلى الذات إلى إمكاناتها ومرونتها، وامتلاكها زمام الأمور.

وقد أسهم الحوار المتبادل بين الطرفين: الوصف/ السرد، السرد/ الوصف، فوق إثرائه للنص وما تولد عنه من اكتناز دلالي، في تعضيد المضمون، وتقوية الدلالة؛ ومن ثم إقناع القارئ.

إن جمال الوصف يكمن في إقامة ذات الكاتب توازيًا بين وحداته من جهة، ووحدات السرد من جهة أخرى، وقد عُد من أبرز آليات الحجاج- في كتاب الاعتبار- ومن ثم أدي وظيفة موضوعية، وحقق نجاعة الإقناع لدى

القارئ، وأسهم من خلال علاقته بالحوار، في تحديد معالم الشخصيات ورسم ملامحها، وتوزيع الأدوار المنوطة بها، وتفعيل الوظيفة التأويلية لأنساق الدوائر التي تحتلها كل شخصية.

اشتغل البعد اللغوي للوصف في كتاب الاعتبار، عبر وظيفتين، الأولى: تزيينية، والثانية تفسيرية، وقد أثبتنا مدى امتلاك الذات لناصية الخطاب من جهة، والقدرة على البوح من خلال المباشرة الدلالية والرميز.

تجلت "الأنا" من خلال أمرين: علاقة الراوي/ البطل، ورؤيتها في الكتاب، واشتغل تماهي الراوي/ البطل من خلال بعض الآليات، أبرزها: التفاصيل - الاستطراد - الضمائر، وتبدو - من خلال رؤيتها - متعقلة، متزنة، متحضرة في نظرتها لمفردات الحياة والكون، تستمدّها - في الأعم الأغلب - من معين الدين الصافي، وقد برزت - عبر كتاب الاعتبار - من خلال تقنيات عدة، أبرزها: الفعل الماضي، والصورة، والحجاج، والشرط.

\*\*\*

## المصادر والمراجع

### أولاً: الكتب

- ١- ابن منقذ، أسامة، ديوان أسامة بن منقذ، ت/ أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، عالم الكتب، ط ٢، بيروت، ١٩٨٣ م.
- ٢- ابن منقذ، أسامة، كتاب الاعتبار، ت/ عبد الكريم الأشر، المكتب الإسلامي، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٣ م.
- ٣- ابن منقذ، أسامة، كتاب الاعتبار، ت/ فيليب حتى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت.
- ٤- ابن منظور، لسان العرب، ت/ أمين عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٩٩ م.
- ٥- البازعي، سعد، الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨ م.
- ٦- التميمي، هدى، الأدب العربي عبر العصور، دار الساقى، ط ١، ٢٠١٥ م.
- ٧- جعفرورة، محمد معز، في الذاتية "عنتره نموذجاً"، الدار التونسية للكاتب، تونس، ٢٠١٣ م.
- ٨- حسن، زكي محمد، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٣ م.
- ٩- شارودو، باتريك، ومنغنو، دومينيك، معجم تحليل الخطاب، ت/ عبد القادر المهيري، وحماي صمود، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، سلسلة اللسان، تونس، ٢٠٠٨.
- ١٠- شاكر، تحاني عبد الفتاح، السيرة الذاتية في الأدب العربي: فدوى طوقان وجبرا إبراهيم جبرا وإحسان عباس نموذجاً، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، بيروت، ٢٠٠٢ م.
- ١١- شرف، عبد العزيز، أدب السيرة الذاتية، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، مصر، ١٩٩٢ م.

- ١٢- العجمي، فالح بن شبيب، أسس اللغة العربية الفصحى، كرسي الدكتور عبد العزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها، الرياض، ط١، ٢٠١٦م.
- ١٣- العجمي، محمد الناصر، الخطاب الوصفي في الأدب العربي القديم، الشعر الجاهلي نموذجاً، مركز النشر الجامعي، منشورات سعيدان، تونس، ٢٠٠٣م.
- ١٤- الغامدي، صالح معيض، كتابة الذات دراسات في السيرة الذاتية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط١، ٢٠١٣.
- ١٥- محفوظ، عبد اللطيف، وظيفة الوصف في الرواية، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩م.
- ١٦- المتنبي، أبو الطيب، ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣م.

#### ثانياً: الدوريات

- ١- أسود، نوزاد أحمد، الحركة الزمنية في سيرة صلاح نيازي الذاتية، مجلة آداب الفراهيدي، العدد (٣٢)، ٢٠١٧م.
- ٢- بنكراد، سعيد، حقائق التاريخ وممكنات الهوية السردية، مجلة علامات، المغرب، العدد (٣٨) ٢٠١٢م.
- ٣- التمرأوي، يسري، استراتيجيات الاعتبار في السيرة الذاتية "كتاب الاعتبار" لابن منقذ نموذجاً، مجلة أنساق، المجلد ٢، العدد [١]، فبراير ٢٠١٨م.
- ٤- دريم، نور الدين، فاعلية الضمير في إنتاج الدلالة - دراسة أسلوبية في قصيدة أنشودة المطر لبدر شاكر السياب، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم الآداب واللغات، العدد [٢٠]، جوان ٢٠١٨.
- ٥- رحيم، عبد القادر، العنوان في النص الإبداعي، أهميته وأنواعه، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العددان الأول والثاني، جامعة محمد خيضر، بسكرة- جانفي، جوان ٢٠٠٨م.

٦- الشمالي، نضال محمد فتحي، الوصف في الخطاب الروائي وأبعاده التقنية "زياد قاسم نموذجًا"، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٣٣، العدد [١]، ٢٠٠٦م.

٧- شوشة، محمد سليم، صياد النسيم: جماليات الاستطراد المعرفية، موقع أنطولوجيا السرد، العربي، ٢٠١٨/١٧/٢،

<http://alantologia.com/blogs/٦٧٠٢>

٨- عبد الله، لؤي حاتم، البنية التركيبية للغة السيرة الذاتية بين أسامة بن منقذ وابن خلدون، رسالة دكتوراة، مجلة جسور، د. ت.

٩- الغزالي، عبد الله محمد عيسى، المكونات السردية في السيرة الذاتية: كتاب الاعتبار نموذجًا، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت - مجلس النشر العلمي، الكويت مجلد ٢٥، عدد (٩٧)، ٢٠٠٧م.

١٠- كفاقي، منذر ذيب، دالية ابن اللبانة الأندلسي في ضوء منهج النقد الجمالي، مجلة التجديد، مجلد ١٦، العدد (٣١)، ٢٠١٢م.

### ثالثًا: الرسائل الجامعية

١- السقرات، براءة محمود، كتاب "الاعتبار" لأسامة بن منقذ دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، الأردن، ٢٠١١م.

٢- شاوش، سارة، جدلية الأنا والآخر في رواية كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد للروائي واسيني الأعرج مقارنة في التلقي والتأويل، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر، ٢٠١٤م.

٣- مختاري، زهرة، خطاب العنوان في القصيدة الجزائرية المعاصرة، مقارنة سيميائية، رسالة ماجستير، وهران، الجزائر، ٢٠١١م - ٢٠١٢م.

\*\*\*

### **III. Documentation:**

1. Footnotes should be placed in the footer area of each page respectively..
2. Sources and references must be listed at the end.
3. Sample images of the verified/edited manuscript should be inserted in their respective areas.
- 4 - Clear pictures and graphs that are related to the research should be included in appendices.

**IV.** In case the author is dead, the date of his death, in Hijri calendar, is used after his name in the main body of the research.

**V.** Foreign names of authors are transliterated in Arabic script followed by Latin characters between brackets. Full names are used for the first time the name is cited in the paper.

**VI:** Submitted articles for publication in the journal are refereed by two reviewers, at least.

**VII.** The modified articles should be returned on a CD-ROM or via e-mail to the journal.

**VIII.** Rejected articles will not be returned to authors.

**IX.** Authors are given two copies of the journal and fifteen reprints of their article.

### **Address of the Journal:**

All correspondence should be sent to the editor of the Journal of Arabic Studies:

Riyadh, 11432 P.O. Box 5701

Tel: 2582051 - Fax 2590261

[www. imamu.edu.sa](http://www.imamu.edu.sa)

E.mail: [arabicjournal@imamu.edu.sa](mailto:arabicjournal@imamu.edu.sa)

## **Criteria of Publishing**

---

The Journal of Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University for Arabic Studies is a peer reviewed journal published by the Deanship of Scientific Research on University Campus. It publishes scientific research according to the following regulations:

### **I. Acceptance Criteria:**

1. Originality, innovation, academic rigor, research methodology and logical orientation.
2. Complying with the established research approaches, tools and methodologies in the respective disciplines.
3. Accurate documentation.
4. Language accuracy.
5. Previously published submissions are not allowed.
6. Submissions must not be extracted from a paper, a thesis/dissertation, or a book by the author or anyone else.

### **II. Submission Guidelines:**

1. The author should write a letter showing his interest to publish the work, coupled with a short CV and a confirmation that the author owns the intellectual property of the work entirely and that he will not publish the work without a written agreement from the editorial board.
2. Submissions must not exceed 50 pages (A4).
3. Submissions are typed in Traditional Arabic, in 17-font size for the main text, and 14-font size for footnotes, with single line spacing.
4. A hard copy and soft copy must be submitted with an attached abstract in Arabic and English that does not exceed 200 words or one page.



## **Editor –in- Chief**

### **■ Prof. Ibrahim Ibn Abdulaziz Abu Haimed**

Applied Linguistics- Institute for Teaching Arabic Language- Al-  
Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University

### **■ Prof. Ibrahim Ibn Mohammad Abanami**

Literature department College of Arabic Language - Al- Imam  
Mohammad Ibn Saud Islamic University

### **■ Prof. Muhammad Ahmad Al-Daly**

Linguistics department- College of Arts - Kuwait University

### **■ Pro. Mohammad Mohammad Abu Musa**

Department of Rhetoric and Criticism- Faculty of Arabic  
Language- Al-Azhar University

### **■ Prof. Nawal, Bint of Ibrahim Al-Hilweh**

Arabic Language department- Faculty of Arts - Princess Nourah  
Bint Abdul Rahman University


### **■ Prof. Yusef Ibn Abdullah Al-Aliwi**

Department of Rhetoric and Criticism- College of Arabic  
Language- Al- Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University

### **■ Editorial-secretary**

**Prof. Mamdouh Ibrahim Mahmoud**

Deanship of Scientific Research





Chief Administrator

**H.E.Prof. Ahmed Ibn Salem AL-Ameri**

President of the University



Deputy Chief Administrator

**Prof. Abdullah ibn Abdulaziz Al-Tamim**

Vice Rector for Graduate Studies and Scientific Research



**Editor –in- Chief**

**Prof. Saud Ibn Abdulaziz Al-Hanin**

Grammar Department- College of Arabic Language



**Managing Editor**

**Dr.Ibrahim Ibn Nasser Al-Shakari**

vice Deanship of Scientific Research

